أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

من مصادر التراث العربي والإسلامي

تعريف عامٌّ وعرضٌ مبسَّطٌ لأشهر المصادر التُّراثيَّة مع تعريفٍ موجزٍ بمؤلِّفيها وبالعُلوم التي تنتمي إليها

اختيار وعرض
زهير محمود حموي
الباحث الشَّرعي بقطاع الإفتاء والبحوث الشرعيَّة

الإصدار مائة وتسعة وثلاثون ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

الإصدار مائة وتسعة وثلاثون

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

ISBN:978-99966-1-567-2

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني

www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام

رئيس التحرير

د/ صالح سالم النهام

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

من مصادر التراث العربي والإسلامي

تعريف عام وعرض مبسط لأشهر المصادر التراثية مع تعريف موجز بمؤلفيها وبالعلوم التي تنتمي إليها

اختيار وعرض
زهير محمود حموي
الباحث الشرعي بقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية

الإصدار مائة وتسعة وثلاثون
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

تَصْدِير

بِقَلَمِ رَئِيسِ تَحْرِيرِ مَجَلَّةِ الوَعْيِ الإِسْلَامِيّ

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ وعلَّمهُ البيان، ووَهبَ له العقلَ؛ ليعقِلَ عن ربِّه ما شَرَعَه وأبَان، وأنزلَ القرآنَ تبصرةً للعُقول والأذهان، وأرسلَ رسولَه بالهُدى والبلاغ والتِّبيان، وقيَّضَ من عبادِه مَن نَظَم العلمَ بأفصحِ لسان، أحمدُه حمدًا يملأ الميزان. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كل يوم هو في شان، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدًا عبدُه ورسوله المبعوث إلى النَّاس كافَّة بالدَّليل والبرهان، اللهمَّ صَلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك محمَّد، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان.

ثم أما بعد:

فإنَّ العلم والثَّقافة العربيَّة مَيدانٌ خَصبٌ لكلِّ مُتعلِّم؛ إذا أراد أن يستزيدَ من الإحاطة بلُغته، ودِينه، ومبادئ أمَّته.

وحتَّى ينتشر هذا الوعي ويعمَّ، كان لابد من توفير المواد العلميَّة اللَّازمة له، ومن أهمِّ تلك المواد: الكتب بمختلف أنواعها ومناهجها ومستوياتها، شريطة أن تكون نافعة بنَّاءة جادَّة.

ولأجل تواصل المثقَّفين شرقًا وغربًا، وتنامي الشُّعور بالانتماء، وتقوية أواصر الارتباط الثَّقافي بين شعوب الأمَّتين العربيَّة والإسلاميَّة؛ كانت فكرة الاجتهاد في إخراج الكنوز التُّراثيَّة، وطباعة الرَّسائل العلميَّة أولويَّة عمليَّة في مجلَّة

الوعي الإسلاميِّ، فهي بذلك تسعى لزرع الثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة، بشتَّى صنوفها، في النَّاشئة والمبتدئين، وفي الصِّغار والكبار على حدٍّ سواء.

وقد جَمعت مجلَّةُ الوعي الإسلامي طاقاتها وإمكاناتها العلميَّة والمادِّيَّة لتحقيق هذا الهدف السَّامي؛ فَتيسَّر لها - بفضل الله تعالى - إخراج عدد ليس بالقليل من هذه الكتب، وكان لها نصيب وافر من الحفاوة والتَّكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجها، وذلك لما تميَّزت به هذه الإصدارات من أصالةٍ وقوَّةٍ، ووضوحِ منهج، ومراعاةٍ لمصلحة المثقَّف، وحاجته العلميَّة.

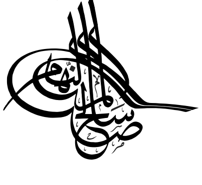
ومن هذه الإصدارات النَّافعة، كتاب: «**من مصادر التُّراث العربي والإسلامي**» تعريف عام، وعرض مبسَّط لأشهر المصادر التُّراثية، مع تعريف موجز بمؤلفيها وبالعلوم التي تنتمي إليها. وهو كتاب قيِّمٌ من اختيار وعرض فضيلة الشَّيخ **زهير محمود حموي**، الباحث الشَّرعي بقطاع الإفتاء والبحوث الشَّرعية؛ فجزاه الله خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والعطاء.

و**مجلَّة الوعي الإسلامي** إذ تقدِّم هذا الإصدار، فإنَّها تتوجَّه بخالص الشُّكر والتَّقدير لجميع مَن ساهم وأعان على إصداره، سائلة الله عزَّ وجلَّ أن يجعل فيه النَّفع والفائدة للجميع.

والحمد لله ربِّ العالمين

رئيس التحرير

الدكتور صالح سالم النهام



الإهداء

أتشرف بإهداء هذا الجهد المتواضع

إلى والدي الذي غرس فيَّ تقدير العلم وحب العلماء.

وإلى والدتي التي غرست فيَّ الإخلاص في العطاء...

وإلى مشايخي وأساتذتي الفضلاء.

وإلى ذكرى المؤلفين الأعلام... والجهابذة العظام...

الذين كانوا حراس هذه الثقافة الخالدة..
وعاشوا حياتهم في سبيل صونها وإشاعتها...

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وإلى المكتبتين العربية والإسلامية، حُبًّا ووفاءً...

على أمل أن يكون إضافة جادة وجيدة...

وإلى كلِّ طالب علم باحث عن المعرفة، ظامئ إلى منابعها...

عسى أن أوفر لله الجهد والوقت...

زهير محمود حموي

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بدولة الكويت، قطاع الشؤون الثقافية، مجلة الوعي الإسلامي

على تفضلهم بطباعة هذا الكتاب.

تقديم
الأستاذ الدكتور أحمد الحجي الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد اطلعت على الكتاب المعنون بـ«من مصادر التراث العربي والإسلامي» لمؤلفه الأستاذ زهير محمود حموي، أمين سر هيئة الفتوى.

وهو يتألف من / ٦١٠ / صفحة كبيرة، مكتوبة على المكتاب (الكمبيوتر)، ويتضمن مقدمات تمهيدية، وست مجموعات:

فالمجموعة الأولى: للعلوم الشرعية، وهي: التوحيد والعقائد، والأخلاق والآداب، وعلوم القرآن، والتفسير، والحديث الشريف وعلومه، والسيرة النبوية، والشمائل المحمدية، وأصول الفقه، والفقه ومذاهبه، والسياسة الشرعية.

والمجموعة الثانية: للعلوم العربية، وهي: الشعر، والعروض، والنثر الأدبي، والنحو، والصرف، والمعاجم.

والمجموعة الثالثة: للفهارس، والموسوعات.

والمجموعة الرابعة: للتراجم، والطبقات، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات.

والمجموعة الخامسة: للفلسفة، وعلم الاجتماع.

والمجموعة السادسة: للعلوم التجريبية.

وفي كل مجموعة من مجموعات هذه العلوم المذكورة استعرض

المؤلف مجموعة من الكتب المصنفة في هذا العلم، فعرَّف بكل منها، وبمؤلفها، وبأقوال العلماء فيها، من ثناء عليها أو انتقاد لها، مع بيان قيمتها العلمية، والباعث على تأليفها، ومنهجها في البحث، وأسلوبها فيه، ثم تعرض لذكر ما يتصل بها من كتب أخرى، وكل ذلك معزوٌّ في الهامش إلى مراجعه من كتب العلماء السابقين ومؤلفاتهم.

وقد قدم المؤلف ذلك كله بأسلوب عربي سهل وصحيح وواضح، يستحق معه الشكر والتقدير، لما يتيحه للناشئة والمتأخرين من طلاب العلم للاطلاع والاعتزاز بما قدمه السلف الصالح من علم ومعرفة وثقافة عريقة وأصيلة.

ولذلك أرى أن هذ الكتاب يستحق الشكر والتقدير لكاتبه ومؤلفه، وهو أهل لأن يعنى به المثقفون، ويعملوا على طبعه ونشره، لما فيه من الفوائد الجمة، وهو في الوقت نفسه أسلوب فريد في التأليف لم يسبقه إليه كثير من المؤلفين، والله تعالى أعلم.

أ.د. أحمد الحجي الكردي

خبير في الموسوعة الفقهية، وعضو في هيئة الفتوى

في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

الخميس ١٥ محرم ١٤٣٤هـ و٢٩/ ١١/ ٢٠١٢م

۞ ۞ ۞

المقدمة

إن هذه الأمة الإسلامية أمة عظيمة بدينها، غنية بتراثها، متميزة بما خصّها الله تعالى به من الخصائص.

وحتى تبقى هذه الأمة عظيمة، وقوية، وغنية، فإنه يقع على عاتق الخلّص من أبنائها المساهمة في حفظ هذا الدين، وصيانة هذا التراث.

وكان من فضل الله عليّ أن حبّب إليّ البحث في هذا التراث الجميل، فأقبلت عليه قراءة وكتابة وخدمة وتعليمًا، وكان من إسهاماتي في خدمته أن عرَّفت بأهمِّ الكتب التي أرى أن الإلمام بها مهم لكل مثقف.

وكانت نواة هذا العمل برنامجًا إذاعيًا بعنوان «كاتب وكتاب» قدمته من أثير إذاعة القرآن الكريم في دولة الكويت(١)، اخترت فيه ما أعتقد أنه يقدم صورة مشرقة ومشرّفة لإسهامات العرب والمسلمين في بناء الحضارة الإنسانية.

وكان ذلك وفق معايير تضبط هذه الاختيارات، منها أن يكون الكتاب من الكتب المميزة، المشهورة بين أهل العلم، حائزًا على ثقة العلماء، أو أن يمثل اتجاهًا فكريًا، أومدرسة علميَّة، أو أن يتفرد الكتاب في بابه، ويتميّز في مجاله، أو أن يتميّز الكتاب بالسبق والأولية(٢).

وقد كان يَرَاعًا يافعًا ذلك الذي دبّجتُ به الأسطر الأولى لهذا الكتاب، وذلك منذ أكثر من عشرين سنة، إذ كنت أريد له أن يكون ترجمة صادقة وأمينة لقيمةٍ كانت ولا زالت أثيرة إلى قلبي، محبَّبة إلى نفسي، تلكم هي

(١) وذلك خلال سنتي ١٩٨٨، و١٩٨٩.

(٢) أحب أن أذكِّر بأن ترجمة كتاب ما؛ لا يعني بالضرورة تبني شخص أو فكر الكاتب.

القراءة والمطالعة والبحث في الكتب، هذه القيمة التي أحببتها منذ نعومة أظفاري، واستمتعت بها طوال سني عمري، ولا أزال أستحضر بعض ذكرياتها منذ كنت طالبًا في المرحلة الابتدائية، أتردد على المركز الثقافي في مدينة حلب؛ لأقرأ فيه ما لَم أكن قادرًا على شرائه في ذلك الوقت، ثم على دار الكتب الوطنية، لأقرأ فيها ما لَم يكن متيسرًا أو متاحًا.

لقد أردتُ لهذا الكتاب أن يكون عنوانَ جهدي في الحياة، وثَمَرَة من ثمرات سعيي فيها.

لذلك فقد قضيت في إعداده أمتع أوقاتي، وأمضيت معه رحلةً أعتزُّ بها كثيرًا، تجاوزت فيها حدود الزمان والمكان، وتعرفت خلالها على أشهر رجال العلم والمعرفة، وخالطتهم فيها عن قرب، وزاحمتهم في بعض المرات بالركب، فكان يغمرني شعور بالثِّقة والفخر لانتمائي لهذه الأمة العظيمة، التي أنجبت أولئك الرجال، الذين أبدعوا في كل ميدان دخلوه، وتَمَيَّزوا في كلِّ فنٍّ كتبوه.

لقد كانت في جملتها رحلة ماتعة، وأيامًا جميلة، وجولة في عالَمِ الكتب لا تُنسى، أنصح كلَّ طالبِ علم أن يعيشها ويستمتع بها.

أسأل الله تعالى أن يثقِّل بهذا العمل ميزاني، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والله من وراء القصد،،،

زهير محمود حموي

يوم الأحد ٨/ من جمادى الآخرة/ ١٤٣٣هـ

الموافق ٢٩/ ٤/ ٢٠١٢

منهج الكتاب

هذا الكتاب تعريف عام، وعرض مبسَّط لأشهر الكتب والمصادر التراثية، مع تعريف موجز بمؤلفيها وبالعلوم التي تنتمي إليها.

وقد بلغ عدد الكتب المعرف بها بشكل رئيسي (١١٣) كتابًا، عدا عن الكتب التي تمت الإشارة إليها والتعريف بمضمونها بشكل عام.

ويتكون هذا الكتاب من مقدمة تمهيدية، وست مجموعات، الأولى للعلوم الشرعية، والثانية للعلوم العربية، والثالثة للفهارس والموسوعات، والرابعة للتراجم والطبقات، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات، والخامسة للفلسفة، وعلم الاجتماع، والسادسة للعلوم التجريبية.

وبما أن العلماء قد وضعوا ضوابط للتأليف، أطلقوا عليها «الرُّؤوس الثَّمانية»، وهي بمثابة معايير تضبط جودة التأليف، هذه الرؤوس هي: الغرض من تدوين العلم. والمنفعة، وهي الفائدة المعتدّة ليتحمل المشقة في تحصيله. والسِّمة «عنوان الكتاب» ليكون عند الناظر إجمال ما يفصله العرض. والمؤلف؛ ليركن قلبُ المتعلم إليه في قبول كلامه. والموضوع، أي من أي علم هو، والمرتبة بين العلوم. والقسمة «بيان أجزاء العلوم وأبوابها». والأنحاء التعليمية «كالتقسيم والتحليل والتحديد والبرهان».

لذلك فقد كان عملي في هذا الكتاب وَفْق منهجٍ محدد، حاولت الالتزام به -قدر المستطاع-، ويتمثل هذا المنهج بتحقيق المطالب التالية:

«**المقدمة**»: أورد فيها كلمة جامعة في بداية كل بحث، قالها أحد العلماء الذين لهم صلة بالكتاب المترجم، تلخص فكرته وتنوِّه بأهميته.

«**اسم الكتاب**»: حيث أذكر اسم الكتاب الذي اشتهر به، واسمه الذي

وضعه له المؤلف، إن كان يختلف عنه.

«**الموضوع**»: أذكر فيه العلم الذي ينتمي إليه الكتاب، مع تعريف بالعلم، وأشهر كتبه، وأشهر الكاتبين فيه، مع مراعاة التسلسل الزمني، لمعرفة السابق من اللاحق، والشيخ من التلميذ.

«**المؤلف**»: أقدِّم فيه تعريفًا موجزًا بالمؤلف، بذكر اسمه وكنيته ولقبه، وشهرته، ومولده، ووفاته، وموطنه، ورحلاته، وأشهر مؤلفاته.

«**القيمة العلمية للكتاب**»: أستعرض فيه ميزته عن غيره من الكتب، ومقالة أهل العلم فيه.

«**المنهج والأسلوب**»: أعرض فيه مضمون الكتاب، وما اشتمل عليه من الأبواب والفصول، وأسلوب المؤلف، وطريقته .

«**المراجع**»: حيث أذيِّل كلَّ موضوع بذكر المراجع التي اعتمدت عليها، علمًا بأن الغالب أن يكون مرجعي الأساسي للتعريف بالكتاب هو الكتاب نفسه، وقد أفدت كثيرًا من دراسة المحققين للكتاب، ومن بعض الرسائل العلمية الجامعية المتعلقة به، ومن كتب الفهارس والتراجم، ومن زياراتي لمعارض الكتب.

«**الكتب والأعمال ذات الصلة**»: أذكر فيه من شرحه، ومن اختصره، ومن بنى عليه، ومن انتقده، ومن حقّقه ومن فهرسه .

«**نموذج من الكتاب**»: حيث قد أُورد في بعض الكتب التي لها خصوصية نموذجًا منها.

«**المآخذ**»: أذكر فيه ما أخذه العلماء على هذا الكتاب من ملاحظات أو استدراكات أو انتقادات .

۞ ۞ ۞

أهداف الكتاب

لم يكن قصدي -ولا بوسعي- تقديم دراسة تحليلية أو نقدية للكتب المعرّف بها، وإنما قصدت تقديم عرض مبسّط لهذه الكتب، يتيح للقارئ التعرف على موضوعاتها وفصولها، وقيمتها العلمية.

كما قصدت من وراء ذلك تحقيق أغراض عامة عدّة، أهمها[١]:

أولًا: مَدُّ جسور التَّواصل الثقافي والحضاري ما بين ماضي الأمة وبين حاضرها.

ثانيًا: إشاعة ثقافة القراءة والبحث، والتَّحفيز على جعل المكتبة مكونًا أساسيًا من مكوِّنات حياتنا.

ثالثًا: ترشيح هذه الكتب لمن يسعى لتكوين مكتبة خاصة.

رابعًا: طلب الأجر من الله تعالى، وابتغاء المثوبة منه، والتشرف بخدمة هذه الثقافة الخالدة؛ بتقديم إضافةٍ جادّةٍ وجيدة للمكتبتين العربية والإسلامية.

وفي رأيي أنَّ العمل الجادَّ والجيد هو الذي تتوافر فيه دواعي الثقة به[٢]؛ ويمكن أن يندرج تحت واحد من أقسام التأليف السبعة، التي لا ينبغي أن يؤلف عالِم عاقل إلا فيها، وهي إما شيء لَم يُسبق إليه فيخترعه، وإما شيء

(١) الغَرَض: الثَّمرة؛ يقال غَرَضَتِ المرأة سِقاءَها: وهو أن تَمخَضَه، فإذا ثَمَّرَ وصار ثَميرة قبل أَن يجتمع زبده صبَّتْه فسقته للقوم.

(٢) دواعي الثقة بأي عمل علمي هي العزو للمراجع المعتمدة، أو نسبتها إلى المختصين الذين عهد إليهم بتدوينها؛ ممن يطمأنُّ بصدورها عنهم.

ناقص فيتممه، وإما شيء مغلق فيشرحه، وإما شيء طويل فيختصره، وإما شيء متفرق فيجمعه، وإما شيء مختلط فيرتبه، وإما شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه.

فأنا لَم أجد فيمن سبقني بالكتابة عن المصادر والمراجع من رتب كتابه بهذه الطريقة، فأردت أن يكون عملي من باب «شيء لم يُسبقْ إليه فيخترعه»، كما أردت جمع المعلومات الضرورية عن كل واحد من هذه الكتب، وهذا يدخل في باب «شيءٌ متفرق فيجمعه»، وأردت الإشارة إلى بعض المآخذ على بعض الكتب، وهذا يدخل في باب «شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه»، والله من وراء القصد.

❁ ❁ ❁

تعريفات تمهيدية

- **تعريف العلم:**

قال الفيومي في «المصباح المنير»: العلم: اليقين؛ يقال: علم يعلم: إذا تيقّن، وجاء بمعنى المعرفة أيضًا، كما جاءت بمعناه، ضُمِّن كل واحد منهما الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقًا بالجهل، لأن العلم وإن حصل عن كسب، فذلك الكسب مسبوق بالجهل.

وفي «التعريفات» للجرجاني: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وفي «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي: العلم ضربان؛ الأول: إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه.

واختلف العلماء المعاصرون في تعريف العلم؛ فقيل: هو اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة؛ بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامة على هيئة مبدأ أو قانون يمكِّننا على وجه اليقين من التنبؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة في ظروف معينة(١).

وقيل: هو المعرفة المنظمة المبوبة المجردة عن هوى النفس، وشرطه أن يكون محكومًا بمبادئ ثلاثة؛ هي التصنيف، والتبويب، والتقنين.

---

(١) ينسب هذا التعريف للورد أكتن (ت:١٩٠٢)، وهو مؤرخ وكاتب إنجليزي، عمل أستاذاً للتاريخ الحديث بجامعة كمبردج.

• **تعريف التُّراث:**

التُّراث والمِيراث: ما وُرِث، وقيل: الوِرث والميراث في المال، والإرثُ في الحسَب. وكلمة تراث هنا لا تعني الإرثَ الذي مات صاحبه، وإنما تعني إسهام الإسلام في إنجازات النوع الإنساني بكل مظاهرها، وما قدمته هذه الأمة إلى الإنسانية من خيرٍ، وما أضافت إلى حضارة الإنسان من منجزات وقيمٍ، وما تركته من أثر في النَّاس[١].

• **تعريف المصدر:**

المصدر في اللغة: مكان الصدور، أي الرجوع، وفي الاصطلاح: كتاب يعالج موضوعًا بعينه معالجة شاملة، تستقصي جميع جوانبه في تعمق ودرس، بحيث لا يستغني عنه باحث في الموضوع أو دارس[٢].

• **تعريف المرجع:**

هو ما يرجع إليه في علم أو أدب من عالم أو كتاب[٣].

وبعض العلماء لا يفرق بين المصادر والمراجع، ويعدهما مترادفين.

۞ ۞ ۞

(١) تراث الإسلام: ج. شاخت، وك. بوزورث. ترجمة د. محمد زهير السمهوري، عالم المعرفة، الكويت.

(٢) مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث: د. السيد رزق الطويل (١/٢٣)، المكتبة الأزهرية للتراث سنة ٢٠٠٣م.

(٣) المعجم الوسيط.

نبذة عن علم تصنيف العلوم

تصنيف العلومِ: علم باحث عن التَّدرُّج من أعمِّ الموضوعات إلى أخصِّها؛ ليحصلَ بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم[(١)].

والهدف من دراسة هذا العلم: أن يقدر الإنسان على أن يقايس بين العلوم، فيعلم أيها أفضل، وأيها أنفع، وأيها أتقن وأوثق وأقوى، وأيها أوهن وأوهى[(٢)].

وبرز اهتمام العلماء بهـذا العلم في عصر ازدهار العلوم، ويلاحظ أنه ثمة اختلاف بينهم في طريقة التصنيف، وفي تقديري أن ذلك يعود إلى نوعية ثقافة واهتمام كل واحد من هؤلاء العلماء، حيث إن التصنيف يكشف في نتيجته عن فلسفة صاحبه، وذلك عندما يعبر عن فكرة منهجية تظهر من خلال تحديد ما هو أصل وما هو فرع.

وسأشير في هذا البحث إلى طرائق أبـرز العلماء في تقسيم العلوم، مراعيًا التسلسلَ الزَّمـني، وذلك لرصد حركة تطور هذا العلم، والمنهج الذي اتبعه كل واحد من هؤلاء العلماء.

الفارابيّ: أبو النصر محمد (ت: ٣٣٩) بـيَّن في مقدمة كتابه «إحصاء العلوم» الهيكل التصنيفي للعلوم، كما بسطه وجزَّأه في أثناء الكتاب، فقال: قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علمًا علمًا،

---

(١) مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده (١/ ٣٢٤).
ويلاحظ أن كثيراً من الدراسات في مجال تصنيف العلوم بدت متأثرة بتقسيم «أرسطو» لأقسام المعرفة.

(٢) إحصاء العلوم: الفارابي (ص: ٥٣).

ونعرِّف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجمل ما في كل واحد من أجزائه، ونجعله في خمسة فصول، الأول: في علم اللسان وأجزائه. الثاني: في علم المنطق وأجزائه. الثالث: في علوم التعاليم (وهي العدد، والهندسة، والمناظر، والنجوم، والموسيقى، والأثقال، والحيل). الرابع: في العلم الطبيعي وأجزائه، وفي العلم الإلهي وأجزائه. الخامس: في العلم المدني وأجزائه، وفي علم الفقه وعلم الكلام[1].

ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت: ٣٨٠هـ) قسَّم في كتابه «الفهرست» العلوم إلى عشرة أبواب، سمَّى كلاً منها مقالةً، ثم قسّم كل مقالة إلى فنون، بلغ عددها اثنين وثلاثين فنًا، والمقالات هي: اللغة، والنحو، والأدب، والشعر، والكلام، والفقه، والفلسفة «وتشمل: الهندسة، والحساب، والتنجيم»، والطب «ويشمل: السحر، والشعوذة، والعطور، والصيدليات، والخرافات»، والفرق الضَّالة، والكيمياء.

الخوارزميّ: محمد بن أحمد (ت: ٣٨٧ هـ) عرَّف في كتابه «مفاتيح العلوم» سائر علوم العصر، ومصطلحاتها، وطريقته في التقسيم: أنه جمع العلوم في مقالتين. المقالة الأولى: في علوم الشريعة وما يتصل بها، وفيها ست علوم هي: الفقه، والكلام، والنحو، والكتابة، والشعر، والعروض، والأخبار. والمقالة الثانية: في علوم العجم، من اليونانيين، وغيرهم، وعدَّ

---

(١) الفارابي: (ت: ٣٣٩هـ) أبو نصر، محمد بن طرخان، فيلسوف مبرِّز في الحكمة، حتى إنه لقب المعلم الثاني؛ إذ هو شارح مؤلفات أرسطو المعلم الأول، وهو من أشهر فلاسفة القرن الرابع، ولد بفاراب، وانتقل إلى بغداد حيث ألف أكثر كتبه، وارتحل إلى مصر والشام، قيل: إنه كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية في عهده، من أشهر كتبه «النصوص»، و«إحصاء العلوم»، و«آراء أهل المدينة الفاضلة»، و«جوامع السياسة».

تسع علوم، هي الفلسفة، والمنطق، والطب، والعدد، والهندسة، والنجوم، والموسيقى، والحيل، والكيمياء.

ابن سينا: الحسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨هـ)، له رسالة بعنوان «أقسام العلوم العقلية» ذكر فيها أصول العلم، وحقيقته، والفرق بين الرأي والعلم، وتعريف العلم، وأنواع المعرفة، والعلم الشرعي والعلم الكوني، وأنواع العلوم ومراتبها، وطريقته في التقسيم أنه قسّم الحكمة إلى قسمين، الأول: حكمة نظرية وتنقسم إلى ثلاثة أقسام، العلم السفلي (الطبيعي)، والأوسط (الرياضي)، والأعلى (الإلهي). الثاني: حكمة عملية، وهي الأخلاق، والسياسة، وتدبير المنزل.

ابن حزم: علي بن أحمد (ت: ٤٥٦هـ)، خصص رسالتين لتصنيف العلوم هما: «رسالة التوقيف» و«رسالة مراتب العلوم»، وقد أقام تصنيفه على أساس التفرقة بين صنفين رئيسين، صنف نافع محمود يدخل في دائرة العقل والشرع، وهو ينقسم إلى قسمين أساسيين: قسم يختص بالشريعة الإسلامية، ويشتمل على علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم النحو، وعلم اللغة، وعلم الأخبار. وقسم مشترك بين سائر الأمم، ويشتمل على: علم الهيئة، وعلم اللغة، وعلم الفلسفة، وعلم الطب، وعلم الشعر والخطابة، وعلم العبارة. وصنف مذموم خارج عن دائرة العقل والشرع، وهو يشتمل على أربعة علوم هي: السحر، والكيمياء، والطلسمات، والكواكب، والنجوم.

ابن عبد البَرّ الأندلسي: يوسف بن عبد الله (ت: ٤٦٣ هـ)، خصَّص بابًا في كتابه «جامع بيان العلم» لتقسيم العلوم، ذكر فيه أصول العلم، وحقيقته، والفرق بين الرأي والعلم، وتعريف العلم، وأنواع المعرفة، والعلم الشرعي

والعلم الكوني، وأنواع العلوم ومراتبها.

ابن خيــر: محمد بن خير الإشبيلي الأندلسي (ت: ٥٧٥ هـ)، له كتاب «الفهرست» وهو خاص بالكتب المؤلفة بالأندلس أوالواردة إليها، كتبه على أساس الموضوعات أوالعلوم، وهي: علوم القرآن، الموطآت، الحديث، التاريخ، السير والأنساب، الفقه، أصول الدين، الفرائض، الآداب، اللغات والأشعار.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) خصص في «المقدمة» فصلاً منها لتصنيف العلوم، وترجم له بقوله: «فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد»، قسّم فيه العلوم إلى صنفين اثنين، الأول: صنف يهتدي إليه الإنسان بفكره، ولا يختص به أهل ملة، بل يستوي فيه أهل الملل كلهم، ويشتمل على العلوم الحكمية، وهي أربعة، الأساسية هي: «علم المنطق»، و«العلم الطبيعي»، ومن فروعه علم الطب، والفلاحة، والسحر، والطلسمات، والكيمياء، و«العلم الإلهي»، و«علم التعاليم»، ومن فروعه علم العدد، وعلم الهندسة، وعلم الهيئة، وعلم الموسيقي. الصِّنف الثاني: هو صنف نقلي وضعي، يستند إلى الواضع الشرعي، ولا مجال فيه للعقل إلا في إلحاق الفروع بالأصول، وأصل هذا الصنف الكتاب والسنة، ويشتمل على جملة من العلوم، وهي علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الخلافيات، وعلم الجدل، وعلم الفقه، وعلم الكلام، وعلم التصوف، وعلم تفسير الرؤى، ويلحق بهذه العلوم على سبيل التمهيد لها علوم اللسان العربي كالنحو، واللغة، والبيان، والأدب، وقد تناول بعض العلوم بالنقد والإبطال، كالفلسفة، وصناعة النجوم، والكيمياء.

القلقشندي: أحمد بن علي (ت: ٨٣١ هـ) في كتابه «صبح الأعشى» حيث

ذكر العلوم المتداولة بين العلماء، والمشهور من الكتب المصنفة فيها والمؤلفين، فأرجع المقصد فيها إلى سبعة أصول، يتفرع عنها أربعة وخمسون علمًا، الأصل الأول: علم الأدب، وفيه عشرة علوم. الأصل الثاني: العلوم الشرعية، وفيه تسعة علوم. الأصل الثالث: العلم الطبيعي، وفيه اثنا عشر علمًا. الأصل الرابع: علم الهندسة، وفيه عشرة علوم. الأصل الخامس: علم الهيئة، وفيه خمسة علوم. الأصل السادس: علم العدد المعروف بالأرتماطيقي، وفيه خمسة علوم. الأصل السابع: العلوم العملية، وفيه ثلاثة علوم، الأول علم السياسة، الثاني علم الأخلاق، الثالث علم تدبير المنـزل.

طاش كبرى زاده: أحمد بن مصطفى (ت: ٩٦٨هـ)، عرّف بالعلوم والمعارف، التي من شأنها تصفية النفس الإنسانية، وإيصالها إلى السعادة عن طريق الاطلاع على العلوم والمعارف. وتحدث في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» عن موضوعات العلوم، فقسَّمها إلى ستة فروع كبرى، كل فرع منها دوحة، وجعل لكل دوحة شعبًا لبيان الفروع، الدوحة الأولى: في العلوم الخطية، وهي أدوات الخطِّ وقوانين الكتابة، وتحسين الحروف، وتولّد الحروف من أصولها، وحروف التهجِّي، والإملاء، وخطّ المصحف، وخطّ العروض. والدوحة الثانية: المتعلقة بالألفاظ، وهي علوم مخارج الحروف، واللغة، والوضع، والاشتقاق، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض والقوافي وقرض الشعر، ومبادئ الشِّعْر، والإنشاء، والمحاضرة، والدواوين، والتواريخ، وجعل من فروع العربية علم الأمثال، ووقائع الأمم ورسومهم، واستعمالات الألفاظ، والتَّرسُّل، والشُّروط والسِّجلات، والأحاجي والأغلوطات، والألغاز، والمُعمَّى، والتَّصحيف، والمقلوب، والجناس، ومسامرة الملوك، وحكايات

الصَّالحين، وأخبار الأنبياء، والمغازي والسّير، وتاريخ الخلفاء، والطبقات. والدّوحة الثالثة: العلوم الباحثة عما في الأذهان من المعقولات، وهي المنطق، وآداب الدرس، والنظر، والجدل، والخلاف. الدوحة الرابعة: العلوم المتعلقة بالإيمان، وهي «العلم الإلهي»، و«العلم الطبيعي»، و«العلوم الرياضية، وهي أربعة؛ العددُ، والهندسة، والهيئة، والموسيقى»، والدوحة الخامسة: علوم الحكمة العملية، وهي علم الأخلاق، وتدبير المنزل، والسياسة، ومن فروعها آداب الملك، وآداب الوزارة. والدوحة السادسة: العلوم الشرعية، وهي القراءة، والتفسير، والحديث، والكلام، والأصول.

كاتب جلبي: المعروف بحاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، تناول في كتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» التعريف بثلاثمائة علم من العلوم المختلفة، وذكر اسم ١٥٠٠٠ كتاب، و٩٥٠٠ ترجمة، وطريقته في التقسيم: ترتيب الكتب على الحروف الأبجدية.

التَّهانوي: محمد أعلى (ت: بعد سنة ١١٥٨هـ)، أورد في كتابه «كشاف اصطلاحات الفنون» المصطلحات المتعلقة بجميع العلوم، وعرّفَ بها، وطريقته في التقسيم أنه قسم العلوم إلى عربية وغير عربية، وقسم العربية إلى علوم هي: اللغة، والتصريف، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض والقوافي، والنحو. وقسم العلوم إلى شرعية وغير شرعية، فالشرعية هي: الكلام «الفقه الأكبر» التوحيد والصفات، والتفسير، والقراءات، والإسناد، والحديث، وأصول الفقه، والفرائض، والسلوك. وقسم العلوم إلى عقلية ونقلية: فالعقلية هي التي لا تتغير بتغير الملل والأديان، وهي المنطق وأصوله التسعة، والحكمة وأقسامها، والطبيعي وأصوله. وقسم العلوم إلى نظرية وعملية: فالنظرية، غير متعلقة بكيفية

العمل، والعملية: المتعلقة بكيفية العمل، ويدخل فيها المنطق، والحكمة العملية، والطب العملي، وعلم الخياطة، والصناعات. وقسم العلوم إلى آلية وغير آلية: فالآلية غير مقصودة في أنفسها، وغير الآلية لا تكون في نفسها آلة لتحصيل شيء آخر، بل هي مقصودة بذواتها.

القنوجي: صديق بن حسن البخاري (ت: ١٣٠٧ هـ)، تكلم في كتابه «أبجد العلوم» عن أحوال العلوم، وأنواع الفنون، وأصناف العلوم، وطريقته في التقسيم: أنه رتّبه على الحروف الأبجدية، وقال: اخترنا الترتيب الذي اختاره صاحب «كشف الظنون» لكونه أسهل في التناول. وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام، الأول: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم. الثاني: السحاب المركوم المسطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم. الثالث: الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم[١].

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:
أبجد العلوم: القنوجي (٣١-٥٢) ط. دار ابن حزم.
مناهج التأليف عند العرب: د. مصطفى الشكعة.
موسوعة المصادر والمراجع: د. عبد الرحمن عطبة.
الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف د. شفيق غربال.
تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين: د. جلال الدين موسى، مجلة (المسلم المعاصر) العدد (٤١).
تصنيف العلوم عند ابن حزم: د. سالم يفوت، مجلة (دراسات عربية) العدد ٥ السنة ١٩٨٣.

المجموعة الأولى

في العلـــوم الشرعية

وتشمل:

- التوحيد والعقائد
- الأخلاق والآداب
- علوم القرآن الكريم
- التفسير
- الحديث النبوي
- السيرة النبوية والشمائل
- أصول الفقه
- الفقه ومذاهبه
- السياسة الشرعية

العقيدة الطحاوية

جمهور المذاهب الأربعة على الحق يقرون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول.

«السبكي»

- **الطَّحاويّ (٢٣٩ ـ ٣٢١ هـ):**

الإمام أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزديُّ الحجريُّ المصريُّ، محدث الديار المصرية وفقيهها، صنَّفَ التَّصانيف، وبَرَعَ في الفقه والحديث.

قال ابن يونس: كان ثقة ثبتًا لَم يخلف مثله.

وقال الشيخ أبو إسحاق: انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر[1].

- **الموضـوع:**

علم التوحيد والصفات، ويسمى أيضًا علم أصول الدين، وهو علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

تلقت الأمّة هذه العقيدة بالرضا والقبول ونالت شهرة واسعة، وتصدى لشرحها غير واحد من أهل العلم، حيث جمع المؤلف فيها كل ما يحتاج إليه المسلم من أصول الاعتقاد.

---

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٥/٢٧).
وطحا: كورة بمصر شمالي الصعيد في غربي النيل، وإليها ينسب أبو جعفر الطحاوي. (معجم البلدان: لياقوت الحموي).

• **المنهج :**

ذكر المؤلف أن هذه الرسالة بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنها على مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة النعمان، وأبي يوسف، وأبي عبد الله محمد ابن الحسن الشيباني، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين.

• **شرح العقيدة الطحاوية :**

شرح العقيدة الطحاوية العديد من العلماء، منهم : أكمل الدين محمد البابرتي، وسماه (شرح عقيدة أهل السنة والجماعة)(١).

كما شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي، وفيه تابع الطحاويَّ ملتزمًا ترتيبه(٢).

فبدأ بمقدمة ضمّنها منزلة أصول الدين من بين العلوم، وبيان حاجة العباد إليه.

- ثم بيّن أنَّ الله تعالى بعث الرُسل به معرِّفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين.

- ثم ذكر أن الناس كانوا في القرون الثلاثة الأولى على ماكان عليه رسول الله ﷺ، ثم ظهر بعد ذلك من شذّ عن طريق الحق في الاعتقاد، فأقام الله لهذه الأمّة من يحفظ لها أصول دينها، مثل أبي جعفر.

- بيّن عقيدة التوحيد، ومعانيه، وأنواعه التي جاء بها الرسل.

---

(١) الإمام البابرتي، محمد بن محمد أكمل الدين (ت: ٧٨٦ هـ): علامة بفقه الحنفية، عارف بالأدب، رحل إلى حلب ثم إلى القاهرة، وعرض عليه القضاء مرارًا فامتنع، وتوفي بمصر. وطبع هذا الشرح بتحقيق: عارف آيتكن، نشر وزارة الأوقاف الكويتية.

(٢) ابن أبي العز الحنفي صدر الدين، أبو الحسن، علي بن علاء الدين الدمشقي (ت: ٧٩٢هـ): تولى التدريس والخطابة والقضاء في دمشق، وله عدة مؤلفات.

- وبيّن المراد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى:١١).

- ذكر أسماء الله تعالى وصفاته، وبيّن ما يجب على المسلم اعتقاده في مسألة الصفات، وهو الإثبات بلا تكييف.

- وبيّن الأدلة على وجوب الاعتقاد بنبوة النبي محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامّة للإنس والجن.

- عرَّف القرآن الكريم بأنه كلام الله تعالى ليس بمخلوق، وردَّ على القائلين بخلق القرآن.

- أثبت رؤية الله تعالى في الآخرة بغير إحاطة ولا كيفية، وما جاء من النصوص في هذا الباب، وردَّ على منكري ذلك ومتأوِّليه.

- ذكر أن الإسراء والمعراج كانا باليقظة.

- ذكر ما جاء من النصوص في الحوض، والشفاعة وأنواعها.

- ذكر أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، وأن الشرك طارئ.

- ذكر التعريف بالقضاء والقدر، وأنه سر الله تعالى في خلقه، وأن منشأ الضلال في هذه المسألة هو التسوية بين الإرادة والمشيئة، وبين المحبة والرضا.

- بين أن أفعال العباد هي خلق الله تعالى، وكسب من العباد.

- عرف الإيمان، وبين أركانه، وحقيقته، وأنه يزيد وينقص.

- أفاض في ذكر الروح وحقيقتها، واختلاف الناس في مستقرها ما بين الموت إلى قيام الساعة.

- ذكر أهوال يوم القيامة والبعث، والعرض، والحساب، والصراط، والجنة، والنار.

- ذكر فضائل الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة المبشرين بالجنة.

- وأن التصديق بكرامات الأولياء من عقيدة أهل السنة، وعرّف الوليَّ والكرامةَ. وبيّن المعجزة، وأن نبيًا واحدًا أفضل من جميع الأولياء.

- حذّر من تصديق العرّاف والكاهن والساحر.

- بيّن أن دين الله واحد في الأرض والسماء، وهو الإسلام، وأن الشرائع تختلف.

- عرّف ببعض الفرق الزائغة عن الحق، مثل المعتزلة، والجهمية، والجبرية.

● **الطبعات:**

طبعت العقيدة الطحاوية وشروحها عدة طبعات، منها:

طبعة بعناية الشيخ محمد راغب الطباخ، سنة (١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م) باسم: «بيان السنة والجماعة».

وطبعت العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، سنة (١٣٧٣هـ، = ١٩٥٣م) ط. المعارف بمصر.

وطبعت بتحقيق جماعة من العلماء، وتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، سنة ١٣٨١هـ، ط. المكتب الإسلامي، دمشق.

وطبعت بتحقيق د. عبد الله عبد المحسن التركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط، ط. الرسالة، سنة ١٩٩٠م[١].

---

(١) وللمزيد ينظر: «الدليل إلى المتون العلمية»: للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، ط. دار الصميعي (ص: ٢٠٣ - ٢١٣).

الـملل والنِّحَل

«الملل والنحل» مرجع لا غِنىً عنه لكلِّ من يشتغلُ بتاريخ المذاهب والأديان، وقد ترجم لأهميته إلى بعض اللغات الأجنبية، رجع فيه صاحبه إلى مصادر تعد مفقودة في الوقت الحاضر، لخّص ما جاء فيها، ولم يذكر أسماء مؤلفيها. «د. أحمد فؤاد الأهواني»

- **الشهرستاني (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ):**

أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم، فقيه شافعي، كان إمامًا في علم الكلام، وأديان الأمم، ومذاهب الفلاسفة، وكان مناظرًا قويًا، حَسَنَ الوعظ، نشأ في خراسان، وتلقى العلم عن أكابر علماء عصره، كالمدائني، والقشيري، والجويني، وفي الثلاثين من عمره ذهب لأداء فريضة الحج، ثم توجه بعدها إلى بغداد، فأقام فيها وألقى فيها كثيرًا من الدروس في المدرسة النظامية، وكان كبار العلماء يحضرون لسماعه.

قال عنه ياقوت الحموي: «الفيلسوف المتكلم صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، لولا تخبطه في الاعتقاد، ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبِّ عنهم لكان هو الإمام».

وقال القنوجي: «الشهرستانيّ صاحب كتاب الملل والنحل، أورد فيه فرق المذاهب في العالم كلها، وهو المتكلم على مذهب الأشعري، وكان إمامًا مبرزًا فقيهًا متكلمًا، وكان كثير المحفوظ، حسن المحاورة»[١].

(١) وفيات الأعيان: ابن خلكان (٤٨٢/١). ومعجم البلدان: ياقوت الحموي «شهرستان». وطبقات الشافعية: السبكي (٧٨/٤). وأبجد العلوم: القنوجي (ص: ٦٣١) علماء المقالات. والأعلام: للزركلي (٢١٥/٦).

● **الموضوع:**

في علم مقالات الفرق، وهو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية[١].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدّ هذا الكتاب دائرة معارف مختصرة لدراسة الأديان والمذاهب، واستعراضًا لمقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل والنحل، حيث وقف المؤلف على مصادرها ومواردها، ولـم يكتفِ باستقصائها وذكرها وذكر رجالها، وإنما ذكر أصول الشبهات التي قامت عليها هذه الفرق والمذاهب، وهو أشهر مصنفات الشهرستاني، وأكثرها ارتباطاً باسمه، وفيه يحصي الفرق الإسلامية، والمذاهب الفلسفية، ويعـرِّف فيه بمذهب كل منها.

قال التاج السبكي: «وهو عندي خير كتاب صنف في هذا الباب، ومصنف ابن حزم وإن كان أبسط منه إلا أنه مبدد ليس له نظام».

● **المآخذ:**

أخذ على الشهرستاني نقله عن المعتزله دون تمحيص، قال ابن تيمية: «وبالجملة؛ فالشهرستاني ... أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة»[٢].

---

(١) من أشهر كتب علم مقالات الفرق (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٠ هـ). و(الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي (ت: ٤٢٩ هـ). و(الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم الظاهري (ت: ٤٥٦ هـ).

(٢) منهاج السنة: لابن تيمية (٦/ ٣٠٠) بتصرف.

وأخذ عليه عدم نقله مذهب الصحابة وسلف الأمّة[١].

وأخذ عليه أنه - عند حديثه عن الفلاسفة اليونان ونقله عنهم - وقع في بعض الخلط[٢].

- **المنهج والأسلوب:**

- قدم المؤلف لكتابه بخمس مقدمات:

المقدمة الأولى: في بيان أقسام أهل العالم جملة؛ ذكر فيها نظريات الفلاسفة القدماء في تقسيم العالم، فمنهم من قسَّم العالم بحسب الأقاليم السبعة، وأن لكل إقليم طبعه الذي ينعكس على الألوان والألسن، ومنهم من قسم العالم بحسب الأقطار الأربعة، أو بحسب الأمم الأربع، وهي العرب، والعجم، والروم، والهند، وهو ما ذهب إليه المؤلف.

المقدمة الثانية: في تعيين قانون يبنى عليه تعدد الفرق الإسلامية؛ وقد حصر المؤلف هذا التعدد في أصول وقواعد أربعة هي: الاختلاف على صفات الله تعالى والتوحيد فيها، والاختلاف على القدر والعدل فيه، والاختلاف على الوعد والوعيد، والاختلاف على التحسين والتقبيح.

المقدمة الثالثة: في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة، ومن مصدرها ومن مُظهرها؛ وهي شبهة إبليس واستبداده بالرأي في مقابلة النص، وذكر أن جميع شبهات الخلق نابعة من جدل إبليس، وأن أول شبهة وقعت في الإسلام كان مصدرها منافقي زمن النبي ﷺ.

---

(١) «الشهرستاني وكتابه الملل والنحل» د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، مجلة البيان العدد ٣٠، سنة ١٤١٠هـ.

(٢) مقدمة تحقيق الكيلاني (ص: ٤) بتصرف.

المقدمة الرّابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية؛ وفيها أشار إلى عدة ألوان من التنازع الذي ظهر بين المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ ولكنها لا تعد اختلافًا في الأصول، مثل الاختلاف في أثناء مرضه، وتوصيته، وفي موته، ومن قال: إنه رفع ولم يمت، وفي موضع دفنه، وفي الإمامة، وفي الميراث، وفي قتال مانعي الزكاة... أما الاختلاف في أصول الدين، فإنه منشعب إلى بابين كبيرين هما: الإمامة أهي بالاختيار أم بالنص والتعيين، ثم الاختلاف في حرية العبد وقدرته.

المقدمة الخامسة: في بيان السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب.

- قسم المؤلف الناس إلى قسمين:

القسم الأول: أرباب الديانات والملل، من المسلمين، وأتباع الديانات المنـزلة ممن لهم كتاب، مثل اليهود والنصارى، ومن لهم شبهة كتاب. وقسَّمه إلى أبواب:

الباب الأول: المسلمون، استعرض فيه المذاهب الإسلامية، وكيف تشعبت إلى ثلاث وسبعين فرقة، واستدل بحديث: «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»[١]، وقسمه إلى فصول.

- الفصل الأول: المعتزلة وأقسامهم[٢].

---

(١) حديث: (ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) رواه أحمد في المسند، وأبو داود رقم (٤٥٩٧)، والدارمي، والحاكم، وقال الألباني: صحيح، وله طرق وشواهد كثيرة. قال الخطابي: قوله ﷺ: «ستفترق أمّتي» فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة عن الملة والدين، إذ جعلهم من أمّته.

(٢) المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، وهم ست فرق: الفرقة الأولى الحسنية، وهم المنتسبون إلى زعيمهم الحسن البصري رحمه الله. الثانية: الهذلية، أصحاب أبي =

- الفصل الثاني: الجبرية وفرقهم.
- الفصل الثالث: الأشعرية وفرقهم.
- الفصل الرابع: الخوارج وفرقهم[١].

= الهذيل العلاف. والثالثة: النظامية، أصحاب إبراهيم بن سيار النظام. الرابعة: المعمرية، أصحاب معمر بن عباد السلمي. الخامسة: البشرية، نسبوا إلى بشر بن المعتمر. السادسة: الجاحظية، أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ. ورأس المعتزله: هو واصل بن عطاءٍ مولى بني مخزوم، وكان تلميذَ الحسن البصري، يقرأ عليه العلومَ، فدخل رجل على الحسن وقال له: قد ظهر في زماننا جَماعة يكفّرون أصحابَ الكبائر، والكبيرة عندهم كفرٌ، وهم وعيديَّة الخوارج، وجماعةٌ يرجئون أصحابَ الكبيرة ويقولون: الكبيرة عندهم لا تضرّ الإيمان، وإنه لا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفَع مع الكفر طاعةٌ، ففكر الحسن في ذلك، فقال واصل قبل أن يُجيب الحسن بشيء: أنا أقول: إن صاحب الكبيرة لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة المسجد يقرر جوابَه على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل واصل عنّا، فسمُّوا معتزلةً من ذلك الوقت، وأول حدوث السؤال في مسألة القدر، وفي الاستطاعة كان من (معبد الجُهنَي) و(غيلان الدمشقي) و(الجَعد بن درهم)، وتبرّأ منهم متأخّرو الصحابة. (الوافي بالوفيات).

(١) الخوارج: وهم أربع عشرة فرقة؛ الفرقة الأولى: الأزارقة، ينسبون إلى نافع بن الأزرق. والثانية: النجدات، أصحاب نجدة بن عامر الحنفي. والثالثة: العجاردة، نسبوا إلى عبد الكريم بن العجرد. والرابعة: البدعية، رئيسهم يحيى بن أصرم، سموا البدعية لأنهم أبدعوا قطع الشهادة على أنفسهم من أهل الجنة. الخامسة: الحازمية، نسبوا إلى شعيب بن حازم. والسادسة: الثعالبة، نسبوا إلى ثعلبة بن مشكان. والسابعة: الصفرية، أصحاب زياد بن الأصفر. والثامنة: الإباضية، أصحاب عبد الله بن إباض. والتاسعة: الحفصية، أصحاب حفص بن المقدام. الحادية عشرة: البيهسية، نسبوا إلى أبي بيهس، الهيصم بن جابر. الثانية عشرة: الفضلية، أصحاب الفضل بن عبدالله. الثالثة عشرة: الشمراخية، أصحاب عبد الله بن شمراخ. الرابعة عشرة: الضحاكية، أصحاب الضحاك بن قيس الشاري. (انظر: مفاتيح العلوم، للخوارزمي).

- الفصل الخامس: المرجئة وأصنافهم.
- الفصل السادس: الشيعة وفرقهم.
- الفصل السابع: في الاجتهاد، وأركانه، وشروطه، وأحكامه، وأصنافه.

الباب الثاني: أهل الكتاب والأميين، اليهود والنَّصارى.

استعرض فيه فرق اليهود: وهم أمّة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، وقد اختلفوا إلى إحدى وسبعين فرقة، أشهرها العنانية، والعيسوية، والمقاربة، والسامرة، وبيّن أن أصول اليهودية أربعة: الأول عدم جواز النسخ. الثاني: التشبيه ونفيه. الثالث: القول بالجبر والقدر. الرابع: جواز الرجعة أو استحالتها.

ثم استعرض فرق النصارى: وهم أمّة المسيح ابن مريم عليه السلام، وكتابهم الإنجيل، وقد اختلفوا إلى اثنتين وسبعين فرقة، أشهرها الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية.

الباب الثالث: من له شبهة كتاب، مثل صحف إبراهيم عليه السلام، والمجوس، وأصحاب الاثنين، والمانوية، والصابئة، وأصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل والأشخاص، والحرنانية.

القسم الثاني: أهل الأهواء والنحل، ممن ليس لهم دين منزل وشريعة سماوية، واستعرض فيه آراء الفلاسفة والحكماء السبعة (طاليس، إنكساغورس، إنكسيمانس، أنبادقليس، فيثاغورث، سقراط، أفلاطون)، وذكر فلاسفة الإسلام، مثل ابن سينا، وآراء العرب في الجاهلية، وآراء الهند، من البراهمة وأصحاب التناسخ وعبدة الكواكب والأوثان.

طريقته في العرض: يذكر الفرق الكبيرة ويتحدث عنها، ثم يستعرض الفرق التي تفرعت عنها، ويعرض للمذاهب دون أن يناقشها. وبالنسبة لغير الفرق الإسلامية فقد كان يجادل أصحابها.

ويبني حديثه عن الفرق بجعل الرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم يورد مذاهبهم بعرض مسائلها.

● **أعمال ذات صلة:**

- طبع الكتاب لأول مرة في لندن سنة ١٨٤٦م، بعناية المستشرق الإنجليزي «وليم كيورتن».

- كتب تعريفًا بالكتاب: د. أحمد فؤاد الأهواني، ونشر في طبعة مؤسسة ناصر للثقافة.

- حققه: محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر ١٩٤٧م.

- حققه: محمد سيد الكيلاني، مطبعة البابي الحلبي ١٩٦١م، وعمل له ذيلاً، سلك فيه مسلك المؤلف، وتكلم عن بعض الديانات القديمة، كديانة قدماء المصريين، والديانة الصينية، والديانة اليابانية، ثم تناول الفرق التي ظهرت حديثًا كالبهائية، والقاديانية.

- حققه: عبد العزيز محمد الوكيل: طبعة الحلبي ١٩٦٨م.

- وترجم الكتاب إلى عدة لغات، منها الفارسية، والتركية، والألمانية.

۞ ۞ ۞

جامع بيان العلم وفضله

يسَّر الله لي الاطلاع على كتاب «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» تأليف الإمام المجتهد الفقيه الحافظ، أبي عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، فوجدته كتاباً حافلاً لايستغني طالب العلم عن فوائده الجَمَّة.

«أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي»

- **ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣هـ):**

أبو عمر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي؛ حافظ المغرب، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف الفائقة، إمام عصره في الحديث والأثر.

قال ابن حزم: «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه». وقال الذهبي: «كان إمامًا دينًا ثقة، متقنًا علامة متبحرًا صاحب سنة واتباع، وكان أولاً أثريًا ظاهريًا فيما قيل، ثم تحول مالكيًا مع ميل بيِّن إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا ينكر له ذلك، فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته بان له منـزلته من سعة العلم، وقوة الفهم وسيلان الذهن»[١].

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبي (١٥٣/١٨). وانظر: ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ: ليث سعود جاسم. وابن عبد البر واهتماماته التربوية والفكرية: عبد الرحمن النحلاوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج. والمنهج التربوي عند ابن عبد البر: عبد البديع الخولي. والإمام أبوعمر يوسف بن عبد البر، حياته، آثاره، ومنهجه: محمد ابن يعيش، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

● **الموضوع:**

في التربية، وعلم آداب الدرس، والآداب الشرعية(١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

اشتهر هذا الكتاب بين أهل العلم وأشادوا به، لما فيه من بيان وافٍ لمعنى العلم، وفضل طلبه وحمد السعي فيه، وآداب العالم والمتعلم، كما أنه تضمن جملة من الأبحاث والمواضيع ذات الصلة الوثيقة بما يثار اليوم على الساحة العلمية، كالنظريات التربوية، وقضية الاجتهاد، والتقليد، والفتيا، والمناقشة، والمجادلة، والحوار.

● **المآخذ:**

أخذ على المؤلف إيراده بعض الأحاديث بأسانيد ضعيفة .

● **سبب تأليف الكتاب:**

قال المؤلف مبينًا سبب تأليف الكتاب: «فإنك إن سألتني ـ رحمك الله ـ عن معنى العلم، وفَضْلِ طلبِهِ، وحَمْدِ السَّعي فيه، والعنايةِ به، وعن تثبيت الحِجاج بالعلم، وتبيين فساد القول في دين الله بغير فهم، وتحريم الحكم بغير حجة، وما الذي أجيز من الاحتجاج والجدل، وما الذي كره منه، وما الذي ذم من الرأي وما حمد منه، وما جُوِّز من التقليد وما ذُمَّ منه، ورغبتَ أن أقدّم لك قبل هذا من آداب التعلم، وما يلزم العالم والمتعلم التخلق به

(١) من أشهر كتب الآداب: أدب الدنيا والدين: للماوردي. والآداب الشرعية: لابن مفلح. وآداب العشرة: للغزي. والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي. ومكارم الأخلاق ومعاليها: للخرائطي، وله مساوئ الأخلاق ومذمومها. ومكارم الأخلاق: لابن أبي الدنيا. ومكارم الأخلاق: للطبراني.

والمواظبة عليه، وكيف وجه الطلب، وما حمد ومدح منه من الاجتهاد والنَّصَبِ إلى سائر أنواع التعلم، وفضل ذلك، وتلخيصه بابًا بابًا مما روي عن سلف هذه الأمّة رضي الله عنهم أجمعين، لتتبع هديهم، وتسلك سبيلهم، وتعرف ما اعتمدوا عليه من ذلك مجتمعين أو مختلفين في المعنى منه، فأجبتك إلى ما رغبت وسارعت فيما طلبت، رجاء عظيم الثواب، وطمعًا في الزُّلفى يوم المآب».

- **المنهج والأسلوب:**

اشتمل الكتاب على خمسة وسبعين بابًا، تناول في كل باب قضية من القضايا العلمية.

وضع المؤلف منهجًا علميًا لمن أراد أن يكون مجتهدًا.

كما وضع منهجا تربويًا متكاملا لتكوين الطالب والعالم .

ذكر أنَّ من آداب طلب العلم: التواضع، والترحيب بالأحداث بالنسبة للمعلم، واحترام العالم والتأدب بحضرته بالنسبة للمتعلم .

ومن آداب العالم والمعلِّم أن يكون مهيبًا، وقورًا، بطيء الالتفات، قليل الإشارة، لا يلعب ولا يجفو ولا يلغو ولا يناظر جاهلاً، وأن يكون حسن السمت، قليل الكلام، يسكت عما لا يعلم .

حاول إثبات نظريته التربوية من خلال عدة مبادئ، منها مبدأ وجوب التعليم وتحريم كتمان العلم، ومبدأ وجوب طلب العلم، والعمل بالعلم، والإخلاص فيه، ومجانية التعليم.

خصص بابًا لتقسيم العلوم، ذكر فيه أصول العلم، وحقيقته، والفرق بين الرأي والعلم، وتعريف العلم، وأنواع المعرفة، والعلم الشرعي، والعلم

الكوني، وأنواع العلوم ومراتبها.

التزم بطريقة المحدثين في إيراد الأسانيد عند نقله الأخبار والأشعار .

تضمن الكتاب ٢٣٩٧ موقوفًا وأثرًا بأسانيدها.

اشتمل الكتاب على ما يناهز ٣٠٠ ترجمة للشعراء والأدباء والفقهاء.

اشتمل الكتاب على أقوال السلف، ومرويات العرب، والأشعار المنتخبة في الفضائل ومكارم الأخلاق.

تحدث عن الفتوى وتدافع السلف فيها، وذم من سارع إليها.

ختم الكتاب ببيان فضل النظر في الكتب، وحمد العناية بالدفاتر.

● **أعمال ذات صلة:**

- اختصره: أحمد بن عمرالمحمصاني البيروتي، وحقق المختصر: محمود الأرناؤوط.

- حققه : عبد الرحمن عثمان، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة سنة ١٩٦٨م.

- حققه: سمير الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٤م.

- فهرسه: محمد حسن، طبعة دار ابن الجوزي.

إحياء علوم الدين

وقد استحقَّ الغزالي ببحوثه العميقة في الأخلاق، وبتأليفه العظيم «إحياء علوم الدين» أن يوضع في الصف الأول من علماء الأخلاق، وأن يكون موضع دراسة وعناية الباحثين في علم الأخلاق، وعلم النفس، والمؤرخين لهذا الموضوع.

«أبوالحسن الندوي»

● **الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ):**

أبو حامد، محمد بن محمد، الملقب بحجة الإسلام، فقيه وأصولي شافعي، ومتكلم، تفقّه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات في فنون متعددة، وساد في شبيبته، حتى إنه درَّس في المدرسة النظامية ببغداد، وله أربع وثلاثون سنة، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب، وابن عقيل، وهما من رؤوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه، كان شديد الذكاء، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، تعلم الجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وأحكم كل ذلك، وتصدى للرد على الفلاسفة والزنادقة. ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية، وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام، فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين... ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور، فدرَّس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس، فأقام بها، وابتنى رباطًا[١]، واتخذ دارًا حسنة، وغرس فيها بستانًا أنيقًا، وأقبل على تلاوة القرآن

---

(١) الرباط: ملجأ الفقراء من الصوفية، المعجم الوسيط.

الكريم، وحفظ الأحاديث الصحاح[١].

● **الموضوع:**

تدخل موضوعات كتاب الإحياء في علم رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، وهو علم يعرف منه أنواع الفضائل، ومنفعته أن يكون الإنسان كاملاً بحسب الإمكان؛ ليكون في أولاه سعيدًا وفي أخراه حميدًا[٢].

وفي علم تبيين المصالح المرعية في كل باب من الأبواب الشرعية؛ وغايته عدم وجدان الحرج فيما قضى الله ورسوله ﷺ، والانقياد التام للأحكام الإلهية، وكمال الوثوق والاطمئنان بها، والمحافظة عليها بحيث تنجذب إليها النفس بالكلية، ولا تميل إلى خلاف مسلكها.

---

(١) انظر ترجمة الغزالي في: البداية والنهاية لابن كثير. وطبقات الشافعية للسبكي. وشذرات الذهب لابن العماد. والكامل لابن الأثير. والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي. والمنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي. ووفيات الأعيان لابن خلكان.
ومن المعاصرين: الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة: صالح أحمد الشامي. وحجة الإسلام الغزالي: د. يوسف القرضاوي. ورجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي. والكتابات عن الغزالي لا تكاد تحصى لكثرتها.

(٢) أبجد العلوم: للقنوجي (ص:٢٥٣) «الأخلاق».
وانظر: «نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي» لعبد الحفيظ أحمد علاوي البريزات، قال فيه (باختصار): والخلاصة المستفادة من كتابات الغزالي عن الأخلاق: إن التربية الخلقية تهدف إلى تحقيق بعض الغايات والأهداف التي تؤدي إلى رفع مستوى الإنسان، ومنها الكمال الإنساني، ومنها تربية النفس على الفضيلة، حيث ركز على أساسيات الفضائل، واعتبرها أربعة هي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، ومنها تكوين الشخصية المتوازنة، ويركز في التربية الخلقية على المكونات الرئيسية للنفس الإنسانية، وهي: العقل، والروح، والجسم.

وفي علم التَّصوُّف، وهو - كما عرفه صاحب كشف الظنون -: علم يعرف به كيفية ترقِّي أهلِ الكمال من النَّـوع الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم، بقدر الطاقة البشرية.

وعلم السُّلوك: وهو علم معرفة النَّفس ما لها وما عليها من الوجدانيات.

- **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر الغزالي أنه ألف كتاب الإحياء ليكون منهاجًا لأرباب السُّلوك، وأصحابِ الوظائف؛ ولإحياء علوم الدين، وكشف مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاح العلوم النافعة عند النبيين والسَّلف الصَّالحين.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدّ كتاب الإحياء أسرع المؤلفات انتشارًا، وأعلاها اشتهارًا، وهو خلاصة كتب التصوّف، وأوسعها على الإطلاق. وقد ذكر الغزالي أنّ كتابه هذا تميّز عن الكتب المؤلفة بهذا المعنى بخمسة أمور هي: حَلُّ ما عقَّدوه، وكشفُ ما أجملوه، وترتيبُ ما بدّدوه، ونظم ما فرّقوه، وإيجازُ ما طوَّلوه، وضبطُ ما قرَّروه، وحذفُ ما كرّروه، وإثباتُ ما حرّروه، وتحقيقُ أمورٍ غامضة اعتاصت على الأفهام لَم يتعرّض لها في الكتب أصلًا.

والناس فيه على ثلاثة مذاهب: منفِّرٌ عنه، ومُغالٍ في تعظيمه، وداعٍ إلى إصلاحه.

قال السُّبكيّ: «ولو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها أهل العلم إلا الإحياء لكفاهم، وأنا لا أعرف له نظيرًا في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفه بين النقل والنظر والفكر والأثر».

وقال ابن كثير: «وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من

الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب».

وقال ابن تيمية –رحمه الله–: «والإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة».

● **المنهج والأسلوب:**

يتكون كتاب الإحياء من أربعة أقسام، يندرج تحت كل قسم منها عشرة كتب.

الرُّبُعُ الأول في العبادات: من العلم، وقواعد العقائد، وأسرار الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتلاوة القرآن، والأذكار والأوراد.

الرُّبُعُ الثاني في العادات: من آداب الأكل، والنكاح، والكسب، والصحبة، والمعاشرة، والسفر، والسماع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعيشة، وأخلاق النبوة، والمعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائقها، وخفايا الورع مما لا يستغني عنه متدين.

الرُّبُعُ الثالث في المهلكات: وعجائب القلب، ورياضة النفس، وآفات الشهوة، واللسان، والحقد والغضب والحسد، وأحوال الناس في ذلك، ثم بيّن طريقة تزكية النفس من هذه الأمراض الباطنة، بعد أن بيّن أسبابها وقرن كل ذلك بشواهد من الآيات والأخبار والآثار.

الرُّبُعُ الرابع في المنجيات: من التوبة، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والزهد، والتوكل، والرضا، والإخلاص، والمراقبة، وذكر الموت.

طريقته في العرض: يقدم ذكر الآيات في الموضوع الذي يعرضه، ثم يذكر بعد ذلك ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة، ثم يذكر ما ورد عن الصحابة، ومن بعدهم من السلف الصالح، وبعد ذلك يعرض الأفكار التي

يريد تناولها.

اشتمل كتاب الإحياء على آراء مهمة في تربية الصبيان، وآداب المعلمين والمتعلمين؛ حيث نبه إلى اختلاف طبائع الناشئين وأمزجتهم في بيئاتهم، وإلى ضرورة مراعاة ذلك عند تهذيبهم، ودعا إلى ضرورة العناية بالطفل منذ نشوئه، وتعويده على الإخشيشان في المطعم والملبس والمفرش، وتدريبه على المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل، ورأى أن يبدأ بتعليمه القرآن الكريم، والأخبار وحكايات الأبرار، وحذّر من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله.

● **المآخذ:**

أخذ على الغزالي في كتابه الإحياء عدة مآخذ، منها(١):

إقحامه في موارد الشرع أمورًا مثل رؤيا المنام، وعلم الباطن، والفراسة، والتحديث، وخواطر القلوب، والتلقي ربما عن الملائكة أو أرواح الأنبياء والأولياء، أو لقاء الخضر، أو غير ذلك.

وأخذ عليه كثرة استشهاده بالأحاديث الضعيفة، وربما الموضوعة؛ قال

(١) ألَّف بعض العلماء كتبًا ذكروا فيها مآخذهم على الكتاب منها: إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء: لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ). والكشف والإنباء عن كتاب الإحياء: للمازري، محمد بن علي (ت: ٥٣٦هـ) أثنى عليه الذهبي وقال: يدل على تبحره وتحقيقه. والضياء المتلالي في تعقب الإحياء للغزالي: لعز الدين بن المنير المالكي (ت: ٦٨٣ هـ). وعقد اللآلي في الرد على أبي حامد الغزالي: ليحيى بن حمزة العلوي (ت: ٧٤٩ هـ). وإحياء ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء: لأبي الحسن ابن سكر (ت: ٦١٦ هـ). والقول المبين في التحذير من كتاب إحياء علوم الدين: لعبداللطيف بن عبد الرحمن الحنبلي (ت: ١٢٩٣هـ). والأخلاق عند الغزالي: د. زكي مبارك، جمع في بعض فصوله مآخذ العلماء عليه. وإحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين: علي حسن عبد الحميد.

أبو بكر الطرطوشي(١) في رسالته إلى تلميذه ابن مظفر مانصه: «فأما ما ذكرت من أمر الغزالي، فرأيتُ الرّجلَ وكلمته، فرأيته رجلاً من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول زمانه، ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، . . . ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، . . . وشحن كتابه بالموضوعات»(٢).

وقد نبَّه د. يوسف القرضاوي إلى خطورة بعض أقوال الغزالي، فقال: «إن أخطر ما يؤخذ على الغزالي بالنسبة إلى التصوف، هو قضية الكشف والمكاشفة التي يحصل الصوفي على علومها وأنوارها بعد الرياضة والتصفية الروحية»(٣).

وفسَّرَ د. ماجد عرسان الكيلاني اهتمامَ الغزاليِّ بالتصوُّف بقوله: «إنَّ الغزاليَّ كان قد أخذ على عاتقه مهمة إصلاح الأمّة، وبنى مشروعَه الإصلاحي على أساس تزكية النفوس من الداخل؛ لأنه كان يرى أن الصُّوفية هم السَّالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير»(٤).

(١) الطرطوشي: أبو بكر، محمد بن الوليد الفهري الأندلسي (ت: ٥٢٠ هـ) فقيه مالكي، من أهل طُرطوشه شرقي الأندلس، تفقه ببلاده، وأقام مدة في الشام، له كتاب عارض به كتاب الإحياء. «الأعلام: للزركلي».

(٢) وقد قام الحافظ العراقي، عبد الرحيم بن الحسين (ت: ٨٠٦) بتخريج أحاديث الإحياء، وسماه «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار».

(٣) قال في أبجد العلوم: «وهذا الكشف كثيرًا ما يعرض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، وكذلك يدركون من الواقعات قبل وقوعها، فيتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع إرادتهم».

(٤) هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس: د. ماجد عرسان الكيلاني.

وأخذ عليه تأثره بكلام الفلاسفة والزنادقة؛ مثل ابن سينا، ورسائل إخوان الصَّفا، ورسائل أبي حيان التوحيدي[١].

وقال المازري[٢]: وعـرَّفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا. . . ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا، ملأ الدنيا تآليف في علم الفلسفة، ورأيت هذا الغزاليَّ يعوِّل عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفة[٣].

قال الأستاذ أحمد أمين: إن الغزالي كانت له نواحي ثقافات عديدة واسعة، تثقف في الفقه وأصول الفقه، وألف فيهما، وتثقف بالفلسفة، وقرأ كثيرًا من كتب ابن سينا، ورسائل إخوان الصفا، ثم قرأ التعاليم الباطنية، وردَّ عليها، وبكل ذلك تأثرت نفسه، فلما أخرج كتاب الإحياء ظهرت فيه نزعات الفقه والتصوف والفلسفة مجتمعة ممزوجة مزجًا غريبًا[٤].

وأخذ عليه عدم ذكره الجهاد في سبيل الله، وأنه ألف كتابه في أظلم حقبة عرفت في تاريخ الإسلام، وذلك أثناء زحوف الفرنجة على بلاد الشام، وعاب الناس عليه أنه لم يتعرض إلى ذكر ذلك في كل مؤلفاته، وليس في الإحياء فقط، وقد فسّر د. ماجد عرسان الكيلاني ذلك بقوله:

(١) إخوان الصفا: جماعة سرية دينية سياسية فلسفية باطنية، عاشوا بالبصرة في القرن الرابع الهجري، وادعوا أنهم تآلفوا وتصافوا واجتمعوا على القدس والطهارة، ووضعوا مذهبًا زعموا فيه أنه يؤدي إلى الفوز برضوان الله، ومذهبهم تلفيقي جمعوا معارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية، ولهم اثنتان وخمسون رسالة في شتى العلوم والفلسفة.

(٢) المازري: بزاي ثم راء، نسبة إلى (مازر) على وزن هاجر، جزيرة صقلية، محمد بن علي بن عمر التميمي، محدث من فقهاء المالكية، وهو من شيوخ عياض (ت: ٥٣٦ هـ).

(٣) تاريخ الإسلام: للذهبي، تحقيق د. بشار معروف (٦٧/١١).

(٤) ظهر الإسلام: أحمد أمين (ص: ٨٤).

بالنسبة لموضوع الجهاد يلاحظ أن الغزالي تناول محتواه واسمه ضمن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث اعتبره في أكثر من موضع أحد أشكال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأخذ على الغزالي إحراق أهل الأندلس كتابه بعدما أنكروا عليه أشياء؛ منها وجود البدع، قال اليافعي: وفيها - أي في سنة ٥٣٧ هـ - توفي صاحب المغرب، علي بن يوسف بن تاشفين، وكان يرجع إلى عَدْلٍ ودينٍ وتعبُّدٍ وحُسْنِ طَويّة، وشدةِ إيثارٍ لأهلِ العلمِ وتعظيمٍ لهم، وهو الذي أمرَ بإحراقِ كتبِ الإمامِ حُجّة الإسلام أبي حامد الغزاليِّ، وقد سارَ على هذه الْخُطا ولدُه تاشفين بن عليٍّ، حيثُ أرسل رسالةً إلى قاضي (بلنسية) وفقهائها ووزرائها وعامة سكانها، وذلك بعد أن أصبح أميرًا للمسلمين جاء فيها: (... واعلموا رحمكم الله، أن مدار الفتيا، ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبُدا، على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى، من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة، أبي عبد الله، مالك بن أنس رضي الله عنه، فلا عدول لقاضٍ أو مفتٍ عن مذهبه، ولا يأخذ في تحليل أو تحريم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه، ومال من الأئمة إلى سواه، فقد ركب رأسه واتبع هواه، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإياه، وخاصة كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع ضرها، ويبحث عنها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها)[١].

وقد فُسِّرَ ذلك بأنَّ نفوذ المالكية وبغضهم للفلسفة ظلَّ شديدًا حتى عهد

(١) الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقيا: د. محمد ماهر حمادة (ص: ٣٢٧)، ط. الرسالة.

المرابطين بالمغرب، فقد حملوا السلطان علي بن يوسف بن تاشفين على إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، زعمًا منهم أنه من صميم الفلسفة، وأنه خطر على الدين، وبذلك أمر السلطان علي بن يوسف بإحراق هذا الكتاب بالأندلس والمغرب[١].

● **قراءة من كتاب الإحياء:**

قالَ الغزاليُّ في أسرار الصلاة: «والصَّلاة مفتاحُ القُلوبِ، فيها تنكشف أسرار الكلمات، فهذا حقُّ القراءة، وهوحقُّ الأذكارِ والتّسبيحات أيضًا، ثم يراعي الهيبة في القراءة، فيرتل ولا يسرد، فإن ذلك أيسر للتأمل، ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب، والوعد والوعيد، والتحميد والتعظيم والتمجيد، كان النخعيُّ إذا مرّ بمثل قوله -عزوجل-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ سورة المؤمنون: الآية ٩١، يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به، ورويَ أنه يقال لقارىء القرآن: (اقرأ وارْقَ وَرَتِّلْ كما كنت تُرَتِّلُ في الدُّنيا)[٢]، وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله -عزوجل- على نعت واحد من الحضور، قال ﷺ: «إن الله -عزوجل- مقبل على المصلي ما لَم يلتفتْ»[٣]، وكما تجبُ حراسةُ الرَّأس والعين عن الالتفات إلى الجهات، فكذلك تجب حراسة السِّرِّ عن الالتفات إلى غير الصَّلاة، فإذا التفت إلى غيره فذكّره باطلاع الله عليه، وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه، وألزم لخشوع

(١) تاريخ الإسلام: د. حسن إبراهيم، (٤/٤٥٦).

(٢) رواه أبوداود (١٤٦٤).

(٣) «لا يَزَالُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلاً عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلاتِهِ ما لم يَلْتَفِتْ» رواه أبوداود.

القلب، فإن الإخلاص عن الالتفات باطنًا وظاهرًا ثمرة الخشوع، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر، قال ﷺ وقد رأى رجلاً مصليًا يعبثُ بلحيته: «أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[١]، فإن الرَّعية بحكم الرَّاعي، ولهذا ورد في الدعاء: (اللهم أصلح الراعي والرعية) وهو القلب والجوارح. . .ثم قال: واعلم أنَّ تخليصَ الصَّلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله -عزوجل- وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتَّعظيم، والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة، فأولياء الله المكاشفون بملكوت السَّموات والأرض وأسرار الرُّبوبية إنما يكاشفون في الصَّلاة، لا سيّما في السُّجود إذ يتقربُ العبدُ من ربِّه -عزوجل- بالسُّجود[٢].

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

ذكر العلماء أنَّ مادة كتاب الإحياء مستقاة من كتب ثلاثة، هي الرِّعاية للحارث المحاسبي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، والرّسالة لأبي القاسم القشيري.

وللإحياء شروح كثيرة ذكرها د. عبد الرحمن بدوي في كتابه «مؤلفات الغزالي».

أما مختصرات الإحياء فكثيرة يطول عدها، منها مختصر أخيه أبي الفتح الغزالي (ت: ٥٢٠ هـ)، وسماه: «لباب الإحياء».

(١) رأى ابن المسيب رجلًا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «إني لأرى هذا لو خَشَعَ قلبه خشعت جوارحه». مصنف عبدالرزاق (٣٣٠٨).

(٢) إحياء علوم الدين: أسرار الصلاة (١/١٧٠)، ط. دار المعرفة، بيروت.

وكتاب «منهاج القاصدين» لابنِ الجوزيِّ.

و«إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين» للزبيدي.

وتهذيب إحياء علوم الدين: لعبد السلام هارون.

وصفوة الإحياء: لمحود علي قراعة، طبع في القاهرة سنة ١٩٣٥م.

وبغية الطالبين من إحياء علوم الدين: أحمد محمد عساف.

۞ ۞ ۞

الأذكـــار

وهو كتاب مشهور ومقبول لدى خاصة العلماء وعامة الناس، ولم يحظ كتاب في الأدعية والأذكار -قديمًا وحديثًا- ما حظي به كتاب الأذكار النووية من الذيوع والانتشار.

- **النووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ):**

أبو زكريا، يحيى بن شرف الحوراني النووي، ولقبه محيي الدين، كان علّامة في الفقه الشافعي وأصوله، والحديث النبوي وعلومه، واللغة، والنحو، والمنطق، والتوحيد، وهو محقق المذهب ومنقحه، كان قليل الطعام، كثير السَّهر في التأليف والمطالعة والعبادة.

- **الموضـوع:**

في الأدعية والأوراد، وبعض العلماء جعله من فروع علم الحديث، وهو علم يبحث فيه عن الأدعية المأثورة والأوراد المشهورة بتصحيحهما وضبطهما، وتصحيح روايتهما وبيان خواصهما وعدد تكرارهما، وأوقات قراءتهما، وشرائطهما. قال المنذري في كتابه «عمل اليوم والليلة»: «صنف العلماء في عمل اليوم والليلة والدعوات والأذكار كتبًا كثيرة، أحسنها للإمام أبي عبد الرحمن النسائي، وأحسن منه لصاحبه الحافظ أحمد بن محمد، المعروف بابن السّني الدينوري، وهو أجمع الكتب في هذا الفن».

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

معرفة تلك الأدعية والأوراد على الوجه المذكور، لينال المسلم باستعمالهما الفوائد الدينية والدنيوية.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

اشتمل هذا الكتاب على الفوائد النفيسة، والدقائق اللطيفة، من أنواع العلوم ومهماتها، في تفسير آيات القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، وإيضاح مقاصدها، وبيان نكت من دقائق الفقه، ومعاملة القلوب وغيرها. قال القنوجي: «والكتب المؤلفة فيه كثيرة جدًا... وأذكار النووي الذي يقال فيه: «بعِ الدار واشترِ الأذكار»».

● **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من سبعة عشر كتابًا، يندرج تحت كل كتاب عدة أبواب، ويندرج تحت كل باب عدة فصول تفريعية، تكون غالبًا بيانًا لبعض المسائل الفقهية .

- بلغ عدد أحاديث الكتاب ١٠٩١ حديثًا .

- اختار غالبًا الأحاديث الظاهرة الدلالة، التي لا تحتاج إلى إمعان نظر لإدراك وجه الاستدلال بها.

- استعرض الأذكار النبوية عامة، والأذكار المخصوصة بأوقات وأحوال معينة.

- يستهلُّ المؤلف غالبًا الكتاب أو الفصل بإيراد الآيات المتعلقة به، المبينة لمشروعيته.

- اقتصرَ على الأحاديث الواردة في كتب السنة المشهورة، وهي خمسة:

صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي.

- قد يوردُ بعض الأحاديث من كتب الحديث الأخرى: كمسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، وسنن ابن ماجه، وكتب ابن السني.

- يشير إلى مصدر الحديث، ويذكر درجته.

- لم يورد الأحـاديث الضعيفة إلا نادرًا، وذلك بشروطه(١).

- حذف أسـانيد معظم الأحاديث.

- ختم الكتاب بإيراد ثلاثين حديثًا جامعًا، عليها مدار الإسلام وقواعد الدين.

● **كتب ذات صـلة:**

- شـرحه ابن علان (ت: ١٠٥٠ هـ)، وسماه: «الفتوحات الرّبانية».

- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: لابن حجر العسقلاني.

- طبع الكتاب عدة طبعات مع تحقيقه، وتخريج أحاديثه.

---

(١) قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: يجوز العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف بشرطين: الأول: أن يكون له أصل شاهد لذلك، كاندراجه تحت عموم أو قاعدة كلية، والثاني: ألا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

أسباب النزول

أسباب النزول للواحدي، وهو أشهر كتاب في هذا الفن.

«السيوطي»

● **الواحدي (ت: ٤٦٨هـ):**

الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل: من أولاد التجار، وأصله من ساوه... صنف التفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز، وبتلك الأسماء سمى الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه، وله كتاب أسباب النزول، وكتاب التحبير في الأسماء الحسنى، وشرح ديوان المتنبي، وكان طويل الباع في العربية واللغات، تصدر للتدريس مدة، وعظم شأنه، وقيل: كان منطلق اللسان في جماعة من العلماء ما لا ينبغي. قال أبو سعد السمعاني: «كان الواحدي حقيقًا بكل احترام وإعظام، لكن كان فيه بسط لسان في الأئمة»[(١)].

● **الموضوع:**

في علم أسباب النزول، وهو فرع من فروع التفسير، وهو: علم يبحث فيه عن سبب نزول سورة أو آية ووقتها ومكانها وغير ذلك، ومباديه: مقدمات مشهورة منقولة عن السلف، والغرض منه: ضبط تلك الأمور، وفائدته: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وتخصيص الحكم

---

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٨/٣٤٠).

به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومن فوائده فهم معاني القرآن الكريم، واستنباط الأحكام، إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية بدون الوقوف على سبب نزولها(١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب أشهر كتاب في هذا الفن، ومما يدل على أهميته أن كل الذين كتبوا في أسباب النزول استفادوا منه وأشاروا إليه.

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ بذكر بدء الوحي على رسول الله ﷺ، ثم أورد فصلاً ذكر فيه أول ما نزل من القرآن الكريم، وفصلاً ذكر فيه آخر ما نزل من القرآن الكريم، ثم بيّن سبب نزول كل آية روي لها سبب نزول، وقد يشير إلى مكان نزول الآية، وهو يورد أسباب النزول بأسانيدها، وإن كان هناك خلاف في الروايات ذكره بالتفصيل.

۞ ۞ ۞

(١) ومن الكتب المؤلفة في أسباب النـزول:
أسباب النـزول: لعلي بن المديني، شيخ المحدثين (ت: ٢٣٤هـ)، وهوأول من صنف فيه.
أسباب النـزول: لعبد الرحمن بن محمد، المعروف بمطرف الأندلسي (ت: ٤٠٢ هـ).
أسباب النـزول : لمحمد بن أسعد القرافي.
أسباب النـزول: لابن الجوزي.
أسباب النـزول: لابن حجر العسقلاني.
أسباب النـزول: للسيوطي، وسماه لباب النقول.
وجامع النقول في أسباب النـزول: لابن خليفة عليوي، وهو من المعاصرين.

مفردات ألفاظ القرآن الكريم

يعتبر كتاب «المفردات» من كتب التفسير الهامة التي اعتنت بتفسير المفردات الصعبة في الأسلوب القرآني، وهو ما يطلق عليه اسم الغريب، ولم يكن ذلك مجرد تفسير لفظي فردي، وإنما هو تفسير للكلمة ضمن النسق القرآني وسياقه.

«د. عبد الحميد سيد طلب»

● **الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) وقيل غير ذلك:**

أبو القاسم، الحسين بن محمد، أديب، حكيم، عالم، من أهل أصبهان، سكن بغداد، وكان من مشايخ الصوفية.

قال الخوانساري: «الإمام الأديب، والحافظ العجيب، صاحب اللغة العربية، والحديث، والشعر، والكتابة، والأخلاق، والحكمة، والكلام، وعلوم الأوائل، وغير ذلك، وفضله أشهر من أن يوصف، ووصفه أرفع من أن يعرف، وكفاه منقبة أن له قبول العامة والخاصة، وفيما تحقق من اللغة خاصة، وكان من الشافعية، كما استفيد لنا من فقه محاضراته».

قال الصَّلاح الصَّفدي: «وله تصانيف تدلُّ على تحقيقه وسعة دائرته في العلوم وتمكنه فيها».

وقد عُدَّ له ثلاثة وعشرون كتابًا في اللغة والعقيدة والتصوف، وغير ذلك.

● **الموضوع:**

في علم غريب القرآن، وهذا العلم وإن كان مذكورًا في كتب اللغة، إلا أن بعض العلماء أفرده بالتصنيف.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال الزركشي في «البرهان»: ومن أحسنها مفردات الراغب.

قال صفوان عدنان الداودي: إنَّ كتاب المفردات يعتبر موسوعة علمية صغيرة، فقد حوى اللغة، والنحو، والصرف، والتفسير، والقراءات، والفقه، والمنطق، والحكمة، والأدب، وأصول الفقه، والتوحيد، فأجدر به أن يحتل الصدارة بين الكتب المؤلفة في غريب القرآن ومعانيه.

ومما يدل على القيمة العلمية للكتاب ما ذكره من المراجع والكتب التي اعتمد عليها، من كتب اللغة، ومعاني القرآن وغريبه، وغريب الحديث، والنحو، والأمثال، والقراءات، وغير ذلك.

ومما يدل على أهميته أن كثيرًا من كبار العلماء قد نقلوا عنه، وتأثروا به، وأشاروا إليه، ومن هؤلاء الزركشي في البرهان، والسيوطي في المزهر والإتقان، والرازي في التفسير، والبغدادي في خزانة الأدب، والزبيدي في التاج، وابن حجر في الفتح، والزمخشري في أساس البلاغة، وغيرهم.

● **المآخذ:**

أخذ على الكتاب بعض المآخذ، وهي باختصار: عدم تمييزه بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة، ونسبته بعض الأقوال لغير قائليها، وقلة بضاعته في علم الحديث، وتأثره بالمعتزلة في بعض الأحيان، مع أنه يخالفهم، وأنه قد لا يفي بإيراد التقسيمات التي وعد بتعدادها، وقد يغفل بعض المواد، وعدم مراعاته ترتيب الحرف الثالث في الكلمة.

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

قال المؤلف: «استخرت الله تعالى في إملاء كتاب، مستوفٍ فيه

مفردات ألفاظ القرآن الكريم، على حروف التهجي، فنقدِّمُ له ما أوله ألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرًا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منه والمشتقات، حسبما يحتمل التوسع في الكتاب».

● **المنهج والأسلوب**:

- رتب المؤلف كتابه على نسق حروف المعجم، بعد أن جَـرَّدَ الكلمات من حروف الزيادة، معتدًا بالحروف الأصلية.

- **طريقته في الشرح**: أن يذكر المادة بمعناها الحقيقي، ثم يتبعه بما اشتق منها، ثم بذكر المعاني المجازية لها، مبينًا مدى ارتباطها بالمعنى الحقيقي.

- يستشهد على المعنى بشواهد من القرآن الكريم أوّلًا، ثم بالحديث الشريف، ثم بأقوال العرب وأشعارهم، ويورد القراءات الواردة في الكلمة إن وجدت.

- التزم بتفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، ثم بأقوال الحكماء التي تتفق مع الشريعة.

- اشتمل الكتاب على الكثير من كلام السلف المفسرين، والقراء والمتكلمين، فنقل عن ابن عباس، وابن مسعود، وعلي، وعمر، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وجعفر الصادق، والشعبي، وسفيان، وغيرهم.

- ونقل في الكلام عن الجُبَّائي، والبلخي، والعلاف، وغيـرهم.

- ناقش كثيرًا مما كتبه العلماء قبله، فرجّح ما رآه صحيحًا، وردّ بعض أقوالهم.

● **كتب ذات صلة:**

بصائر ذوي التمييز: للفيروزآبادي، جعل كتاب المفردات لُـبًّا لكتابه هذا ثم زاد عليه.

● **التحقيق:**

- حقـقه: محمد سيد الكيلاني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٩٦١م.

- أشرف على طبعه: د. محمد أحمد خلف الله، طبعة مكتبة الأنجلو، سنة ١٩٧٠م.

- حقـقه: نديم مرعشلي، وصدر بعنوان «معجم مفردات ألفاظ القرآن».

- حقـقه وفهرسه: صفوان عدنان الداودي، طبعة دار القلم، دمشق[١].

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:
مفردات الراغب: بتحقيق صفوان عدنان الداودي، سنة ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
الأعلام: للزركلي.
كشف الظنون: لحاجي خليفة.
غريب القرآن، رجاله ومناهجهم من ابن عباس إلى ابن حيان: د. عبد الحميد سيد طلب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت.

الإتقان في علوم القرآن

«الإتقان في علوم القرآن» هو الحلقة الذهبية في سلسلة كتب الدراسات القرآنية، وأحسنها تصنيفًا وتأليفًا، وأكثرها استيعابًا وشمولًا، جَمعَ فيه أشـتاتَ الفوائد، ومنثورَ المسـائل ما لَم يُجمعْ في كتـاب.

«د. محمد أبو الفضل إبراهيم»

- **السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ):**

أبو الفضل، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، حفظ القرآن الكريم وعمره دون الثمان سنوات، وحفظ المتون، وأخذ عن كبار علماء عصره، فكان أعلم أهل زمانه، وسافر إلى الشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، وعندما أدى فريضة الحج وعمره عشرون عامًا التقى بعلماء الحرمين فناقشهم وأخذ عنهم. تولى منصب الإفتاء مدة، وتولى التدريس بالمدرسة الشيخونية، والمدرسة البيبرسية، ولما بلغ سن الأربعين خلا بنفسه، واعتزل الناس بمنـزله في الروضة على النيل، وترك الكثير من المؤلفات التي قد تزيد على ٦٠٠ مؤلف، منها الكتب الكبيرة، ومنها الرسائل الصغيرة.

- **الموضوع:**

في علوم القرآن، وهي مجموعة من المسائل، يبحث فيها عن أحوال القرآن الكريم، من حيث نزوله وأداؤه، وكتابته وجمعه وترتيبه في

المصاحف، وتفسير ألفاظه، وبيان خصائصه وأغراضه، ومعرفة أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب من أحسن كتب علوم القرآن تصنيفًا وتأليفًا، وأكثرها استيعابًا وشمولاً، قال في أبجد العلوم: «وقد أكثر الناس في التصنيف في أنواع علوم القرآن وتفاسيرها، وألف الشيخ الحافظ جلال الدين السيوطي -رحمه الله- في جملة من أنواعه، كأسباب النزول، والمعرب والمبهمات، ومواطن الورود، وغير ذلك، وما من كتاب منها إلا وقد فاق الكتب المؤلفة في نوعه ببديع اختصاره، وحسن تحريره، وكثرة جمعه».

ومما يدلُّ على القيمة العلمية لهذا الكتاب ما ذكره المؤلف من أنه جمع مادته من مئات الكتب في علوم التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والقراءات، والرسم، والأحكام، والتاريخ، وبلغ مجموع الكتب التي رجع إليها أربعمائة كتاب.

● **المآخذ:**

أخذ على المؤلف إيراده بعض الروايات الضَّعيفة والأحاديث التي لم تثبت صحتها، وذكره اسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب عند النقل عن العلماء، وعدم ترجيح بعض الآراء على بعض في بعض المسائل والاكتفاء بسردها.

● **سبب تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أنه جعل هذا الكتاب مقدمة لكتاب في التفسير، فقال: «وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه، وسميته بـ (مجمع البحرين ومطلع البدرين) الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية».

● **المنهج والأسلوب:**

بلغ عدد الأنواع التي ذكرها المؤلف: ثمانين نوعًا من أنواع علوم القرآن الكريم. وتدور موضوعات الكتاب حول: القرآن الكريم وآدابه وفضائله وأسمائه وعلومه، والقرآن الكريم ولغة العرب، والقرآن الكريم والوحي، والمكي والمدني، وترتيب أبواب القرآن الكريم وجمعه، وأسباب النزول، والأحرف السبعة والمراد منها، والقراءات، وتعلم القرآن وفضل حفظه، والمحكم والمتشابه، والنسخ في القرآن الكريم، والوقف، والوصل، والفصل، وأساليب القرآن: المجمل والمبين، والتقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز، والكناية والتعريض، والحصر والاختصاص، والمشاكلة، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمنطوق والمفهوم، ومبهمات القرآن، والإيجاز والإطناب.

ذكر طبقات المفسرين، وحفّاظ القرآن ورواته، والقراء السبعة، وبقية القراء العشرة، والقراءة الصحيحة والقراءة الشاذة.

طريقته في العرض: أن يذكر عنوان الموضوع، ثم يذكر أشهر من ألّف فيه، ثم يبيّن فائدته وأهميته في تفهم القرآن الكريم وتفسير معانيه، ثم يذكر مسائله، وما يتعلق بها من فروع وذيول، مستشهدًا بالقرآن الكريم أو الحديث الشريف أو أقوال العلماء.

● **كتب ذات صلة:**

البرهان في علوم القرآن: للزركشي، محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، حيث صرّح السيوطي بأنه قرأه، فوجد أنّ مؤلفه أدْمَجَ بعض الأنواع في بعض، فقال: «ولما وقفت على هذا الكتاب ازددت به سرورًا، وحمدت الله كثيرًا، وقوي العزم على إبراز ما أضمرته، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان، الكثير الفوائد والإتقان، ورتبت أنواعه ترتيبًا أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقه أن يبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد، والقواعد والشوارد، ما يشنّف الآذان، وسميته «الإتقان في علوم القرآن»، وسترى في كل نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفردًا، وستروى من مناهله العذبة رَيًّا لا ظمأ بعده أبدًا»(١).

مواقع العلوم من مواقع النجوم: للبلقيني، عبد الرحمن بن عمر (ت: ٨٢٤هـ)، حيث ذكر السيوطي أنه قرأ هذا الكتاب واستقله، وأنه قرأ كتاب الكافيجي «التيسير في قواعد التفسير» واستصغره، وقال: إنّ كل ما سبق من الكتب بالنسبة لكتابه كحبِّةِ رَمْلٍ في جَنْبِ رَمْلٍ عالجٍ، ونقطة قطر حيال بحرٍ زاخر(٢).

---

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان، دراسة مقارنة: د. حازم سعيد حيدر.

(٢) الكافيجي: محمد بن سليمان، المتوفى سنة ٨٧٩ هـ، لُقّب بالكافيجي لكثرة اشتغاله بكافية ابن الحاجب في النحو، وهو عمدة شيوخ السيوطي، وكان يلقبه أستاذ الوجود.

تفسير التستري

إنَّ مثلَ هذه التفاسير «الصُّوفية النَّظرية والإشارية الفيضيَّة» الغريبة للقرآن الكريم، مزلَّـةُ قَدَمٍ لمن لَم يعرفْ مقاصدَ القوم، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم، ولم يذيعوها على النَّاس، فيوقعوهم في حيرة واختلاف... ليتهم فعلوا ذلك، إذًا لأراحونا من هذه الحيرة، وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم، وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله.

«د. محمد حسين الذهبي»

- **التُّسْتَرِيّ (٢٠٠ - ٢٨٢ هـ):**

أبو محمد، سهل بن عبد الله التستري، أحد أئمة الصُّوفية وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات، وعيوب الأفعال، كان من كبار العارفين، ولم يكن له في الورع نظير، وكان صاحب كرامات، وكان له اجتهاد في العبادة وافر، ورياضة عظيمة، لقي الشيخ ذا النون المصري بمكة، وأقام بالبصرة زمنًا طويلاً(١).

- **الموضوع:**

يطلق على هذ النوع من التفسير عدة مسميات؛ منها التَّفسير الصُّوفي، والتَّفسير الإشراقي. قال في أبجد العلوم: «واعلم أن الإشراقيين من

---

(١) حلية الأولياء (١٨٩/١٠)، الأعلام (١٤٣/٣).
والتُّسْتَرِيُّ: نسبة إلى (تُستَر) أعظم مدينة بخوزستان اليوم، وهو تعريب شُوشتر. معجم البلدان (٢٩/٢).

الحكماء الإلهيين كالصُّوفيين في المشرب والاصطلاح، خصوصًا المتأخرين منهم... وأما حكمة الإشراق فهي من العلوم الفلسفية بمنـزلة التصوف من العلوم الإسلامية».

والتفسير الحقيقي: نسبة إلى الحقيقة(١).

والتفسير الإشاري «الفيضي»: وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، وهو تفسير لا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه(٢).

والتفسير الباطني: نسبة إلى الباطن، قال في أبجد العلوم: «وهو معرفة أحوال القلب، والتخلية ثم التحلية».

قال د. محمد حسين الذهبي: «أما المعنى الباطن فلا يكفي فيه الجريان على اللسان العربي وحده، بل لا بد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان ليصير فيه نافذ البصيرة سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرًا خارجًا عن مدلول اللفظ القرآني، ولهذا اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين؛ الأول: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجري على المقاصد العربية، الثاني: أن يكون له شاهد نصًا أو ظاهرًا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض».

---

(١) حقيقة الحقائق: المرتبة الأحدية الجامعة لجميع الحقائق، وتسمى حضرة الجمع، وحضرة الوجود. (التعريفات للجرجاني).

(٢) الفيض: فكرة فلسفية، تفسر علاقة الخالق بمخلوقاته، عرف بها أفلاطون ومدرسته، وأخذ بها بعض المسلمين، وتتم هذه العلاقة إما بخلق الكون من العدم، أو بالتطور أو بفيض من الله، دون أن يتأثر الجوهر الإلهي بما يفيض عنه. (الموسوعة العربية الميسرة).

- **أشهر تفاسير الصوفية:**

حقائق التفسير: لأبي عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين، شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان (ت: ٤١٢ هـ)[١].

لطائف الإشارات: للقشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥هـ).

الإرشاد في تفسير القرآن: لأبي الحكم، عبد السلام بن عبد الرحمن، المعروف بابن برجان اللخمي الإشبيلي (ت: ٦٢٧ هـ)، ذكر فيه من الأسرار والخواص ما هو مشهور بين أهل هذا الشأن، وقد استنبطوا من رموزاته أمورًا فأخبروا بها قبل الوقوع[٢].

تفسير ابن عربي: لمحيي الدين محمد بن علي(ت: ٦٣٨هـ) وقيل: هي تأويلات عبد الرزاق القاشاني، ومن المآخذ عليه أنه متأثر بالنظريات الفلسفية، وبنظرية وحدة الوجود، وأنه يقيس الغائب على الشاهد، وأنه أخضع قواعد النحو لنظراته الصوفية.

عرائس البيان في حقائق القرآن: لروزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي، أبي محمد (ت: ٦٦٦هـ)، وهو تفسير إشاري صرف.

التأويلات النجمية: وهي مخطوطة، بدأه نجم الدين داية الخوارزمي (ت: ٦٥٤هـ)، وأتمه علاء الدولة البيانكي. قال الذهبي عن البيانكي: «كان إمامًا جامعًا كثير التلاوة، وله وقع في النفوس».

---

(١) وهو تفسير يستوعب جميع سور القرآن، جمع فيه مقالات أهل الحقيقة، واتهم السلمي بأنه «كان يضع للصوفية الأحاديث». فيض القدير للمناوي (١٣٩/٤).

(٢) كشف الظنون: حاجي خليفة (١/ ٧٠).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا الكتاب من أهمِّ وأول تفاسير الصُّوفية، لذلك فهو مرجع مهم للباحثين في هذا المجال.

● **المآخذ:**

من المآخذ على هذا التفسير وأمثاله أنه لَم ينقل لنا عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ولوكان معروفًا عندهم لنقل.

وقد عاب المحققون على الصُّوفية تفسير القرآن على هذا النحو، لأنهم يكونون قد سلكوا بهذا مسلك الباطنية الذين يؤولون القرآن على أهوائهم[١].

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ الكتاب بمقدمة وضح فيها معنى ظاهر القرآن وباطنه، ومعنى الحد والمطلع، فقال: ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معانٍ: ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع، فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحد: حلالها وحرامها، والمطلع: إشراق القلب على المراد بها.

لَم يتعرض لآيات القرآن كلها، بل تكلم عن آيات متفرقة من كل سورة.

قال د. محمد حسين الذهبي: «يبدو أن المؤلف لَم يقم بوضع هذا الكتاب، وإنما هي أقوال قالها في آيات متفرقة، ثم جمعها أبو بكر محمد ابن أحمد البلدي، لذا نجد فيه كثيرًا قال أبو بكر، وسئل سهل عن معنى كذا فقال كذا، ثم ضمها في كتاب ونسبها إليه».

ولَم يقتصر على ذكر المعاني الإشارية وحدها، وإنما يذكر أحيانا المعاني الظاهرة، ثم يعقبها بالمعاني الإشارية، وقد يقتصر على ذكر المعنى

(١) أبجد العلوم: للقنوجي (ص: ٢٤١) وما بعدها، ط. دار ابن حزم.

الإشاري وحده، وقد يقتصر على ذكر المعنى الظاهري، وعندما يتعرض للمعاني الإشارية قد لا يكون واضحًا في كل ما يقوله.

ينحو بصفة عامة في تفسيره منحى تزكية النفوس، وتطهير القلوب، والتحلي بالأخلاق والفضائل التي يدل عليها القرآن الكريم، ولو بطريق الإشارة.

كثيرًا ما يسوق حكايات الصالحين وأخبارهم، ليكون شاهدًا لما يذكره[١].

والكتاب مطبوع عدة طبعات، منها طبعة السعادة، سنة ١٩٠٨م.

وطبعة دار الكتب العلمية، بتحقيق محمد باسل عيون السود.

۞ ۞ ۞

---

(١) المراجع:

التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي.

مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح.

المعجم الصوفي: د. سعاد الحكيم، نشر مكتبة دندرة، لبنان.

المعجم الصوفي (الموسوعة الصوفية): د. عبد المنعم الحفني، نشر دار الرشاد، القاهرة.

أبجد العلوم: للقنوجي.

كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوي.

التعريفات: للجرجاني.

كشف الظنون: لحاجي خليفة.

الأعلام: للزركلي.

جامع البيان في تفسير القرآن

أما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل والكلبي.

«ابن تيمية»

● **ابن جرير الطبريّ (٢٢٤ - ٣١٠ هـ):**

أبو جعفر، محمد بن جرير، مؤرخ، مفسر، من كبار الأئمة المعتمدين، لقب بشيخ المفسرين، وأطلق على تفسيره هذا أبو التفسير.

قال الخطيب البغدادي: «كان أحد الأئمة العلماء، يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالِمًا بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصّحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب التفسير الذي لَم يصنف أحد مثله»(١).

---

(١) تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (١٣٦/٢)، وانظر ترجمته في البداية والنهاية: لابن كثير، وسير أعلام النبلاء: للذهبي، ووفيات الأعيان: لابن خلكان.
والإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدم الفقهاء والمحدثين: د.محمد الزحيلي. والطبري: د.عبد الله عبد العزيز المصلح «جامعة محمد بن سعود».

- **سبب تأليف الكتاب:**

قال الطبري لأصحابه: «أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا ما تفنى به الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة».

- **الموضوع:**

في التفسير بالمأثور، ويشمل ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ وما نقل عن الصحابة، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص القرآن الكريم .

والتفسيرُ لغةً: مصدرُ فسَّر؛ إذا بيَّنَ، والتأويل: مأخوذ من الأوْل، وهو مصدر آلَ، إذا رجعَ، والعلماء يفرّقون بين التفسير والتأويل، فالتفسير أعم من التأويل. وهو في الاصطلاح: علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وامتثالها وغيرها، بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية. وفائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، والاتعاظ بما فيه من القصص والعبر، والاتصاف بما تضمنه من مكارم الأخلاق، إلى غير ذلك من الفوائد التي لايمكن تعدادها.

قال العلماء: ويجوز تفسير القرآن إذا كان المفسر جامعًا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها، وهي خمسة عشر علمًا: اللغة، والنحو، والتصريف،

والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، وعلم القراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النـزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، والفقه، والأحاديث المبيّنة لتفسير المبهم والمجمل، وعلم الموهبة، وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم.

وقد فسر القرآن الكريم بعض الصحابة، وأشهرهم: عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمّة ورئيس المفسرين، وللفيروز آبادي كتاب تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، وفسره بعض التابعين ومنهم: أصحاب عبدالله بن عباس، وهم علماء مكة المكرمة، ومنهم مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وطاوس وعطاء، ومنهم: أصحاب ابن مسعود، وهم علماء الكوفة، كعلقمة، والنخعي، والشعبي، ثم جاء بعد هذه الطبقة الذين صنفوا كتب التفاسير التي تجمع أقوال الصحابة والتابعين، كسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ثم ألّف في التفسير طائفة من المتأخرين، فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال مبتورة، ومن هنا دخل الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم، ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن، واقتصر على ما مهر فيه، فاهتم النحوي بالإعراب، والإخباري بالقصص، والفقيه بالفقه والاستدلال، وصاحب العلوم العقلية بأقوال الحكماء والفلاسفة، ومنهم من تكلم في التفسير بغير سند ولا نقل عن السلف، ولا رعاية للأصول الشرعية[١].

---

(١) فتح البيان بمقاصد القرآن: القنوجي، المكتبة العصرية، لبنان (١/١٥).

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر تفسير الطبري المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير بالمأثور[(١)].

قال النووي: «أجمعت الأمّة على أنه لَم يصنف مثل تفسير الطبري».

ويتميز بأنه نقل عن تفاسير لَم تصلنا، مثل تفسير مجاهد والضحاك والعوفي.

- **المآخذ:**

أخذ على المؤلف أنه وقع في ترديد بعض الإسرائيليات دون نقد أو تمحيص.

---

(١) قال ابن خلدون: «التفسير على صنفين: تفسير نقلي، مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النُّزول، ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكنونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود، ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي سيحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة والملاحم، وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام، فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل، ويتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات. والصنف الثاني، وهو مما يرجع إلى اللسان، من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، وهذا الصنف من التفسير قَلَّ أن ينفرد عن الأول. (مقدمة ابن خلدون: ص٢٧٩).

وأخذ عليه إيراده بعض الروايات التي لا يصح سندها، دون التنبيه على ذلك، وأنه قد يورد بعض الروايات المتناقضة.

● **المنهج والأسلوب:**

طريقته في التفسير: يشرح الآيات آية آية، وبالنسبة لآيات الصفات؛ يقف موقف أهل السنة والجماعة، ويربط ما بين الآية وما يتصل بها في مواقع أخرى، ويهتم بالقراءات، وتفسير آيات الأحكام، ويذكر الروايات المختلفة، ويرجِّح ما يراه صوابًا، ويتبع في ذلك المنهج اللغوي، ويستشهد بالشعر والأمثال وتعليلات النحاة، وغالبًا ما تكون عبارته قال أبو جعفر، والقول الذي هو عندي أولى بالصواب، أو يذكر عبارة مقاربةً لها، ثمَّ يذكر ترجيحَه ومستندَه في الترجيح.

قدَّم لتفسيره بمقدمةٍ علميَّة ذكر فيها جملة من مسائل علوم القرآن، منها اللغة التي نزل بها القرآن، والأحرف السبعة، وطرق التفسيرِ، وتأويل القرآنِ بالرأي، ومن تُرضى روايتهم ومن لا تُرضى في التَّفسيرِ.

ثمَّ ذكر القول في تأويلِ أسماء القرآن وسوره وآيه، ثمَّ القول في تأويل أسماء فاتحة الكتابِ، ثمَّ القول في الاستعاذة، ثُمَّ القول في البسملة.

إذا لم يكن هناك خلاف بين أهل التأويل فسَّر تفسيرًا مُـجْمَلا، ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإذا كان هناك خلاف بين أهل التأويل، يقول: واختلفَ أهلُ التَّأويلِ في تأويلِ ذلكَ، فقال بعضهم فيه نحوَ الذي قلنا فيه.

اعتمد أقوالَ ثلاث طبقاتٍ من المفسرين، هم الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين، ولَم يكن له ترتيب معيَّن يسير عليه في ذكر أقوالهم.

لا يبيّن درجة إسناد الآثار إلا نادرًا، ويقدِّم قول الجمهور على قول غيرهم، وقد يعدُّه إجماعًا، ويَعُدُّ القول المخالف لهم شاذًّا[١].

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

- اختصره: محمد بن صمادح التجيبي (ت: ٤١٩ هـ).
- حققه وخرّج أحاديثه وآثاره: محمود وأحمد محمد شاكر.
- هذبه وقربه: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق.
- خرَّج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، طبعة دار القلم، دمشق .
- حققه: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر عالم الكتب.
- اختصره: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.

(١) المراجع:
مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية.
«التفسير والمفسرون» و«الإسرائيليات في التفسير والحديث»: د. محمد حسين الذهبي.
التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه: د. محمد أبو النور الحديدي.
مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح.
التعريف بالقرآن والحديث: محمد الزفزاف.

النكت والعيون

وهو كتاب يستفيد منه المتخصصون وغيرهم من ذوي الاهتمام بالدراسات القرآنية، وتفسير كتاب الله العزيز.

● **أبوالحسن الماوردي البصري (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ):**

علي بن محمد بن حبيب، فقيه شافعي، مفسر، محدث، أديب لغوي، عمل بالقضاء، وبالتدريس، وبالسياسة، تلقى تعليمه في البصرة، ثم رحل إلى بغداد، وتتلمذ فيها على أبي إسحاق الإسفراييني وغيره، وكان أقضى القضاة في عصره، وعمل بالسياسة سفيرًا للعباسيين، وكانت له المكانة الرفيعة. اتصف بالخلق الجميل والسيرة الحميدة والحلم والوقار، والجرأة بالحق. قال عنه ابن كثير: «شيخ الشافعية، صاحب التصانيف الكثيرة... لم يرَ أصحابه ذراعَه يومًا من الدهر من شدة تحرزه وأدبه».

من مصنفاته: «الأحكام السلطانية»، و«أدب الدنيا والدين»، و«نصحية الملوك»[(١)].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب من أقدم ما وصلنا من كتب التفسير؛ قال خضر محمد خضر «محقق الكتاب»: «لا أعلم كتبًا تقدمته غير تفسير (ابن عباس)، وتفسير (مجاهد بن جبر)، وتفسير (الطبري)، وتفسير (السمرقندي)، وتفسير (الثعالبي)، ويتميز أسلوبه بوضوح العبارة، ودقتها، واقتضابها، من غير إخلال بالمعنى».

(١) البداية والنهاية: لابن كثير (١٠١/١٢)، وطبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (٢٦٧/٥).

• **المنهج والأسلوب:**

بدأ بمقدمة وافية تكلم فيها عن أسماء القرآن الكريم، وعن معنى السورة والآية، ووضح معنى الأحرف السبعة، ومظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، وعن التفسير بالاجتهاد.

ذكر المؤلف في المقدمة أن الله تعالى جعل ما في القرآن الكريم من الآيات على نوعين، الأول: ظاهر جلي، يشترك الناس في علمه. والثاني: غامض خفي، يختص العلماء بتأويله.

اقتصر على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره وفهمه، ولم يتعرض لتفسير الآيات التي ظهر معناها من فحواها.

يفسر أولاً المعنى اللغوي للآيات، ويورد الشواهد على ذلك من الشعر والأراجيز. ويستعرض أسباب النزول، والمتقدم والمتأخر، والناسخ والمنسوخ. ويستعرض التفسيرات والتأويلات التي قالها السلف في تفسير الآية، ناسبًا كل قول إلى قائله، سواء من الصحابة، أو التابعين، أو المفسرين، أو الفقهاء، فيقول بعد إيراد الآية: فيها تأويلان، أو ثلاثة تأويلات، أو أربعة تأويلات، وهكذا.

ينقل كثيرًا عن ابن عباس، وعائشة، والزبير، وابن عمر -رضي الله عنهم-، ومالك، والزهري، والشافعي، ومجاهد، وعطاء، وقتادة، وسعيد -رحمهم الله-، وغيرهم.

يميل في بعض المرات إلى التفسير الإشاري، فيذكر في تفسير بعض الآيات ما سنح به الخاطر من معنى محتمل، وميزه عن أقوال السلف بقوله: «محتمل».

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل

ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب «الكشاف» للزمخشري، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد.

«ابن خلدون»

- **الزَّمخشريُّ (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ):**

أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزميُّ الحنفيُّ، لقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمنًا، كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال في فنونه، قدم بغداد ولقي الكبار وأخذ عنهم، وبرز في التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، والأدب، وتنقل في البلدان، وما دخل بلدًا إلا واجتمع عليه أهلها، وتتلمذوا له، وكان يقول بخلق القرآن، وكان شديد الإنكار على المتصوفة؛ قال ابن خلكان: «كان الزمخشريُّ معتزليّ الاعتقاد متظاهرًا باعتزاله»[١]. له تصانيف في التفسير والبلاغة والحديث.

- **سبب تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف في مقدمته أنَّ إخوانه أَلَحُّوا عليه في أن يملي عليهم تفسيرًا، فاستعفى فأبوا عليه، واستشفعوا له بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، فأملى عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، ثم توجه لمكة المكرمة للمجاورة فيها، وهناك التقى الأمير الشريف أبا الحسن

---

(١) المعتزلة: ويلقبون بالقدرية؛ لأنهم ينسبون أفعال العباد إلى قدرتهم.
وأصول المعتزلة خمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ابن حمزة، وطلب منه أن يكمل هذا التفسير، فاستجاب لطلبه وأتمَّ تفسيره.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يتميز هذا التفسير بقلة الروايات الإسرائيلية، وإذا ما أوردها فإنه يوردها بصيغة التضعيف.

قال ابن خلكان: «هو من أوسع كتب التفسير حظًّا وأكثرها رواجًا، لَم يصنف مثله قبله».

وقال الزَّمَخشريّ مادحًا كتابه هذا:

إنَّ التفاسير في الدُّنيا بلا عددٍ ... وليس فيها لعمري مثل كشّافي

إنْ كنت تبغي الهدى فالزمْ قراءتَه ... فالجهلُ كالدّاء والكشَّاف كالشَّافي

وقال السبكي: «هو كتابٌ عظيمٌ في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع، متجاهر ببدعته، والواجبُ كشطُ ما في الكشّاف من ذلك».

وقال د. صبحي الصالح: «وخَيْرُ من يمثل هذه النَّزعةَ العقليةّ في التفسير الزمخشري في كتابه (الكشاف) الذي يمتاز بإيراد النكتات البلاغية وتحقيق بعض وجوه الإعجاز بطريقة (القنقلة) أي: إن قلتَ قلتُ، وهو إلى ذلك خالٍ من الإسرائيليات التي تكثر في بعض كتب التفسير بالمأثور، وعبارته بليغة موجزة، ليس فيها حشوٌ وتطويلٌ».

● **المآخذ:**

أخذ على هذا التفسير عدة مآخذ، أبرزها انتصاره لعقائد المعتزلة، وصرفه الآيات عن ظاهرها لتوافق مذهبه الاعتزالي؛ لاسيما قوله في أصحاب الكبائر، وفي الحسن والقبح، وفي عدم القول بالسحر، وفي حرية الإرادة وخلق الأفعال، وطعنه على أولياء الله، وإيراده أبيات كثيرة وأمثال غزيرة في

الهزل والفكاهة، وذكره مخالفيه من أهل السنة ومن المتصوفة بالزيغ والضلال، ويستهزئ بهم، وإيراده بعض الأحاديث الموضوعة؛ حيث يذكر في ختام السُّور حديثًا أو أحاديث في فضلها وثواب قراءتها، وكثيرٌ من هذه الأحاديث موضوعة.

قال المقري في (أزهار الرياض): «ولابد من الإلمام ببعض أحوال هذا الرجل الذي اختلفت في أمره الآراء، وآنس من جانب البيان والنحو نارًا، وأنكر الحق وقد وضح النهار، وذكر بعضهم أنه تاب، ويأبى ذلك تصريحه في كشافه بما خالف السنة جهارًا».

● **المنهج والأسلوب:**

يعتمد منهج المؤلف على إيضاح دلالة الألفاظ اللغوية والبلاغية، وعلى تحليل التراكيب لإثبات الإعجاز القرآني، ملتزمًا بذلك منهج عبد القادر الجرجاني في إثبات إعجاز القرآن[١].

● **كتب وأعمال علمية ذات صلة:**

- إعراب القرآن: للزَّجَّاج (ت: ٣١١هـ) قال شمس الدين الأصبهاني: «تتبعت الكشاف فوجدت أن كل ما أخذه من الزجَّاج»[٢].

- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف: عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت: ٧٦٢ هـ).

- الكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف: لابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ).

---

(١) ينظر التفصيل في كتاب «منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه»: د. مصطفى الصاوي.

(٢) كشف الظنون (٤٦٦/١). الزَّجَّاج: أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو، فلازم المبرد فعلمه.

- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: لابن المنيِّر المالكي (ت: ٦٨٣هـ)، وهو من أهم الكتب المؤلفة على الكشاف، حيث تتبع آراءه الاعتزالية وفندها، وعني بالنكات البلاغية التي اشتملت عليها الآيات.

وألف حول «الكشاف» الكثير من الكتب، والحواشي، والشروح، والمختصرات، والأطروحات الجامعية.

وأول طبعاته كانت بإشراف المستشرق الأيرلندي «وليم ناسوليس» (ت: ١٨٨٩م)، ثم توالت الطبعات والتحقيقات[١].

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:
التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي.
كشف الظنون: حاجي خليفة.

أحكـام القـرآن

يعتبر هذا الكتاب من أهم مصنفات ابن العربي، بل من أهم المصنفات التي دُونت في التفسير الفقهي في المذهب المالكي.

«محمد عبد القادر عطا»

- **القاضي ابن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ):**

أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، الأندلسي الإشبيلي المالكي، قاضٍ، من حُفّاظ الحديث، وبارعٌ في الأدب، كان متبحِّرًا في العلوم، متقدِّمًا في المعارف، ثاقب الذهن، كريم الأخلاق، حسن المعاشرة، رحل إلى المشرق، درس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير، وتتلمذ القاضي عياض على يديه، تُؤثر عنه في القضاء أحكام غريبة، ثم صرف عن القضاء، وله مصنفات في الحديث، والفقه، والأصول، والتفسير، والأدب، والتاريخ.

قال ابن بشكوال: «هو ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها»(١).

- **الموضوع:**

في التفسير الفقهي في المذهب المالكي(٢).

---

(١) ترجم له في الصلة: لابن بشكوال (ص: ٥٣١)، ووفيات الأعيان: لابن خلكان (٤٨٩/١)، والديباج المذهب: لابن فرحون (٢٨١).

(٢) قال القنوجي: «وقد أفرد الناس في أحكام القرآن كتبًا، كالقاضي إسماعيل، والبكر ابن العلاء، وأبي بكر ابن الرازي، والكيا الهراسي، وأبي بكر بن العربي، وابن الفرس، وغيرهم، وكل منهم أفاد وأجاد، وجمع فأبدع وأوعى، وللسيوطي في ذلك كتاب (الإكليل في استنباط التنـزيل) أورد فيه كل ما استنبط منه، واستدل به عليه، من مسائل فقهية، أو أصولية، أو اعتقادية، فاشدد بذلك الكتاب يديك، وعضَّ عليه بناجذيك».

ومن ذلك أشهر ما كتب في تفسير آيات الأحكام:

«أحكام القرآن» للبيهقي، أحمد بن علي، صاحب السنن الكبرى (ت: ٤٥٨هـ)، جمعها من كتب الشافعي ومن كتب أصحابه.

و«أحكام القرآن» للجصاص، أبي بكر، أحمد بن علي الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، وهو من أهم التفاسير الفقهية، لا سيما في المذهب الحنفي.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا الكتاب مرجعًا هامًا للتفسير الفقهي في المذهب المالكي.

قال في كشف الظنون: «وهو تفسير خمسمائة آية متعلقة بأحكام المكلفين».

وتميّزَ هذا الكتاب بأنه لا يستدلُّ بالإسرائيليات، ولا يستدلُّ بالأحاديث الضعيفة.

- **المنهج والأسلوب:**

اشتمل الكتاب على تفسير سور القرآن الكريم كلها، لكنه لا يتعرض إلا لما فيها من آيات الأحكام.

طريقته في التفسير: يذكر السورة، ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام، ثم يشرحها، ويستدل في شرحه بالأحاديث النبوية، متعرضًا لأسانيدها بالجرح والتعديل، ويستدل بعمل الصحابة، وما أخذ به الإمام مالك، ويعتمد على دلالات اللغة العربية، ويتعرض لسبب النزول إن وجد.

- **المآخذ:**

أخذ على المؤلف تعصبه للمذهب المالكي.

والحدة والصرامة، لا سيما عند التعرض لرأي مخالفيه.

- **أعمال ذات صلة:**

حققه: علي محمد البجاوي، نشر دار الكتب العربية، ١٩٥٧م.

راجع أصوله، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا.

ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن: د. مصطفى إبراهيم المشني. دار الجيل، بيروت ١٩٩١.

مفاتيح الغيب

جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة وطويلة، لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شي إلا التفسير.

«أبو حيان»

● **الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ):**

محمَّد بن عُمَر بن الحسن التَّيميّ البَكريّ، فخر الدين الرازي، إمام المتكلمين، ذو الباع الواسع في تعليق العلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، طلب العلم على والده الشيخ ضياء الدين عمر، وكان من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي، وقرأ الحكمة على المجد الجيلي بمراغة، وتفقه على الكمال السمناني، ويقال: إنه حفظ الشامل في علم الكلام لإمام الحرمين، وكان أول أمره فقيرًا، ثم فتحت عليه الأرزاق وانتشر اسمه وبَعُدَ صيتُهُ، وقُصِد من أقطار الأرض لطلب العلم، وكانت له يد طولى في الوعظ بلسان العربي والفارسي، وكان من أهل الدين والتصوف، وله يد فيه، وتفسيره ينبىء عن ذلك، وعبر إلى خوارزم بعد ما مهر في العلوم، فجرى بينه وبين المعتزلة مناظرات أدت إلى خروجه منها، اشتهرت مصنفاته في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها، وأقام بهراة، وكان يلقب بها شيخ الإسلام، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة نفس من الفقهاء وغيرهم، وكان أصحابه أكثر الخلق تعظيمًا له وتأدبًا معه، له عندهم المهابة الوافرة، ومن تصانيفه: التفسير، وأما كتاب السر المكتوم

في مخاطبة النجوم فلم يصح أنه له، بل قيل: إنه مختلق عليه.

قال ابن كثير: «وكان مُعَظّمًا عند ملوك خوارزم وغيرهم، وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى، وملك من الذهب العين ثمانين ألف دينار وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والأثاث والملابس، وكان له خمسون مملوكًا من الترك، وكان يحضر في مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامة، وكانت له عبادات وأوراد، وله مؤلفات مهمة، بلغ من إقبال الناس على مصنفاته أن الكتاب كان يباع أحيانا بخمسمائة أو ألف دينار(١)».

- **موضوعه:**

في التفسير العلمي؛ وهو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية، ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن(٢).

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يُعدُّ هذا الكتاب من أوسع كتب التفسير، وفيه فوائد كثيرة، ومسائل علمية نادرة، وهو موسوعة في علم الفقه، والأصول، والبلاغة، ويمتاز بأبحاثه المستفيضة، ويحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لامتيازه عن غيره من كتب التفسير بميز كثيرة، ومن جملة ما تميز به هذا التفسير ما اشتمل عليه من تسجيل لبعض المذكرات الشخصية، كالحديث عن وفاة ابن

---

(١) البداية والنهاية: لابن كثير. وطبقات الشافعية: للسبكي، وذكره الذهبي في كتاب الميزان في الضعفاء، وانظر: الرازي مفسّرًا: د. محسن عبد الحميد، صدر سنة ١٩٧٢م.

(٢) التفسير العلمي للقرآن في الميزان: أحمد عمر أبو حجر.

له، أو مناظراته، أو رحلاته، أو مشاهداته، أو نحو ذلك.

● **مآخذ:**

أثيرت شبهة حول نسبة الكتاب للفخر الرازي، وأنه لَم يقم بتفسيره، وقد ردَّ بعض العلماء هذه الشبهة بقولهم: إنَّ الرّازي توفي قبل أن ينتهي من تبييض جميع الكتاب، فتولى بعض تلاميذه تحرير مسوداته.

وأخذ عليه أنه سلك في تفسيره مسلك الحكماء الإلهيين(١)، قال الزرقاني: «وقد سلك في تفسيره «مفاتيح الغيب» المشهور بتفسير الفخر، مسلك الحكمة الإلهية، فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاته العقلية، ولكن مع تهذيبها بما يوافق أصول أهل السنة(٢)».

وأخذ عليه أيضًا أنه حشي بمباحث كثيرة جدًا تخرج به عن التفسير، حتى قيل فيه: فيه كل شيء إلا التفسير، وهذا من باب المبالغة لكثرة ما فيه من المباحث التي هي خارجة عن موضوع التفسير، بل قد تكون ليست من علوم الشريعة، قال عنه ابن خلكان: «إن الرازي جمع في تفسره كل غريب وغريبة».

---

(١) قال أبو حيان في المحيط (بعد كلام ساقه عن الإمام الرازي): «وكثيرًا ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الإسلام، ويعني بهم الفلاسفة الذين خلقوا في هذه الملة الإسلامية، وهم أحق بأن يسموا سفهاء وجهالًا من أن يسموا حكماء؛ إذ هم أعداء الأنبياء، والمحرفون للشريعة الإسلامية، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى».

(٢) الحكماء الإلهيين: قال في كشف الظنون (علم الحكمة): «إن البحث والنظر في هذا العلم لا يخلو إما أن يكون عن طريق النظر أوعن طريق غير النظر. فالأول: على قانون فلاسفة المشَّائين، فالمتكفل له كتب الحكمة، أو على قانون المتكلمين، فالمتكفل حينئذ كتب الكلام. والثاني: إما على قانون فلاسفة الإشراقيين، فالمتكفل له حكمة الإشراق ونحوه، أو على قانون الصوفية واصطلاحاتهم، فالكتب الصوفية. ومن أساتذة الحكمة الإلهية أفلاطون، وتلميذه أرسطا وطاليس، وابن سينا، والرازي، والسّهروردي».

وقال الحافظ ابن حجر: «وكان يعاب هذا التفسير بإيراد الشبهة الشديدة، ويقصِّر في حلها، حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبه نقدًا، ويحلها نسيئة».

- **المنهج والأسلوب:**

- طريقته في التفسير: يقسم الآية أو الآيات التي يكون بصدد تفسيرها إلى عدد من المسائل، ثم يسترسل في تأويلها.

- حاول المؤلف في هذا التفسير إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، وعني ببحث الكونيات عناية خاصة، وتوسع في ذكر العلوم الرياضية والطبيعية، حتى غلبت عليه.

- اهتم ببيان المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره، وبإبراز الوجوه البلاغية في الآيات، وبالاستنباطات والاستطرادات.

- فصَّل مذاهب الفقهاء في آيات الأحكام، ويلاحظ عليه أنه غالبًا ما يرجّح مذهبه الشافعي بالأدلة والبراهين.

- يردُّ في بعض الأحيان على الفلاسفة والملاحدة، ويفند آراءهم ويعرِّض بالمعتزلة[١].

❁ ❁ ❁

(١) المراجع:
التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي.
مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح.
أبجد العلوم: القنوجي.

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تتضمنه من السنة وآي الفرقان

هذا التفسير من أجل التفاسير وأعظمها نفعًا، أسقط منه التواريخ والقصص، وأثبت عوضًا عنها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات، والإعراب، والناسخ والمنسوخ.

«ابن فرحون»

• **القرطبي (ت: ٦٧١هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الأندلسي القرطبي، إمام، متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسير عظيم في بابه، وله كتاب «الأسنى في أسماء الله الحسنى»، وكتاب «التذكرة»، وأشياء تدل على إمامته وكثرة اطلاعه، رحل إلى المشرق، واستقر بصعيد مصر، واشتهر بالصلاح، وكان من العبّاد الزاهدين(١).

• **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر تفسير القرطبي من أعظم التفاسير نفعًا، وأعمها فائدةً، وهو من أهم المراجع في علم التفسير؛ نظرًا لما يحويه من أحكام شاملة واستنباطات

---

(١) انظر: «الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير» مشهور حسن سلمان، دار القلم.
القرطبي المفسر سيرة ومنهج: يوسف عبد الرحمن الفرت، رسالة ماجستير، دار القلم الكويت.
القرطبي ومنهجه في التفسير: د. القصبي محمود زلط، رسالة دكتوراه، دار الأنصار.
القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير: د. مفتاح السنوسي، جامعة قاريونس بنغازي.

قويمة، وفوائد لغوية.

يكاد يغني بشموليته عن كل تفسير، بل عن مراجعة أمهات كتب الفقه ومذاهبه المتعددة، ولم يلق غيره من كتب التفسير ما لقيه من الحفاوة به والاعتناء بتحقيقه، إلا أن نسخه المخطوطة كانت مبعثرة في مكتبات العالم؛ قال الشيخ بهجت البيطار: «كنا نسمع بهذا التفسير الجليل قبل أن نراه، فلما طبع أقبلنا عليه نتصفح أجزاءه لنقف على خصائصه ومزاياه، ثم أخذ يعدد تلك المزايا والخصائص، وأهمها طريقة القرطبي في التفسير، المتمثلة في أنه يورد الآية ويفسرها بمسائل يجمعها في أبواب، ويودع في هذه المسائل والمباحث من تفسير المفردات اللغوية، وإيراد الشواهد الشعرية إلى البحث في اشتقاق الكلمات... إلى ما قاله أئمة السلف فيها، إلى ما يختاره هو من معانيها، وأحسن كل الإحسان بعزو الأحاديث إلى مخرجيها، مع التكلم على الحديث متنًا وسندًا، قبولًا وردًا»(١).

● **الباعث على تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف السبب الباعث له على تأليف هذا الكتاب فقال: «لما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه منيتي، بأن أكتب فيه تعليقًا وجيزًا، يتضمن نكتًا من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعًا بين معانيها، ومبينًا ما أشكل منه بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف،

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد: ٢٠، ص: ٥٦٢، سنة ١٩٤٥م).

وعملته تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رَمسي، وعملاً صالحًا بعد موتي».

● **المآخذ:**

أخذ على المؤلف إيراده بعض الموضوع والمكذوب والضعيف. وبالرغم من أنه صرّح بأنه سيضرب عن ذكر قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا أنه خالف هذا المهنج في بعض المرات، فنقل بعض الإسرائيليات التي لا تصح.

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ المؤلف الكتاب بمقدمة طويلة، جعلها على أبواب، وضمّنها الحديث عن فضائل القرآن، وفضل طالبه، وقارئه، ومستمعه، والعامل به، وعن كيفية التلاوة، وآداب القارئ، وماجاء في فضل التفسير وأصله، وماجاء في الوعيد في تفسير القرآن بالرأي، والجرأة على ذلك، ومراتب المفسرين، وما ورد في جمع القرآن، وسبب كتابة عثمان المصاحف، وإحراقه ما سواها، وعدد حروفه وأجزائه وكلماته وآياته، ثم ذكر نكتًا في إعجاز القرآن وشرائط المعجزة وحقيقتها.

وذكر المؤلف منهجه في الكتاب فقال: «وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: «من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله...»، وأُضربُ عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بد منه، ولا غنى عنه لتبيينه، واعتضت من ذلك بتبيين آي الأحكام، بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكمًا أو حكمين فما زاد مسائل، نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول، والتفسير الغريب، والحكم، فإن

لَم تتضمن حكمًا ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب.

طريقته في التفسير: يفسِّر الآيات آية آية، فيبين أسباب النـزُّول، ثم يشرحها، وإن كانت من آيات الأحكام، ذكر الحكم مع الدليل، ومع بيان وجوه الاختلاف وأدلتها، دون تعصب لمذهبه المالكي.

ينقل عن تفاسير السّابقين، مثل الطبري، وابن عطية، وابن العربي، والجصّاص، وينسب كل قول إلى قائله.

يحتكم كثيرًا إلى اللغة، ويكثر الاستشهاد بأشعار العرب.

يعتمد في تفسير الأسماء والصّفات على الأشاعرة، كالجويني، والباقلاني، والإسفراييني، والرّازي، وابن عطية وغيرهم.

اهتمَّ بالردِّ على المعتزلة، والقَدَرية، والرّافضة، والفلاسفة، وغلاة الصُّوفية.

قد يربطُ تفسيرَ بعضِ الآيات بالوضع السائد في عصره، ناقداً ما آلَ إليه حالُ النَّاسِ من الضَّعفِ[١].

۞ ۞ ۞

---

(١) المراجع:
التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي (٢/ ٤٦٠).
الديباج المذهب: ابن فرحون (ص: ٤٠٧) وما بعدها.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

وحرَّرَ مهمات، واستدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكة نُضار، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكب عليه العلماء تدريسًا ومطالعةً، وبادروا إلى تلقيه رغبة فيه ومسارعة.

«السيوطي»

● **البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ):**

أبو سعيد، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي الشافعي، لقب بناصر الدين، وأبي الخير، وقاضي القضاة، وهو مفسر، فقيه، أصولي، قاضي شيراز وعالمها، وعالم أذربيجان وتلك النواحي.

قال السّبكي: «كان إمامًا، مبرِّزًا، نظارًا، خيّرًا، صالحًا، متعبّدًا زاهدًا»(١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب من أهم كتب التفسير، التي لا يستغني عنها طالب علم؛ حيث اطلع مؤلفه على التفاسير التي قبله، واستفاد منها.

ويتميز أسلوبه بالاختصار، والدّقة، والتزام المصطلح العلمي، كما يتميَّز بكونه مقلٌّ جدًا في ذكره للإسرائيليات، وما يذكره من ذلك يمر عليه دون أن يتعقبه أحيانًا، وأحيانًا يتعقّبه ولا يرتضيه.

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير (٣٠٩/١٣)، وطبقات الشافعية الكبرى: السبكي (١٥٧/٨).

- **المآخذ:**

أخذ عليه أنه لم يسلم من موافقة الزمخشري في بعض الآراء الاعتزالية. وأنه ختم تفسير كل سورة بإيراد حديث لبيان فضائلها، وكثير من هذه الأحاديث ضعيف أو موضوع.

- **سبب تأليف الكتاب:**

قال البيضاوي: «سألني من تتعين إجابته كتابًا وسطًا في التأويلات، جامعًا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمنًا لدقائق علمي البديع والإشارات، حاليًا بأقوال أهل السنة والجماعة، خاليًا عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وكنت أقدم فيه رجلاً وأؤخر أخرى استقصارًا لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذًا لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله، والعوائق كثيرة، وأتممته في مدة يسيرة».

- **المنهج والأسلوب:**

أشار المؤلف إلى منهجه فقال: «ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذ الفن (التفسير) كتابًا يحتوي على صفوة ما بلغني عن عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكات بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة، المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين».

ثم أشار في نهاية الكتاب إلى منهجه فقال: «هذا الكتاب المنطوي على فوائد ذوي الاعتبار، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، وصفوة آراء أعلام الأمّة في تفسير القرآن وتحقيق معانيه، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات

مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، والتلخيص العاري عن الإضلال».

ولا يستطرد المؤلف كثيرًا في المسائل النحوية والإعراب.

ويلتزم بالقراءات المتواترة، مع نسبة كل قراءة إلى قارئها.

ويعرض للمذاهب الفقهية التي لها تعلق وارتباط بالآية، ويوجه الأقوال دون توسع، ويتعرض للآيات الكونية بالشرح والبيان[١].

● **كتب ذات صلة:**

جمع المؤلف غالب مادة كتابه من «الكشاف للزمخشري»، و«التفسير الكبير للرازي»، و«المفردات للراغب الأصبهاني».

قال حاجي خليفة: «وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لَخّص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإرشادات، وضم إليه ما وري من زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة».

ثم ذكر أكثر من أربعين حاشية وشرحًا لهذ التفسير.

● **التحقيق:**

نشره: المستشرق (فيشـر) وطبع في ليبزيغ سنة (١٨٤٨م)[٢].

وفهرسه: المستشرق (فيل) وطبع في ليبزيغ أيضًا سنة (١٨٧٨م)[٣].

---

(١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي. وكشف الظنون: حاجي خليفة.

(٢) آوغست فيشر(١٨٦٥-١٩٤٩) مستشرق ألماني، من أعضاء مجمع فؤاد الأول.

(٣) جوتهولد فيل: (١٨٠٨-١٨٨٩) مستشرق ألماني، أقام في الجزائر ومصر.

البحر المحيط

وإذا أردنا إعرابَ القرآن، فعلينا بالبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ففيه كثير من المباحث اللغوية، والمسائل المتعلقة بالقراءات، ولم نجد منه ما يسلكه في عداد التفسير بالرأي، كما أنه لا يعنى بالنصوص النبوية إلا قليلاً، فليس من باب التفسير بالمأثور.

«د. صبحي الصالح»

● **أبو حيان (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، أثير الدين، الشهير بأبي حيان النحوي، كان إمامًا في النحو والصرف، وملمًا بالقراءات، وعرف بكثرة نظمه للأشعار والموشحات، وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الرجال، رحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها، كان يقول: إن عدة من أخذت عنهم أربعمائة وخمسون، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه.

قال الصّفديُّ: «لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب، ولم أره على غير ذلك(١)».

● **الموضوع:**

في التفسير اللغوي والنحوي، قال د. محمد حسين الذهبي: «ويعتبر هذا التفسير المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ

---

(١) الوافي وأعيان العصر: الصفدي، ونفح الطيب: المقري (٥٣٧/٢).
وللدكتورة خديجة الحديثي كتاب بعنوان (أبو حيان النحوي).

القرآن الكريم، حتى أصبح أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير».

● **المنهج والأسلوب:**

أشار المؤلف في المقدمة إلى منهجه في التفسير، ويمكن تلخيصه بالأمور التالية:

شرح مفردات الآية، وبيان ما فيها من اللغة والأحكام النحوية.

وتفسير الآية، وذكر سبب نزولها إن كان ثمة سبب، وذكر الناسخ والمنسوخ، وذكر مناسبة الآية، وارتباطها بما قبلها، ونقل أقوال السلف والخلف في معانيها، والتعرض للقراءات، الشاذ منها والمتواتر.

والالتزام بعدم تكرار الكلام فيما سبق الحديث عنه، وبيان ما في الآية من دقائق الأدب، من بيان وبديع.

ونقل كلام أقوال الأئمة الأربعة في تفسير آيات الأحكام، مع الإحالة على الأدلة في كتب الفقه، وترجيح ما يراه راجحًا بالأدلة.

وتلخيص ما تقدم من الكلام عن الآية في نهاية تفسيرها.

والتقاط بعض كلام الصوفية بما فيه من مناسبة لمدلول لفظ الآية، وتجنب بعض أقاويلهم، والرد على الملحدين والباطنية.

● **مآخذ:**

أخذ على تفسير أبي حيان بعض المآخذ، منها كثرة نقله عن الزمخشري، وتعقبه له، والسُّخرية من آرائه الاعتزالية.

والإكثار من قوانين النحو والأعراب، حتى ليكاد يكون قد جعل التفسير

تطبيقًا لعلم النحو الذي برع فيه(١).

● **كتب ذات صلة:**

- النَّهر المادُّ من البحر: لأبي حيان، اختصار للبحر المحيط.

- التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير: لأبي عبد الله، محمد بن سليمان بن حسن المقدسي، شيخ أبي حيان، المعروف بابن النقيب، حيث أكثر المؤلف من الاعتماد عليه في النقول.

- الدر اللقيط من البحر المحيط: لتاج الدين، أحمد بن عبد القادر بن ابن مكتوم، تلميذ أبي حيان، وهو مختصر، اقتصر فيه على مباحثه مع ابن عطية والزمخشري ورده عليهما.

- بين أبي حيان والزمخشري: ليحيى الشاوي المغربي، جمع فيه اعتراضات أبي حيان على الزمخشري.

- حققه: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ود. زكريا عبد المجيد النوتي، ود. أحمد النجولي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٣م.

- البحر المحيط: دراسة نحوية صرفية صوتية. د. عبد اللطيف محمد الخطيب، رسالة دكتوراه (كلية دار العلوم).

وهناك العديد من الدراسات ورسائل الماجستير والدكتوراه التي كتبت حول تفسير البحر المحيط.

---

(١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي.
مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح.
مع المكتبة العربية: د. عبد الرحمن عطبة.

تفسير القرآن العظيم

تفسير ابن كثير من أصح التفاسير بالمأثور، إن لم يكن أصحها جميعًا .

الزرقاني «مناهل العرفان»

● **ابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ):**

أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي البصروي ثم الدمشقي، كنيته عماد الدين، حافظ، مؤرخ، فقيه، تناقل الناس تصانيفه في حياته(١) .

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا التفسير من أشهركتب التفسير بالمأثور وأجلها، وهو في المرتبة الثانية بعد تفسير الطبري(٢).

● **المآخذ:**

أخذ عليه ترديده لبعض الإسرائيليات التي أوردها من سبقه من المفسرين.

● **المنهج والأسلوب:**

يشرح الآيات ويوضحها بشكل موجز، ويوضح الآية بآية أخرى ما أمكن ذلك مع المقارنة بين الآيتين، وقد يسرد جميع الآيات المتناسبة المعنى. ويورد الأحاديث المتعلقة بالآية المفسرة، مع المناقشة والتمحيص.

(١) ترجم ابن كثير لنفسه في نهاية كتابه في التاريخ (البداية والنهاية). وانظر: الإمام ابن كثير وأثره في علم الحديث رواية ودراية، مع دراسة منهجية تطبيقية على تفسير القرآن العظيم: عدنان بن محمد بن عبد الله آل شلش، ط. دار النفائس.

(٢) تقدم الحديث عن التفسير بالمأثور في بحث (جامع البيان في تفسير القرآن) للطبري.

ويستشهد بأقوال الصحابة والتابعين، ومن يليهم من علماء السلف.

ويناقش الأقوال ويرجحها، ويصحح الروايات الصحيحة، وينقل كثيرًا عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب رحمهم الله، وينقل عن بعض المفسرين مثل الطبري، وابن عطية، والقرطبي، والزمخشري، والرازي. ويعنى بتفسير آيات الأحكام، ويشير إلى أقوال العلماء في ذلك.

● **كتب ذات صلة :**

عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير : الشيخ أحمد شاكر، وهو مختصر دقيق، حافظ فيه على عبارة ابن كثير، وحذف الأسانيد، والأحاديث الضعيفة والمكررة، والفروع الفقهية، والإسرائيليات.

اختصره : محمد علي الصابوني.

اختصره : محمد الحمود النجدي، وأسماه (حُسْنُ التَّحرير في تهذيب تفسيرِ ابن كثير) نشر مكتبة ابن حنبل، الكويت .

فهرس أحاديثه : د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ومحمد سليم إبراهيم سمارة، وجمال حمدي الذهبي، نشر دار المعرفة، بيروت.

حققه أستاذنا : أ.د. محمد إبراهيم البنا، نشر دار ابن حزم سنة ١٤١٩هـ. وهي من أفضل الطبعات وأجودها .

تفسير الجلالين

تفسير الجلالين: للعلامة جلال الدين، محمد بن أحمد المحلي الشافعي (ت: ٨٦٤هـ)، ولما مات كمَّله الشيخ المتبحِّر جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، كتب تتمّة على نمطه بتعبير وجيز، وهو مع كونه صغير الحجم كبير المعنى؛ لأنه لُبُّ لباب التفاسير.

«حاجي خليفة»

المحليّ الشافعي:

محمد بن أحمد، الفقيه، الأصولي، المتكلم، النحوي، كان آية في الذكاء، وكان صادعًا بالحق، حديد الطبع، عرض عليه القضاء الأكبر فلم يقبله، وكان متقشِّفًا في معيشته. وقد اعترف السيوطي بفضل وتقدم المحلي عليه فقال: «الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي - رحمه الله - في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة، كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه، لا مِرْيَةَ عندي في ذلك»، وامتاز تفسير المحلي بالدقة والضبط، وقد تابع السيوطي سلفه لكنه لَم يتوسع.

- **القيمة العلمية للتفسير:**

هذا التفسير قَيِّـم في بابه، وهو من أكثر التفاسير انتشارًا وتداولًا ونفعًا.

- **مـآخذ:**

أخذ على تفسير الجلالين وجود بعض الإسرائيليات فيه، قال عبد القادر

الأرناؤوط: «وأما ما يتعلق بالكلام على بعض المواطن التي فيها الإشكالات والإسرائيليات التي تحط من قدر بعض الأنبياء والمرسلين، مثل قصة هاروت وماروت، وقصة آدم وما فيها من قدح في نبوته، وقصة سليمان وما فيها من قصص إسرائيلية، وقصة يوسف وما جرى في حكايته مع امرأة العزيز، وكقصة الغرانيق الباطلة، وأن رسول الله ﷺ قال: (تلك الغرانيق العُلا وإنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى)، وهي من وضع الزّنادقة، وكقصة زيد بن حارثة مع زينب بنت جحش، وأن رسول الله ﷺ وقع في نفسه حبها، وهو باطل من القول، فعلى القارئ أن يتنبه إلى زيف أمثال هذه القصص والحكايات، إذا وقف عليها أثناء قراءته لهذا التفسير وسواه»(١).

● **المنهج والأسلوب**:

يقوم منهج الجلالين على تفسير الآيات بإيجاز(٢).

طريقته في التفسير: الاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إلى إعراب، والإشارة إلى القراءات المختلفة المشهورة.

بدأ المحلي بتفسير القرآن الكريم من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم جاء السيوطي من بعده فكمل التفسير، فابتدأ بتفسير سورة البقرة، وانتهى عند سورة الإسراء.

قال د. الذهبي: «ليس ثمة فرقًا واضحًا في طريقة الشيخين فيما فسراه، إلا

---

(١) سجل الشيخ محمد لطفي الصباغ جملة من المآخذ عليه، في كتابه «تهذيب تفسير الجلالين»، إصدار المكتب الإسلامي ٢٠٠٦.

وكذلك الشيخ محمد كنعان في كتابه «قرة العينين على الجلالين» دار البشاير ١٩٩٧م.

(٢) قال بعض العلماء: عددت حروف القرآن وتفسيره للجلالين فوجدتهما متساويين إلى سورة المزمل، ومن سورة المدثر التفسير زائد، فعلى هذا يجوز حمله بغير الوضوء.

في مواضع قليلة، لا تبلغ العشرة، مثل تفسير الروح، والصابئة، وغير ذلك».

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

عني كثير من العلماء بالتعليق على تفسير الجلالين، وبعمل الحواشي والشروح[1]، ومن أهم هذه الحواشي:

«الفتوحات الإلهية» بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: لسليمان ابن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمل (ت: ١٢٠٤هـ).

وحاشية «الصاوي» أحمد بن محمد المالكي (ت: ١٢٤١هـ).

۞ ۞ ۞

(١) ذكر حاجي خليفة بعض هذه الحواشي أو الشروح في «كشف الظنون».

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأزمان، ولـم تُقرع به الآذان، فصدق المثل السائر: كم ترك الأول للآخر.

«المولى علي بن بالي»

● **أبو السُّعود (٨٩٣ - ٩٨٢ هـ):**

أبو السُّعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، شيخ الإسلام، ولد في قرية من قرى القسطنطينية، ونشأ في بيت عرف بالعلم، وقرأ كثيرًا من كتب العلم على والده، فجمع بين العلم والأدب، وتولى التدريس والقضاء والفتوى، ومكث في منصب الإفتاء نحو ثلاثين سنة.

كان حاضر الذهن، سريع البديهة، مهيبًا، حظيًا عند السلطان، وقد ذكروا أنه كان يكتب جواب الفتوى على منوال ما يكتبه المستفتي من الخطاب، فإن كان السؤال منظومًا كان الجواب منظومًا كذلك، مع الاتفاق بينهما في الوزن والقافية، وإن كان السؤال نثرًا مسجَّعًا كان الجواب مثله، وإن كان السؤال بلغة العرب كان الجواب بلغة العرب أيضًا، وإن كان بلغة الترك فالجواب بلغة الترك كذلك وهكذا، من مؤلفاته حاشية على (الهداية) في الفقه الحنفي[١].

(١) انظر ترجمته في الطبقات السنية في تراجم الحنفية: للغزي، ط. دار الرفاعي.
وفي العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: لابن بالي (ص: ٤٤١)، ط.دار الكتاب العربي.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

اشتمل الكتاب على الغرائب والتحقيقات الرَّصينة والتدقيقات المتينة.

قال اللكنوي عن هذا الكتاب: «فاشتهر صيته، وانتشرت نسخه في الأقطار، ووقع له التلقي بالقبول من الفحول الكبار، لحسن سبكه وصدق تعبيره، فصار يقال له: خطيب المفسرين»(١).

قال د. صبحي الصالح: «وأما أبو السعود: فمع تقريره الأدلة على عقائد أهل السنة يعنى بتبيان المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن، وأسلوبه في ذلك مشرق، وتذوقه للبلاغة القرآنية سليم»(٢).

● **المآخذ:**

أخذ عليه وجود الدخيل فيه، وإيراده بعض الروايات الإسرائيلية، لكنه لَم يتوسع فيها.

وأنه قد ينقل عن متهمين بالكذب كالكلبي، لكنه يقول بعد إيراد الرواية: والله تعالى أعلم، إشعارًا منه بأنه يشك في صحتها.

● **المنهج والأسلوب:**

اعتنى بالكشف عن وجوه البلاغة في القرآن الكريم وسر إعجازه، وبراعة أسلوبه، وبالتراكيب القرآنية، واهتم بإبداء وجه المناسبة بين الآيات.

تعرض للقراءات دون توسع، واهتم بالناحية اللغوية، وأوجه الإعراب.

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية: لأبي الحسنات اللكنوي (ت: ١٣٠٤هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح (ص:٢٩٣)، دار العلم للملايين.

ولَم يتعرض كثيرًا للمسائل الفقهية، وما ذكره منها غالبًا يتقيد فيه بالمذهب الحنفي.

● **كتب ذات صلة:**

اعتمد المؤلف بشكل كبير على تفسير «الكشاف» للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، و«أنوار التنزيل» للبيضاوي (ت: ٧٩١هـ)، إذ كان كثير النظر فيهما، فأراد تلخيص ما فيهما، إلا أنه خالف الزمخشري في اعتزالاته وحذَّر منها[١].

وهناك العديد من الحواشي التي كتبت عليه.

۞ ۞ ۞

(١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي (١/ ٢٥٠)، مكتبة وهبة القاهرة.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

يعتبر هذا التفسير تلخيصًا لما سبقه من التفاسير، مع إضافات قيِّمة، تحصل عليها المؤلف من قراءاته واطلاعه ورجاحة تفكيره وقوة شخصيته، وهو يعد بحق موسوعة تفسيرية.

• **الألوسي (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ)**:

أبو الثناء، محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، شيخ العلماء في العراق، ونادرة من نوادر الأيام، جمع كثيرًا من العلوم، فكان محدّثًا، ومفسرًا، وعالمًا باختلاف المذاهب، مطَّلعًا على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، لكنه في آخر حياته كان يميل للاجتهاد، كان ذا حافظة عجيبة، تقلد الإفتاء وعزل، فانقطع للعلم، وترك مؤلفات في التفسير والرحلات والتراجم والمناظرات والتصوف والأخلاق والنحو[١].

• **سبب تأليف الكتاب**:

ذكر المؤلف في المقدمة: أنه ومنذ عهد الصغر لَم يزل متطلبًا لاستكشاف سرِّ كتاب الله المكتوم، مترقّبًا لارتشاف رحيقه المختوم، إلى أن رأى في ليلة من الليالي في المنام أن الله تعالى أمره بطيِّ السموات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض، فلما انتبه من نومه صار يفتش لرؤياه عن تفسير، فرأى فيها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع في كتابة هذا التفسير، وعمره إذ ذاك أربع وثلاثون سنة، واستمر في تأليفه خمس عشرة سنة، ولما

(١) انظر: «أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث» لأحمد تيمور باشا (ص: ٣١١).

انتهى منه سافر إلى القسطنطينية، وعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد، فنال إعجابه ورضاه.

• **القيمة العلمية للكتاب:**

هذا التفسير من أوسع الكتب وأجمعها، وقد أفرغ المؤلف في هذا التفسير وسعه، فجاء جامعًا لآراء السلف رواية ودراية، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، وكان سلوك المؤلف في كتابة هذا التفسير أمرًا عظيمًا، فإن نهاره كان للإفتاء والتدريس وأول ليله لمنادمة مستفيد وجليس، وكان يكتب في أواخر الليل منه ورقات، فيعطيها صباحًا للكتّاب الذين وظفهم في داره، فلا يكملون تبييضها إلا في نحو عشر ساعات.

• **مآخذ:**

أخذ عليه أنه بعد تفسير الآيات حسب الظاهر، قد يشير إلى بعض المعاني الإشارية (الصُّوفية) حول بعض الآيات، فيقول مثلاً في تفسير بعض الآيات: (ومن باب الإشارة كذا)[١].

كما أخذ عليه تردده بين مذهب السلف ومذهب الخلف في تفسير آيات الصفات.

---

(١) التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن الكريم بغير ظاهره، لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك «التصوف»، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد، وقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومن أجازه وضع شروطًا لقبوله، منها ألا يتنافى مع ما يظهر من معنى النظم الكريم، كأن يكون تأويلا بعيدًا سخيفًا.

● **المنهج والأسلوب:**

يبدأ المؤلف تفسير الآيات ببيان الجانب اللغوي، من شرح وإعراب، وبلاغة، وبيان، ويستطرد في ذكر الصناعة النحوية، ثم يشرح المعنى العام، معتمدًا على السنة النبوية، ويذكر أسباب النـزول إن كان معلومًا، مع حرصه على ذكر الأسانيد، ويتعرض لذكر القراءات، سواء أكانت متواترة أوشاذّة، ويفصّل أقوال المذاهب الفقهية في تفسير آيات الأحكام، وقد يرجح بعض الآراء، وقد يتعقب بعض الأقوال ويناقشها ويقارنها، ويلتزم مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، ويتعرض لمخالفيهم، فيفند آراءهم، وبخاصة المعتزلة، وكثيرًا ما يتعقَّبُ الفخرَ الرازي ويرد عليه، وهو شديد النقد للروايات الإسرائيلية والمكذوبة والموضوعة، ويستطرد في تفسير المسائل الكونية، ويذكر كلام أهل الهيئة والحكمة، ويورد مباحث طبيعية ورياضية وفلسفية وفلكية، ويفند ما لا يرتضيه من كلامهم[١].

● **الطبعات:**

حققه محمد زهري النجار، ط. الحلبي بمصر.

وصححه علي عبد الباري عطية، ط. ابن كثير بدمشق.

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:

التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي.

مباحث في علوم القرآن: د.صبحي الصالح.

دراسات حول القرآن الكريم: د. إسماعيل الطحان.

المـوطـأ

أما الموطأ، فهو كتاب لمالك، جمع فيه الصحاح من الأحاديث والأخبار والآثار وفتاوى الصحابة والتابعين، وذكر الرأي الذي يرتأيه إذا كان لرأيه فيما يسوقه مجال واعتبار. . . وهو كتاب صادق النسبة إلى مالك، رُوي عنه بعدة طرق، اتحدت في مجموعها، وإن اختلف رواتها، وهو وإن كان كتاب حديث وآثار، فهو في لبّه كتاب فقه، يتضمن ـ مع ما يسوقه مالك من أحاديث قد نقدها ومحَّص رواتها ـ رأيَه في فقهها.

«الشيخ محمد أبو زهرة»

• **الإمام مالك (٩٣ ـ ١٧٩ هـ)**:

أبو عبد الله، مالك بن أنس، الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، كان صلبًا في دينه، ومن وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن لزم مالك بيته، فلم يكن يأتي أحدًا، لا لعزاء ولا لهناء، ولا يخرج لجمعة ولا لجماعة، ويقول: «ما كل ما يعلم يقال، وليس كل أحد يقدر على الاعتذار». قال ابن كثير: «ومناقبه كثيرة جدًا، وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر»[1].

---

(١) انظر ترجمته في ترتيب المدارك: للقاضي عياض، والبداية والنهاية: لابن كثير.
والموطأ: هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية، ويشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، فهو كالمصنف تمامًا، وإن اختلفت التسمية، والسبب في تسمية هذا النوع من المؤلفات الحديثية بالموطأ، أن مؤلفه وطّأه للناس، أي سهله وهيأه لهم.

● **سبب تأليف الكتاب:**

روي أن المنصور قال (للإمام مالك): يا أبا عبد الله، ضمّ هذا العلم، ودوّن كتباً، وجنب فيها شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، واقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة(١).

قال الإمام مالك: «عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، وكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ»(٢).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

أثنى العلماء على كتاب «الموطأ»، وألّفَ ابن عساكر رسالة ذكر فيها ثناء كبار العلماء على الموطأ سماها: «كشف المغطا في فضل الموطّا».

قال ابن حزم: «وهو كتاب في الفقه والحديث، ولا أعلم نظيره».

وقال النسائي: «ما عندي أنبل من مالك، ولا أجل منه، ولا أقل رواية عن الضعفاء، ما علمناه حدّث عن متروك، إلا عبد الكريم، يريد عبد الكريم بن أبي المخارق البصري، نزيل مكة، لأنه كان حسن السمت، كثير التضرع، ولم يكن من أهل بلد مالك، فخفي عليه أمره».

وقال السيد محمد جعفر الكتاني: «موطأ مالك في الرتبة بعد مسلم، على ما هو الأصح».

وتميّز الإمام مالك بنقد رجال الحديث، حيث يشترط العدالة والضبط في الراوي، وأن يكون ممن يزن ما ينقل إليه.

---

(١) ترتيب المدارك: للقاضي عياض (٧٣/٢)، ط. فضالة، المغرب.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ مالك: مكتبة الثقافة الدينية، مصر (٦٢/١).

- **المنهج والأسلوب:**

روي الموطأ عن الإمام مالك عدة روايات، فكانت ثلاثين، لم يشتهر منها إلا عشرون، ومن أشهرها وأكثرها انتشارًا رواية يحيى الليثي، ورواية محمد بن الحسن الشيباني.

بلغ عدد أحاديث الموطأ، حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (١٨١٢) حديثًا، وعدد الأحاديث القولية التي فهرسها في هذا المفتاح (٨٢٧) حديثًا[١].

يجمع في نهاية أبواب كل موضوع الأحاديث المتفرقة في نفس الموضوع، تحت عنوان (جامع)، ويقصد به جامع المتفرقات.

طريقته: يذكر الأحاديث في الموضوع الفقهي، ثم عمل أهل المدينة المجمع عليه، ثم رأي أهل التقوى منهم من التابعين وأهل الفقه، وإذا لَم يجد شيئًا من ذلك في المسألة التي بين يديه اجتهد على ضوء ما يعلم من الأحاديث والفتاوى والأقضية.

- **كتب ذات صلة:**

- كتاب السالك في شرح موطأ مالك، والقبس في شرح موطأ مالك ابن أنس: للقاضي أبي بكر، المعروف بابن العربي.

- «الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار»، و«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»: لابن عبد البَرّ.

---

(١) قسم بعض العلماء ما ورد في الموطأ إلى سبعة أقسام، هي: أحاديث متصلة، وأحاديث مرسلة، وأحاديث منقطعة، وأحاديث موقوفة، وبلاغات، وأقوال الصحابة والتابعين، وما استنبطه الإمام من أحكام الفقه المستند إلى العمل أو إلى القياس أو إلى قواعد الشريعة.

- موسوعة شروح الموطأ: د. عبد الله التركي، وتضم الموطأ والتمهيد والقبس والاستذكار.

- فهرسه: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الكتاب الحديث.

- موطأ الإمام مالك واعتناء العلماء به: د. محمد عبد الله حياني، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الملك فيصل؛ وهو وصف علمي للموطأ، وإحصاء لمن خدم الموطأ، ذكر فيه:

(٧٣) شارحًا لأحاديثه.

(٢٠) شارحًا لغريبه.

(٤٢) مرتبٍ لأحاديثه على ترتيب المسند.

(١) مأوِّل لمشكله.

(٢) جامعين لشواهد أحاديثه.

(٤) مفهرسين لأحاديثه على طريقة الأطراف.

(٢١) مختصرًا لأحاديثه أو جامع لها مع أحاديثه خارج الموطأ، صدر عن وزارة الأوقاف، بدولة الكويت[١].

---

(١) المراجع:
- أصول التخريج: د. محمود الطحان.
- الرسالة المستطرفة: محمد جعفر الكتاني.
- مفردات المذهب المالكي في العادات: د. عبد المجيد محمود الصلاحين، دار التراث، ناشرون، الجزائر، وبيروت.
- هل الموطأ كتاب فقه أم كتاب حديث: د.حسن عزوزي، الوعي الإسلامي، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، العدد ٤٥٣.
- مالك، حياته، عصره، آراؤه وفقهه: الشيخ محمد أبو زهرة.

مسند الإمام أحمد بن حنبل

وكان أكبر الكتب التي جمعت فيه - أي في حديث النبي ﷺ - هو المسند، العظيم الشأن والقدر.

«ابن عساكر»

- **الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ):**

أبو عبد الله، أحمد بن محمد حنبل بن هلال الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، إمام المذهب الحنبلي، ولد ببغداد، وكان أبوه والي سرخس، إمام أهل السنة، وأفقه زمانه، نشأ يتيمًا، وطلب العلم لستة عشرة سنة، وهو من أصحاب الشافعي وصفوة تلامذته، سافر في طلب الحديث إلى الكوفة، والمدينة، والبصرة، واليمن، والشام والثغور، والمغرب، والجزائر، والعراقين، وفارس، وخراسان، والجبال والأطراف، وكتب عن علمائها، ويروى أنه كان يحفظ ألف ألف حديث، وتصدى لمجادلة المتكلمين والفلاسفة في عصر الرشيد والمأمون، ودعي إلى القول بخلق القرآن في زمن المعتصم فأبى، فضرب، وكانت مجالسته مجالسة الآخرة، لا يذكر من أمر الدنيا شيئًا[١].

---

(١) انظر ترجمته في مناقب الإمام أحمد: لابن الجوزي، وتاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، وسير أعلام النبلاء: للذهبي. وطبقات الحنابلة: لابن أبي يعلى، وابن حنبل: لمحمد أبو زهرة، والإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومسنده: مجلة البحوث الإسلامية، الأزهر، العدد ٢٥سنة ١٤٠٩هـ.

• **القيمة العلمية للكتاب:**

قال عبد الله بن أحمد: «قلت لأبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِم كرهتَ وضع الكتب وقد عملت المسند. فقال: عملت كتابي هذا إمامًا إذا اختلفَ الناسُ في سنة رسول الله ﷺ رُجع إليه»(١).

سئل الشيخ الإمام أبو الحسين، علي بن محمد اليونيني: «أنت تحفظ الكتب الستة؟ فقال: أحفظها وما أحفظها، فقيل له كيف ذلك؟ قال: أنا أحفظ مسند أحمد، وما يفوت المسند من الكتب الستة إلا قليل»(٢).

وفي المسند أحاديث صحيحة، موجودة في كتب الصحاح والسنن، وفيه أحاديث صحيحة لكنها غير موجودة في الصحاح من كتب الحديث، وفيه أحاديث ضعيفة، وفيه بعض الموضوع، وهو نادر، عدَّ ابن الجوزي منها في كتابه «الموضوعات» أربعة وعشرين حديثًا؛ علمًا بأن الإمام أحمد قال: إنه لم يخرِّج في المسند إلا عمن ثبت صدقه، وصحة ديانته.

وقد علّل بعض العلماء ورود بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة في المسند بعلل منها: تشدده في الحلال والحرام وتساهله في الفضائل،

---

(١) طبقات الحنابلة: لأبي يعلى الفراء (٢/ ١٣).

المسند: كتاب الحديث الذي صنفه مؤلفه على أسماء الصحابة، بمعنى أن يجمع المؤلف أحاديث كل صحابي على حدة، وهذا الترتيب قد يكون على نسق حروف المعجم، وقد يكون على السابقة في الإسلام، أو القبائل أو البلدان أو غير ذلك، وقد ذكر الكتاني في «الرسالة المستطرفة» اثنين وثمانين مسنداً، ثم قال: والمسانيد كثيرة سوى ما ذكرناه، وأشهر هذه المسانيد: مسند أبي داود: سليمان بن داود الطيالسي (ت: ٢٠٤ هـ)، ومسند أسد بن موسى الأموي (ت: ٢١٢ هـ)، ومسند الحميدي: (ت: ٢١٩ هـ)، ومسند أبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧ هـ).

(٢) خصائص المسند: لأبي موسى المديني، (ص: ٢٤).

وتسامحه في رواية الضعيف، وربما دخل بعض الأحاديث الموضوعة من خلال ما كان يتصوره ضعيفًا.

وبتكميل ابنه عبد الله، وتلميذه أبي بكر، محمد بن عبد الله المقدسي القطيفي للمسند، من خلال ما تبقى من مسودات مات قبل تبيضها، فالتبس عليهما بعض الضعيف والموضوع فأدخلاه فيه.

وقد ألف ابن حجر رسالة ردّ فيها أقوال الزاعمين أن في المسند موضوعات أسماها: «القول المسدد في الذّبِّ عن مسند الإمام أحمد». ونفى ابن تيمية في كتابه «التوسل والوسيلة» وجود الموضوع في المسند، إن كان المراد من الموضوع ما في سنده كذاب.

● **المنهج والأسلوب:**

لم يرتب الإمام أحمد مسنده على نسق حروف المعجم، وإنما راعى في ترتيب أسماء الرواة أمورًا كثيرة، منها أفضليتهم، ومنها مواقع بلدانهم التي نزلوا بها، ومنها قبائلهم، فابتدأ بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة، مقدمًا أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليًا، ثم ذكر حديث عبد الرحمن بن أبي بكر، ثم ثلاثة أحاديث لثلاثة من الصحابة، ثم مسانيد آل البيت.

قال الحافظ أبو موسى المديني: إن جملة ما وعاه المسند أربعون ألف حديث، غير ثلاثين أو أربعين.

بلغ عدد المسانيد (٩٠٤) مسانيد، منها مسانيد بلغت مئات الأحاديث، ومنها مسانيد لا تشتمل إلا على حديث واحد. وبلغ عدد النساء في المسند (٩٦) امرأة.

من أبرز المسانيد: مسند بني هاشم، مسند أهل البيت، مسند عائشة،

مسند النساء، مسند ابن مسعود، مسند أنس، مسند أبي هريرة، مسند أبي سعيد الخدري، مسند جابر بن عبد الله، مسند عبد الله بن عمر، مسند عبد الله بن عباس، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، مسند الأنصار، مسند المكيين والمدنيين، مسند الكوفيين، مسند البصريين، مسند الشاميين.

● **كتب ذات صلة:**

- مسائل الإمام أحمد بن حنبل: رواية ابنه عبد الله. قال فيها: «كل شيء أقول: قال أبي، فقد سمعته مرتين وثلاثة، وأقلُّه مرة»[١]، طبع بتحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي سنة ١٩٨١م.

- خصائص المسند: لأبي موسى المديني (ت: ٥٨١هـ)، طبع بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، سنة ١٤١٠هـ.

- المَصْعَد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد: لابن الجزري، محمد ابن محمد الشيرازي الدمشقي (ت: ٨٣٣ هـ)، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية، تحقيق محمد ناصر العجمي.

- الكواكب الدراري في ترتيب المسند على أبواب البخاري: لعلي بن حسين الدمشقي، المعروف بابن زكنون الحنبلي (ت: ٨٣٧هـ) مخطوط.

- أطراف مسند الإمام أحمد: لابن حجر، حققه وعلق عليه: د. زهير الناصر.

- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: لأحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، رتبه بحسب الموضوعات، وشرحه، نشر دار الشهاب، القاهرة.

---

(١) تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (١١ / ١٤).

- فهرس أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل: لمحمد السعيد بن بسيوني زغلول.

- فهارس المسند: إخراج وتنفيذ فريق الأفكار الدولية، اشتمل على ثمانين ألف طرف.

- فهرسه ورقمه: أحمد محمد شاكر.

- رقّم أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٣م.

- قدم له وفهرس لرواته: محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة القرطبي القاهرة.

الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه

لما أَلَّف البخاري صحيحه عرضه على أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث. قال العُقَيلي: «والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة».

«ابن حجر: هدي الساري».

● **الإمام البخاري (١٩٤ - ٢٥٦هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، أعلم أهل الحديث في زمانه، كان غاية في الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا، نشأ يتيمًا فحفظ القرآن الكريم، وتعلم العربية وأجادها، وطلب الحديث في التاسعة من عمره، وهاجر في طلب الحديث إلى مكة المكرمة، وخراسان، والعراق، ومصر، والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته، وهو أول من وضع في الإسلام كتابًا على هذا النحو. قال ابن خزيمة: «ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري». وقال ابن حجر في التقريب: «جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث». من مؤلفاته (الأدب المفرد)، و(التاريخ الكبير)، و(التاريخ الأوسط)، و(التاريخ الصغير)، و(خلق أفعال العباد) وغيرها[١].

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، والأنساب: للسمعاني، ووفيات الأعيان: لابن خلكان، وسير أعلام النبلاء: للذهبي، والبداية والنهاية: لابن كثير، ومقدمة فتح الباري: لابن حجر العسقلاني، وأخبار البخاري: للكلاعي، والمتواري على تراجم =

• **السَّبب الباعث على تأليف الكتاب:**

إن البواعث الدّاعية للبخاري إلى تأليف جامعه كثيرة، ذكرها وأشار إليها، منها: الحاجة إلى إفراد الحديث الصحيح بكتاب مختص به وينفرد دون بقية أنواع الحديث، ومنها: دعوة رجل له وهو عند أستاذه وشيخه إسحاق بن راهويه إلى جمع السنة الصحيحة؛ حيث قال: كنا عند إسحاق بن راهويه، فقال رجل: لو جمعتم كتابًا مختصرًا للسنن، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب. ومنها: رؤيا رأى فيها النبي ﷺ وهو يذب عنه بمروحة في يده، فعبرها له أحد المعبرين بقوله: أنت تذب وتبعد الكذب عن رسول الله ﷺ. هداية الساري (ص: ٥).

• **القيمة العلمية للكتاب:**

قال النووي: «اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح كتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمَّة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلمًا كان يستفيد من البخاري». شرح مسلم (١/١٤).

• **المنهج والأسلوب:**

رتب البخاري صحيحه على سبعة وتسعين كتابًا، هي بدء الوحي، الإيمان، العلم، الوضوء، الغسل، الحيض، التيمم، الصلاة، مواقيت الصلاة، الأذان، الجمعة، صلاة الخوف، العيدين، الوتر، الاستسقاء،

= البخاري: ابن المنير، خطيب الإسكندرية، وكتب عنه كل من جمال الدين القاسمي، وتقي الدين الندوي، والحسيني عبد المجيد هاشم، وعبد الغني عبد الخالق، ود. نزار عبد الكريم الحمداني، وعبد السلام المباركفوري، ود. يوسف الكتاني، ود. وهبة الزحيلي.

الكسوف، سجود القرآن، تقصير الصلاة، التهجد، فضل الصلاة، العمل في الصلاة، السهو، الجنائز، الزكاة، الحج، العمرة، المحصر، جزاء الصيد، فضائل المدينة، الصوم، صلاة التراويح، فضل ليلة القدر، الاعتكاف، البيوع، السلم، الشفعة، الإجارة، الحوالة، الكفالة، الوكالة، المزارعة، الشرب والمساقاة، الاستقراض، الخصومات، اللقطة، المظالم والغصب، الشركة، الرهن، العتق، المكاتبة، الهبة، الشهادات، الصلح، الشروط، والوصايا، الجهاد والسير، فرض الخمس، الجزية والموادعة، بدء الخلق، الأنبياء، المناقب، فضائل الصحابة، مناقب الأنصار، المغازي، تفسير القرآن، فضائل القرآن، النكاح، الطلاق، النفقات، الأطعمة، العقيقة، الذبائح والصيد، الأضاحي، الأشربة، المرضى، الطب، اللباس، الأدب، الاستئذان، الدعوات، الرقاق، القدر، الأيمان والنذور، كفارات الأيمان، الفرائض، الحدود، الديات، استتابة المرتدين، الإكراه، الحيل، التعبير، الفتن، الأحكام، التمني، أخبار الآحاد، الاعتصام بالسنة، التوحيد.

يندرج تحت كل كتاب أبواب، ومجموع أبوابه (٣٤٥٠) بابًا.

التزم البخاري في صحيحه بالصحة، والصحيح عنده: ما كان إسناده متصلاً برسول الله ﷺ لَم يسقط من سلسلة رواته أحد، وأن يكون كل راوٍ صادقًا، عادلاً، غير مختلط، أي ضابطًا لما يسمعه، متحفظًا، سليم الذهن، قليل الوهم، سليم الاعتقاد، قال البخاري: «لم أدرج في هذا الكتاب إلا صحيحًا».

التزم مع روايته للحديث باستنباط الأحكام، فجمع في كتابه بين الحديث والفقه.

وضع بنفسه عناوين صحيحه، فبوبه بطريقة خاصة، تدل على فقهه.

غالبًا ما يفتتح الباب بالآيات القرآنية.

بلغت أحاديث البخاري، وفق ما ذكره ابن حجر في مقدمة فتح الباري (٧٣٩٧) سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثًا بالمكرر، سوى المعلقات والمتابعات، وهي كما أحصاها (١٣٤١) ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون حديثًا، فيكون جملة ما ورد في البخاري (٩٠٧٩) تسعة آلاف وتسعة وسبعون حديثًا.

وبلغت حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (٧٥٩٣) حديثـًا .

تكرار الحديث في البخاري وفوائده:

يذكر البخاري الحديث في كتابه في مواضع، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه، وقَلَّما يورد حديثًا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان عدة.

● **كتب ذات صلة:**

بلغت شروح البخاري أكثر من مائة وثلاثين شرحًا، وذكر في «كشف الظنون» اسم أكثر من ثمانين منها، وهناك شروح كثيرة لصحيح البخاري لم تتم. ومن أشهر شروح البخاري:

- فتح الباري: لابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)[1].
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: لشمس الدين، محمد

---

(١) فتح الباري: هو أهم شروح البخاري وأوفاها، لا يعادله شرح ولا كتاب، ولذا لما قيل للشوكاني: اشرح البخاري، أجاب: لا هجرة بعد الفتح «يعني فتح الباري»، وما ألطف هذا الجواب عند من يفهم الخطاب، فهو أمير تلك الشروح كلها، وقد استغرق تأليفه خمسًا وعشرين عامًا، جمع مؤلفه فيه أقوال أكثر من سبقه وناقشها.

بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني (ت: ٧٨٦ هـ)[١].

- التوضيح: لابن الملقِّن الشافعي (ت: ٨٠٤ هـ)[٢].

- عمدة القاري: لبدر الدين العيني (ت: ٨٥٥ هـ)[٣].

- إرشاد الساري: للقسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ)[٤].

- فيض الباري على صحيح البخاري: للكشميري.

- منحة الباري: للقاضي زكريا الأنصاري، ط. الرشد الرياض.

- عادات الإمام البخاري في صحيحه: عبد الحق الهاشمي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

وللمزيد عن الكتاب ينظر: المدخل إلى صحيح البخاري: د. محمد جميل النورستاني، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

- إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري: محمد عصام عرار الحسيني، إصدار دار اليمامة، بيروت. ضم الكتاب تعريفاً بنحو (٣٧٠) من العلماء الذين اعتنوا بصحيح البخاري.

۞ ۞ ۞

---

(١) قال ابن حجر: هو شرح مفيد على أوهام فيه في النقل، لأنه لم يأخذه إلا من الصحف.

(٢) طبع محققًا في (٣٦) مجلدًا، إصدار وزارة الأوقاف بدولة قطر.

(٣) عمدة القاري: وهو شرح كبير بسط الكلام فيه على الأنساب واللغات والإعراب والمعاني والبيان واستنباط الفوائد من الحديث والأجوبة والأسئلة، وقد اتهم بأنه أخذه من ابن حجر، انظر: (مبتكرات اللآلِيء والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر) للبوصيري.

(٤) إرشاد الساري: وهو في الحقيقة تلخيص لشرحي ابن حجر والعيني.

الجامع الصحيح للإمام مسلم

حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط، لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعض الناس كان يفضّله على صحيح البخاري، وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي، من غير تقطيع ولا رواية بمعنى.

«ابن حجر: تهذيب التهذيب».

- **الإمام مسلم (٢٠٦ - ٢٦١ هـ):**

أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، إمام، حافظ، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور، ورحل في طلب الحديث إلى الحجاز، ومصر، والشام، والعراق، وتتلمذ على البخاري وأحمد بن حنبل وغيرهما. ومن أكبر الدلائل على جلالته، وإمامته، وورعه، وحذقه، وتفوقه في علوم الحديث، واضطلاعه منها، وتفننه فيها، كتابه الصحيح.

وكان الإمام مسلم من المكثرين من التأليف في الحديث وفي مختلف فنونه، رواية ودراية، له مصنفات كثيرة تزيد عن عشرين كتابًا[١].

- **سبب تأليف الكتاب:**

ذكر الإمام مسلم في مقدمته أنه كتب هذا الكتاب جوابًا لمن طلب منه معرفة جملة الأخبار عن الرسول ﷺ في سنن الدين وأحكامه، وبالأسانيد

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٥٧٠/١٢).
والإمام مسلم بن الحجاج، محدث الإسلام الكبير: مشهور حسن.

التي بها نقلت، وتداولها أهل العلم فيما بينهم، فجمع هذه الأحاديث في خمس عشرة سنة.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال مسلم: «عرضتُ كتابي هذا المسند على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته، وكل ما قال: إنه صحيح وليس له علة أخرجته»(١).

وقال الحسين بن علي النيسابوري: «ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث»(٢).

وقال ابن الصلاح: «صحيح مسلم أسهل تناولًا، من حيث إنه جعل لكل حديث موضعًا واحدًا يليق به، يورده بجميع ما يريد ذكره من أسانيده وألفاظه المختلفة فيسهل على الناظر النظر في وجوهه».

وقال القنوجي: «وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به، وأكبوا عليه، وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح، مما لم يكن على شرطه».

وقد تميز صحيح مسلم: بالترتيب الدقيق، والسياق الحسن، والتحري في الرواية، وتلخيص الطرق واختصارها.

---

(١) شرح مسلم (١/١٥).

(٢) أوّل العلماء كلامه ليوافق قولهم: (إن أصحّ الكتب بعد كتاب الله كتاب البخاري)، بأن مسلمًا جرّد الحديث الصحيح وسرده بأصوله وشواهده دون زيادة عليه ولا تبويب، ولا ذكر لأقوال الفقهاء، فليس فيه إلا الحديث صرفًا مسوقًا بطريقة حسنة بديعة في مظان مواضعه وما يتبادر منها، فمن هذه الحيثيات يفضل مسلم على البخاري، أما من حيث ما يرجع إلى الصحة والاستنباط ودقة التراجم وذكر أقوال الصحابة ومقطوعات التابعين وآراء الفقهاء فلا شك أن البخاري مقدم على غيره.

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ الكتاب بخطبة ذكر فيها كيفية ضبطه واختلاف ألفاظ الرواة، وفي طريقة كتابته للأحاديث، وتقسيمها، وفي رواية الصحيح وشروطه فيه، وفي موقفه من الآحاد والمراسيل، وبين فيه حرمة الكذب على النبي ﷺ والحث على التثبت في الرواية.

التزم بتقديم الأحاديث الصحيحة، وهي التي يكون ناقلوها من أهل استقامة في الحديث، وإتقان لما نقلوا، ولا يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش.

لم يتعرض إلى استنباط المسائل الفقهية، كما فعل الإمام البخاري.

قسم الأحاديث إلى ثلاثة أقسام؛ الأول: ما رواه الحفَّاظ المتقنون .

الثاني: ما رواه المستورون المتوسطون في الحفظ والإتقان.

الثالث: ما رواه الضعفاء المتروكون، وقد أهمله.

بلغ عدد ما جاء في صحيح مسلم أربعة آلاف حديث غير مكرر.

وبلغ عدد أحاديثه بالمكرر نحو (٧٢٧٥) حديثًا.

● **كتب ذات صلة:**

- المفهم شرح غريب مسلم: لعبد الغافر الفارسي (ت: ٥٢٩ هـ).
- المُعلم بفوائد مسلم: للمازَري (ت: ٥٣٦ هـ)[١].
- إكمال المعلم: للقاضي عياض (ت: ٥٤٤ هـ) .
- إكمال إكمال المعلم: الوشتاني المالكي (ت: ٨٢٧هـ)[٢].

---

(١) قال القنوجي: «. . .اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه».

(٢) ذكر فيه أنه ضمنه كتب شراحه الأربعة: المازري، وعياض، والقرطبي، والنووي، مع زيادات مكملة.

- المنهاج شرح مسلم بن الحجاج: للنووي (ت: ٦٧٦هـ)(١).
- شرح زوائد مسلم على البخاري: لابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ).
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: للسيوطي (ت: ٩١١هـ).
- الابتهاج بشرح مسلم بن الحجاج: للقسطلاني (ت: ٩٢٣هـ).
- السِّراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج: للقنوجي (ت: ١٣٠٧هـ).
- فتح الملهم بشرح صحيح مسلم: لمحمد شبير (ت: ١٣٦٩هـ).
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم: د.موسى شاهين لاشين.
- حقق الكتاب ورقمه وفهرسه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي.
- الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه: د. محمد عبد الرحمن الطوالبة.
- المدخل إلى صحيح الإمام مسلم: د. محمد جميل النورستاني، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت.
- المستدرك على الصَّحيحين: للحاكم (ت: ٤٠٥هـ)(٢).

۞ ۞ ۞

(١) استوفى فيه ما كان في شرح المازري وعياض وزاد عليهما.

(٢) الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الضبي، كان من أهل الدين والورع، والأمانة والضبط، ومن أكابر حفاظ الحديث، بنى كتابه على الأبواب، متبعًا الترتيب الذي اتبعه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأودعه ثلاثة أقسام من الحديث؛ الأول: ما هو على شرط الشيخين أو شرط أحدهما، ولكن لَمْ يخرجاه في كتابهما، ونبه على هذا القسم بقوله: على شرط الشيخين، أو على شرط البخاري، أو على شرط مسلم. الثاني: ما أدى اجتهاده إلى تصحيحه، وإن لم يكن على شرط واحدٍ منهما، وعلق عليه بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد. الثالث: أحاديث لَمْ تصح عنده، ونبه عليها، وبلغ عدد الأحاديث الواردة في الكتاب سبعة آلاف وخمسمائة حديث تقريبًا، وكثير من المحدثين على أن ما انفرد به الحاكم بتصحيحه في المستدرك عن أئمة الحديث يبحث عنه، ويحكم عليه بما يليق بحاله من الصحيح أو الحسن أو الضعيف.

سنن ابن ماجه

لم يخالف أحد من العلماء في كون الكتب الخمسة «البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي والنسائي» هي دواوين الإسلام المشهورة، واختلف العلماء في سادس هذه الكتب، فذهب بعضهم إلى عدّ سنن ابن ماجه سادس الكتب الستة، وذهب بعضهم إلى عدّ الموطأ للإمام مالك سادس الكتب الستة[١].

● **ابن ماجه (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني: ارتحل في طلب الحديث إلى الري، والبصرة، والكوفة، وبغداد، والشام، ومصر، والحجاز، وأخذ الحديث عن كثير من شيوخ الأمصار، وروى عنه خلق كثير. له مصنفات في الحديث والتفسير والتاريخ. قال الذهبي: «كان حافظًا صدوقًا، واسع العلم، وإنما غضَّ من رتبة سننه ما في الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات». وقال ابن خلكان: «الحافظ المشهور... كان إمامًا في الحديث، عارفًا بعلومه وجميع ما يتعلق به». وقال ابن كثير: «محمد بن يزيد بن ماجه، صاحب السنن المشهورة، وهي دالة على علمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة في الأصول والفروع[٢]».

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال د.صبحي الصالح: «ومن كان يعنيه حسن التبويب في الفقه فابن

---

(١) كتب السنة ورجالها: د. محمد الشطي، ود. عبد الله محمد حسن، المكتبة العامرية الكويت.

(٢) انظر ترجمته في (تاريخ دمشق) لابن عساكر، و(المنتظم) لابن الجوزي، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، و(البداية والنهاية) لابن كثير.

وماجه تنطق بهاء ساكنة وصلًا ووقفًا، لأنه اسم أعجمي، وهو لقب أبيه، وقيل: اسم لأمه.

ماجه يلبي رغبته».

والأحاديث التي في سنن ابن ماجه فيها الصحيح والحسن، وفيها المنكر والموضوع، ولكن على ندرة.

قال ابن كثير عن أحاديث ابن ماجه: «كلها جياد سوى اليسيرة».

وقال السندي: «والمشهور أن ما انفرد به يكون ضعيفًا، وليس بكلي، لكن الغالب كذلك»[١].

● **المنهج والأسلوب**:

اشتمل الكتاب على اثنين وثلاثين كتابًا مرتبه ترتيب أبواب الفقه، يندرج تحت كل كتاب أبواب، فكان عدد أبوابه ألفا وخمسمائة باب.

بلغ عدد أحاديثه حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (٤٣٤١) حديثًا.

يوجد في سنن ابن ماجه (٣٠٠٢) ثلاثة آلاف وحديثان، خرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم.

● **كتب ذات صلة**:

- ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه: محمد عبد الرشيد النعماني.

- الإمام ابن ماجه وكتابه السنن: للشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

- المدخل إلى سنن ابن ماجه: تأليف نور الدين بن عبد السلام مسعي، تكلم فيه عن حياة ابن ماجه، ومكانته العلمية، وعرف بالسنن ومنهج ابن ماجه فيها وعناية العلماء بها. إصدار وزارة الأوقاف بدولة الكويت.

---

(١) شرح السندي على ابن ماجه (٥/١).

سنن أبي داود

هذا كتاب عظيم من كتب السنةِ المطهرةِ، وأصل أصيل من دواوينها، ومعدنٌ من معادن أحاديث الأحكام وركازها، وجامعٌ كبير من مصادرها الأولى زمنًا ورتبة. «الشيخ محمد عوامة»

● **أبو داود السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ):**

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، إمام أهل الحديث في زمانه، رحل في طلب الحديث، وكتب عن أهل العراق، والشام، ومصر، وخراسان، وأخذ الحديث من مشايخ البخاري ومسلم، كأحمد بن حنبل وغيره من أئمة الحديث، وأثنى عليه العلماء، ووصفوه بالحفظ التام، والعلم الوافر، والفهم الثاقب.

قال الهروي: «كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله وسنده، في أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع، ومن فرسان الحديث»[(١)].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب أحد الكتب الستة الصحاح، وهي البخاري، ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه، وأبو داود، وقد اشتهر بين الفقهاء اشتهارًا عظيمًا لجمعه أحاديث الأحكام.

---

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبي (٢١١/١٣٠).
وانظر ترجمته في المنتظم: لابن الجوزي (٩٨/٥)، ووفيات الأعيان: لابن خلكان (٤٠٤/٢)، والبداية والنهاية: لابن كثير (٥٤/١١)، وطبقات الحفاظ: للسيوطي (ص: ٢٦١).

قال الشيخ محمد أبو زهو: «كان علماء الحديث قبل أبي داود قد صنفوا الجوامع والمسانيد ونحوها، فتجمع كتبهم إلى السنن والأحكام أخبارًا وقصصًا وآدابًا ومواعظ، فأما السنن المحضة فلم يقصد أحد منهم إفرادها واستخلاصها، حتى جاء أبو داود، فعمل على جمع أحاديث الأحكام والاقتصار عليها فاتفق له ما لم يتفق لغيره، وقد عرضها على أحمد بن حنبل فاستجادها واستحسنها»[١].

وقال د. صبحي الصالح: «ومن قصد إلى حصر أحاديث الأحكام، فبغيته لدى أبي داود، وله ملاحظات قيمة على الرواة والأحاديث».

● **المنهج والأسلوب:**

تتكون سنن أبي داود من أربعين كتابًا جامعًا لأبواب الفقه، وللأحاديث التي استدل بها الفقهاء، ويندرج تحت كل كتاب عدة أبواب.

بلغ عدد أحاديث سنن أبي داود (٥٢٣٢) حديثًا، حسب تحقيق الشيخ محمد عوامة.

ترجم لكل حديث بما استنبط من عالم، أو ذهب إليه ذاهب.

يتكلم في آخر الأحاديث على الرواة جرحًا وتعديلاً.

قال ابن الصلاح عن درجة أحاديثه: «ما وجدناه في كتابه مذكورًا مطلقًا، وليس في واحد من الصحيحين، ولا نَصَّ على صحته أحد ممن يميز بين الصحيح والحسن، عرفناه بأنه من الحسن عند أبي داود، وقد يكون من ذلك ما ليس بحسن عنده»[٢].

---

(١) الحديث والمحدثون: محمد محمد أبو زهو، (ص: ٣١٠)، طبعة مصر ١٩٥٨م.

(٢) علوم الحديث: ابن الصلاح، (ص: ٣٧)، ط. دار الفكر.

وجاء في رسالة أبي داود إلى أهل مكة، عندما أرسلوا إليه يسألونه عن الأحاديث التي في هذا الكتاب قوله: «وما كان في كتابي من حديث فيه وهن فقد بينته، ومنه ما لا يصح سنده، وما لم أذكر فيه شيئًا فهو صالح، وبعضها أصح من بعض، وهو كتاب لا تَـرِد عليك سنة عن النبي ﷺ إلا وهي فيه، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب، ولا يضر رجلًا ألا يكتب من العلم شيئًا بعدما يكتب هذا الكتاب».

● **كتب ذات صلة:**

شرح هذا الكتاب كثير من العلماء، واختصره بعضهم، وهذبه بعضهم، ومن ذلك:

- شرح معالم السنن: لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٢٨ هـ)، قال فيه: «اعلموا رحمكم الله تعالى، أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف، لم يُصنف في علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من كافة الناس، فصار حَكَمًا بين فرق العلماء، وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فالكل منه ورد ومنه شرب».
- شرح قطب الدين أبو بكر اليمني الشافعي (ت: ٦٥٢ هـ).
- شرح شهاب الدين الرملي (ت: ٨٤٨ هـ).
- شرح عون المعبود: لمحمد شمس الحق العظيم آبادي.
- بذل المجهود شرح سنن أبي داود: لخليل أحمد السَّهارَنفُوري.
- حققه وفهرسه ورقمه: الشيخ محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ٢٠٠٤ هـ.

۞ ۞ ۞

الجـامع للترمذي

صنفتُ هذا الكتاب، وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان، فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم.
«الترمذي»

- **أبوعيسى الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ):**

محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، أحد العلماء الحفاظ الأعلام، وله في الفقه يد صالحة، كان يضرب به المثل في الحفظ، قام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز، وأخذ الحديث عن جماعة من أئمة الحديث، منهم البخاري، ولقي الصدر الأول من المشايخ.

قال المزي: «أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، ومن نفع الله به المسلمين». وقال الذهبي: «الحافظ، العالم، صاحب الجامع، ثقة، مجمع عليه، ولا التفات إلى قول محمد بن حزم فيه: إنه مجهول، فإنه ما عرف ولا درى بوجود الجامع ولا العلل فيه»(١).

- **القيمة العلمية للكتاب:**

قال الهروي: «كتابه عندي أنفع من كتابي البخاري ومسلم، لأن كتابي البخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر العالم، وكتاب أبي عيسى يصل إلى فائدته كل أحد من الناس»(٢).

---

(١) انظر ترجمته في (التهذيب) للحافظ المزي، و(الميزان) للذهبي، و(البداية والنهاية) لابن كثير، والإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين: د. نور الدين عتر.
(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٣/ ٢٧٧).

قال ابن الصلاح: «كتاب أبي عيسى الترمذي أصل في معرفة الحديث الحسن، وهو الذي نوه باسمه وأكثر من ذكره في جامعه»(١).

وقال الحافظ أبو الفضل المقدسي: «وأما أبو عيسى الترمذي فكتابه على أربعة أقسام: قسم صحيح مقطوع به، وهو ما وافق به البخاري ومسلم، وقسم على شرط الثلاثة، دونهما، يريد أبا داود والنسائي وابن ماجه، وقسم أبان على علته ولم يغفله، وقسم أبان عنه، وقال: ما أخرجت في كتابي إلا حديثًا قد عمل به الفقهاء».

ومن مزايا الجامع الخاتمة النفيسة التي ضمنها من فنون الحديث وعلله دُررًا، وبيّن فيها منهجه، وذكر أسانيده في نقل مذاهب الفقهاء، وفسّر بعض المصطلحات التي أكثر منها في كتابه. ومن مزاياه أنه كتاب تربوي عني فيه بالمواعظ والآداب والتفسير والمناقب. ومن مزاياه أنه حافل بالفقه، ومرجع موثق، نقل لنا مذاهب الصحابة رضوان الله عليهم، ومذاهب أئمة لم تدوّن آراؤهم، ولم تنتشر أقوالهم فيما أتى بعد من الزمان، كالأوزاعي والثوري وابن المبارك.

- **المـآخذ:**

قال الحافظ الذهبي: «انحطَّت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي؛ لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وأمثالهما»(٢).

(١) علوم الحديث: ابن الصلاح، (ص: ٣٦)، ط. دار الفكر.

(٢) المصلوب: محمد بن سعيد بن حسان، من أهل دمشق قتله أبو جعفر المنصور في الزندقة مصلوبًا سنة خمسين ومائة.

والكلبيُّ: محمد بن السايب، أبو النضر الكلبي الكوفي الأخباري العلامة صاحب التفسير، روى عن الشّعبي وأبي صالح باذام وأصبغ بن نباتة وطايفة، وقد اتهم =

● **المنهج والأسلوب:**

- جعل مبنى كتابه على أبواب الفقه، فأودع كل موضوع في كتاب، وجملة سنن الترمذي (١٥١) كتابًا، وعدد أحاديثه (٣٩٥٥) حديثًا.

- لم يقتصر في موضوعاته على أحاديث الأحكام، شأن كتب السنن، وإنما أورد فيه الأحاديث المتعلقة بالآداب والتفسير والمناقب.

- طريقته: يورد الحديث، ثم ما يناسبه من أحاديث أخرى، ثم يبسط آراء الفقهاء في ذلك، ويعتني بالفقه، واستنباط الأحكام.

● **كتب ذات صلة:**

كانت عناية العلماء به كبيرة، وقد وضعوا حوله شروحًا من أشهرها:

عارضة الأحوذي: للقاضي أبي بكر ابن العربي، وفي أوله فصل في التعريف بالكتاب، وشرح ابن سيد الناس (ت: ٧٣٤ هـ)، ولم يتمه. والنفح الشذي في شرح الترمذي: تكملة الحافظ العراقي لشرح ابن سيد الناس. والعرف الشذي: للبلقيني (ت: ٨٠٥ هـ) ولم يتمه. وشرح علل الترمذي: لابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥ هـ)، وقوت المغتذي على جامع الترمذي: السيوطي، وتحفة الأحوذي: للمباركفوري، وحاشية السندي.

= بالأخوين الكذب والرفض، وهو آية في التفسير، واسع العلم على ضعفه ت: ١٤٦هـ. (الوافي للصفدي).

السنن الكبرى للنسائي

النَّسائي أحفظ من مسلم صاحب الصحيح، وإن سننه أقل السنن بعد الصحيحين حديثًا ضعيفًا، بل قال بعض الشيوخ: إنه أشرف المصنفات كلها، وما وضع في الإسلام مثله.

«التاج السبكي»

- **النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ):**

أبو عبد الرحمن، أحمد بن علي النّسائي، القاضي، الحافظ، شيخ الإسلام، الإمام في عصره، والمقدم على أضرابه وأشكاله، وفضلاء دهره، وقد ولي الحكم بمدينة حمص، كان كثير العبادة، مواظبًا على الحج والجهاد، رحل إلى مصر وأقام بها طويلًا، وانتشرت بها تصانيفه، وأخذ عنه الناس، ثم خرج إلى دمشق، فسئل عن معاوية، وما روي في فضله، ففضَّل عليًا، فما زالوا به حتى قتلوه ضربًا، فقال: احملوني إلى مكة، فحمل إليها، قيل: إنه مات بالرملة في فلسطين، ودفن ببيت المقدس، وقيل: خرج حاجًا فمات بمكة، له مصنفات منها (خصائص علي)، و(مسند علي)، و(مسند مالك) وغير ذلك[١].

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد كتاب «السنن الكبرى» للنسائي من أوثق كتب الحديث.

قال النسائي: «كتاب السُّنن كلُّه صحيح، وبعضه معلول، والمنتخب

(١) النّسائي: نسبة إلى (نَسا) بلدة مشهورة بآخر خراسان، يقال: إن بها اثني عشر ألف عين ماء تخرج من أصل الجبل. وانظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) للذهبي، و(طبقات الشافعية) للسبكي، و(البداية والنهاية) لابن كثير، و(الوافي بالوفيات) للصفدي.

المسمى بـالمجتبى صحيح كله».

وقال العلماء: إنَّ أحاديث الكتاب تشتمل على ثلاثة أقسام من الأحـاديث؛ الأول: ما أخرجه الشيخان أو أحدهما. الثاني: ما كان صحيحًا على شرط النسائي. الثالث: أحاديث ضعيفة أوردها لبيان العلل فيها.

● **المنهج والأسلوب:**

جعل المؤلف كتابه مبنيًا على أبواب الفقه، وبلغ عدد كتبه (٥٣) كتابًا، وينقسم كل كتاب إلى أبواب، وبلغ عدد أبوابه (٢٥٧٢) بابًا، وبلغ عدد أحاديثه (٥٧٥٨) حديثًا، وذلك حسب ترتيب الشيخ عبد الفتاح أبوغدة، ويحرص النسائي على استنباط القضايا الفقهية من الأحاديث مع بيان عللها.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

- المجتبى: ألَّف النسائي كتاب «السنن الكبرى» أولًا، وكان مشتملًا على الأحاديث الصحيحة والمعلولة، وأهداه إلى أمير الرملة، فقال له الأمير: أكلُّ ما في هذا صحيح؟ قال: لا. فقال الأمير: فجرّد الصحيح منه، فاختصره في كتاب السُّنن الصغرى[١].

وقيل: إن المجتبى من اختصار تليمذه ابن السني، وانظر كتاب «الإمام النسائي وكتابه المجتبى» للدكتور عمر إيمان أبوبكر، مكتبة المعارف.

- زهر الرُّبى على المجتبى: للسيوطي، وهو بمثابة تعليق حل فيه بعض ألفاظه، ولم يتعرض بشيء للأسانيد.

- شرحه السّنديّ: نور الدين، محمد بن عبد الهادي (ت: ١١٣٨هـ).

- شرحه علي بن عبد الله الأنصاري الأندلسي (ت: ٥٦٧هـ).

---

(١) تدريب الراوي: للسيوطي (١/١٠٩).

قال الذهبي في العبر: وصنف - الأنصاري - كتابًا كبيرًا في شرح سنن النسائي، بلغ الغاية، وكان خاتمة العلماء بشرق الأندلس.

- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: لمحمد بن علي بن آدم الأثيوبي الولوي، المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة، وهو شرح مبسوط من الشروح الحديثة، نقل الأقوال وجمعها ورتبها ورجّحها، ويظهر فيه الاهتمام بتراجم الرِّجال، والعناية بالمسائل اللغوية والنحوية.

- منهج الإمام النسائي في الجرح والتعديل وجمع أقواله في الرجال: د. قاسم علي سعيد، دار البحوث، الإمارات العربية المتحدة.

- المدخل إلى سنن الإمام النسائي: د. محمد النورستاني، تكلم فيه عن حياة الإمام النسائي، وشيوخه، وتلامذته، ومؤلفاته، ومكانته العلمية، وثناء العلماء عليه، وأقسام الكتاب، وتبويبه، وعدد أحاديثه، وعرف بالسنن ومنهجه فيها، وهو من إصدار وزارة الأوقاف بدولة الكويت.

المعجم الكبير للطبراني

والمعجم الكبير بحر زاخر، وديوان عظيم، ترجم فيه الحافظ الطبراني للصحابة تراجم وجيزة .

«حمدي عبد المجيد»

● **الطَّبرانيّ (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ):**

أبو القاسم، سليمان بن أحمد الشامي اللخمي، الإمام الحافظ الحجة، ولد في مدينة (عكا) ورحل إلى الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وفارس، والجزيرة، وسمع الحديث، وحدّث عن ألف شيخ أو أكثر، له عدة مصنفات في التفسير، ودلائل النبوة، وغير ذلك، وله ثلاثة معاجم، هي: الكبير، والأوسط، ألفه في أسماء شيوخه، والصغير، خرَّج فيه عن ألف شيخ، ويقتصر فيه غالبًا على حديث واحد عن كل واحد من شيوخه[1].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال ابن دحية عن (المعجم الكبير): «هو أكبر معاجم الدنيا، ولذلك فإنَّ

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/١٢٠)، والبداية والنهاية: لابن كثير.
والمعجم: هو ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة، أو الشيوخ، أو البلدان، أو غير ذلك، والغالب أن يكون مرتبًا على حروف الهجاء، وأشهر المعاجم: معجم الصحابة: لأحمد بن علي بن بلال الهمداني، ومعجم ابن أبي القاسم ابن عساكر، وله معجم البلدان، ومعجم النسوان، ومعجم مشيخة أصبهان: لأبي طاهر، أحمد بن محمد، وله معجم مشيخة بغداد.

المحدثين إذا أطلقوا في كلامهم (المعجم) فهو المراد، وإذا أريد غيره قُيِّد».

وقد كثرت نقول أهل العلم عن هذا الكتاب.

وتنقسم أحاديث المعجم إلى قسمين، القسم الأول: مروي في الكتب الستة. والقسم الثاني: لم يرو فيها.

● **المنهج والأسلوب**:

جعل مبنى الكتاب على مرويات الصحابة، فجمعها في مسانيدهم.

رتب أسماء الصحابة الذين روى عنهم على الحروف الأبجدية، ما عدا مسند أبي هريرة، فإنه أفرده في مصنف.

لم يَسُق فيه من مسند المكثرين، إلا ابن عباس، وابن عمر.

بدأ بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة، وقدم الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم.

بدأ بأصحاب الأسماء، ثم بأصحاب الكنى.

بلغ عدد الصحابة الذين أوردهم وترجمهم ١٦٠٠ صحابي.

تكلم على الرواة جرحًا وتعديلًا.

جعل للنساء قسمًا مستقلًا.

أورد في الكتاب ستين ألف حديث، حسب ما ذكره الكتاني.

وبلغ عدد أحاديث المعجم -حسب ما ذكره الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي- (٢٢٠٢١) حديث[١].

۞ ۞ ۞

---

(١) المعجم الكبير: طبع بتحقيق حمدي عبد المجيد (٢٥) مجلدًا، نشر وزارة الأوقاف العراقية. وحققه أيضًا: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين القاهرة.

السنن الكبرى للبيهقي

ووقع الكتاب. . . إلى الشيخ أبي محمد، عبد الله بن يوسف الجويني، والد إمام الحرمين رضي الله عنه، بعدما أنفق على تحصيله شيئًا كثيرًا، فارتضاه وشكر سعيي فيه، فالحمد الله على هذه النعمة، حمدًا يوازيها، وعلى سائر نعمته حمدًا يكافيها.

«البيهقي»

● **البيهقيّ (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ):**

أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي، فقيه شافعي، وحافظ كبير، وأصولي، غلب عليه الاشتغال بالحديث، وعرف به، ورحل في طلبه، وكان أوحد زمانه في الإتقان والحفظ والفقه والتصنيف، كان زاهدًا متقللًا من الدنيا، كثير العبادات والورع، وكان مكثرًا من التصنيف حتى قيل: تبلغ تصانيفه ألف جزء. من تصانيفه: السنن الصغرى، والخلاف، ومناقب الشافعي، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة. وهو أول من جمع نصوص الشافعي، جمعها في عشرة مجلدات، وكان من أكثر الناس نصرة لمذهب الشافعي، قال إمام الحرمين: «ما من شافعي المذهب إلا وللبيهقي عليه مِنَّة»[(١)].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدّ هذا الكتاب من أهم كتب المؤلف التي تشهد ببراعة البيهقي، وعظيم قدره عند العلماء.

---

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٦٠/١٨)، وطبقات الشافعية: للسبكي (٨/٤)، ووفيات الأعيان: ابن خلكان (٨٥/١).

قال السبكي: «ما صُنف في علم الحديث مثله تهذيبًا وترتيبًا وجودة».

وقد تميَّز هذا الكتاب بميزات، منها: أنه اشتمل على أحاديث كثيرة لا توجد في غيره من كتب الحديث المعروفة. ومنها: أن كثيرًا من الأحاديث الموجودة في غيره توجد فيه بزيادات مهمة. ومنها: أنه اشتمل على كثير من الآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم التي لا توجد في غيره. ومنها: أنه يوجد فيه كثير من كلام الأئمة في الأحاديث والرجال من تصحيح أوترجيح أو تضعيف لا يوجد في غيره.

- **المنهج والأسلوب:**

- رتب المؤلف كتابه على ترتيب كتب الفقه، كغيره من كتب السنن.

- بالنسبة للأحاديث التي يتبادر إلى الذهن أنها خارجة عن أبواب الفقه حاول المؤلف إيجاد مناسبات لربطها بأبواب الفقه، فأدرج مثلًا أحاديث البر والصلة في أبواب الحضانة، وأدرج أحاديث الاستئذان في كتاب الحدود، وأدرج كثيرًا من أحاديث الفضائل في كتاب قسم الفيء، وأدرج أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب أدب القاضي.

- يترجم مسائل كثيرة من مسائل الفقه، ثم يورد ما جاء فيها من الآيات والأحاديث.

- حاول الربط بين الكتب والأبواب، وأبرز المناسبة بينها.

- مع التزامه بمذهب الشافعي، فإنه قد يرجح خلاف مذهبه.

- **درجة أحاديث البيهقي:**

ذكر د. صبحي الصالح أن (سنن البيهقي) في الطبقة الثالثة من كتب الحديث، وقال عن هذه الطبقة: يكثر فيها أنواع الضعيف، من شاذ،

ومنكر، ومضطرب، مع استتار حال رجالها، وعدم تداول ما شذت به أو انفردت[١].

● **كتب ذات صلة :**

- المدخل إلى السنن الكبرى: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
- فهرس أحاديث السنن الكبرى: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- الصناعة الحديثية في السنن الكبرى: د. نجم عبد الرحمن خلف.

۞ ۞ ۞

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح.
وكشف اللثام عن أحاديث سيد الأنام: د. عبد الموجود محمد.

الموضوعات لابن الجوزي

كتاب ابن الجوزي في الموضوعات، يعتبر أشهر كتب الموضوعات، إن لم يكن أشهرها على الإطلاق، وهو بحسب ما وقفتُ عليه أول مصنف بهذا الترتيب، وكل من أَلّف على هذا المنهج إنما حذا حذوَه، ونهج سبيله، وجعل كتابه أصلاً، وسائرُ الكتب المؤلفة بعده على منهجه، هي إما اختصار، وإما ذيل.

«الشيخ عمر فلاته»

- **ابن الجوزيّ (٥٠٩ - ٥٩٧هـ).**

هو العلامة جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، من أكثر العلماء تأليفًا، بلغت مؤلفاته نحوًا من ثلاث مئة مصنف، وكان رأسًا في التذكير والوعظ، وكان زاهدًا في الدُّنيا، متقللًا منها، وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس، وما مازح أحدًا قط، ولا لعب مع صبيٍّ، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها(١).

- **كتب الموضوعات:**

الحديث الموضوع: هو الذي طُعِنَ راويه بالكذب فيه والاختراع له.

وقد أَلَّف علماء الحديث كتبًا جمعوا فيها الأحاديث الموضوعة ليحذرها الناس. ومن أشهر هذه الكتب:

تذكرة الموضوعات: الحافظ محمد بن طاهر المقدسي (ت: ٥٠٧ هـ)

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٣٦٦/٢١)، ووفيات الأعيان: لابن خلكان (١٤٠/٣).

رتَّبه على حروف المعجم.

الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: للحسين بن إبراهيم الجوزقاني (ت: ٥٤٣ هـ).

اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة: للزركشي، محمد بن بهادر المصري (ت: ٧٩٤ هـ).

تذكرة الموضوعات: لجمال الدين، محمد طاهر الصديقي الهندي (ت: ٩٨٦ هـ).

المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: علي بن محمد سلطان الهروي، نزيل مكة، المعروف بالقاري (ت: ١٠١٤هـ).

الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة: لمرعي بن يوسف الكرمي (ت: ١٠٣٣ هـ).

الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي: لمحمد بن محمد الطرابلسي (ت: ١١٧٧هـ)، جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهية والموضوعة، ورتبه على حروف المعجم.

النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية: لمحمد الأمير الكبير المالكي (ت: ١٢٢٨ هـ).

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: للشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٥هـ)، أدرج فيه كثيرًا من الأحاديث التي لم تبلغ درجة الوضع.

الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: لأبي الحسنات، محمد عبد الحي اللكنوي (ت: ١٣٠٤هـ).

اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع: لمحمد خليل القاوقجي (ت: ١٣٠٥هـ).

تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين: محمد البشير (ت: ١٣٢٥هـ).

كما ألف العلماء كتبًا خاصةً في تراجم الضعفاء والمجروحين، وترجموا فيها للوضَّاعين والكذَّابين، وذكروا في تراجمهم الأحاديث الموضوعة التي نُقِلَتْ عنهم، وذلك مثل كتاب الضعفاء للبخاري، والضعفاء للنسائي، والضعفاء للعُقيلي، والضعفاء والمتروكين لابن حبان، والضعفاء للأزدي، والكامل في الضعفاء لابن عدي، والضعفاء لابن الجوزي، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، ولسان الميزان لابن حجر، والكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث للحافظ برهان الدين الحلبي، وهذا الكتاب خاص بالوضَّاعين فحسب[(١)].

- **سبب تأليف الكتاب:**

صرح المؤلف بأنه ألف هذا الكتاب جوابًا عن سؤال من أحد طلبة العلم عن الأحاديث الموضوعة، وطريق العلم إلى أنها موضوعة.

---

(١) وقد ذكر العلماء أن لظهور الوضع أسبابًا كثيرة منها: ظهور بعض الفرق الإسلامية المختلفة، حيث كان كل فريق يضع من الأحاديث ما يكون له تُكَأَةً. والزندقة: التي أراد أصحابها إيقاع الناس في الضلالة وإفساد الدين. والتعصب المذهبي: فقد كان بعضهم يضع الأحاديث ليرفع بها إمامه ويحط من سواه. وحمل الناس على الفضائل: فقد رأى بعضهم إعراض الناس عن القرآن فأرادوا حملهم على قراءته فوضعوا أحاديث في فضائل السور. وتملق الملوك والتقرب إلى ذوي النفوذ: كما فعل غياث بن إبراهيم النخعي عند المهدي. وطلب العطاء: فقد كان بعض القصاصين يضع الأحاديث الغريبة، ويلقيها بين الجموع استدرارًا لعطفهم، وطلبًا لمالهم. والخصومات السياسية: حيث عمل كل فريق منهم على أن يؤيد أحقيته بالحكم بوضع الأحاديث. والصراع بين القبائل العربية والتنافر بين العرب والعجم، وبخاصة أيام الحركة الشعوبية.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

هذا الكتاب هو أوسع الكتب المؤلفة في بابه، وأيسرها منالًا لسهولة تبويبه.

● **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب.

أما المقدمة: فهي مكونة من أحد عشر فصلًا.

الفصل الأول: عن مكانة الأمّة الإسلامية.

الفصل الثاني: عن خصائص الأمّة الإسلامية.

الفصل الثالث: إدراك المسلمين لمكانة السنة النبوية.

الفصل الرابع: لخص فيه تقسيم الحاكم الحديث إلى ستة أقسام .

الفصل الخامس: تعريف الحاكم للحديث الضعيف.

الفصل السادس: أقسام الرواة الذين وقع الكذب في حديثهم.

الفصل السابع: ذكر فيه أشهر الوضّاعين والكذّابين.

الفصل الثامن: ذكر فيه جهد العلماء في مقاومة الوضَّاعين والكذَّابين.

الفصل التاسع: ذكر فيه الوضَّاعين الذين تابوا واعترفوا بكذبهم.

الفصل العاشر: ذكر فيه ضرورة كشف الكذَّابين.

الفصل الحادي عشر: أفرده لبيان منهجه الذي سار عليه في كتابه.

الباب الأول: تحدث فيه عن ذم الكذابين.

الباب الثاني: في بيان سبب ورود حديث من كذب عليّ متعمدًا.

الباب الثالث: تكلم فيه عن الأمر بانتقاد الرجال.

الباب الرابع: جعله لموضوع الكتاب، فأورد فيه الأحاديث التي حكم

عليها بالوضع والكذب، وهو مكون من خمسين كتابًا.

رتب الكتاب على حسب ترتيب الجوامع، أي على أبواب الفقه.

● **المآخذ:**

أخذ كثير من العلماء على ابن الجوزي أنه أدخل في كتابه هذا الضعيف والحسن والصحيح، قال الذهبي: «ربما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديثَ حِسانًا قوية»، وقال ابن الصّلاح: «إن ابن الجوزي مُعتَرضٌ عليه بأنه أورد أحاديث كثيرة، وحكم بوضعها وليست بموضوعة، بل هي ضعيفة فقط، وربما تكون حسنة أو صحيحة».

وقال ابن حجر: «غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع، والذي ينتقد عليه بالنسبة إلى ما لا ينتقد قليل جدًّا، ثم ذكر أربعة وعشرين حديثًا موجودًا في المسند ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات».

وقال الكتاني: «الموضوعات الكبرى» لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تساهل فيه كثيرًا؛ بحيث أورد فيه الضعيف، بل والحسن والصحيح، مما هو في (سنن أبي داود)، و(الترمذي)، و(النسائي)، و(ابن ماجه)، و(مستدرك الحاكم) وغيرها من الكتب المعتمدة، بل فيه حديث في (صحيح مسلم) بل وآخر في (صحيح البخاري) فلذلك كثر الانتقاد عليه... بل أكثر في تصانيفه الوعظية وما أشبهها، من إيراد الموضوع وشبهه والكمال لله سبحانه[1].

(١) انظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة: محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية بيروت، تحقيق محمد المنتصر الكتاني (١/ ١٤٩).
كما أخذ على ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمور أخرى فصَّلها العلماء في مواضعها، انظر: (الوضع في الحديث) للشيخ عمر فلاته.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: ويقال له «كتاب الأباطيل» لأبي عبد الله، الحسين بن إبراهيم بن حسين بن جعفر الهمداني الجوزقي (ت: ٥٤٣ هـ)، حيث قيل: إن سبب تساهل ابن الجوزي أنه أخذ أكثر كتابه من كتاب الجوزقاني، الذي كان يحكم بالوضع على كل حديث يخالف السنة النبوية فعلاً أوتركًا.

- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) لخص به الموضوعات لابن الجوزي.

- قال الكتاني: وقد اختصر كتابه «الموضوعات» جماعة، منهم الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، في مجلد ضخم سماه «الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات»، والحافظ «جلال الدين السيوطي»، وهو المسمى بـ«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» وقد اختصرها أبو الحسن، علي بن أحمد الحريشي الفاسي (ت: ١١٤٣ هـ).

- وللسيوطي أيضا عليها ذيل في سفر وهو المسمى بـ«ذيل اللآلئ» وله أيضا كتاب التعقبات على ابن الجوزي، سماه «النكت البديعيات على الموضوعات» ثم اختصره في آخر سماه «التعقبات على الموضوعات».

- ولأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني (ت: ٩٦٣ هـ) كتاب جمع فيه موضوعات ابن الجوزي والسيوطي، ورتبه على ترتيبهما، وأهداه إلى السلطان (سليمان خان) سماه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة».

- المُغنِي عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يَصحَّ شيء في هذا الباب:

للحافظ ضياء الدين، أبي حفص عمر بن بدر الموصلي (ت: ٦٢٢هـ)، لخَّص به كتاب ابن الجوزي[١].

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:

تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين: لمحمد بن البشير ظافر الأزهري.

علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح.

الحديث والمحدثون: للشيخ محمد أبو زهو.

التعريف بالقرآن والحديث الشريف: لمحمد الزفزاف.

علوم الحديث

أشهر ما ألف في علوم الحديث، وأحسنها جمعًا، وأكثرها نفعًا، وأعظمها وقعًا: كتاب الحافظ العلامة أبي عمرو ابن الصلاح.

«السراج البلقيني»

● **ابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ):**

عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري، المشهور بابن الصلاح الدمشقي، كنيته أبو عَمْرو، ولقبه تقي الدين، ولقب بشيخ علماء الحديث، ومفتي المسلمين، وشيخ الإسلام، مفتي الشام ومحدثها، من أهل (شهرزور)، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربيل وهمذان. كان ديِّنًا، زاهدًا، ورعًا، ناسكًا، على طريق السلف الصالح، ارتحل في طلب العلم، وتلقى عن أكابر العلماء في هذه البلاد، وكان أبوه مدرسًا بالأسدية التي بحلب، قال عنه تلميذه ابن خلكان: «كان أحد فضلاء عصره في التفسير، والحديث، والفقه، وأسماء الرِّجال، وما يتعلق بعلم الحديث واللغة، وكان له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسددة»[١].

● **الموضوع:**

في علم الحديث (دراية)، ويقال له علم مصطلح الحديث، وهو مجموعة القواعد والقوانين التي يعرف من خلالها أحوال متون الأحاديث وأسانيدها وآداب روايتها.

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/١٤٠)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٤٣٠).

● **فائدته:**

معرفة الحديث المقبول من المردود والصحيح من العليل، ومن أهم كتبه: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للقاضي الرّامُهْرُمزي (ت: ٣٦٠هـ)[١]، والكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، والإلماع إلى معرفة أصول الرّواية وتقييد السَّماع: لعياض (ت: ٥٤٤ هـ).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال الحافظ العراقي: «إن أحسن ما صنف أهل الحديث في معرفة اصطلاحه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، جمع فيه غرر الفوائد فأوعى». وقال السيد محمد بن جعفر الكتاني: «إن ابن صلاح ذكر في كتابه خمسة وستين نوعًا من علوم الحديث وهذبها، وجمع في كتابه ما تفرق في غيره، فعكف الناس عليه، وعدلوا في الفن إليه، فمن ناظم لكتابه ومختصر، ومستدرك ومقتصر، ومعارض ومنتصر».

وقال د. نور الدين عتر: «والحقُّ إن تأليف أبي عَمْرو علوم الحديث كان فتحًا في تدوين هذا العلم وابتداء عهد جديد له، لذلك نال من العلماء كل حظوة وصار عمدتهم في هذا الفن».

وامتاز هذا الكتاب على ما سبقه من التصانيف بمزايا أهمها: الاستنباط الدقيق لمذاهب العلماء وقواعدهم في النصوص والروايات المنقولة عن أئمة الحديث، والاكتفاء بذكر حاصلها، وبضبط التعاريف التي سُبق بها، وبوضع تعاريف لَم يصرح بها من قبله، وبتهذيب عبارات السابقين، والتنبيه

(١) قال ابن حجر: «أول كتاب في علوم الحديث كتاب المحدث الفاصل، في غالب الظن، وإن كان يوجد قبله مصنفات مفردة في أشياء من فنونه، لكن هذا أجمع ما جمع في ذلك في زمانه، ثم توسعوا فيه».

على مواضع الاعتراض فيها، وبالتعقيب على أقوال العلماء، ويصدّر ذلك عادة بلفظ: قلت.

• **المآخذ:**

أخذ عليه أنه لَم يرتب كتابه على نظام معين، حيث يتكلم في نوع يتعلق بالسند مثلاً، ثم ينتقل إلى نوع يتعلق بالمتن أو بهما معًا؛ وعلّلَ البقاعي ذلك بقوله: «قيل إن ابن الصلاح أملى كتابه إملاء فكتبه في حال الإملاء جمع جم، فلم يقع مرتبًا على ما في نفسه».

• **سبب تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف السبب الباعث له على تأليف هذا الكتاب، فقال: «فحين كاد الباحث عن مُشكلِهِ لا يلقى له كاشفًا، والسائل عن علمه لا يلقى به عارفًا، منَّ الله الكريم تبارك تعالى عليّ، وله الحمد، أن أجمع بكتاب معرفة أنواع علم الحديث، هذا الذي باح بأسراره الخفية، وكشف عن مشكلاته الأبية».

• **المنهج والأسلوب:**

سرد المؤلف في بداية الكتاب المضامين التي اشتمل عليها، فذكر خمسة وستين نوعًا من علوم الحديث، فكان ذلك بمثابة الفهرس لكتابه. واستوعب الكتاب تعريف أهم مصطلحات علم الحديث، مثل الحسن، والضعيف، والمتصل، والمرفوع، والموقوف، والمقطوع، والمرسل، والمنقطع، والتدليس، والشاذّ، والمنكر، والموضوع.

وبين كيفية سماع الحديث وتحمله، وأنواع الإجازة، ومعرفة كتابة الحديث، ومعرفة الإسناد.

● **كتب ذات صلة:**

لقي هذا الكتاب من العناية ما لَم يلقه كتاب في علوم الحديث قبله، ولا كان لكتاب بعده، فأقبل عليه العلماء دراسة وتأليفًا وشرحًا واختصارًا ونظماً، ومن المؤلفات التي بنيت عليه:

- إرشاد طلاب الحقائق: للنووي (ت: ٦٧٦ هـ) تلخيص له، وله «التقريب» تلخيص التلخيص.

- الباعث الحثيث اختصار علوم الحديث: لابن كثير، وطبع بشرح أحمد محمد شاكر.

- النكت على كتاب ابن الصّلاح: لابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ).

- محاسن الاصطلاح: للبلقيني (ت: ٨٠٥ هـ) اختصار.

- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح: للحافظ العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، كما نظم الحافظ العراقي هذه المقدمة في نحو ألف بيت من بحر الرجز، وأسماها «التبصرة والتذكرة»، وشرحها السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ) وسمى شرحه «فتح المغيث شرح ألفية الحديث».

وشرح هذه الألفية كثيرون، منهم البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ) وسماه «النكت الوفية»[(١)].

(١) اعتنى العلماء بمقدمة ابن الصلاح عناية كبيرة، وطبعت العديد من الطبعات، منها:
طبعة بتحقيق الشيخ عبد الحي اللكنوي، الهند سنة ١٣٠٤ هـ.
وطبعة بتحقيق الشيخ محمد راغب الطباخ، حلب ١٣٥٠هـ.
وطبعة بتحقيق د. عائشة عبد الرحمن، سنة ١٩٧٤ هـ.
وطبعة بتحقيق د. نور الدين عتر.
وطبعة بتحقيق د. مصطفى البغا.
وطبعة بتحقيق د. عبداللطيف الهميّم والشيخ ماهر الفحل.

كشف الخفاء
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس

هذا الكتاب كتاب نافع جدًا، حوى كثيرًا من الأحاديث المشتهرة، والظاهر أنه أكبر كتاب في هذا الباب، وأجمعه للأحاديث المشتهرة على الألسنة، وهو مرتب على حروف المعجم.

«د. محمود الطحان»

• **العجلوني (١٠٨٧ - ١١٦٢ هـ):**

أبو الفداء، إسماعيل بن محمد، ولد بـ (عجلون) بالأردن، وحفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، ثم قدم إلى دمشق لطلب العلم، فأخذ عن علمائها، ودرّس في الجامع الأموي، وكان له تلامذة لا يُحصَون، وكان محدث الشام في أيامه، كان عالمًا بارعًا، صالحًا، مبجلًا، قدوة، له يد في العلوم، لاسيما في الحديث والعربية، له مؤلفات منها الفيض الجاري شرح البخاري، لَم يتمه.

• **القيمة العلمية للكتاب:**

قال المؤلف: «إن الأحاديث المشتهرة على الألسن قد كثرت فيها التصانيف، وقلّما يخلو تصنيف منها عن فائدة لا توجد في غيره من التآليف، فأردت أن ألخص مـما وقفتُ عليه منها مجموعًا، ليكون مرجعًا لي ولمن يرغب في تحصيل المهمات من المستفيدين».

- **المنهج والأسلوب:**

اشتمل الكتاب على (٣٢٥٤) حديث.

رتبه على نسق حروف المعجم.

يذكر في كل حديث من أخرجه من أصحاب المصنفات.

ويذكر رتبة الحديث على الغالب، أو يذكر أقوال العلماء فيه.

إذا لَم يكن حديثًا بيّن ذلك بقوله: ليس بحديث، وربما قال: إنه من الحكم المأثورة، أو من أقوال الصحابة أو أحد العلماء.

ختم الكتاب بخاتمة مفيدة عما اشتهر بين الناس من لقاء الأئمة بعضهم ببعض، وعن تصانيف أضيفت لناس غير مؤلفيها، وعن قبور اشتهرت بأنها لأقوام ذوي جلالة مع بطلان ذلك، وعن أناس اشتهروا بين العوام بالعلم.

- **كتب ذات صلة:**

استفاد المؤلف مما كتبه الأئمة الذين سبقوه في هذا العلم، مثل:

المقاصد الحسنة: للسخاوي محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ) وعدد أحاديثه (١٣٥٦) حديث.

واللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة: لابن حجر (ت: ٨٥٢هـ).

وتمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث: عبد الرحمن بن علي ابن الديبع الشيباني، تلميذ السخاوي.

والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: للسيوطي.

واللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة: للزركشي، المعروفة بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة.

۞ ۞ ۞

السيرة النبوية

ثم قيَّض الله لمجهود ابن إسحاق رجلًا له شأنه، هو ابن هشام المعافري، فجمع هذه السيرة ودوَّنها، وكان له فيها قلم قلَّما ينقطع عن تعقب ابن إسحاق.

«مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي»

- **ابن هشام (ت: ٢١٨ هـ):**

أبو محمد، جمال الدين، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، نشأ بالبصرة، ونزل مصر، واجتمع فيها مع الإمام الشافعي، كان إمامًا بالتاريخ والسيرة واللغة العربية، له عدة مؤلفات منها: «شرح ما وقع في أشعار السيرة والغريب»، و«التيجان لمعرفة ملوك الزمان».

- **الموضوع:**

في علم السيرة النبوية، وهو مشتمل على فن أسمائه ﷺ، وفن الخصائص، وفن فضائله، وفن شمائله، وفن مغازيه، وفن مولده ومبعثه[١].

(١) مصادر السِّيرة الأساسية: هي القرآن الكريم، وكتب الحديث الشريف، وكتب السيرة المختصة والمغازي، والشّمائل. ومصادرها التكميلية: هي كتب معرفة الصحابة والتراجم، وكتب الأدب في صدر الإسلام، وخصوصًا الشعر وكتب الجغرافيا التاريخية. ومن أوائل من ذكرتْ كتب التاريخ أنهم ألفوا كتبًا في السيرة النبوية: عروة بن الزبير بن العوام، وأبان بن عثمان، وشرحبيل بن سعد، ووهب بن منبه، وابن شهاب الزهري، ولم يصل إلينا شيء من ذلك. وجمع د. صلاح الدين المنجد أسماء الكتب التي صُنِّفت في السيرة النبوية، وسماه «معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ».

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب أقدم كتاب جامع بين سيرته ﷺ ومغازيه وصل إلى أيدي الناس، وهو من أوثق كتب السيرة المتخصصة.

- **المنهج والأسلوب:**

هذا الكتاب تهذيب لسيرة ابن إسحاق، حيث أراد ابن هشام في هذا الكتاب أن يهذِّبه ويزيده ويستدرك عليه(١).

ذكر المؤلف منهجه في هذا الكتاب، فقال: «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن وَلَدَ رسولَ الله ﷺ من ولده وأولادَهم لأصلابهم، الأولَ فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما يذكره

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ)، هو من أقدم مؤرخي العرب، ومن حفاظ الحديث، زار الإسكندرية، وسكن بغداد، وهو شيخ رجال السيرة، وكان لديه علم واسع، واطلاع غزير في أخبار الماضين، وقد عرف عنه تساهله في الإسناد، والقبول بمرويات الإخباريين، ووجود المناكير والعجائب في رواياته، وما في أصل سيرته من الشعر المنتحل؛ إلا أن الحافظ الذهبي اعتمده في المغازي، وقبل من أحاديثه ما صرح فيها بالتحديث ولم يدلس، وما لم يخالف من هو أوثق منه، واعتبرها في مرتبة الحسن الذي يحتج به.

ويروى في سبب تأليف ابن إسحاق كتابه في السيرة أنه دخل يومًا على الخليفة المنصور، وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين. قال: اذهب فصنِّف له كتابًا، منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا، فذهب ابن إسحاق فصنف كتابًا. فقال: لقد طوَّلته يا ابن إسحاق، اذهب فاختصره، فاختصره. (تاريخ بغداد ١/٢٢٠).

ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببًا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه، لما ذكرت من الاختصار».

لذلك فقد حذف بعض الأشعار التي ذكرها ابن إسحاق، التي لا يعرفها أحد من أهل العلم بالشعر، كما حذف بعض الأشياء التي يشنع الحديث بها، والأشياء التي يسوء بعض الناس ذكرها.

ذكر بعض الروايات التي فات ابن إسحاق ذكرها، إضافة إلى تكملة أضافها أو أخبار أتى بها.

● **كتب ذات صلة:**

- الروض الأنف: لأبي القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت: ٥٨١هـ) ويعدُّ شرحًا وتعليقًا وتعقبًا لسيرة ابن هشام.

- الذخيرة مختصر السيرة: لإبراهيم بن محمد الشافعي، فرغ منه سنة ٦٦١هـ.

- مختصر سيرة ابن هشام: لأحمد بن إبراهيم الواسطي، فرغ منه سنة ٧٧١ هـ.

- كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام: للعيني (ت: ٨٥٥ هـ).
- نظمها بعض العلماء شعرًا، ذكرهم صاحب كشف الظنون.
- ونشرها المستشرق الألماني هنري فريند فستنفلد[1].

---

(١) هنري فريند فستنفلد Wustenefel. F.H (١٨٠٨ - ١٨٩٩) مستشرق ألماني، خدم العربية خدمة عظيمة بنشره نحو مئتين من كتبها النفيسة، منها معجم ما استعجم للبكري، والاشتقاق لابن دريد، والمعارف لابن قتيبة، ومعجم البلدان للحموي.

الشمائل المحمدية

ومن أمتع ما أُلِّف في ذلك - أي في أوصاف النبي ﷺ - كتابُ الشمائل المحمدية، للإمام الحافظ أبي عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رضي الله عنه، وقد أجاد فيه كلَّ الإجادة، عرض شمائلَه بأسانيدَ ساقها.

«محمد زاهد الكوثري»

- **التِّرمذيُّ (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ)**[١]:

- **الموضوع**:

في الشمائل المحمدية والأخلاق المصطفوية، وهو فرع من علم السيرة النبوية، المشتمل على أسمائه ﷺ وخصائصه، وفضائله، وشمائله، ومغازيه، ومولده، ومبعثه. وأقدم من أفرد الشمائل: أبو البختري (وهب الأسدي، ت: ٢٠٠ هـ). وأول من أفرد دلائل النبوة عن كتب الحديث: الفريابي (محمد بن يوسف، ت: ٢١٢ هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز)، ومن أشهر ما كتب فيها: (دلائل النبوة) للبيهقي، و(دلائل النبوة) لأبي نعيم الأصفهاني. ومن أهم كتب الخصائص: شمائل الرسول ﷺ ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه: لابن كثير، والخصائص الكبرى، وكفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب: للسيوطي، وأخلاق النبي ﷺ وآدابه: لأبي الشيخ الأصبهاني. ومن الكتب التي جمعت بين السيرة والشمائل والخصائص والدلائل (الوفا بفضائل المصطفى) لابن الجوزي. وسبل الهدى والرشاد في

---

(١) محمد بن عيسى بن سورة بن الضّحاك السَّلمي، تقدمت ترجمته في (الجامع).

سيرة خير العباد: لمحمد بن يوسف الصالحي الدمشقي (ت: ٩٤٢هـ)، وهو من كتب السيرة المطولة.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي: «كتاب الشمائل كتاب وحيد في بابه، فريد في ترتيبه واستيعابه، لَم يأت أحد بمماثل له ولا مشابه، سلك به منهجًا بديعًا، ورصعه بعيون الأخبار وفنون الآثار ترصيعًا، حتى عد ذلك الكتاب من المواهب، وطار في المشارق والمغارب».

وقال الشيخ علي القاري: «ومن أحسن ما صنف في شمائله وأخلاقه ﷺ كتاب الترمذي المختصر، الجامع في سيرته على الوجه الأتم، بحيث إن مطالع هذا الكتاب كأنه يطالع طلعة ذلك الجناب، ويرى محاسنه الشريفة من كل باب».

وقال محمد سامي بك: «كتاب الشمائل للإمام أبي عيسى الترمذي من أدق وأبدع وأروع ما ألف في محاسن قطب الوسائل، ومنبع الفضائل والاشتغال به قربة للأواخر والأوائل».

● **المنهج والأسلوب:**

اشتمل الكتاب على جملة من الأحاديث التي تصف النبي ﷺ وصفًا دقيقًا لخلقته وخلقه، وعبادته، ومأكله ومشربه، ونومه، وجلوسه، ولباسه، وكلامه، وفي آدابه ﷺ مع أهله وصحابته، وتعامله مع الوفود وعامة المسلمين.

يتكون الكتاب من ستين بابًا، وبلغ مجموع عدد أحاديثه ٤٠٠ حديثًا.

أورد حديثًا جامعًا في صفة النبي ﷺ.

قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنهما: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي عن حِلْيةِ النبيِّ ﷺ - وكان وصَّافًا له - وأنا أشتهي أن يصفَ لي منها شيئًا لعلي أتعلّق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فَخْمًا مُفخّمًا، يتلألأُ وجهُهُ تلألؤَ القمرِ ليلةَ البدرِ، أطولَ من الْمَرْبوعِ(١)، وأقصرَ من المُشَذَّبِ(٢)، عظيمَ الهامة(٣)، رَجِلَ الشَّعرِ(٤)، إنْ انفرقتْ عقيصتُه فَرَقَ، وإلا فلا يجاوزُ شعرُهُ شحمةَ أذنيه إذا وَفّرهُ(٥)، أزْهرَ اللَّونِ(٦)، واسعَ الجبينين(٧)، أزَجَّ الحواجبِ(٨)، سوابغَ في غَيْرِ قَرَنٍ(٩)، بينهما عِرْق يُدِرّه الغضبُ(١٠)، أقنى العِرْنِينِ، له نورٌ يعلوهُ يحسبه من لَم يتأمله أشَمَّ(١١)، كثَّ اللحيةِ(١٢)، سهلَ الخدَّينِ(١٣)، ضليعَ

---

(١) المربوع: المعتدل القامة، وسطاً بين الطويل والقصير.

(٢) المشذّب: الطويل البائن الطول مع نقص في لحمه.

(٣) الهامة: الرأس، وعظم الرأس دليل على وفور العقل.

(٤) الشَّعر الرَّجِلُ: الذي ليس شديد الجعودة، ولا شديد السبوطة.

(٥) العقيصة: الشعر المجموع كهيئة المضفور، وقيل: هي الخصلة من الشعر إذا عقصت.

(٦) اللون الأزهر: الأبيض المضيء المستنير.

(٧) روي: واسع الجبين، وروي: واسع الجبينين، والجبين ما بين منبت شعر الرأس والحاجبين، وجاء في الحديث: «كان ﷺ أجلى الجبين».

(٨) الزَّجَجُ: دقة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوس خلقة.

(٩) المراد أن حاجبيه امتدا حتى كادا يلتقيان.

(١٠) يدره الغضب: يحركه ويظهره، كان إذا غضب امتلأ ذلك العرق دمًا.

(١١) العِرنين: الأنف، والقنا: طول الأنف ودقة أرنبته مع ارتفاع في وسط قصبته، والشَّمَمُ: ارتفاع رأس الأنف وإشراف الأرنبة قليلًا، واستواء أعلى القصبة.

(١٢) الشعر الكث: الكثيف المتراكب من غير طول ولا رقة.

(١٣) سهل الخدين: أي ليس في خديه نُتُوٌّ وارتفاع، وقيل: أراد أن خديه أسيلان.

الفَم(١)، أشنبَ(٢)، مفلَّجَ الأسنانِ(٣)، دقيقَ المَسْرُبةِ(٤)، كأنَّ عنقه جيد دميَة في صفاءِ الفضَّة(٥)، معتدلَ الخلق(٦).

بادنًا متماسكًا(٧)، سواءَ البطنِ والصَّدر، عريضَ الصَّدرِ(٨)، بعيدَ ما بين المنكبين(٩)، ضَخْمَ الكراديسِ(١٠)، أنورَ المتجرّد(١١)، موصولَ ما بين اللّبّةِ والسُّرةِ بشعرٍ يجري كالخطِّ(١٢)، عاريَ الثَّديينِ والبطنِ مما سوى ذلك(١٣)، أشعرَ الذّراعينِ والمنكبينِ وأعاليَ الصّدر، طويل الزَّنْدين(١٤)، رَحْبَ الرَّاحة(١٥)، سبطَ القَصَبِ، شَثْنَ الكفَّين والقَدَمين(١٦)، سائلَ

---

(١) الضليع الفم: العظيم الواسع.

(٢) الشَّنَبُ: رقة الأسنان ودقتها، وتحدد أطرفها.

(٣) الفَلج: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات.

(٤) المسرُبة: بضم الراء، ما دق من شعر الصدر، سائلًا إلى السرة.

(٥) الجيد: العنق (الدُّمْيَةُ: الصُّوَر من العَاج).

(٦) اعتدال الخلق: تناسب الأعضاء والأطراف، وألا تكون متباينة مختلفة.

(٧) البادن: الضَّخم التام اللحم، والمتماسك: الذي لحمه ليس بمسترخ ولا متهدِّل.

(٨) سواء البطن والصدر: أي متساويهما، يعني أن بطنه غير خارج فهو مساوٍ لصدره.

(٩) المنكب: مجتمع رأس العضد والكتف.

(١٠) الكراديس: جمع كردوس، وهو رأس كل عظم كبير، وملتقى كل عظمين ضخمين.

(١١) المتجرد والمجرد: ما كشف عنه الثوب من البدن، يعني أنه كان مشرق الجسد نير اللون.

(١٢) الأشعر: الذي عليه الشعر من البدن، واللَّبة: الوهدة التي في أعلى الصدر.

(١٣) عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك: أي أن ثدييه وبطنه ليس عليها شعر سوى المسربة.

(١٤) الزندان: العظمان اللذان يليان الكف من الذراع، رأس أحدهما يلي الإبهام، ورأس الآخر يلي الخنصر.

(١٥) الراحة: الكف.

(١٦) الشثن: الغليظ الأطراف والأصابع.

الأطراف، خُمْصان الأخمصين[١]، مسيحَ القدمين ينبو عنهما الماء[٢]، إذا زال زال قَلَعًا[٣]، يَخْطُو تكفُّئًا[٤]، ويَمْشي هَوْنًا، ذريعَ المشيةِ إذا مشى كأنما ينحَطُّ من صَبَبٍ[٥]، وإذا التفتَ التفتَ جميعًا[٦]، خافضَ الطَّرفِ[٧]، نظرُه إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السَّماء، جُلُّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابَه[٨]، ويبدأ من لَقيَهُ بالسَّلام.

● **كتب ذات صلة:**

توافر على شرح الكتاب جمع من العلماء، ومن أشهر الشروح:

- زهرة الخمائل في شرح الشمائل: للسيوطي (ت: ٩١١ هـ).
- أشرف الوسائل: لابن حجر الهيثمي (ت: ٩٧٣ هـ).
- جمع الوسائل في شرح الشمائل: لعلي القاري (ت: ١٠١٦ هـ).
- المواهيب اللدنية على الشمائل المحمدية: للباجوري.
- المختصر في الشمائل المحمدية وشرحها: محمود سامي بك، مطبعة مصر ١٩٥٠م.

۞ ۞ ۞

(١) سائل الأطراف: أي ليست منعقده ولا متجعدة: أو طويل الأصابع، الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يصل إلى الأرض منها عند الوطء، والخمصان المبالغ منه.
(٢) مسيح القدمين: أي أملسهما.
(٣) قَلْعا، ويروى قَلِعا، ويروى قُلْعا: أراد به قوة مشيه.
(٤) التكفؤ: تمايل الماشي إلى قدام.
(٥) الصبب: الموضع المنحدر من الأرض، وذلك دليل على سرعة مشيه.
(٦) وإذا التفت التفت جميعًا: أي لم يكن يلوي عنقه ورأسه إذا أراد أن يلتفت إلى ورائه، فعل الطائش العجل، إنما يدير بدنه كله وينظر، وقيل: أراد أنه كان لا يسارق النظر.
(٧) خفض الطرف: هو الغض منه والإطراق، الملاحظة: أن لا يحدق إلى الشّيء.
(٨) يسوق أصحابه: أي يقدمهم أمامه، ويمشي وراءهم.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى

كتاب لو كتب بماء الذهب أو وزن بالجواهر؛ لكان قليلًا عليه، فالزمه أيها القارئ، واشدد عليه يديك..

«د. محمد أبو شهبة»

- **القاضي عياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ):**

عياض بن موسى الغرناطي المالكي، كان إمامًا في الفقه المالكي، والتفسير، والحديث، وسائر العلوم، وخطيبًا بليغًا، ولد في سبتة، ثم قدم الأندلس لطلب العلم، فأخذ في قرطبة عن جل علمائها، فكان عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، وأعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم، وكان عالمًا عاملًا، متواضعًا، صادعًا بالحق، حاضر الجواب، حادَّ الذكاء، ولي قضاء سبتة، وذكر ابن فرحون للقاضي عياض نحو ثلاثين مؤلفًا[(١)] .

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا الكتاب أجلّ وأجمع كتاب يبحث في شرف النبي المصطفى ﷺ وقدره العظيم ومنصبه الجليل، يتناول كل ذلك من جوانب فقهية،

(١) انظر ترجمته في الديباج المذهب: لابن فرحون، وأزهار الرياض في أخبار عياض: للمقري، والإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين ابن الخطيب، ووفيات الأعيان لابن خلكان، والتعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد، والقاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته: د. الحسين بن محمد شواط، والقاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية: د. البشير علي محمد الترابي.

وأصولية، وعقدية، بأسلوب بليغ، وبيان بديع، وحجج قوية، وبراهين ساطعة، مؤيدة بالدليل من القرآن والسنة وأقوال علماء سلف الأمَّة، حتى قيل: «إن أعظم ما خطه يراع القاضي عياض هو كتاب الشِّفا».

قال الخفاجيُّ: «الشِّفا أشهر كتب القاضي عياض، وأجلها قدرًا، وأعظمها خطرًا، وأكثرها فائدة، وأوسعها انتشارًا».

وقال ابن المقري: «إنّ كتاب الشّفا مما شوهدت بركته، وكان قد ابتلي بمرض فقرأه فعافاه الله منه».

- **مـآخذ:**

أخذ على الكتاب بعض المآخذ، منها أنّ فيه تأويلات بعيدة.

واشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة، وقيل: بعضها موضوع[١].

ومبالغته في عصمة الأنبياء عليهم الصَّلاة والسلام[٢].

- **الغاية من تأليف الكتاب:**

كتب المؤلف هذا الكتاب استجابة لطلب أحد طلبة العلم، حيث رغب إليه - في رسالة - أن يؤلف كتابًا في سيرة النبي ﷺ فقال في جوابه: «فإنك كررت عليَّ السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى ﷺ وما يجب له من توقير وإكرام، وما حكم من لَم يوف واجب عظيم ذلك القدر، أو قصَّر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال».

(١) وهذا ما أشار إليه الذهبي عند ترجمة القاضي عياض.

(٢) وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في فتاواه.

- **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من أربعة أقسام، ويتكون كل قسم من مجموعة أبواب، وكل باب فيه عدة فصول، يتناول في كل فصل بحثًا مستقلًا.

القسم الأول: في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي ﷺ وفيه: الباب الأول: في ثناء الله تعالى عليه. والباب الثاني: في تكميله تعالى له المحاسن خلقًا وخلقًا، تكلم فيه عن أخلاقه الحميدة، وعقله، وجوده، وشجاعته، وحياته، وحسن عشرته، وأدبه، وشفقته، ووفائه، وصلته للأرحام، وتواضعه، وعدله، وأمانته، وعفته، وصدق لهجته، ووقاره، وصمته، ومروءته، وزهده في الدنيا، وخوفه من الله تعالى، وكثرة دعائه. الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنـزلته، وما خصه الله تعالى به في الدارين من كرامته.

القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ وفيه الباب الأول: في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته. والباب الثاني: في لزوم محبته ومناصحته. والباب الثالث: في توقيره وبره. والباب الرابع: في حكم الصلاة عليه وفرض ذلك وفضيلته.

القسم الثالث: ما يستحيل في حقه ﷺ وما يجوز، وما يَمتنع ويصح من الأمور البشرية. وفيه: الباب الأول: فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في العصمة. والباب الثاني: في أحواله الدنيوية، وما يجوز طروُّه عليه من الأعراض البشرية.

القسم الرابع: في تصرف وجوه الأحكام على من تنقَّصه أو سبه، وفيه: الباب الأول: في بيان ما هو في حقه سبٌّ ونقص. والباب الثاني: في حكم شانئه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته. والباب الثالث: حكم من سب الله تعالى

وملائكته وكتبه وآل النبي ﷺ.

وطريقته في التناول منظَّمة منهجية، حيث يبدأ بالتعريف، وردِّ النوع على الأصل، وقد تميز بجمال العرض، والترتيب العلمي والمنطقي للأفكار، وبوضوح العبارة، وبعمق المناقشة، وبالهدوء في تفنيد الشبهات والاعتراضات، وبالاستدلال بأقوال الصحابة والتابعين وأقوال العلماء المفسرين.

- **كتب ذات صلة:**

أقبل العلماء على كتاب الشفا، واعتنوا به شرحًا واختصارًا وتخريجًا، وأحصي من هذه الكتب أكثر من أربعين كتابًا منها:

- نسيم الرّياض في شرح شفاء القاضي عياض: للخفاجي.
- مناهل الصَّفا في تخريج أحاديث الشِّفا: للسيوطي.
- شرح الشِّفا: الملا علي القاري.

- **طبعات الكتاب:**

- طبع كتاب الشفا العديد من الطبعات، منها: طبعة بإشراف الشيخ عبد الكريم الرفاعي.
- طبعة بتحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة البابي الحلبي.
- وحقق نصوصه وخرج أحاديثه وفهرسه: عبده علي كوشك.

❁ ❁ ❁

زاد المعاد في هدي خير العباد

إن أوفى كتاب في هذا الموضوع -تفاصيل حياة نبينا محمد ﷺ- هو كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام شمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، ثم الدمشقي، صاحب القلم الفياض، والعلم الواسع، والرأي السديد، والمتبحر في علوم الإسلام، أصولها وفروعها، دقيقها وجليلها، وقد استوعب رحمه الله في كتابه هذا هديه ﷺ في شؤونه العامة والخاصة، واستوفى الحديث عن أطوار حياته وما صاحبها من أحداث وما لابسها من أمور يجدر بكل مسلم أن يقف عليها.

«شعيب الأرنؤوط»

● **ابن القيِّم (٦٩١ - ٧٥١ هـ):**

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزَّرعي الدمشقي: فقيه حنبلي، تتلمذ لابن تيمية، وكان ينتصر له، وسجن معه في سجن القلعة. قال ابن رجب: «كان عارفًا بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام، وبكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، وكان -رحمه الله- ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى وتألُّهٍ، ولهج بالذكر»(١).

له تصانيف بلغت أكثر من ستين كتابًا في مختلف العلوم.

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ابن رجب (٤٤٧/٢).

- **الموضوع:**

في السيرة النبوية، والحديث النبوي، والفقه الحنبلي، وقد بناه المؤلف على أنه في السيرة النبوية.

- **الغاية من تأليف الكتاب:**

قال المؤلف: إنه لم يقصد من تأليفه نصرة مذهب من مذاهب الأئمة، وإنما قصد مجرد هدي رسول الله ﷺ في سيرته وأقضيته وأحكامه.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يكتسب هذا الكتاب قيمته العلمية من كون مؤلفه استخلص ما تضمنته كتب السنة، والمغازي، والتاريخ، والشمائل، مما صح من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وصفاته، من أول نشأته إلى أن اختاره الله تعالى لجواره، لا سيما فترة البعثة، فلم يدع أمرًا من أموره ﷺ إلا ذكره.

- **المنهج والأسلوب:**

استقصى الحافظ ابن القيم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد» كل ما ينبغي معرفته عن النبي ﷺ وأحواله؛ فاستوعب ذلك أكثر من غيره من المؤلفين.

قدم بمقدمة ذكر فيها ما اختاره الله تعالى من مخلوقاته، وعلة ذلك.

ثم ذكر نسبه ﷺ وتربيته، وختانه، ومرضعاته، وأسماءه، وأولاده، وأعمامه، وعماته، وأزواجه، وسراريه، ومواليه، وخدامه، ومبعثه، وكتابه، ورسله إلى الملوك، ومؤذنيه، وأمراءه، وحراسه، وشعراءه، وخطباءه، وغزواته، وسلاحه، وأثاثه، ودوابه.

ثم ذكر ما ورد فيه عن أحواله الخاصة وشؤونه اليومية، وذلك على التفصيل التالي:

هديه في إرسال الكتب والرسائل، وهديه في الأكل وذكر كيفيته، وهديه في النكاح ومعاشرة الأهل، وهديه في نومه وانتباهه، وهديه في ركوب الدواب، وهديه في العبيد والإماء، وهديه في البيع والشراء والتعامل مع الناس، وهديه عند قضاء الحاجة، وهديه في أمور الفِطْرة، وهديه في قص الشارب، وهديه في كلامه وسكوته وضحكه وبكائه، وهديه في خطبته، وهديه في وضوئه، وهديه في مسح الخفين، وهديه في التيمم، وهديه في الصلاة، وهديه في الجلسة بين السجدتين، وهديه في السجود، وكيفية توركه في القعدة الأخيرة بعد السجدة، وهديه في جلوسه وإشارته بالتشهد، وهيئة تسليمه عند الخروج من الصلاة، ودعاؤه بعد التسليم، وهديه في سجدة السهو، وهديه في السنن الرواتب وصلاة التطوع في الحضر والسفر وفي المسجد والبيت، وهديه في قيام الليل (التهجد)، واضطجاعه بعد سُنّة الفجر، وصلاته في الليل ووتره، وصلاته جالسًا بعد الوتر، وقنوت الوتر، وهديه في قراءة القرآن وترتيله، وهديه في صلاة الضحى، وهديه في سجود الشكر، وهديه في سجدات القرآن، وهديه في الجمعة، وهديه في عبادات الجمعة، وهديه في خطبة الجمعة، وهديه في العيدين، وهديه في صلاة الخوف وصلاة الكسوف، وهديه في الاستسقاء، وهديه في السَّفَر والتطوع فيه، وهديه في الجمع بين الصلاتين، وهديه في تلاوة القرآن والاستماع له، وهديه في عيادة المرضى، وهديه في الجنائز والإسراع بها، وهديه في تسجية الميت، وهديه في السؤال عن الميت إذا حضرَت جنازته، وهديه في الصلاة علَى الجنازة، وهديه في الصلاة علَى جنازة الصغير، وهديه في تركه الصلاة علَى قاتل نفسه والغالّ، وهديه في المشي أمام الجنازة، وهديه في الصلاة علَى الميت الغائب، وهديه في قيامه للجنازة إذا مرَّت به، وهديه في التعزية وزيارة القبور، وهديه في الإكثار من العبادة في رمضان، وهديه في الصوم

عند رؤية الهلال والإفطار لرؤية الهلال، وهديه في قبول الشهادة لرؤية الهلال، وهديه في الإفطار في السفر، والإفطار يوم عرفة، وصومه أيام الجمعة والسبت والاثنين، وهديه في صوم الوصال، وهديه في صوم التطوع وإفطاره وترك قضائه، وكراهيته تخصيص الجمعة للصوم، وهديه في الاعتكاف، وهديه في الحج والعمرة، واعتماره مرتين في سَنَة واحدة، وأداؤه الحج، وهديه في التضحية بيده، وهديه في تضحية البَدَنة، وهديه في العقيقة، وأذانه في أذن المولود وتسميته وخِتانه، وهديه في تسمية الناس وتكنيتهم، واحتياطه في الكلام وتخير الألفاظ، وهديه في الذكر والدعاء، وهديه في دخول البيت، وهديه في لبس الثياب، وهديه في الذهاب إلَى الخلاء والرجوع منه، وهديه في الدعاء عند الوضوء، وهديه في ترديد كلمات الأذان، وهديه في الدعاء لرؤية الهلال، والدعاء قبل الطعام وبعده، وهديه في الطعام، وفي السلام، وأن لا يدخل أحد علَى الناس في بيوتهم إلاَّ بعد الاستئذان، وهديه في الدعاء في السفر، وعند النكاح، وهديه في كراهية بعض الكلمات، وهديه في الغزو والجهاد ومعاملته لأسرى الحرب والعبيد، وهديه في معاملة الجواسيس إذا أُسِرُوا، وهديه في عقد الصُّلح وتأمين المحارب وضرب الجزية، ومعاملته أهل الكتاب والمنافقين.

يتوسع المؤلف في بعض المسائل، فيذكر أحكامًا فقهية، أوحديثية، أو مسائل في العقيدة، ويناقشها، ويرد على ما لايرتضيه منها.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

اختصره الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

۞ ۞ ۞

رسالة الشافعي

قال أبو سعيد، عبد الرحمن بن مهدي، المقدم فى عصره فى علمي الحديث والفقه؛ حين جاءته رسالة الشافعي، وكان قد طلب من الشافعي أن يصنف كتاب الرسالة، فأثنى عليه ثناء جميلًا، وأعجب بالرسالة إعجابًا كثيرًا، وقال: «ما أصلي صلاة إلا أدعو للشافعي». وقال المزني: «أنا أنظر في كتاب الرسالة منذ خمسين سنة، ما أعلم أني نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد شيئًا لم أكن عرفته»(١).

● **الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ):**

هو محمد بن إدريس، كان شديد الذكاء، فصيح اللسان.

قال أحمد: «ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي عليه منَّة».

وقال الجاحظ: «نظرت في كتب هؤلاء النَّبَغة الذين نبغوا في العلم، فلم أرَ أحسنَ تأليفًا من المطلبي، كأن لسانه ينظم الدر».

وقال القنوجي: «ومقلدوه بمصر أكثر مما سواها، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار، وعظمت مجالس المناظرات بينهم»(٢).

---

(١) طبقات الشافعية: السبكي (٢/ ٩٩).

(٢) انظر ترجمته في آداب الشافعي ومناقبه: لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧ هـ)، ومناقب الشافعي: للبيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، ومناقب الشافعي: للفخر الرازي.
وكتب عنه: الشيخ محمد أبو زهرة، ود. محمد الزحيلي، ود. عبد الوهاب أبو سليمان وغيرهم.

- **الموضوع: في علم أصول الفقه**[١].

قال القنوجي: «اعلم أن أول من صنف في أصول الفقه الشافعي، ذكره الأسنوي في «التمهيد» وحكى الإجماع فيه».

(١) أصول الفقه: علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية. ومن أهم كتبه «المستصفى من علم الأصول» للغزالي (ت: ٥٠٥ هـ)، بيَّن فيه منهج الشافعية في الأصول، وجعله في مقدمة وأربعة أقطاب. الأول: الحكم، وهو الثمرة. الثاني: مصدر الحكم، وهو الكتاب والسنة والإجماع، وهو المثمر. الثالث: طرق استخراج الحكم، وهو دلالات الألفاظ على الأحكام والقياس، وهو الاستثمار. الرابع: المجتهد، وهو المستثمر. و«قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» للعز بن عبد السلام الشافعي (ت: ٦٦٠ هـ)، تناول فيه الأدلة الشرعية، وشروط المجتهد، وارتباط مقاصد الشريعة بالمصلحة. و«البحر المحيط» للزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) وهو كتاب موسوعي، جمع أقوال علماء الأصول الذين عاصروه أو سبقوه في مدونة واحدة. و«الفصول في الأصول» للجصاص (ت: ٣٧٠ هـ). و«قواعد الأحكام في أصول الأحكام» للآمدي الحنفي (ت: ٦٣١ هـ) جمع فيه مقاصد قواعد أصول الفقه، وبناه على أربع قواعد أساسية، هي: مفهوم أصول الفقه، والدليل السمعي وأقسامه، وأحكام المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين، والطرق الموصلة إلى التصديقات الشرعية. و«الموافقات» للشاطبي الغرناطي (ت: ٧٩٠ هـ)، بناه على خمسة أقسام، هي: المقدمات العلمية المحتاج إليها في تمهيد المقصود، والأحكام وما يتعلق بها، ومقاصد الشريعة، وحصر الأدلة الشرعية، وأحكام الاجتهاد. و«الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم الظاهري (ت: ٤٥٦ هـ)، بيَّن فيه مقاصد الشريعة، وأثر اللغة في الاجتهاد، والأدلة، وشروط المفتي والمجتهد. و«إعلام الموقعين» لابن القيم (ت: ٧٥١ هـ)، بين فيه اتجاهات المذهب الحنبلي في الأصول، وحدد الأسس التي بنيت عليها فتاوى الإمام أحمد، وهي: النصوص. وفتاوى الصحابة. والاختيار من فتاوى الصحابة إذا اختلفوا. والحديث المرسل. والقياس للضرورة. و«إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» للشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، بناه على مقدمة في تعريف علم الأصول، وسبعة مقاصد، هي: القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، والأوامر والنواهي، والعموم والخصوص، والقياس والاجتهاد، والتعادل والترجيح.

وقال الحصكفي في «ميزان الأصول»: «اعلم أنَّ أصولَ الفقه فرعٌ لعلوم أصول الدين، فكان من الضرورة أن يقع التصنيف فيه على اعتقاد مصنف الكتاب، وأكثر التصانيف في أصول الفقه لأهل الاعتزال المخالفين لنا في الأصول، ولأهل الحديث المخالفين لنا في الفروع».

وقال الفخر الرازي في «مناقب الشافعي»: «كانوا قبل الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضتها وترجيحها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانونًا كليًا يُرجَع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع وترجيحها... واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق (ص: ٥٦)».

● **القيمة العلمية للكتاب:**

تعدّ رسالةُ الشافعي أولَ وأهم كتاب أُلِّف في علم أصول الفقه، حيث أسست لهذا العلم، وبها تميز علم الأصول عن الفقه.

وكان الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسمي «الرسالة» «الكتاب» أو «كتابي» وسميت «الرسالة»، واشتهرت في عصره، لأنه أرسلها إلى عبد الرحمن ابن مهدي، فغلبت هذه التسمية على «الكتاب».

وقد أشار الأستاذ أحمد شاكر في مقدمة التحقيق إلى أهمية أصول علم مصطلح الحديث في فصول الرسالة، فقال: «وهذه المسائل عندي أدق وأغلى ما كتب العلماء في أصول الحديث».

● **المنهج والأسلوب:**

كتب الشافعي الرسالة مرتين، الأولى: ألفها في مكة. والثانية: استجابة لطلب عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨ هـ)، حيث كتب من البصرة إلى الشافعي في مصر يسأله أن يضع كتابًا فيه معاني القرآن الكريم، ويجمع مقبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، ويبين الناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة، فكتب الشافعي هذا الكتاب، وأرسله إليه مع الحارث بن سريج.

تناولت الرسالة بالإضافة إلى علم أصول الفقه علم أصول الحديث، والأدب، واللغة.

لم يكتب الشافعي الرسالة بيده، وإنما أملاها على الربيع بن سليمان.

استهل الشافعي «الرسالة» بموضوع البيان، فعرفه، وبين أنواعه، وهي: بيان القرآن للقرآن، وبيان السنة للقرآن، وبيان الأحكام بالاجتهاد والقياس.

ثم انتقل رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مباحث القرآن والسنة، فبين أن بعض نصوص القرآن عام يراد به العموم، وبعضها عام يدخله الخصوص، وبعضها عام من حيث الظاهر، وهو يجمع العام والخاص، وبعضها عام من حيث الظاهر، والمراد به الخاص، ثم بيَّن المشترك والمجمل والمفصل.

ثم تناول الكلام عن حجية السنة ووجوب اتباعها، وأن ذلك فرض بنصوص القرآن الكريم، وبيَّن مكانة السنة في التشريع، ومراتب السنة بالنسبة للقرآن الكريم (مؤكدة، ومبينة، ومفسرة، وزائدة) وأن درجتها بعد القرآن الكريم، وتطرّق لحجية خبر الواحد في إثبات الأحكام الشرعية.

ثم تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الناسخ والمنسوخ.

ثم استعرض مصادر التشريع الأخرى، فبيَّن حقيقة الإجماع وحجيته، ووضع الضوابط للقياس، وتعرض لرد الاستحسان.

● **أعمال ذات صلة:**

قال حاجي خليفة: «رسالة الشافعي في الفقه على مذهبه، وهي مشهورة بينهم، ورواها عنه جماعة، وتنافسوا في شرحها، ومن شرّاح الرسالة: الإمام أبو بكر الصيرفي (ت: ٣٣٠هـ)، وأبو الوليد النيسابوري (ت: ٣٤٩هـ)، والقفال الشاشي الكبير (ت: ٣٦٥هـ)، وأبوبكر الجوزقي (ت: ٣٨٨هـ)، والجويني (ت: ٤٣٨هـ)، وأبو زيد عبد الرحمن الجزولي، ويوسف بن عمرو الأقفهسي، وابن الفاكهاني، وغيرهم».

- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ).

- طبعت الرسالة مع كتاب «الأم»، وطبعت طبعة مستقلة عدة مرات، وأهمها بتحقيق العلامة أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م. وهناك طبعات أخرى.

۞ ۞ ۞

المحصول في علم الأصول

المحصول: هو أهم كتب الإمام فخر الدين الأصولية، ولعل ما كتبه قبله في هذا العلم قد أدرج فيه، وكل ما كتبه بعده منتخب منه وعائد إليه، وليس هذا فقط، بل هو أهم كتاب في أصول الفقه ظهر منذ أن فرغ الإمام من تأليفه سنة ٥٧٦ هـ إلى يومنا هذا، لأن فيه حصيلة أهم كتب الأصول التي كتبت قبل الفخر، بأصح أساليب التعبير، وأجود طرائق الترتيب والتهذيب، مضافًا إليها من آرائه وفوائد فكره وحسن إيراداته الكثير(١).

«د. طه جابر العلواني»

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال د. طه العلواني: اتفق الكاتبون في علم أصول الفقه على أن أهم ما كتب في علم أصول الفقه بعد ما كتبه الإمام الشافعي رضي الله عنه، هذه الكتب الأربعة: العَهْد: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي الشافعي (ت: ٤١٥هـ). المعتمد شرح العهد: لأبي الحسين البصري (ت: ٤٣٦هـ). البرهان: لإمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت: ٤٧٨هـ). المستصفى: للغزالي، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ).

وقد ألف الرازي كتابه هذا «المحصول» ليكون الجامع لما في هذه الأمهات الأربعة من مسائل الأصول، المجرد عن جميع المآخذ التي أخذت عليها.

---

(١) الرازي: محمد بن عمر (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ)، تقدمت ترجمته في التفسير.

- **المنهج والأسلوب:**

يتألف الكتاب من مقدمة وأقسام.

أما المقدمة: فقد اشتملت على عشرة فصول، وهي المقدمات الأصول التي تبحث قبل المقصود في علم الأصول، فعرف أصول الفقه، وحدّد العلم والظن، والنظر، والدليل، والأمارة، وبين الحكم الشرعي وتقسيماته، ووصف الفعل، والعزيمة، والرخصة، وضبط أبواب الفقه.

القسم الأول: في الحقيقة والمجاز في الألفاظ، فذكر الأحكام الكلية المتعلقة باللغات، وتقسيم الألفاظ، والاشتقاق، والتَّرادف، والتوكيد، والتعارض، والحروف التي تشتد الحاجة في الفقه إلى معرفتها، والاستدلال بخطاب الله تعالى وبخطاب رسوله ﷺ.

القسم الثاني: في الأوامر والنواهي.

القسم الثالث: في العموم والخصوص.

القسم الرابع: في الناسخ والمنسوخ.

القسم الخامس: في المجمل والمبين.

القسم السادس: في الإجماع وحجيته، وأنواعه، وحكمه.

القسم السابع: الأخبار وشروط صحتها، وحجيتها، وتعارضها، وأنواعها.

القسم الثامن: القياس وحدّه، وحجيته، وأقسام العلة، والتعادل والترجيح.

القسم التاسع: في الاجتهاد والمفتي والمستفتي، وما اختلف فيه المجتهدون من الأدلة الشرعية.

● **كتب ذات صلة:**

حظي هذا الكتاب باهتمام العلماء والأصوليين، فمنهم من اختصره، ومنهم من شرحه، ومنهم من علق عليه، وقد ذكر صاحب كشف الظنون أسماء من اختصروه، أو شرحوه، أو علقوا عليه، ومن ذلك:

المنتخب، اختصار للمؤلف، قال في مقدمته: «هذا مختصر كتابي المحصول، ورتبته على مقدمة وفصول».

الحاصل من المحصول: اختصار للأرموي، محمود بن أبي بكر (ت: ٦٨٢ هـ).

تنقيح الأصول: اختصار للتبريزي، مظفر بن محمد (ت: ٦٢١ هـ).

نفائس الأصول: شرح للقرافي، أحمد بن إدريس (ت: ٦٨٤هـ).

حققه: د. طه جابر العلواني، ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

۞ ۞ ۞

قواعد الأحكام في إصلاح الأنام

كتاب «القواعد الكبرى» من أعظم كتب القواعد الفقهية التي عنيت بمقاصد الشريعة وأحكامها، أتى فيه صاحبه بنفائس وتحقيقات وفوائد كثيرة، نثرها في ثنايا كتابه، فجاء نَمَطًا فريدًا بين كتب القواعد والمقاصد.

«د. نزيه حماد»

- **العزّ ابن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ):**

عبد العزيز بن عبد السلام السُّلمي، المغربي أصلًا، الدمشقي مولدًا، المصري دارًا ووفاةً، الشافعي مذهبًا، لقب «بسلطان العلماء»، لقبه بذلك ابن دقيق العيد، ولقبه ابن السبكي بـ «شيخ الإسلام والمسلمين».

قال تلميذه أبو شامة: «كان أحقَّ الناسِ بالخطابة والإمامة، وأزال كثيرًا من البدع التي كان الخطباء يفعلونها»، ولما سلّم الصالح إسماعيل بن العادل (قلعة صفد) للفرنج اختيارًا أنكر عليه ولم يَدْعُ له في الخطبة فغضب وحبسه، ثم أطلقه فخرج إلى مصر فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابه، ومكّنه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته(١).

---

(١) انظر ترجمته في «البداية والنهاية: لابن كثير»، و«وفيات الأعيان: لابن خلكان»، و«طبقات الشافعية: للسبكي».

وانظر: العز بن عبدالسلام: د. سيد رضوان الندوي، دار الفكر دمشق.

والإمام العز بن عبدالسلام وأثره في الفقه الإسلامي: د.علي الفقير، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة الأزهر. والعز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير: د. عبد الله الوهيبي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر.

وقال الذهبي عنه: «بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رياسة المذهب».

● **الموضوع:**

في القواعد الفقهية، وهو فرع من علم أصول الفقه.

والقاعدة في الاصطلاح: حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته، وهي تجمع الفروع من أبواب شتى، مثل الأمور بمقاصدها، وهي إما أن تكون مستمدة من القرآن الكريم مثل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، أو من السنة النبوية مثل: «المسلمون على شروطهم»، أومن الاجتهاد مثل: «الخراج بالضَّمان»، وهي إما أن تكون كلية مثل: «الأمور بمقاصدها»، و«اليقين لا يزول بالشك»، و«العادة محكمة»، أوقواعد فرعية مثل: «الثابت بالعرف كالثابت بالنص». وفي بيان أهمية القواعد الفقهية يقول ابن رجب الحنبلي: «إنها تضبط للفقيه أصول المذهب، وتطلعه من مآخذ الفقه على ما كان عنه قد تغيب، وتنظم له منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد، وتقرب عليه كل متباعد»(١).

ومن أبرز الكتب التي عنيت بالقواعد الفقهية:

أصول الكَرخيّ: أبي الحسن، عبيد الله بن الحسين (ت: ٣٤٠ هـ)، حيث وضع فيه أربعين قاعدة ردّ جميع أحكام المذهب الحنفي إليها.

أبو طاهر الدّباس: محمد بن محمد، إمام الحنفية بما وراء النهر، نقل عنه

---

(١) مقدمة تقرير القواعد وتحرير الفوائد: ابن رجب (ص: ٣).

تطلق القاعدة على معان، هي: (القانون، والمسألة، والضابطة، والمقصد).

والضابط: يجمع الفروع في باب واحد، مثل: كل ما خرج من البدن ينقض الوضوء، وأيما إهاب دبغ فقد طهر، فهذا ضابط يختص بباب الأواني من كتاب الطهارة.

والنظرية: نظام متكامل، مثل نظرية العقد، والقاعدة جزء من النظرية.

السيوطي في «الأشباه والنظائر» : أنه ردَّ فقه أبي حنيفة إلى سبع عشرة قاعدة.

تأسيس النظر: للدّبوسيّ الحنفي، أبي زيد، عبد الله بن عمر (ت: ٤٣٠هـ)، وضع فيه مجموعة قواعد، ضبط فيها أصول المذهب الخلافية.

التعليقة: للقاضي حسين بن محمد المَرْوَرّوذي الشافعي (ت: ٤٦٢ هـ)، وضع فيه أربع قواعد، ردَّ المذهب إليها وهي: اليقين لا يزول بالشَّكِّ، والمشقَّة تجلب التَّيسير، والضَّرر يُزال، والعادة محكَّمة .

الفروق: للقرافي المالكي، أحمد بن إدريس (ت: ٦٨٤هـ)، ويحتوي على (٥٤٨) قاعدة فقهية، أوضح كل قاعدة بما يناسبها من الفروع.

الأشباه والنظائر: للسُّبكيّ الشافعي، عبدالوهاب بن علي (ت: ٧٧١هـ) .

الأشباه والنظائر: لابن الوكيل الشافعي، محمد بن عمر (ت: ٧١٦هـ) .

القواعد النورانية: لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨ هـ).

المنثور: للزركشيّ الشافعي، محمد بن بهادر (ت: ٧٤٥هـ).

القواعد: للمقريّ، محمد بن محمد (ت: ٧٥٨هـ)، ويضم نحو ألف ومائتين وخمسين قاعدة، وهي ليست خاصّة بالمذهب المالكي.

المجموع المذهَّب في قواعد المذهب: للعلائيّ الشافعي، خليل بن كيكلدي (ت: ٧٦١ هـ) .

تقرير القواعد وتحرير الفوائد: لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، بنى مباحثه على مئة وستين قاعدة.

القواعد والفوائد الأصولية: لابن اللحام البعليّ الحنبلي، علي بن عباس (ت بعد: ٨٠٣ هـ).

الأشباه والنظائر: لابن الملقِّن الشافعي، سراج الدين، عمر بن علي (ت: ٨٠٤ هـ)، قال في كشف الظنون: إنه التقطه من كتاب السُّبكي خفية .

الأشباه والنظائر: للسُّيوطي الشافعي (ت: ٩١١ هـ).

إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك: للونشريسيّ، أحمد بن يحيى (ت: ٩١٤ هـ).

الأشباه والنظائر: لابن نُجيم الحنفي (ت: ٩٧٠ هـ)، وهو مشتمل على سبعة فنون هي: معرفة القواعد، وفنُّ الضوابط، وفَنُّ الجمع والفرق، وفَنُّ الألغاز، وفَنُّ الحيل، والأشباه والنظائر، وهو فَنُّ الأحكام، وما حكي عن أبي حنيفة وصاحبيه.

المسند في قواعد المذهب: لمحمد عظوم المالكي، المتوفى في أواسط المائة العاشرة من الهجرة، ويضمّ كليات فقهية، وما اتفق عليه علماء الأصول من الأقوال.

مجلة الأحكام العدلية: أعدتها لجنة من كبار علماء الدولة العثمانية الأحناف، وصدرت قانونًا مدنيًا شرعيًا عامًّا في المملكة العثمانية منذ عام ١٢٩٣ هـ، بتسع وتسعين قاعدة كلية فقهية معروفة[١].

---

(١) ومن كتب القواعد عند المتأخرين:

شرح القواعد الفقهية: للشيخ أحمد الزّرقا، اشتمل على ١٣٠ قاعدةً فقهيةً وشروحها.

موسوعة القواعد والضوابط الفقهية: د. علي أحمد الندوي، إصدار شركة الراجحي.

موسوعة القواعد الفقهية: د. محمد صدقي البورنو.

موسوعة معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، ضمت ١٥٠ قاعدة مقاصدية، وأكثر من ١٠٠٠ قاعدة فقهية، وأكثر من ٦٠٠ ضابط فقهي، وأكثر من ٥٠٠ قاعدة أصولية، صدرت في ٤٢ مجلدًا.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدّ هذا الكتاب من أقدم ما وصل إلينا في هذا الفن، وهو فريد في موضوعه، ولَم ينسج على منواله كتاب آخر يضارعه في موضوعه إلى عصر المؤلف؛ قال العلائيُّ: «كتاب القواعد الذي اخترعه شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام هو الكتاب الذي لا نظير له في بابه».

ومما يدل على أهمية الكتاب العلمية إقبال العلماء عليه وإفادتهم منه ونقلهم عنه.

وقد تميز الكتاب بالأسلوب السهل، والروح الإصلاحية عند المؤلف، والواقعية، وببيان بعض النظريات الإسلامية، وبالبعد عن التعصب المذهبي، وجاءت القواعد بعبارة موجزة جامعة.

● **الغاية من تأليف هذا الكتاب:**

ذكر المؤلف أنّ غرضه من تأليف هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد في كسبها، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد في درئها.

● **المنهج والأسلوب:**

يدور الكتاب حول القاعدة الشرعية الأساسية (جلب المصالح ودرء المفاسد)، وأما القواعد الفقهية الأخرى فهي مبثوثة في غضونه، ومردها إلى القاعدة العامة.

بدأ المؤلف الكتاب بأبحاث تمهيدية بيّن فيها المصالح والمفاسد.

ثم تلا ذلك فصول في بيان جلب مصالح الدارين ودرء مفاسدها.

عرض الكتاب ما يقارب العشرين قاعدة، وهي على النحو التالي:

قاعدة في الموازنة بين المصالح والمفاسد.

قاعدة في تعذر العدالة في الولايات.

قاعدة في بيان الحقوق الخالصة والمركبة .

قاعدة في الجوابر والزواجر.

قاعدة في بيان متعلقات الأحكام.

قاعدة في بيان حقائق التصرفات.

قاعدة في ألفاظ التصرفات.

قاعدة فيما تحمل عليه ألفاظ التصرفات.

قاعدة في الوقت الذي تثبت فيه أحكام الأسباب والمعاملات.

قاعدة في بيان الشبهات المأمور باجتنابها.

قاعدة فيما يقبل من التأويل وما لا يقبل.

قاعدة في كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل.

قاعدة في اختلاف أحكام التصرفات لاختلاف مصالحها.

قاعدة فيما يوجب الضمان والقصاص.

قاعدة في من تجب طاعته، ومن تجوز طاعته، ومن لا تجوز.

قاعدة في الشبهات الدارئة للحدود.

قاعدة في المستثنيات من القواعد الشرعية.

يستقرئ المؤلف أمثلة وتفصيلات كثيرة في بعض القواعد.

يعنى كثيرًا بالاستدلال بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وآثار الصحابة، والمعقول.

مزج ما بين المباحث العقدية والأخلاقية، والمفاضلة بين الأعمال.

- **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب العديد من الطبعات، منها: طبعة بتحقيق: د. نزيه كمال حماد، ود. عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق.

وطبعة بتحقيق: الشيخ عبد الغني الدقر، دار الطباع، دمشق.

۞ ۞ ۞

الفـروق

خمس مائة وثماني وأربعين قاعدة من القواعد الفقهية، مما لم يسبق إلى مثلها أحد من قبل، ولا أتى أحد بشبهها.

«ابن فرحون»

- **القرافي (ت: ٦٨٤ هـ).**

أبو العباس، أحمد بن إدريس الصنهاجي، الملقب بشهاب الدين، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك، ولازم سلطان العلماء العز ابن عبد السلام ملازمة طويلة، وكان إضافة إلى تبحره في الفقه وأصوله، واللغة وعلومها، مُلمًّا بصناعة الساعات والتماثيل المتحرّكة، وقد اتسمت مؤلفاته بالابتكار من حيث التحقيق والاستنباط، وهي نفيسة وفريدة في موضوعاتها، ومن كتبه «الذخيرة»، و«الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام»، و«الفروق» قال عنه: وسميته «أنوار البروق في أنواء الفروق»، ولك أن تسميه كتاب «الأنوار والأنواء»، أو كتاب «الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية» كل ذلك لك[1].

- **الموضوع:**

في علم الفروق والقواعد الفقهية، وهو فرع من فروع علم أصول الفقه[2].

وقد نشأت الفروق مع نشأة كل علم أو فن؛ لأنه لا يمكن التمييز بين

(١) انظر ترجمته في: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: لابن فرحون المالكي (١/٢٠٥).

(٢) يقال: فَرَقَ بين الشيئين فَرْقًا وفُرقانًا: فصل وميّز أحدهما من الآخر. وفَرَقَ بين المتشابهين: بيّن أوجه الخلاف (المعجم الوجيز).

أجزائه والاختلاف في أحكامه وقوانينه إلا بملاحظة الفرق بينهما؛ ففي اللغة العربية كتب أبو هلال العسكري «الفروق اللغوية».

وأول من ألّف في الفروق في الفقه الإسلامي عامّة: محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ أبي حنيفة (ت: ١٨٩ هـ) في كتابه «الجامع الكبير».

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر كتاب «الفروق» أهم كتاب في قواعد الفقه المالكي؛ قال الصَّلاح الصفدي: «وهو كتاب جيد، كثير الفوائد، وبه انتفعت، فإن فيه غرائب وفوائد من علوم غير واحدة، وكتبت بعضه بخطي».

- **الغاية من تأليف الكتاب:**

بيَّن المؤلف الغاية من تأليف هذا الكتاب، فقال في المقدمة: «فإن القواعد ليست مستوعَبة في أصول الفقه، بل للشريعة قواعد كثيرة جدًّا عند أئمة الفتوى والفقهاء، لا توجد في كتب أصول الفقه أصلاً، وذلك هو الباعث لي على وضع هذا الكتاب، لأضبط تلك القواعد بحسب طاقتي».

- **المنهج والأسلوب:**

- بيّن المؤلف منهجه في كتاب الفروق، فقال: «وجعلت مبادئ المباحث في القواعد بذكر الفروق، والسؤال عنها بين فرعين أو قاعدتين، فإن وقع السؤال عن الفرق بين الفرعين، فبيانه بذكر قاعدة أو قاعدتين يحصل بهما الفرق، وهما المقصود تحقيقهما، ويكون تحقيقهما بالسؤال عن الفرق بينهما أولى من تحقيقهما بغير ذلك، فإن ضم القاعدة إلى ما يشاكلها في الظاهر ويضادها في الباطن أولى، لأن الضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء».

- أوضح كل قاعدة بما يناسبها من الفروع.

- تمثل منهج القرافي في هذا الكتاب في أمرين:

الأول: استنباط الفرق بين فرعين ليستنتج منه قاعدة أخرى.

الثاني: استنباط الفرق بين قاعدتين بقصد تحقيقهما.

- يحتوي الكتاب على خمسمائة وثمان وأربعين (٥٤٨) قاعدة فقهية.

● **كتب ذات صلة:**

نال كتاب الفروق اهتمام علماء المالكية وعنايتهم، ترتيبًا، وتعقيبًا، وتهذيبًا واختصارًا، ومن ذلك:

- الذخيرة: للمؤلف، جمع في الفروق ما نثره في الذخيرة من الفقه والقواعد والضوابط الفقهية.

- ترتيب فروق القرافي واختصارها: لمحمد بن إبراهيم البقوري (ت: ٧٠٧هـ)، وهو من أنفس الكتب التي اعتنت بكتاب «الفروق».

- مختصر الفروق: للقاضي ناصر الدين، محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام الربعي التونسي المالكي (ت: ٧١٥هـ).

- إدرار الشروق على أنواء الفروق: لسراج الدين، قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري المالكي (ت: ٧٢٣).

- القواعد والضوابط الفقهية القرافية: لعادل بن عبد القادر ولي قوته.

- تعليقات الحجوي على الفروق: محمد بن الحسن (١٨٧٤ - ١٩٥٦).

- تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية: لمحمد علي بن الشيخ حسين المكي المالكي (ت: ١٣٢٧هـ)، لخص فيه فروق القرافي وهذبها ورتبها ووضحها.

- فهرس تحليلي لقواعد الفروق: وضعه أبو المنتصر أ. د. محمد رواس قلعة جي، وهو فهرس تحليلي بترتيب أبجدي لمسائله، فيذكر رقم القاعدة والموضوع والمجلد والصفحة.

- فهرس كتاب الفروق: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، سنة ٢٠٠٧م، دار أصالة الحاضر.

طبع الكتاب العديد من الطبعات.

وصدر بدراسة وتحقيق كل من: محمد أحمد سراج، ود. علي جمعة محمد، طبعة دار السلام سنة ٢٠٠١م.

۞ ۞ ۞

حاشية ابن عابدين
رد المحتار، على الدر المختار، شرح تنوير الأبصار

وهذا الكتاب هو أجمع كتاب في الفقه الحنفي، من كتب الفتوى والترجيح، في خمسة مجلدات ضخام كبار جدًا، ويعتبر لدى علماء المذهب منخل المذهب فيما عليه الفتوى، ولا يكاد يُعوَّل على فتوى في الفقه الحنفي دون الرجوع إلى هذا الكتاب(١).

«الشيخ عبد الفتاح أبو غدة»

- **ابن عابدين (١١٩٨ - ١٢٥٢ هـ):**

محمد أمين بن عمر، فقيه البلاد الشامية، ومرجع الفتوى وإمام الحنفية في عصره، كان أمين الفتوى، حفظ القرآن الكريم والشاطبية والميدانية والجزرية، وتفقه بالمذهب الشافعي، وأخذ العلم عن شيوخ عصره، أمثال الشيخ سعيد الحلبي، والشيخ شاكر العقاد، وهو الذي جعله يتحول للمذهب الحنفي، له مصنفات زادت على الخمسين، أكثرها في مسائل الفقه.

---

(١) مسائل الحنفية على طبقات ثلاث: الأولى، ظاهر الرواية: وهي مسائل الأصول المروية عن أصحاب المذهب، وهم أبوحنيفة، وأبو يوسف، ومحمد رحمهم الله تعالى، ويلحق بهم زفر، والحسن بن زياد، وغيرهما ممن أخذ عن أبي حنيفة، ويسمى هؤلاء المتقدمون. الثانية، مسائل النوادر: وهي مسائل مروية عن أصحاب المذهب، كالكيسانيات، والهارونيات، والجرجانيات. الثالثة، الفتاوى والواقعات: وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون، لما سئلوا عنها ولم يجدوا فيها رواية عن أصحاب المذهب المتقدمين. الفقه الاسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي (٤٨/١) بتصرف.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

تعتبر حاشية ابن عابدين مرجعًا من أهم مراجع الفقه الحنفي، ضمَّنها المؤلف خلاصة فكره وعصارة تحقيقه، وجمع فيها حصيلة كتب المذهب، مع التحرير للنقول، وموازنة بعضها ببعض، والاستمداد من الكتب الأصلية بدقة وعناية، حتى اعتبرت نافذة على المذهب الحنفي كله، ومنتهى المطاف في الفتوى والقضاء.

قال د. وهبة الزحيلي: «تعتبر حاشية ابن عابدين، علامة الشام... خاتمة التحقيقات والترجيحات في المذهب الحنفي»[١].

قال د. محمد إبراهيم أحمد علي: هذا الكتاب «حاشية ابن عابدين» يكاد يتسنم ذرى الشهرة بين كتب الفترة المتأخرة، فهو معتمد أكثر العلماء المعاصرين، ولا شك أن منهج المؤلف وشهرته قد جعلا هذا الكتاب من أشهر الكتب المعتمدة المتداولة بعد زمن المؤلف إلى عصرنا هذا»[٢].

● **المنهج والأسلوب:**

يتكون هذا الكتاب من ثلاثة كتب، هي «تنوير الأبصار للتمرتاشي»، وهو متن مختصر[٣].

و«الدر المختار في شرح تنوير الأبصار للحصكفي»، وهو شرح موجز، قال عنه ابن عابدين: إنه لصغر حجمه ووفور علمه قد بلغ في الإيجاز حد

(١) الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي (١/٦٠).

(٢) دراسات في الفقه الإسلامي: د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. ود. محمد إبراهيم أحمد علي. إصدار جامعة أم القرى.

(٣) تنوير الأبصار: ألفه محمد بن عبد الله بن أحمد الخطيب التمرتاشي الغزي، كان رأس الفقهاء في عصره، حسن السمت، قوي الحافظة، كثير الاطلاع (ت: ١٠٠٤ هـ).

الألغاز. و«حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار» لابن عابدين[١].

بيَّن ابن عابدين منهجه في الكتاب، فقال: «وقد التزمت فيما يقع في الشرح من المسائل والضوابط مراجعة أصله المنقول عنه وغيره، خوفًا من إسقاط بعض القيود والشرائط، وبذلت الجهد في بيان ما هو الأقوى، وما عليه الفتوى، وبيان الراجح من المرجوح، مما أطلق في الفتاوى أو الشروح، معتمدًا في ذلك على ما حرره الأئمة الأعلام، من المتأخرين العظام، مثل ابن الهمام، وتلميذه قاسم، وابن أمير حاج، والمصنف الرملي، وابن نجيم، وابن الشبلي، والشيخ إسماعيل الحائك والحانوتي السراج وغيرهم».

كتب المؤلف هذا الحاشية بإشراف شيخه الشيخ سعيد الحلبي، فكان يعرض ما كتبه عليه بين الحين والآخر، فيقرّ الشيخ تلك التعليقات[٢].

غالبًا ما يورد المؤلف عبارة الطحطاوي أو الحلبي، ويضيف بعد ذلك قوله (فتأمل)، أو (فليحرر)، أو (فيه نظر)، أو نحو ذلك، وحينئذ مراده أنه لا يسلم بهذا القول.

● **كتب ذات صلة:**

قرة عيون الأخيار: تكملة ردّ المحتار، لمحمد علاء الدين نجل المؤلف، وذلك أن المؤلف بدأ بتحرير كتابه من باب الإجارة إلى الآخر،

---

(١) الدر المختار: ألفه محمد بن علي بن محمد علاء الدين الحصكفي؛ نسبة إلى حصن كيفا في ديار بكر، وهو فقيه حنفي أصولي له مشاركة في التفسير والحديث (ت: ١٠٨٨ هـ).
(٢) الشيخ سعيد الحلبي: أبو عثمان، فقيه الشام في عصره (ت: ١٢٥٩هـ).

وتوفي قبل إتمامه، فقام ولده الشيخ علاء الدين، فأكمل تبييضه.

رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار: لابن عابدين.

التحرير المختار لرد المحتار: تقريرات عبد القادر الرافعي الفاروقي على الحاشية.

فهرس حاشية ابن عابدين: أحمد مهدي الخضر.

فهرس حاشية ابن عابدين: أصدرته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، سنة ١٤٠٠هـ.

فهرس حاشية ابن عابدين: قامت به كلية الشريعة بجامعة دمشق، ولَم يتم.

ابن عابدين وأثره في الفقه: د. محمد عبد اللطيف فرفور، طبعته دار البشاير، سنة ٢٠٠١م.

۞ ۞ ۞

المهذب

كان المهذب أهمَّ كتاب في الفقه الشافعي في عصره، أكبَّ عليه العلماء والطلاب للدراسة والبحث، وأصبح المرجع الوحيد للفتوى في المذهب إلى عصر الرافعي والنووي.

«د. محمد الزحيلي»

● **الشيرازي (٣٩٣ - ٤٧٦ هـ):**

أبو إسحاق، إبراهيم بن علي، العلامة المناظر، ولد في فيروز آباد، وانتقل إلى شيراز، فقرأ على علمائها، وانصرف إلى البصرة، ومنها إلى بغداد، فأتم ما بدأ به من الدرس والبحث، اشتهر في قوة الحجة في الجدل والمناظرة، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرّس فيها ويديرها، عاش فقيرًا، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحًا مناظرًا، له شعر، وله تصانيف كثيرة، منها «التنبيه»، و«التبصرة» و«طبقات الفقهاء»، و«اللمع في أصول الفقه»(١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال المؤلف: «هذا كتاب مهذب، أذكر فيه إن شاء الله تعالى أصول مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بأدلتها، وما تفرع على أصوله من المسائل المشكلة بعللها».

وقال حاجي خليفة: «وهو كتاب جليل القدر، اعتنى بشأنه فقهاء الشافعية».

وقد تميز أسلوب المؤلف بالسهولة والوضوح.

---

(١) انظر: (الإمام الشيرازي، حياته، وآراؤه الأصولية) د.محمد حسن هيتو.

● **المنهج والأسلوب:**

قسم المؤلف الموضوعات إلى كتب، وقسّم الكتب إلى أبواب، ويندرج تحت الأبواب فصول، يورد فيها أمّهات الأحكام الشرعية .

يستدل على الأحكام من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، والإجماع، والقياس، والتعليل.

اعتمد على ما كتبه فقهاء الشافعية قبله، حيث اطلع على جميع ما صنفوه، فاختصر أقوالهم، وأشار إلى اختلافهم، مشيرًا إلى نصوص الإمام الشافعي.

● **تنبيهات:**

ذكر د. محمد الزحيلي بعض التنبيهات المتعلقة بكتاب المهذب، ومنها:

أنه لا يعتبر هذا الكتاب - في عمومه - في التدقيق والتنقيح والترجيح في المذهب الشافعي، وإنما العبرة لتحقيق وترجيح الرافعي والنووي.

وأنه لم يلتزم ببيان القول الصحيح، أو الوجه الراجح في المذهب.

وأنه لَم يتعرض إلى الخلاف في المذهب، واكتفى بذكر قول واحد.

وأنه وردت بعض الأسماء المبهمة والعبارات المشكلة، والألفاظ الغامضة، من غير أن يبينها أو يشرحها أو يوضحها .

وأنه لَم يخرِّج الأحاديث التي استدلَّ بها(١).

---

(١) المرجع: كتاب «المهذب»: حققه، وضبطه، ورقَّمه، وفهرسه وقسَّمه إلى فقرات، وبيَّن الراجح في المذهب، وصحح الأقوال والأوجه في المسائل، د. محمد الزحيلي، ط. دار القلم سنة ١٩٩٢م.

● **كتب ذات صلة:**

اعتنى الفقهاء الشافعية كثيرًا بكتاب المهذب، وظهرت عليه الشروح والتعليقات والمختصرات، ومن الكتب ذات الصلة بالمهذب:

- **النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب**: لمحمد بن بطال الركبي (ت: ٦٣٣ هـ).

- **الاستقصاء لمذهب العلماء الفقهاء**: لعثمان بن عيسى الماراني (ت: ٦٠٢هـ)

- **شرح المهذب، لأبي إسحاق**، إبراهيم بن منصور العراقي (ت: ٥٩٦هـ) شرحه في قريب من عشرين مجلدًا، لكنه لم يكمله، ووصل فيه إلى كتاب الشهادة.

- **المجموع: للنووي**، يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، وهو أهم وأشهر شروح المهذب، ولَم يكمله، وإنما توقف فيه عند باب الربا، وأتمه بعد ذلك السبكي، تاج الدين، عبد الوهاب بن علي (ت: ٧٧١ هـ)، ثم المطيعي من المعاصرين. قال النووي في مقدمة المجموع: «واعلم أن هذا الكتاب وإن سميته شرح المهذب، فهو شرح للمذهب كله، بل لمذاهب العلماء كلهم، وللحديث، وجمل من اللغة، والتاريخ، والأسماء، وهو أصل عظيم في معرفة صحيح الحديث وحسنه وضعيفه، وبيان علله، والجمع بين الأحاديث المتعارضات، وتأويل الخفيات، واستنباط المهمات»[١].

۞ ۞ ۞

(١) بدأ النووي فيه بمقدمة، تحدث فيها عن نسب الإمام الشافعي، وعن فضل العلم، وعن أحكام المفتي والمستفتي، وعن صفة الفتوى. طبعت المقدمة بتحقيق: د.محمد محمد تامر.

المدوَّنـة

إنَّ المدونةَ تشمل آراء مالك المرويَّة، وآراء الصحابة، وتخريج ابن القاسم على أصول مالك، فهي في الواقع سَنَّتْ سبيل الفقه المقارن بموازنة آراء مالك بآراء أصحابه، وهي قد سنت أيضًا السبيل لتخريج المسائل على أصول مالك، ومنها الرواية المعتبرة للمذهب المالكي، أو بعبـارة أدق هي أصح كتب الفروع في المذهب المالكي روايـة.

«الشيخ محمد أبو زهرة»

يعرف هذا الكتاب بالمدونة، وبالمختلطة، وبمدونة سحنون، وتنسب إلى ثلاثة من الأئمة هم: الإمام مالك، الذي جمع فيها فقهه، وعبد الرحمن بن القاسم، وسحنون[١].

ابن القاسم: هو عبد الرحمن بن القاسم المصري، وهو شيخ حافظ حجة فقيه، صحب الإمام مالك عشرين سنة، وتفقه به وبنظرائه، لَم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت منه، قال عنه ابن الحارث: «هو أفقه الناس بمذهب مالك، وهو الذي روى المدونة عن الإمام مالك».

سحنون: هو عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني (ت: ٢٤٠هـ) أصله من حمص، كان ثقة حافظًا للعلم، رفيع القدر، عفيفًا، أبي النفس، رحل في طلب العلم، وهو ابن ثمانية عشر عامًا، لَم يَلْقَ مالكًا، وإنما أخذ

(١) الإمام مالك: تقدمت ترجمته في بحث «الموطأ». قال القاضي عياض: «وأما أهل الأندلس فكان رأيهم منذ فتحت على رأي الأوزاعي، إلى أن رحل إلى مالك: زياد بن عبد الرحمن، وقرعوس بن العباس، والغازي بن قيس ومن بعدهم، فجاءوا بعلمه، وأبانوا للناس فضله، واقتداء الأمة به، فعرف حقه ودرس مذهبه» (ترتيب المدارك: ١/ ٢٧).

عن أئمة أصحابه، كابن القاسم وأشهب، وكان مجتهدًا، تولى قضاء أفريقية، وهو الذي جمع المدونة وصنَّفها ورتبها على أبواب الفقه.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

تعد المدونة من أجلِّ كتب المالكية على الإطلاق، ومن أمهات الكتب عندهم، وأصل من أصول مذهبهم؛ وذلك لأنها تحتوي على عدد ضخم من المسائل الفقهية، ولقبول الناس لها وانشغالهم بها وعكفوهم عليها، فلا تكاد تقرأ كتابًا للمالكية إلا وتجد أثرًا للمدونة فيه، وبلغ من أهميتها أنه إذا ورد لفظ الكتاب انصرف إليها.

قال ابن رشد: «ما بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة، والمدونة عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب، وموضوعها في الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزي من غيرها ولا يجزي غيرها عنها».

قاعدة في ترتيب الترجيح بين الروايات والأقوال عند المالكية: «... وإنما يفتى بقول مالك في الموطأ، فإن لم يجده في النازلة فبقوله في المدونة، فإن لم يجده في قول مالك فبقول ابن القاسم فيها، وإلا فبقوله في غيرها، وإلا فبقول الغير في المدونة، وإلا فبأقاويل أهل المذهب»[(١)].

● **أصل المدونة:**

أصل المدونة هي «الأسدية»، نسبة إلى القاضي أسد بن الفرات (ت: ٢١٣هـ)، وأصله من خراسان، وتفقه في تونس، ثم رحل إلى المشرق، فسمع من مالك موطأه وغيره، ثم ذهب إلى العراق، فلقي أبا يوسف،

(١) «فتاوى الشيخ عليش» (١/ ٦١).

ومحمد بن الحسن، وبعد أن اطلع على فقه أهل العراق وعلى ما فيه من الفروض والمسائل، راح يبحث عن هذه الفروض والمسائل على وَفق مذهب الإمام مالك، وكان الإمام مالك في ذلك الوقت قد توفي، فالتجأ إلى تلميذه ابن القاسم، إذ كانت له بمالك صحبة طويلة، فلزمه وطرح عليه الأسئلة، ومن مجموع هذه الأجوبة تكونت الأسدية.

ولما كان ابن القاسم يجيب عن بعض الأسئلة بقوله: أخال، أظن، أو أحسب، وعن بعض الأسئلة: بمثل ما حكم به مالك، وعن بعض الأسئلة: باجتهاده على الأصول المالكية، فإن سحنون لما تلقى الأسدية أراد أن يستوثق مما كان ظنًّا، فارتحل إلى ابن القاسم بها، وعرضها عليه وقال: أريد أن أسمعها منك، فأسمعه إياها، وأسقط من كتب أسد ما كان ظنًّا ونحوه.

ونظر سحنون بعد ذلك فيما كتبه، بعد أن استوثق من رواية ما هو رواية منها وما هو مخرج على أصول مالك، ورتبها وهذبها وزاد عليها خلاف أصحاب مالك له، وذيَّل أبوابها بالحديث والآثار، فكانت المدونة بذلك تجمع آراء مالك المروية عنه، والمخرجة على أصوله، وبعض آراء أصحابه، وبعض الآثار والأحاديث الواردة في مسائل الفقه التي اشتملت عليها(١).

• **كتب وأعمال ذات صلة:**

اهتمَّ علماء المالكية بالمدونة شرحًا وتحقيقًا وتعليقًا، ومن أشهر الكتب التي تناولت المدونة بالشرح والتعليق والاختصار(٢):

---

(١) مالك: أبو زهرة (ص: ٢٥٣ - ٢٦٣)، بتصرف.

(٢) انظر: ترتيب المدارك: للقاضي عياض (٢٩١/٣). محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي: لعمر الجيدي، ذكر المؤلف فيه الأعمال التي تناولت المدونة.
المدونة الكبرى: بإشراف ومراجعة السيد علي عبد الرحمن الهاشمي، سنة ٢٠٠٣ دولة =

اختصرها: عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت: ٢٨٦ هـ).

هذَّبها: أبو سعيد البراذعي، خلف بن أبي القاسم (ت: ٣٧٢هـ).

المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات: لابن رشد الجد، محمد بن أحمد (ت: ٥٢٠هـ)، وهي مقدمة للمدونة، استوفى فيها بعض مسائل وقعت ناقصة في المدونة، فأثبتها مجموعة ملخصة مشروحة.

الطراز: لسند بن عنان المصري (ت: ٥٤١ هـ)، ويعد من أهم شروح المدونة.

التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة[(١)]: تعليقات كتبها القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ).

وشرحها: أبو الروح، عيسى بن مسعود المنكلاتي الزواوي (ت: ٧٤٤هـ).

اعتنى بها وطبعها: السيد محمد ساسي المغربي التونسي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤هـ.

= الإمارات العربية.

مالك: حياته وعصره، آراؤه وفقهه: الشيخ محمد أبو زهرة.

(١) المختلطة من أسماء المدونة سميت بذلك لاختلاط أبوابها.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه، ذكر فيه أسباب الخلاف، وعلل ووجهَ؛ فأفاد وأمتع به، ولا يعلم في وقته أنفع منه، ولا أحسن سياقًا.

«ابن فرحون»

● **ابن رشد الحفيد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ):**

محمد بن أحمد ابن رشد، الشهير بالحفيد، تمييزًا له عن جده، وهو فقيه مالكي، فيلسوف، طبيب، من أهل الأندلس، كان يفزع إلى فتاواه في الطب كما يفزع إلى فتاواه في الفقه، حتى حكي عنه أنه لَم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه، وليلة بنائه على أهله، وقد أحصي لابن رشد ١٠٨ كتب وشروح ومصنفات طبية، وكتب فقهية وكلامية، وكتب أدبية ولغوية، واختص ابن رشد بشرح كل التراث (الأرسطي) فترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة[١].

● **الموضوع:**

في فقه المذهب المالكي، إلا أن المؤلف يستعرض آراء المذاهب الأخرى، ويذكر سبب الخلاف بين الفقهاء، مع بيان مستند كل قول ودليله

(١) لترجمة ابن رشد انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٣٠٧/٢١)، وطبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة (ص: ٤٠٧)، والديباج المذهب: ابن فرحون (٢٤٨/١).
وانظر: ابن رشد فيلسوف قرطبة: ماجد فخري، وابن رشد سيرةٌ وفكرٌ: محمد عابد الجابري، وابن رشد: للعقاد.

من الكتاب والسنة والقياس، مع الترجيح، وبيان الصحيح، لذلك فهو يعد أيضًا من كتب الفقه المقارن.

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أن غايته من تأليف هذا الكتاب: إثبات المسائل والأحكام المتفق عليها والمختلف فيها مع ذكر أدلتها، والتنبيه على نكت الخلاف فيها، وما يجري مجرى الأصول والقواعد.

● **القيمة العلمية:**

يعد هذا الكتاب من كتب الفقه المقارن الهامة، ولذلك فقد حظي باهتمام كثير من الباحثين، وترجمت بعض فصوله الى بعض اللغات الأوروبية، وحقق وطبع عدة طبعات.

قال ابن فرحون في «الديباج»: ذكر فيه أسباب الخلاف فأجاد وأمتع به، ولا يعلم في وقته أنفع منه، ولا أحسن منه سياقًا.

وتميز الكتاب بوضوح المنهج ودقته، واستيعابه أقوال الفقهاء وأدلتهم؛ وتعويله على الاستدلال باللغة والنحو.

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ المؤلف بمقدمة أصولية، سلَّط فيها الضوء على أسباب اختلاف الفقهاء، ثم بيَّن أصناف الأحكام الشرعية الخمسة: الواجب، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح.

استعرض المباحث الفقهية مرتبة حسب ورودها في كتب الفقه، ابتداء من الطهارة، ثم الصلاة، ثم الجنائز، ثم الزكاة، إلى أن انتهى بكتاب الأقضية.

اتسم منهجه بتفريع مسائل الباب، وذكر موطن الاختلاف، وبسط الأدلة.

طريقته في العرض: يعرض المسألة على مذهب الإمام مالك، ثم يبين سائر أقوال الفقهاء المعتبرين عند جماعة المسلمين. وقد لا يكتفي بذكر آراء أئمة المذاهب المعتبرين، بل قد يأتي بأقوال المجتهدين ضمن هذه المذاهب.

● **كتب ذات صلة:**

الهداية في تخريج أحاديث البداية: أحمد صديق الغماري.

طبع الكتاب بتحقيق: يوسف عبد الرحمن مرعشلي، وعدنان شلاق، وعلي نايف بقاعي، وعلي حسن الطويل، ومحمد سليم إبراهيم سمارة، نشر عالم الكتب، لبنان.

وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: ماجد الحموي.

القوانين الفقهية
في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية

إن كتاب القوانين الفقهية للعلامة محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، من أهم كتب الفقه الإسلامي المختصرة؛ أسلوبًا ومنهجًا وجمعًا لمذاهب الفقهاء، مع الاختصار وقلة الحشو، هذا مع ذكره لنبذة مفيدة عن العقائد في بدايته، وجامع شامل لجملة من الآداب والثقافة والأخلاق، وموضوعات أخرى في نهايته، فهو منهج شامل ومختصر، يعين المسلم على دينه، ويغنيه عن الكتب المطولة في شتى العلوم، وقد زادت عناية طلاب العلم به في الآونة الأخيرة، حتى غدا مرجعًا للطلاب والمدرسين في العالم العربي، وخاصة في الغرب الإسلامي؛ حيث يتفرد المذهب المالكي بتلك الديار.

«د.محمد بن سيد محمد بن مولاي»

- **ابن جزي الكلبي (٦٩٣ - ٧٤١ هـ):**

أبو القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تولى الخطابة في ريعان شبابه بالجامع الأعظم بغرناطة، فوفق في استمالة القلوب، وتوجيه الناس بالأسلوب الحسن، والبراعة والمنطق، وكان نابغة زمانه في مختلف العلوم الإسلامية. قال فيه ابن فرحون: «من أهل غرناطة، وذوي الأصالة والنباهة فيها، كان -رحمه الله- على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهًا قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون شتى».

وقال الحضرمي: «كان رجلًا ذا مروءة كاملة، حافظًا متقنًا، ذا أخلاق فاضلة، وديانه وعفة وطهارة، وشهرته دينًا وعلمًا أغنت عن التعريف به».

من مصنفاته: «النور المبين في قواعد عقائد الدين»، و«التسهيل في علوم التنـزيل»، و«الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار»، و«تقريب الوصول إلى علم الأصول»، و«الفوائد العامة في لحن العامة»[١].

● **الموضوع:**

في الفقه المالكي والفقه المقارن، وعده بعضهم من كتب قواعد الفقه المالكية، فقال: وممن نعتبر أنه قد كتب في قواعد الفقه من المالكية أيضًا محمد بن أحمد، وكتابه في القواعد سماه كتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية[٢].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ كتاب القوانين من الكتب الفقهية التي تحظى بمكانة كبيرة عند علماء المذهب، فكتب العمدة ترجع إليه في المسائل، مثل: شروح خليل، كمواهب الجليل، وكالخرشي وغيرهما، لكنه لم يكن من الكتب المقررة في الحواضر العلمية الكبيرة كالقيروان والقرويين والأزهر وغيرها، ومع ذلك ينظر إلى القوانين ككتاب ممتاز، مؤلفه عالم جليل متبحر في العلوم، وخاصة الفقه، والأصول، والتفسير.

---

(١) ينظر ترجمة ابن جزيّ في: نفح الطيب: للمقري (٨/ ٢٨)، والإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين ابن الخطيب (٣/ ٢٠)، وطبقات القراء: لابن الجزري (٢/ ٨٣)، وطبقات المفسرين: للداودي (٢/ ٨١)، والدرر الكامنة: لابن حجر (٣/ ٣١٥)، والديباج المذهب: لابن فرحون (٢/ ٣٩)، وشجرة النور الزكية: لمحمد مخلوف (٢١٣)، والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: لمحمد الحسن الحجوي الفاسي (٢/ ٢٤٠).

(٢) المنثور في القواعد: للزركشي، مقدمة التحقيق د. تيسير فائق (١/ ٣).

استطاع المؤلف أن يجمع بين المذهب المالكي والخلاف العالي، وبين الاختصار والبيان وحسن التقسيم والترتيب، وكان غرضه تقريب الفقه للراغبين وتسهيله على الطالبين، فجاء كتابه سهل المطالب، قريب المأخذ، مستوفيًا لمقاصده، غير مخل بشيء من فوائده.

ذكر المؤلف مميزات كتابه، فقال: «واعلم أن هذا الكتاب ينيف على سائر الكتب بثلاث فوائد، الفائدة الأولى: أنه جمع بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالي. الفائدة الثانية: أنا لمحناه بحسن التقسيم والترتيب، وسهلناه بالتهذيب والتقريب. الفائدة الثالثة: أنا قصدنا فيه الجمع بين الإيجاز والبيان، على أنهما قلَّما يجتمعان، فجاء بعون الله سهل العبارة، لطيف الإشارة، تام المعاني مختصر الألفاظ».

● **المآخذ**:

أخذ على الكتاب خلوه من الأدلة الشرعية إلا فيما ندر .

وأنه لم يتعرض لذكر المراجع التي اعتمد عليها، ويظهر للمتتبع أنه أخذ من مؤلفات علماء المالكية في أطوارها المختلفة، كما أخذ من كتب غيرهم.

● **المنهج والأسلوب**:

يتكون الكتاب من فاتحة، وقسمين، وخاتمة.

أما **الفاتحة**: فهي تدور فيما يجب في الاعتقادات، وقسمها إلى عشرة أبواب، خمسة منها في الإلهيات، والخمسة الأخرى في السمعيات، تناول فيها الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، والدار الآخرة، والإمامة، والفرق بين الإيمان والإسلام. قال ابن جزي: «اعلم أني افتتحته بعقيدة سنية

وجيزة تقديمًا للأهم، فلا جرم أن الأصول أهم من الفروع، ومن الحق تأخير التابع وتقديم المتبوع».

القسم الأول: تناول فيه العبادات، وجعله على عشرة كتب، وكل كتاب يتكون من عشرة أبواب، وكل باب يتكون من عدة فصول، وكل فصل من عدة مسائل.

القسم الثاني: تناول فيه المعاملات، وقسمه أيضًا إلى عشرة كتب.

الخـاتمة: وسماها (الكتاب الجامع) وقسمها إلى عشرين بابًا، وضمنها سيرة موجزة لحياة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين، ومن ملك بالأندلس من الأمويين والمرابطين وخلفاء الموحدين.

ثم ذكر بعد ذلك أبوابًا في المأمورات والمنهيات المتعلقة باللسان والقلب، وبالأموال، وفي آداب الطعام والشراب واللباس والحمام والسفر والصحبة، وغير ذلك.

اختصر ابن جزي أحكام الفقه المالكي في جميع الأبواب الفقهية، واعتنى بالخلاف المذهبي خاصة، حيث أورد ما عرفه المذهب من أقوال وروايات، فذكر آراء الإمام مالك، وآراء علماء المذهب المتقدمين منهم والمتأخرين.

طريقته في العرض: يورد المسألة على مذهب الإمام مالك فينبه إلى الاتفاق والاختلاف فيها مع الأئمة الآخرين، وإذا لَم يتحدث عن الخلاف في المسألة فمعنى ذلك أنه لا يوجد فيها اختلاف.

● **كتب ذات صلة:**

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لأبي الوليد، محمد بن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥ هـ)، حيث يبدو أن هناك تقاربًا بين المنهجين، مع بعض الاختلاف، لهذا فمن المرجح أن يكون ابن جزي قد أخذ كثيرًا عن ابن رشد.

- حققه: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين.

- حققه وفهرسه: د. محمد بن سيد محمد بن مولاي، باحث بالموسوعة الفقهية، وعضو هيئة الفتوى بالكويت، وطبعته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت، قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية.

المغني

ما طابت نفسي بالإفتاء حتى صار عندي نسخة من «المغني» للموفق، ونسخة من «المحلى» لابن حزم.

«العز بن عبد السلام»

- **ابن قدامة المقدسي (٥٤١ - ٦٢٠ هـ):**

موفق الدين، عبد الله بن أحمد، المقدسي، الجَمَّاعيلي، الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، قدم دمشق مع أهله، وله عشر سنين، فقرأ القرآن الكريم، وحفظ «مختصر الخرقي»، وقرأ على مشايخها، واشترك مع صلاح الدين في محاربة الصليبيين.

قال الصَّفدي: «كان أوحد زمانه، إمامًا في علم الخلاف والفرائض، والأصول والفقه والنحو والحساب والنجوم السيارة والمنازل».

وقال الذهبي: «كان من بحور العلم وأذكياء العالم».

وقال ابن تيمية: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق رحمه الله». ومؤلفاته كثيرة ومتعددة، حيث كتب بالأصول، والفقه، والعقيدة، والقرآن، والسنة، والتاريخ، والأنساب وغير ذلك(١).

- **الموضوع:**

في الفقه الحنبلي، ويمتاز الفقه الحنبلي بما فيه من ميسرة ورحابة

(١) انظر ترجمته في مرآة الزمان: لسبط ابن الجوزي (٨/٦٢٧)، وسير أعلام النبلاء: للذهبي (٢٢/١٦٥)، وشذرات الذهب: لابن العماد (٥/٨٨). والبداية والنهاية: لابن كثير (١٣/٩٩)، و(ابن قدامة وآثاره الأصولية) د. عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد.

وتوسعة في كثير من مواطن الحاجة. قال القنوجي: «فأما أحمد بن حنبل فمقلدوه قليلون، لبعد مذهبه عن الاجتهاد، وأصالته في معاضدة الرواية للأخبار بعضها ببعض، وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها، وهم أكثر الناس حفظًا للسنة، ورواية للحديث».

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

بعد أن أثنى المؤلف على الأئمة والفقهاء ذكر أن الإمام أحمد بن حنبل من أقربهم إلى الله وسيلة، لذلك وقع اختياره على مذهبه، فوجب أن يشرحه، ويبيِّن المسائل التي أجمع عليها، وأن يذكر لكل إمام ما ذهب إليه، مع الإشارة إلى دليل بعض أقوالهم، على سبيل الاختصار والاقتصار على المختار، مع عزو ما أمكن عزوه.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر كتاب المغني موسوعة فقهية، وله مكانة عظيمة بين كتب الفقه، قلّ أن يظفر بها كتاب آخر، قال ناصح الدين الأنصاري[(١)]: «بلغ الأمل في إتمامه، وهو كتاب بليغ في المذهب، عشر مجلدات، تعب عليه، وأجاد فيه، وجمَّل به المذهب».

وقال محمد رشيد رضا: «فالمزية الأولى لكتاب المغني أنه لخَّص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها من أمهات الأحكام، ومهمات المسائل، فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة، وعن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها».

(١) هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن عبد الوهاب الأنصاري: رفيق ابن قدامة وخليفته في رئاسة المذهب من بعده. (ذيل طبقات الحنابلة: ابن رجب).

ويمتاز الكتاب بغزارة المادة الفقهية، واستيفاء الأدلة الشرعية، وبجزالة لفظه وتركيبه، وجمال تقسيمه وتبويبه، وحسن نظامه وترتيبه.

● **مآخذ:**

أخذ محققو الكتاب عليه بعض الملاحظات، ومنها مخالفة بعض قواعد النحو.

والخطأ في كتابة بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وبعض الأخطاء التاريخية، وفي أسماء بعض الرجال[١].

● **المنهج والأسلوب:**

هذا الكتاب شرح لمختصر «الخرقي»[٢].

التزم بترتيب الخرقي في المسائل والأبواب، واهتم بشرح عبارته ومدلولها، ومفهومها، وما يتفرع عليها، وبذكر روايات المذهب الحنبلي وأدلته بصفة عامة.

واهتم بذكر مذاهب الصحابة والتابعين، فهو يعتبر سجلًا لأقوالهم التي وصلت إليه بطريق الرّواية، وبذكر مذاهب الأئمة الذين دوَّنوا أقوالهم بأنفسهم، كالثوري، والأوزاعي، والليث، أو تنوقلت عنهم بطريق الحفظ: كابن أبي ليلى، وابن شبرمة.

---

(١) ومن المحتمل أن يكون ذلك من تحريف النساخ.

(٢) الخِرَقيُّ (بكسر الخاء وفتح الراء وبعدها قاف، نسبة إلى بيع الخرق والثياب) أبو القاسم، عمر بن الحسين (ت: ٣٣٤ هـ): أحد أئمة المذهب الحنبلي، له مصنفات كثيرة لم ينتشر منها إلا المختصر، وسبب ذلك أنه خرج من بغداد وسافر إلى دمشق لما ظهر فيها سب الصحابة رضوان الله عليهم، فاحترقت الدار التي كانت فيها كتبه.

واهتم بذكر مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم ممن عرفوا بالفقه والاجتهاد، وتتبع الآراء الفقهية بأدلتها وناقشها في نزاهة، دون أن يتعصب لمذهب الحنابلة. كما اهتم بذكر مسائل الإجماع والخلاف.

● **كتب ذات صلة:**

توافر عليه العلماء بالشرح والتعليق، حتى ذُكر له أكثر من ثلاثمائة شرح.

منها: مختصر الخرقي وهو أشهر كتاب في فقه الحنابلة، استطاع أن يجمع فيه أحكام مذهب الإمام أحمد، وأن يتقن سوق مسائله في يسر واختصار، وعدد مسائله ألفان وثلاثمائة مسألة.

الشرح الكبير: لعبد الرحمن بن محمد، ابن قدامة (ت: ٦٨٢هـ).

أشرف على تصحيحه وعلق عليه: السيد محمد رشيد رضا، وكتب التعريف بمؤلفه الشيخ عبد القادر بدران، طبعة المنار ١٣٤٧ هـ.

وطبع بتحقيق: د. طه الزيني، ومحمود فايد، وعبد القادر أحمد عطا.

وطبع بتحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح الحلو. ط. هجر، مصر.

معجم الفقه الحنبلي: مستخلص من كتاب المغني، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

القواعد الأصولية وتطبيقاتها الفقهية عند ابن قدامة في كتابه المغني: د. الجيلاني المديني، دار ابن القيم.

مَجموع فتاوى ابن تيمية

لعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاث مائة مجلد، بل أكثر، وكان يقضى منه العجب، إذا سئل كأنَّ السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه.

«الذّهبي»

- **ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٨ هـ):**

أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الحراني الدمشقي الحنبلي، لقب «بشيخ الإسلام»، و«بمحيي السنة»، و«بإمام المجتهدين»، كان فصيحًا، جهوري الصوت مكثرًا من التصنيف، وكان معظِّمًا لحرمات الله، دائم الابتهال، له أذكار وأوراد يديمها، ويحفظ أحاديث الكتب الستة، أفتى وله أقل من تسع عشرة سنة، وكان يكتب على الفتوى في الحال عدة أوصال بخط سريع، سجن مرتين بمصر من أجل فتاواه، وشنع عليه بعض العلماء في بعض فتاواه، وقال بعضهم: أنه مخطئ في ذلك خطأ المجتهدين.

قال عنه ابن الزملكاني: «كان إذا سئل عن فن من العلم ظنّ الرائي والسّامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء».

أما عن مذهبه في الفتوى، فقد قال الشيخ محمد أبو زهرة: «مكث ابن تيمية أمدًا طويلاً فقيهًا حنبليًا، يفتي في المسائل على مقتضى مذهب أحمد، مختارًا من الأقوال فيه ما يراه أقوى حجة، وأقرب إلى المصلحة، أو أقوى

قياسًا، أو أكثر موافقة للمذاهب الأخرى، فقد كان يستفتى في مصر بوصفه فقيهًا حنبليًا، يحرر ذلك المذهب ويقول بمقتضاه، وإن فتاويه في ذلك متسعة الأفق كثيرة... وكلها منهاج واحد في تحري الدقة في النقل المذهبي، والتوضيح والاستدلال»[١].

● **الموضوع:**

في الفتـاوى، والفتوى في الاصطلاح: علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الواقعات الجزئية؛ ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم، وهو من فروع علم الفقه، وتذكر كتب الفقه غالبًا بحث الفتيا في أوائل كتاب القضاء.

والمفتي: من قام للناس بأمر دينهم، وعَلِم جُمل عموم القرآن وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك السنن والاستنباط، ولم يوضع لمن علم مسألة وأدرك حقيقتها.

ولا بد أن يكون المفتي عالمًا، مخلصًا، حسن النية، عارفًا واقعة الإفتاء، والجماعة التي يعيش فيها، وأثر الفتوى في الناس، وقد قرر الفقهاء

---

(١) ترجمة ابن تيمية معروفة، حيث ترجمه كثير من المؤرخين الذين تناولوا عصره، ومنهم الذهبي. وانظر: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: لابن عبدالهادي، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ابن حجر.
ومن التراجم المعاصرة كتاب «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» لعلي العمران، و«حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» لمحمد بهجة البيطار، وابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه: محمد أبو زهرة، وابن تيمية محدثًا: أحمد محمد العليمي، وشيخ الإسلام ابن تيمية رجل الإصلاح والدعوة: إبراهيم محمد العلي.

وجوب الحجر على المفتي الماجن، وهو الذي يتبع شواذ الفتيا، ويعلم الناس الحيل، للتخلص من الأحكام الشرعية، ويفسد دينهم(١).

● **ترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم للفتاوى:**

- قام بجمع الفتاوى وتصنيفها وترتيبها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله، بمساعدة ابنه محمد، الأستاذ بمعهد الدعوة في الرياض(٢).

- رتب المصنف هذه الفتاوى على أبواب رئيسية، هي: الإيمان والتوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه.

---

(١) من أشهر كتب الفتوى: فتاوى السمرقندي (حنفي)، أبي الليث، نصر بن محمد (ت: ٣٨٣هـ)، فتاوى قاضيخان (ت: ٥٩٢هـ) حنفي، فتاوى التمرتاشي (حنفي) أحمد بن أبي ثابت (ت: ٦٠٠هـ)، الفتاوى الحنفية، لسعد الدين، مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ)، الفتاوى الهندية، للشيخ نظام الدين (ت: ١٠٧٠هـ) وجماعة من علماء الهند. فتاوى الشيخ عليش (مالكي): محمد بن أحمد (ت: ١٢٩٩هـ) فتاوى ابن الصلاح (شافعي): أبو عَمْرو، عثمان بن عبد الرحمن، الشهرزوري (ت: ٦٤٣هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، الحاوي في الفتاوي: للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، وهناك كتب بينت أصول الإفتاء وآدابه وأحكامه، من ذلك «عقود رسم المفتي وشرحه»، وهي منظومة في أصول الفتيا، لابن عابدين، وأدب المفتي والمستفتي: للشهرزوري (ت: ٦٤٣هـ)، وصفة الفتوى وآداب المفتي والمستفتي: لأحمد بن حمدان الحراني الحنبلي. وإعلام الموقعين: لابن القيم.

(٢) انظر: كتاب «العالم العابد» الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته: تأليف الدكتور عبد الملك القاسم.

تم جمع هذه الفتاوى من مكتبات نجد والحجاز والشام والعراق وغيرها، وهي مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف، مكتبة الحرم المكي، المكتبة الظاهرية في دمشق، مكتبة حسن الشطي بدمشق، مكتبة محمد حمدي السفرجلاني بدمشق، مكتبة أحمد عبيد وإخوانه بدمشق، المكتبة الوقفية بحلب، مكتبة الأوقاف ببغداد، مكتبة الآلوسيين ببغداد، دار الكتب المصرية بالقاهرة، المكتبة الوطنية بباريس.

- طريقته في العرض: يذكر السؤال، ثم يورد الإجابة عليه، ويعنون لذلك بقوله مسألة.

- **منهج الشيخ في الفتاوى:**

غالبًا ما يدعم فتاواه بالأدلة، وقد يذكر حكم المسألة في المذاهب الأخرى، غير مذهب الإمام أحمد.

- شن في فتاواه حملة شديدة على كثير من الفرق المنحرفة، ولا سيما من قال منهم بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود .

- اتسمت فتاواه بالتيسير، ويتجلى ذلك في الأمثلة التالية:

- كان يرى أن كل ما ورد به النص هو أصل في الشريعة يقاس عليه.

- وأن كل ماء طاهر هو مطهر.

- وأن الماء لا ينجس إلا بظهور أوصاف النجاسة العينية فيه.

- وأن الاحتياط في أمر النجاسة والطهارة غير مشروع ولا مستحب، وهو من الوسواس.

- وأن المسافر لا يزال مسافرًا، ولو مضت عليه شهور حتى ينوي الاستيطان.

- ويرى جواز الجمع بين الصلاتين للمشقة، أو لخوف فوات الصلاة في وقتها.

- ويرى عدم إفطار الصائم إلا بدخول الأكل أو الشرب أو نحوهما، مما يُغتذى به عن طريق الفم والأنف.

- ويرى عدم اشتراط الطهارة للطواف، وإن كانت تستحب له.

- يرى عدم وقوع الطلاق البدعي، ويرى أن الطلقات الثلاث إذا أوقعها

المطلق مفرقة في طهر واحد أو في أطهار متعددة إذا لَم تتخللها رجعة تقع واحدة.

- ويرى إباحة الغرر فيما يحتاج إليه الناس من العقود.
- ويرى أن التوبة مسقطة لجميع حقوق الله تعالى السابقة لها.

● **المآخذ:**

أخذ على الشيخ ابن تيمية -رحمه الله- في فتاويه بعض الأمور، منها: الاختلاف في منهج العرض عن أسلوب كتب الفقه، والابتعاد عن أصل المسألة من كثرة التشقيق والاستطراد، وعدم وضوح الترجيح أحيانًا، وإطلاقه في مكان وتقييده في مكان آخر، واستعماله مصطلحات خاصة، وعدم تحريره بعض العبارات في بعض الأحيان، واختلاف فتواه في بعض المسائل، وعدم تقيده بمذهب الإمام أحمد في بعض المسائل، وأنه بقدر ما كان يأخذ بمذهب التيسير في فتاويه، فإنه يتشدد في بعض المسائل، مثل إفتائه بأن من اعتقد أنه يجب على الناس اتباع مذهب بعينه من مذاهب هؤلاء الأئمة المعتبرين فهو جاهل ضالّ، ويجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، بل قد يكون كافرًا[(١)].

● **أعمال ذات صلة:**

- قدم للفتاوى: الشيخ محمد حسنين مخلوف، مفتي الديار المصرية.
- واعتنى بها وخرَّج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار ابن حزم.

---

(١) انظر التفصيل في (موسوعة فقه ابن تيمية) د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس. (ج١/ ص: ١٠-٣٠).

المحلّى

فأما كتاب المحلى فهو كتاب اجتهاد مطلق، وصاحبه أبو محمد ابن حزم، إمام الظاهرية في عصره، ولولا سلاطة لسانه في الرد على مخالفيه من أئمة أصحاب الرأي وأهل القياس لاتسع نطاق مذهبه، وكثر الانتفاع بالمحلى وغيره من كتبه.

«محمد رشيد رضا»

- **ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ):**

أبو محمد، علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، لقب بـ«ناصر السنة وقامع البدعة»، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، وكان يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيدًا عن المصانعة، انتقد كثيرًا من العلماء والفقهاء، وكان يقال: «لسان حزم وسيف الحجاج شقيقان». قال عنه الحافظ الذهبي: «وابن حزم رجل من العلماء الكبار، فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المحررة، والمسائل الواهية»[1].

(١) تذكرة الحفاظ: الذهبي (٣/ ١١٥٣).

وينظر: ابن حزم: للشيخ محمد أبو زهرة، وابن حزم صورة أندلسية: د. محمد طه الحاجري.
والدراسات التي تناولت ابن حزم بالبحث: عبد الباقي السيد عبد الهادي، مقال منشور على موقع الألوكة على الانترنت.

● **الموضوع:**

في الفقه الظاهري؛ قال في «أبجد العلوم»: «ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمته، وإنكار الجمهور على منتحليه، ولَم يبق إلا في الكتب المجلدة، وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها ومذهبهم، فلا يحلو بطائل، ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه»[(١)].

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ألف ابن حزم كتابًا في الفقه اسمه «المجلى»، ثم رغب إليه تلامذته أن يعمل للمسائل المختصرة الواردة في شرح مختصر، فاستجاب لهم وشرحه لهم بكتاب أسماه المحلى، فالمحلى شرح المجلى.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ كتاب المحلى واحدًا من أهم كتب الفقه الإسلامي تدقيقًا وبحثًا، فهو موسوعة فقهية، غزيرة المادة العلمية.

قال الشيخ العز بن عبد السلام: «ما طابت نفسي بالإفتاء حتى صار عندي نسخة من المغني للموفق، ونسخة من المحلى لابن حزم».

وقال عبد الغفار سليمان البنداري: «ولا ترجع أهمية كتاب المحلى إلى كونه فقهًا فحسب، لكن أهمية كتاب المحلى بين كتب الفقه ترجع إلى كونه

---

(١) المذهب الظاهري: إمامه أبو سليمان، داوود بن علي بن خلف الأصبهاني البغدادي (ت: ٢٧٠ هـ)، قال عنه الخطيب البغدادي: «كان فقيهًا زاهدًا، وفي كتبه حديث كثير دال على غزارة علمه» ا.هـ. وأساس المذهب الظاهري العمل بظاهر القرآن والسنة ما دام لم يقم دليل على إرادة غير الظاهر، ثم عند عدم النص يؤخذ بالإجماع.

موسوعة فقه، أشبه في عصرنا هذا بما نسميه بالفقه المقارن، ولم تقف أهمية المحلى عند هذا القدر، بل تخطته إلى ما هو أعظم، إذ احتوى على موسوعة لأسماء الرجال والأعلام، وهو كتاب للحديث جامع، بحيث لو استخلصت مادة الحديث فيه لكان كتابه من كتب سنن الحديث ذات الإسناد الكامل، فقد دأب ابن حزم على رواية أحاديث الكتاب بأسانيده الخاصة المتصلة الرواية على مصدرها بسنده إلى النبي ﷺ.

- **المنهج والأسلوب:**

بيَّن ابن حزم منهجه في مقدمته، فقال: «وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لَم نحتج إلا بخبر صحيح، من رواية الثقات مسند، ولا خالفنا إلا خبرًا ضعيفًا، فبيَّنا ضعفه، أو منسوخًا وضّحنا نسخه».

- **طريقته في العرض:**

يذكر المسألة، ويستدل عليها، ويردّ على المخالفين فيها على قواعد الظاهرية، من الأخذ بالنصوص المأثورة، أو البراءة الأصلية .

اقتصر في أدلته على قواعد البراهين بغير إكثار.

استعرض آراء فقهاء عصره أو سالفيه، وآراء مدارس الفقه الأربعة، مع المذاهب الأقل شهرة.

لم يكتف بعرض آراء فقهاء المذاهب، وإنما قارن بينها، ورجح ما رآه صحيحًا.

بدأ الكتاب بالحديث عن التوحيد، ثم تناول علم الأصول، وطريقة الاستنباط .

حثَّ في أكثر من موضع على الاجتهاد، ونعى على الناس التقليد.

اشتمل الكتاب على ثلاثمائة وألفي مسألة ونيف (٢٣١٢).

أحصى د. محمد رواس قلعجي (١٢٩٠٣) رأيًا من آراء السَّلف في كتاب المحلى، نسبها ابن حزم إلى ٥٤٦ عالماً من علماء السلف، منهم من نسب إليه أكثر من (٦٠٠) رأي، ومنهم من لم ينسب إليه سوى رأي واحد، بالإضافة إلى (٢٥٠) مسألة نسبها إلى جماعة من الصحابة، لم يعرف لهم فيها مخالف[1].

● **المآخذ:**

أخذ على المؤلف عدم اكتفائه بمقارعة الخصوم بالدليل، بل يرميهم بالجهل والتضليل.

وأنه قد ينسى ما مضى له من مذهبه، فيتناقض ويكتب غيره.

ويستدرك في بعض الأحيان المسألة فيذكرها، وهو ناسٍ أنه ذكرها من قبل.

وأنه قد يرجع عن الحكم في آخر المسألة، بعد أن يكون قد قرر في أولها خلافه.

وأنه إذا رأى رأيًا فإنه يتكلف البراهين لتدعيمه.

وأنه قد يجمد على الظاهر ويلغي المعاني البينة والعلل الواضحة.

وأنه ينكر القياس، ويرى أنه بدعة لا تجوز، ويرى فيه مصدرًا للفساد، ثم يقع في ذلك بعض الأحيان[2].

وأن له اجتهادات فقهية انفرد بها، وخالف جمهور الفقهاء، مثل رفضه

---

(١) ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي: د. عبد الحليم عويس.

(٢) وصف المحلي: الحسن بن علي الكتاني، ١٩٩٧م، بتصرف.

لكراء الأرض، وقد كتب القاضي أبو الإصبع، عيسى بن سهل الجيّاني (ت: ٤٨٦هـ) كتابًا سماه «التنبية على شذوذ ابن حزم» ذكر فيه هذه الاجتهادات.

كما ردّ عليه ابن زرقون في كتاب «المعلى في الرد على المجلى والمحلى»، وابن زرقون، هو محمد بن أبي عبد الله الإشبيلي (ت: ٦٢١هـ) شيخ المالكية.

- **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، سنة ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، ط. المنيرية.

وطبع بتحقيق عبد الغفار البنداري، سنة ٢٠١٠م، ط. دار الكتب العلمية.

معجم فقه ابن حزم الظاهري: محمد المنتصر بالله الكتاني، ط. دار الكتب العلمية، بيروت سنة ٢٠٠٩م.

الروضة الندية شرح الدرر البهية

في هذا السفر الفقهي، ذي الطابع التجديدي، يلتقي كل من الماتن محمد بن علي اليمني الشوكاني، والشارح السيد صديق حسن خان بهادر، التقيا على صعيد واحد، وتوافقا في طموحهما، حيث ترك كل منهما التقليد، بعد استعدادهما للاجتهاد المطلق، وكان لكل منهما أكثر من مبادرة في هذا المجال.

«عبد الله إبراهيم الأنصاري»

يتكون هذا الكتاب من متن «الدرر البهية في المسائل الفقهية» للشوكاني. وشرحه «الرّوضة الندية» للسيد صديق حسن خان القنوجي.

- **الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ)**

محمد بن علي، من أهل صنعاء، قاضي قضاة اليمن، وأحد كبار علمائها، وعقيدته عقيدة السلف، وقد ألف رسالة في ذلك سماها «التحف بمذهب السلف». تفقه على مذهب الإمام زيد[(١)]، وبرع فيه وألف وأفتى، ثم صار يرى حرمة التقليد، وألف في ذلك رسالة بعنوان «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد»، كما ألف رسالة في الرد على بعض الفقهاء الزيدية، وله مؤلفات في أغلب العلوم، والفقه والأصول والتفسير، منها: «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»، كان يقول: إنه لَم يرضَ عن شيء من مؤلفاته

(١) زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب (ت: ١٢٢هـ)، تلقى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمد الباقر، قال الذهبي: «وكان ذا علم وجلالة وصلاح، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، وكان يرى جواز إمامة المفضول مع قيام الفاضل».

سواه، و«إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» يعز نظيره في جمعه وترصيفه، وحسن ترتيبه وتصنيفه(١).

● **القنوجي (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧ هـ):**

السيد صديق حسن خان بهادر القنوجي البخاري، المولود في قنوج بالهند، تتلمذ على علماء عصره في الهند واليمن، واجتهد في علوم الكتاب والسنة، واشتغل بالدرس والتدريس، وله ملكة في التأليف.

● **الموضوع:**

يعد الشوكاني محققًا مجتهدًا في أكثر المسائل العلمية.

علماً بأن الشوكاني كان يعد من فقهاء الزيدية، ثم ترك التقليد.

ويمكن تصنيف هذا الكتاب في الفقه الظاهري؛ حيث إن نهج المؤلف والشارح في الكتاب الأخذ بظواهر النصوص في كثير من المسائل.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

ذكر الشوكاني أنه أراد -عند وضعه هذا الكتاب المختصر- جمع المسائل الفقهية التي صحَّ دليلها، واتضح سبيلها، تاركًا ما كان منها محض الرأي، غير ملتفتٍ إلى ما اشتهر، وقال: «إنه أتى بهذا الكتاب بتحقيقات جليلة خلت عنها الدفاتر، وأشار إلى تدقيقات نفيسة لَم تحوها صحف

---

(١) وعن ترجمة الشوكاني انظر:

البدر الطالع: للشوكاني، وأبجد العلوم: للقنوجي، ومعالم تجديد النهج الفقهي، أنموذج الشوكاني: حليمة بوكروشة، كتاب الأمة، إصدار وزارة الأوقاف قطر، والإمام الشوكاني مفسراً: الدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري. رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

الأكابر».

وجاء شرح القنوجي ملتزمًا بطريقة الشوكاني، مما يؤكد أنهما مرتبطان بصلة روحية وفكرية ظهرت من خلال اهتمامهما المشترك بظاهر النصوص، وفي بروز نزعتهما للاجتهاد والتجديد، وذمهما التقليد، والاقتصار على إيراد المسائل الفقهية التي صح دليلها، وترك المسائل التي بنيت أدلتها على الآراء أو الأقيسة.

● **المنهج والأسلوب**:

- التزم الشارح بمنهج وأسلوب الماتن بشكل عام، وأضاف إليه التالي:
- ذكر مذاهب الفقهاء ومناقشة أدلتها.
- الزيادة على ما جاء في المتن، مستعينًا بما ورد في كتاب الشوكاني (وبل الغمام).
- أورد الشارح كثيرًا من آراء ابن حزم[1].

● **مـآخذ**:

أخذ على الكتاب مخالفته جمهور العلماء في كثير من المسائل المشهورة، منها: قوله (بعدم وجوب الزكاة في عروض التجارة) حيث قال الشوكاني: ولا زكاة في غيرهما من الجواهر وأموال التجارة. وقوله (بعدم وجوب الزكاة في مال الصغير). و(انتصاره للرأي القائل بجواز الجمع بين تسع نسوة).

(١) ظهر تأثر الشّارح (القنوجي) واضحًا بابن حزم في آرائه، وأسلوبه، وطريقة رده على ما لا يرتضيه من آراء مخالفيه، ومن العبارات الشائعة في الشرح: إن قول الصحابي ليس بحجة.

- **كتب ذات صلة:**

ينقل الشارح كثيرًا عن: «نيل الأوطار» للشوكاني، و«حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي»، و«المسوى شرح الموطّا: وهو أيضًا للدهلوي»، باللغة الفارسية، و«المغني لابن قدامة»، و«الدراري المضية: وهو شرح للمؤلف»، أورد فيه الأدلة التي بنى عليها ذلك المؤلف.

- **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب عدة طبعات، من أهمها طبعة بمراجعة: الشيخ أحمد محمد شاكر.

وطبعة بمراجعة: عبد الله إبراهيم الأنصاري.

وطبعة بمراجعة: أحمد شمس الدين.

وحقق نصوصه، وخرج أحاديثه: حلمي إسماعيل الرشيدي.

الأموال وبيان جهاتها ومصارفها

كتاب أبي عبيد في هذا الفن، قد انفرد وتفرَّد بأنه أول عمل كبير في تراث الإسلام وصل إلينا يعرض للأصول في هذا الفن..كما أنه أوفى وأشمل وأدق كتاب بتراثنا في هذا الفن على الإطلاق... ويزيد من أهمية وخطر «كتاب الأموال لأبي عبيد» أن صاحبه فيه لم يكن مجرد راوية ومصنف لأحاديث فقه الأموال، وإنما كان -كما هو شأنه في مصنفاته- العالم الفذ، والعقل الناقد.

«د. محمد عمارة»

● **أبوعبيد (١٥٧ - ٢٢٤ هـ)**:

أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي، مقرئ، مفسر، حافظ، محدث، ثقة، قاض، فقيه، مجتهد، لغوي، نحوي، مؤرخ، نسابة، عمل مؤدبًا، للصبيان، وولي القضاء بطرسوس، واتصل بالأمراء والوزراء، مع تعفّف وتصوّن ونزاهة، وكان عابدًا زاهدًا ورعًا حليمًا عاقلًا. قال عنه ابن القيم: «كان جبلًا نفخ فيه الروح». وقال الخطيب البغدادي: «وكتبه مستحسنة مطلوبة في كل بلد». وقال الجاحظ: «لم يكتب الناسُ أصحَّ من كتبه، ولا أكثرَ فائدةً»(١).

له مصنفات مهمة ومفيدة، بلغت نحو أربعين كتابًا، وكان يهدي كتبه إلى عبد الله بن طاهر فكافأه بما استغنى به.

(١) انظر: أبو عبيد، القاسم بن سلام، إمام مجتهد، وفقيه محدث، ولغوي بارع: سائد بكداش.

● **الموضوع:**

في السياسة الشرعية، والأموال، والخراج.

والفقهاء المتأخرون يعبرون عن ذلك بمصطلح «الاقتصاد الإسلامي»، ومن أوائل وأهم الكتب في ذلك:

- رسالة الصَّحابة: لعبد الله بن المقفع (ت: ١٤٢هـ)، كتبها لأبي جعفر المنصور عن حاشية الخليفة وبطانته.

- الخراج: لأبي يوسف (ت: ١٨٢هـ)، كتبه للخليفة هارون الرشيد جوابًا عن ستة وعشرين سؤالًا وجهها إليه.

- الخراج: ليحيى بن آدم القرشي (ت: ٢٠٣هـ)، وهو مختصر صغير.

- كتاب الأموال: لابن أبي زنجويه، حميد بن مخلد (ت: ٢٥١هـ).

- إصلاح المال: لابن الدنيا القرشي (ت: ٢٨١هـ).

- الأموال: لأبي جعفر الداودي (ت: ٤٠٢ هـ).

- الاستخراج لأحكام الخراج: الحافظ عبد الرحمن بن رجب.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا الكتاب من المصادر الأساسية النادر مثلها في بابها، من الكلام على كل ما يتعلق بالنظام المالي للإسلام، من أحكام الزكاة والصدقات والفيء والجزية، وخراج الخمس، وموارد بيت مال المسلمين وغيرها، وقد حظي الكتاب باهتمام العلماء وثنائهم عليه، ونقلهم عنه في القديم والحديث؛ قال الحافظ ابن حجر: «وعن بعضهم: وكتابه -أي الأموال- من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده». قال أحمد بن مهدي: «أردت أن أكتب كتاب الأموال لأبي عبيد، فخرجت لأشتري ماء الذهب، فلقيت أبا

عبيد فقلت: يا أبا عبيد رحمك الله، أريد أن أكتب كتاب الأموال بماء الذهب، قال: اكتبه بالحبر؛ فإنه أبقى».

- **مآخذ:**

على الرغم من إشادة العلماء بهذا الكتاب إلا أن إبراهيم الحربي قلل من أهميته لأنه لا يورد كل أحاديث الباب، فقال: وأضعف كتبه أي كتب أبي عبيد، كتاب الأموال يجيء إلى باب فيه ثلاثون حديثًا وخمسون أصلاً عن النبي ﷺ، فيجيء فيحدث بحديثين من حديث الشام، ويتكلم في ألفاظها.

- **المنهج والأسلوب:**

- تناول المؤلف ثلاثة أنواع من المال هي: الفيء، والخمس، والصدقة.
- يستعرض في كل مسألة جميع الآراء، من لدن الصحابة إلى التابعين إلى فقهاء زمانه.
- يتميز الكتاب بذكر أدلة كل رأي، مع مناقشة وترجيح ما يختاره.
- اقتصر على ذكر الأدلة من السنن والآثار لئلا يطول الكتاب.
- تعرض لبعض الأحاديث التي توهم التعارض، فوضحها ووجهها وأزال الإشكال عنها.
- طبع الكتاب عدة طبعات، حيث حققه: محمد حامد الفقي، وحققه: محمد خليل الهراس.

وخرج أحاديثه د. عبد الصمد بكر عابد، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى.

وحققه وقدّم له د. محمد عمارة.

الأحكام السلطانية والولايات الدينية

كتاب الأحكام السلطانية للماوردي من أشهر ما كُتب في الأحكام السلطانية، ويعتبر مؤسسًا لمؤلفات الأحكام السلطانية، بل نجد أكثر من كتب في الأحكام السلطانية ينقل عنه ولا يخرج عن موضوعات كتاب الماوردي في الغالب. قال الماوردي: «ولما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها، مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتابًا، امتثلت فيه أمر من لزمتْ طاعته، ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه، وما عليه منها فيوفيه؛ توخيًا للعدل في تنفيذه وقضائه، وتحريًا للنصفة في أخذه وعطائه».

- **أبو الحسن الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ):**

علي بن محمد، قال ابن خيرون: «كان رجلًا عظيم القدر، متقدمًا عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن من العلم».

تولى منصب قاضي القضاة، وكان على علاقة طيبة برجال الدولة في زمانه، وكان الخليفة يثق به، ويجعله سفيرًا ووسيطًا بينه وبين بني بويه، وبينه وبين حكام دولة السلاجقة، وكان لقربه واتصاله برجال السلطة، فضلًا عن ثقافته العالية، أكبر الأثر في اتجاهه للكتابة فيما يسمى الآن «الفقه السياسي»، ومن كتبه: «قانون الوزارة وسياسة الملك» و«تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلِك وسياسة المُلك»(١).

(١) أخرجهما وحققهما د. رضوان السيد، وقدم دراسة عن نظرية الخلافة عند الماوردي. وانظر: «الماوردي» رائد الفكر السياسي الإسلامي: لأحمد وهبان.

● **الموضوع:**

في علم السياسة الشرعية، ويقال له «الأحكام السلطانية»، وهو علم إصلاح أمر الرعية وتدبير أمورهم، وهو العلم الذي يعرف منه أنواع الرّياسات والسّياسات الاجتماعية والمدنية وأحوالها، من أحوال السّلاطين، والملوك، والأمراء، وأهل الاحتساب، والقضاة، والعلماء، وزعماء الأموال، ووكلاء بيت المال، وما يجري مجرى هؤلاء.

وقد أَلَّف في السياسة الشرعية كثير من الفقهاء والأدباء والفلاسفة؛ ويلحظ على هذه الكتب أن مناهجها مختلفة تبعًا للمنهج الذي أُلِّفت من خلاله، حيث نجد الموضوع الواحد يُعالج في هذا التراث بطرق مختلفة؛ تبعاً لاختلاف المنهج والتصور العام للمفهوم السياسي للإسلام.

ومن أشهر كتب السياسة الشرعية:

- التاج في أخلاق الملوك: للجاحظ، وفي نسبته إليه نظر، وهو من أهم ما كتب في أخلاق الملوك، وما يتعلق بالدخول عليهم، ومطاعمتهم، ومجالستهم ومنادمتهم، وذكر فيه شروط استمرار الحكم.
- سراج الملوك: لأبي بكر الطرطوشي المالكي (ت: ٥٢٠ هـ).
- الجوهر النفيس في سياسة الرئيس: لابن الحداد (ت: ٦٤٩ هـ).
- الشهب اللامعة في السياسة النافعة: للمالقي (ت: ٧٨٣هـ).
- الجواهر المضيئة في الأحكام السلطانية: للمناوي (ت: ١٠٣١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

هذا الكتاب ذاعت شهرته، وعمّت فائدته، وحسن تنظيمه وترتيبه، جمع فيه المؤلف مسائل في الفقه السياسي، وسعى إلى أن يؤطر من خلاله

وجهة النظر الإسلامية في السياسة، مستندًا في ذلك إلى النصوص التي ساقها من القرآن والسنة؛ حيث يمتاز الكتاب بكثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وبالأحاديث النبوية، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين والخلفاء، وبالأشعار. وربما يكون هذا الكتاب أول كتاب من نوعه، تناول جميع جوانب الحكم في الدولة، وموقف الخلافة في ظل استبداد الدول المتغلبة عليها، سواء كان ذلك بالاستيلاء أو التفويض .

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

عاصر الماوردي خليفتين عباسيين، هما القادر بالله، والقائم بالله، وصرح في المقدمة أن الخليفة أمره بتصنيف هذا الكتاب، حيث إن الأحكام السلطانية كانت منثورة في بطون كتب الفقه، ولم يكن هناك كتاب مختص بها، فأمره السلطان بكتابة هذا الكتاب ليجمع أحكامها، فيستعين به الخليفة والأمراء على معرفة حقوقهم وواجباتهم.

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ الكتاب بتعريف الإمامة وشروط تقلدها، وكيفية انعقادها، وتوضيح العلاقة بين الدولة والإمامة، والعلاقة بينها وبين الرعية، مع توضيح ما يؤدي إلى عزل الإمام، وبعد ذلك تطرق في كتابه إلى الوزارة والإمارة، مبينًا المهام التي تُسأل عنها أجهزة الدولة، سواء المالية أو العسكرية أو القضائية.

فقسم المؤلف الكتاب إلى عشرين بابًا؛ هي:

- الباب الأول: في عقد الإمامة.
- الباب الثاني: في تقليد الوزارة.
- الباب الثالث: في تقليد الإمارة على البلاد.

- الباب الرابع: في تقليد الإمارة على الجهاد.
- الباب الخامس: في الولاية على المصالح.
- الباب السادس: في ولاية القضاء.
- الباب السابع: في ولاية المظالم.
- الباب الثامن: في ولاية النقابة على ذوي الأنساب.
- الباب التاسع: في الولاية على إمامة الصلوات .
- الباب العاشر: في الولاية على الحج.
- الباب الحادي عشر: في ولاية الصدقات .
- الباب الثاني عشر: في قسم الفيء والغنيمة.
- الباب الثالث عشر: في وضع الجزية والخراج.
- الباب الرابع عشر: فيما تختلف أحكامه من البلاد.
- الباب الخامس عشر: في إحياء الموات واستخراج المياه.
- الباب السادس عشر: في الحِمى والأرفاق.
- الباب السابع عشر: في أحكام الإقطاع.
- الباب الثامن عشر: في وضع الديوان وذكر أحكامه.
- الباب التاسع عشر: في أحكام الجرائم.
- الباب العشرون: في أحكام الحسبة[١].

- نهج في كتابه أسلوب المقارنة والترجيح في المسائل الفرعية الفقهية، فهو يذكر رأي الشافعية ومن خالفهم من الحنفية والمالكية، ثم ينتصر لمذهبه غالبًا.

(١) الحِسبة: الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنّهي عن المنكر إذا ظهر فعله.

- أجاز أن يتولى الذمي وزارة التنفيذ، قال السبكي في «الطبقات»: قال في الأحكام السلطانية: «يجوز أن يكون وزير التنفيذ ذميًّا، بخلاف وزير التفويض، وفرّق بأن وزير التفويض يولي ويعزل ويباشر الحكم ويسير الجيش ويتصرف في بيت المال، بخلاف وزير التنفيذ».

- **مآخذ:**

وصف بروكلمان في «دائرة المعارف» الكتاب بأنه: «عرض مثالي محض، وشرح وصفي للأحوال السياسية السائدة في عصر الماوردي».

ويرى المستشرق «روزنثال» أن الفضل يعود إلى الماوردي في تأسيس نظرية الضرورة في الواقع السياسي، والتي تبناها من بعده كل من الغزالي وابن جماعة، عندما استخدما نفس النظرية لتبرير الاستيلاء على الإمارة أو ما يعرف في الفكر الإسلامي بولاية المتغلب.

- **كتب ذات صلة:**

حققه وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، وقد عقد المحقق مقارنة بين كتاب الماوردي وكتاب «الأحكام السلطانية» لمعاصره القاضي أبي يعلى الحنبلي، محمد بن الحسين (ت: ٤٥٨ هـ)، حيث قال: «قلَّ أن تجد فصلًا واحدًا لم يتشابه الكتابان فيه، حتى ليخيل إليك أنهما نسختان لمؤلف واحد... ومن العجيب أننا نجد مواطن الاقتباس واحدة غالبًا وبنفس العبارات، فنجد الماوردي يقول في كتابه: «قال أبو عبيد»، فيقول أبو يعلى في نفس الموضع: «قال أبو عبيد». ويختلف الكتابان في أن الماوردي يذكر رأي الشافعية ومن خالفهم من الحنفية والمالكية، ثم ينتصر لمذهبه غالبًا، بينما يكتفي أبو يعلى بذكر الآراء

في مذهب الإمام أحمد ابن حنبل... وبينما يكثر الماوردي من الاستدلال بالشعر، فإننا لا نعثر في كتاب أبي يعلى على بيت واحد.

تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: لبدر الدين، محمد بن إبراهيم ابن جماعة (ت: ٧٣٣ هـ)، حيث اشتمل الكتاب على فصول وموضوعات الماوردي، إلا أنه توسع في أحكام الجهاد، والأسرى، والغنائم.

- **الطبعات والترجمات:**

صدرت أول طبعة للكتاب في ألمانيا عام (١٨٥٣م) بعناية المستشرق الألماني (إنجر) مع ترجمته إلى الألمانية.

وطبع مترجمًا إلى الفرنسية في الجزائر عام (١٩١٥م) بعناية المستشرق الفرنسي (أفاجتان).

وطبع مترجمًا إلى الإنجليزية في لندن عام (١٩٤٧م) بعناية (هوتنج)، كما ترجم إلى بعض اللغات الأوروبية الأخرى.

۞ ۞ ۞

غياث الأمم في التياث الظُلَم

جاء الكتاب حاويًا جامعًا لموضوعات متعددة، أصولية، وسياسية، وتاريخية، وفقهية، وظهر فيه إمام الحرمين بمواهبه العقلية والعلمية، كأصولي فقيه، ووضع نفسه موضع المجتهد فيما طرحه من قضايا.

«د. مصطفى حلمي ود. فؤاد عبد المنعم»

● **الجوينيّ (٤١٩ - ٤٧٨ هـ):**

أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله، قرأ الفقه الشافعي على والده، وظهر نبوغه مبكرًا، وكان صاحب وقار وهيبة، ولما وقعت الفتنة بين المعتزلة والأشاعرة خرج من نيسابور، وأقام ببغداد تارة، وبأصبهان تارة أخرى، ثم خرج إلى الحجاز، فجاور فيها أربع سنين يفتي ويدرس ويصنف ويؤم بالحرمين الشريفين؛ لذلك لقب بإمام الحرمين، ثم رجع إلى نيسابور، فقضى فيها آخر حياته، حيث قعد للتدريس ثلاثين سنة من غير مزاحم، ويعتبر الغزالي من أشهر تلامذته، له مصنفات كثيرة متنوعة، زادت على الأربعين كتابًا، منها: «البرهان في أصول الفقه»، و«نهاية المطلب في دراية المذهب» جمع فيه أصول المذهب الشافعي، قال له أبو إسحاق الشيرازي: «يا مفيد أهل المشرق والمغرب، أنت اليوم إمام الأئمة»، روي عنه أنه قال في آخر حياته: اشهدوا عليَّ أني رجعت عن كل مقالة أخالف فيها عقيدة السلف، وإني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور»[1].

---

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تقدمت ترجمته في الفتاوى. وانظر: ابن تيمية وفكره السياسي: قمر الدين خان، ترجمة: د.أحمد بن مبارك البغدادي، مكتبة الفلاح الكويت.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يمثل هذا الكتاب رأي أهل السنة والجماعة في نظرية الخلافة الإسلامية، وما يتصل بها حيث تضمن أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالإمامة والزعامة، كما أنه يحمل وجهة نظر المؤلف في شؤون الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع الإسلامي.

أشاد الأستاذ أحمد تيمور باشا بهذا الكتاب، ولفت أنظار الباحثين إليه عندما كان مخطوطًا، واعتبره نادرةً من النوادر في سياسة الدولة والاجتماع، موصيًا بتحقيقه وشرحه.

وقد ظهرت أهميته بتأثيره بالمؤلفات التي ظهرت بعده في مجال السياسة الشرعية، وبالأخص في كتابات الغزالي، وابن تيمية، والعز بن عبد السلام، وغيرهم.

قال د. عبد العظيم الديب: «إنّ هذا الكتاب من أكثر كتب إمام الحرمين تمثيلاً لآرائه وأفكاره، حيث حمل إلينا آخر ما استقرّ عليه نظره، واطمأنّ إليه فكره، وهداه إليه بصره».

ويقول الأستاذ محمد أحمد الراشد في كتابة «الفقه اللاهب»: «الغياثي مدونة فقهية عالية المستوى، غنية بالمنطق الأصولي الرصين، والحجاج، والجدل الحسن، وقد أجاد الجويني خلال ذلك عرض مدارك الاجتهاد التي تستند إليها الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية... إن مذهب الجويني السياسي والدعوي الذي أورده في الغياثي هو أقرب مذاهب الفقهاء إلى الفكر الإسلامي المعاصر».

- **سبب تأليف الكتاب:**

اشتهر كتاب «غياث الأمم في التياث الظلم» بالغياثي؛ نسبة إلى غياث

الدولة، الذي صنف له إمام الحرمين هذا الكتاب، وهو الوزير نظام الملك، الحسن بن علي الطوسي (ت: ٤٨٥ هـ).

- **المآخذ:**

أخذ على المؤلف في هذا الكتاب عدم دقته في رواية الأحاديث النبوية في مواضع الاستشهاد، حيث كان كثيرًا ما يذكرها بالمعنى.

كما لوحظ عليه عدم توسعه بإيراد الروايات.

- **المنهج والأسلوب:**

يدور هذا الكتاب حول ثلاثة أركان:

- **الرُّكنُ الأول:** في الإمامة وما يتصل بها؛ وقد أخذ نصف الكتاب، وقسمه إلى ثمانية أبواب، الباب الأول: في وجوب نصب الإمامة وقادة الأمة. الباب الثاني: في الجهات التي تعيِّن الإمامة. الباب الثالث: في صفات أهل الحل والعقد. الباب الرابع: في صفات الإمام. الباب الخامس: في الطوارئ التي توجب الخلع والانخلاع. الباب السادس: في إمامة المفضول. الباب السابع: في نَصب إمامين. الباب الثامن: في تفضيل الأئمة والولاة.

- **الرُّكن الثاني:** فيما إذا خلا الزمان من الأئمة، وهو مكون من ثلاثة أبواب: الباب الأول: في انخرام الصفات المعتبرة في الأئمة. الباب الثاني: في ظهور مستعدٍ بالشوكة مستولٍ. الباب الثالث: في شغور الزمان عن والٍ أو متولٍ بغيره.

- **الرُّكنُ الثالث:** في خلو الزمان عن المجتهدين، وقسمه إلى أربعة أبواب: الباب الأول: في المفتين. الباب الثاني: في المجتهدين. الباب الثالث: إذا خلا الزمان عن المفتين ونَقَلَةِ المذاهب. الباب الرابع: في خلو الزمان عن أصول الشريعة.

- بحث الكتاب نوازل فقهية وافترض وقوعها، وهي تقدير خلو الزمان من الأئمة وولاة الأمة وتقدير انقراض حملة الشريعة؛ فقدَّم المؤلف في هذا الكتاب المنهج الذي تغاث به الأمم عندما تحيط بها الظلمات بخلوِّ الزَّمان من إمامٍ ومفتٍ، ومن حَمَلَةِ الشريعة وعلمائها.

- ويتميز منهج إمام الحرمين الجويني في هذا الكتاب بأنه يربط الفروع الفقهية بالضوابط والقواعد، ثم يعرض للمقاصد العامة للشريعة.

- وبالتأكيد على منزلة العلماء في حفظ الدين ووجوب الرجوع إليهم.

- اتسم منهج المؤلف بالإحاطة الواسعة بمقاصد الشريعة في أصولها وفروعها، وبفقه الواقع، وباستقراء أحداث التاريخ، وبتجنب الإطناب والإسهاب، وبتدعيم الأصول والأدلة، وبمناقشة المعارضين، وبالدقة في التنسيق والترتيب.

● **كتب ذات صلة:**

- طبع بتحقيق: د. عبد العظيم الديب، عام ١٤٠١ هـ.

- كما طبع بتحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، ود. مصطفى حلمي، بدار الدعوة، الإسكندرية.

- الفقه اللاهب: محمد أحمد الراشد، كندا، دار المحراب، ٢٠٠٢م، وهو تهذيب لكتاب الغياثي.

- كليات الغياثي: محمد طه التميمي، تلخيص، دار الميمان السعودية.

۞ ۞ ۞

السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية

إنه كتاب موجز في الحقوق العامة، ففيه جوانب من الحقوق الدستورية والإدارية والدولية والمالية، وذلك أنه جمع أبحاثًا متفرقة منثورة في كتب الفقه، وهي التي تشتمل على تنظيم العلاقات بين الفرد والمجتمع، وبين الفرد والدولة.

«محمد المبارك»

- **ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)**[١].
- **القيمة العلمية للكتاب:**

هذا الكتاب من أهم المختصرات التي تناولت هذا الموضوع، وبينت جوامع السياسية الصالحة العادلة، وهو أيضًا يمثل رأي أهل السنة والجماعة في موضوع الدولة وشؤونها المالية والجزائية والحربية والإدارية.

يقول قمر الدين خان: «كتاب السياسة الشرعية هو الأكثر أهمية والتصاقًا بالفكر السياسي، وهو يقوم على فكرة السياسة الشرعية كأساس لإدارة الدولة الإسلامية على منهج القرآن والسنة النبوية، إضافة إلى ما يحويه الكتاب من بعض الأفكار ذات الطبيعة النظرية».

ومنهج ابن تيمية في الإصلاح الإداري: د. زيد الرماني، دار الصميعي، الرياض. والنظرية السياسية عند ابن تيمية: د.حسن كوناكاتا، دار الأخلاء، الدمام، وابن تيمية والولاية السياسية الكبرى: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، ط. دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ.

(١) الآيتان: ٥٨، ٥٩ من سورة النساء.

(٢) ابن الأزرق بين بدائع السلك وروضة الإعلام، دراسة وتحليل نقدي: د.بركات محمد

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

يرجح المستشرق الفرنسي «هنري لاووست» أن المؤلف كتب هذا الكتاب مابين السنوات ٧٠٩ ـ ٧١٢ هـ، وقدمه للسلطان محمد بن قلاوون، ويرى - بالاستناد إلى ما كتبه ابن كثير في «البداية والنهاية» - أن هناك مطابقة بين الخطط المرسومة في كتاب السياسة الشرعية والإصلاحات المقترحة فيه والتدابير التي قام بها محمد بن قلاوون في التاريخ نفسه.

● **المنهج والأسلوب:**

- استعرض المؤلف جوامع السياسة الشرعية، وواجب الحكام تجاه شعوبهم.

- وبيَّن فيه واجب الشعوب تجاه حكامهم في ظل شريعة الله تعالى، وفي ضوء من هدي الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[1].

- عمد المؤلف إلى إبراز القواعد الكلية والأصول، وأوجز في الفروع والتفصيلات.

- يذكر الأدلة من الكتاب والسنة على عادته في كتاباته الفقهية.

- جاء الكتاب مكونًا من قسمين:

- **القسم الأول:** تناول فيه موضوع أداء الأمانات، سواء كانت هذه الأمانات ولايات، أو أموالًا، وهو مكون من بابين.

- الباب الأول: في الولاية وشروطها وأركانها.

مراد. أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة عين شمس. منشور في مجلة التراث العربي،

- الباب الثاني: في أصناف الموارد السلطانية، ووجوه صرف هذه الأموال.

- **القسم الثاني**: تناول فيه موضوع الحدود والحقوق، وهو مكون من بابين أيضًا.

- الباب الأول: في حدود الله تعالى.

- الباب الثاني: في حقوق الناس فيما بينهم، ختمه بالحديث عن وجوب اتخاذ الإمارة.

● **أعمال ذات صلة:**

حسن السلوك الحافظ دولة الملوك: محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي (ت: ٧٧٤هـ)؛ نَهجَ فيه منهجَ الشيخ في كتابه «السياسة الشرعية»، وطبع بتحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن بالرياض.

- ترجمه إلى الفرنسية، وقدم له بمقدمة وافية: المستشرق الفرنسي «هنري لاووست»، وله كتاب نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، صدر سنة ١٩٣٩م.

وترجمه محمد عبد العظيم علي. ط. دار الأنصار، القاهرة.

- حققه وعلق عليه: محمد البنا، ومحمد عاشور، ط. دار الشعب ١٩٧٠م.

- وحققه وعلق عليه وقدم له: محمد المبارك، ط. دار الكتب العربية، بيروت، وله أيضاً كتاب «آراء ابن تيمية في الدولة».

- شرحه الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط. دار ابن حزم.

بدائع السلك في طبائع الملك

موضوع هذا الكتاب في السياسة العقلية والشرعية، والاجتماع البشري، وقد احتوى القسم الأكبر منه على الأخلاق، التي مر عليها ابن خلدون مر السحاب، وهذا يعد من ابن الأزرق مزية كبيرة، حيث أضاف إلى كتابه جزءاً هاماً من الأخلاق، التي لا ينبغي لكتب علم الاجتماع أن تغفل الكلام عنها.

«د. محمد بن عبد الكريم»

● **ابن الأزرق الأندلسي (٨٣٢ - ٨٩٦ هـ):**

محمد بن علي، اشتهر بابن الأزرق، فقيه أديب من القضاة، مشارك في بعض العلوم، ولد ونشأ في مالقه، وتتلمذ على علماء الأندلس في عصره، كان عالمًا بارعًا، وفقيهًا جليلًا، ولي قضاء مالقه، ثم قضاء الجماعة بغرناطة، وقد انتقل إلى تلمسان بعد استيلاء الإفرنج على غرناطة، وبعدها هاجر إلى المشرق يستنفر ملوك الأرض لنجدة صاحب غرناطة.

قال المقري في أزهار الرياض في أخبار عياض: «شيخنا وبركتنا، العالم الجليل، الخطيب المصقع، البليغ المفيد، إمام وقته في العلوم والتحصيل والفهوم، قاضي الجماعة، سيدنا أبو عبد الله محمّد بن عليَّ بن الأزرق رضي الله عنه، وأمتع ببقائه وإفادته، ووصل أسباب سعادته».

● **القيمة العلمية للكتاب:**

تكمن أهمية هذا التّأليف باعتباره مصدرًا مهمًا من مصادر الفكر السياسي المغربي الأندلسي، وبأنه تجميع وتلخيص وترتيب وتعليق على كل ما كتب

في موضوع الآداب السلطانية؛ لذلك فإن قراءة هذا الكتاب قد تغني عن قراءة ما سبق كتابته من «آداب سلطانية» إذ كان القصد من تأليفه - كما جاء في مقدمة المؤلف - تلخيص ما كتب الناس في الملك والإمارة والسياسة.

وتميز الكتاب بالأمانة العلمية الفائقة، حيث يذكر مصادره بأمانة وصدق، ولا يكتم مآخذه ولا منابعه، ويعبر عن آرائه هو بالصيغة المشهورة (قلت).

قال المقري في نفح الطيب عن هذا الكتاب: «كتاب مفيد في موضوعه، لخّص فيه كلام ابن خلدون في مقدمته التاريخية، مع زوائد كثيرة عليه».

قال د. علي سامي النشار: «يتميز ابن الأزرق في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك عن ابن خلدون في مقدمته، أن ابن الأزرق ذكر مصادره في أغلب الأحايين، بينما أخفى سلفه ابن خلدون مصادره في أغلب الأحايين».

قال د. بركات محمد مراد: «وكتاب ابن الأزرق لا يقل في تكامله، ولا في منهجيته عن مقدمة ابن خلدون، التي يؤسس فيها ابن خلدون لعلم الاجتماع قبل علماء الغرب بكثير من القرون»[1].

- **المنهج والأسلوب:**

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمتين، وأربعة كتب، وخاتمة.

المقدمة الأولى: في تقرير ما يوطن في النظر في الملك عقلًا.

المقدمة الثانية: في تمهيد أصول من الكلام شرعًا.

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٩٦ السنة الرابعة والعشرون، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ.

(١) الحيوان: للجاحظ (١/ ٧٤).

(٢) أبجد العلوم: القنوجي (ص: ٤٢٧) ط. دار ابن حزم.

الكتاب الأول: في حقيقة الملك وقواعده ومبناه ضرورة وكمالًا، وفيه بابان. وهو يتعلق بـ(الخلافة والملك وسائر أنواع الرياسات)، تحدث فيه عن حقيقة هذه الأنظمة في محور أول، وعن سبب وجود الملك وشرطه في محور ثاني.

الكتاب الثاني: في أركان الملك وقواعده ومبناه ضرورة وكمالاً، وفيه بابان. تعرض في المحور الأول لـلأفعال التي تقام بها صورة الملك؛ من نصب الوزير، وإعداد الجند، وحفظ المال، وإقامة العدل، ورعاية السياسة، وتقديم الولاة، وتنظيم المجلس السلطاني إلى غير ذلك، وفي المحور الثاني تحدث عن الصفات التي تصدر بها تلك الأفعال، وهي عشرون، تشمل العقل، والعلم، والشجاعة، والسخاء، والحلم، والعفو، والوفاء بالعهد، وكتم السر، والحزم، والدهاء، والتغافل، والتواضع، وسلامة الصدر، والصبر والشكر.

الكتاب الثالث: فيما يطالب به السلطان تشييدًا لأركان الملك، وتأسيسًا لقواعده، ويشتمل على مقدمة وبابين؛ ويشمل بدوره محورين، أحدهما يتعلق بـجوامع السياسة، وهي سياسة السلطان، وسياسة الوزير، وسياسة سائر الخواص، والثاني يستعرض واجبات السلطان؛ وتشمل حفظ الدين، وتنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود إلى غير ذلك.

الكتاب الرابع: في عوائق الملك وعوارضه، ويحتوي على بابين، أحدهما في (العوائق) ويعرف فيه المؤلف بمعناها، ويحلل كيفية طروق الخلل إلى الدولة، والثاني يخص (العوارض) يعرف فيه بمعناها، كما يتحدث فيه عن المنازل الحضرية، والمعاش، والعلوم.

الخاتمة: ذكر فيها سياسة المعيشة وسياسة الناس.

- **طريقته:**

يبدأ بالكليات المتعلقة بالموضوع الذي يناقشه، ثم ينتقل إلى الجزئيات متدرجاً، وطريقته في المعالجة هي أن يأتي بالأفكار العامة، مبتدأ بالآيات القرآنية، ثم بالأحاديث النبوية، ثم بأقوال الحكماء، ويختم بحكايات لها صلة وثيقة بالموضوع.

- **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب بتحقيق: علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام بالعراق، بغداد ١٩٧٧م -١٣٩٧هـ .

وطبع بتحقيق: د. نهاد نور الدين جرد، نشر مديرية إحياء التراث العربي بدمشق ، سنة ٢٠٠٥م .

وطبع بتحقيق: د.محمد بن عبد الكريم، نشر الدار العربية للكتاب، تونس، عام ١٩٧٧م.

۞ ۞ ۞

المجموعة الثانية

في العلوم العربية

قال الزمخشري في القسطاس:

اعلم أنَّ أصناف العلوم الأدبية ترتقي إلى اثني عشر صنفًا:

الأول: علم اللغة.

والثاني: علم الأبنية.

والثالث: علم الاشتقاق.

والرابع: علم الإِعراب.

والخامس: علم المعاني.

والسادس: علم البيان.

والسابع: علم العروض.

والثامن: علم القوافي.

والتاسع: إنشاء النثر.

والعاشر: قرض الشعر.

والحادي عشر: علم الكتابة.

والثاني عشر: المحاضرات.

المعلقات السبع

• **الموضوع: في المجموعات الشعرية «طبقة الشِّعر الجاهليِّ».**

قسّم بعض العلماء شعراء العرب إلى طبقات؛ هي:

جاهليين: وتبدأ طبقتهم من قبل الإسلام بمئتي عام تقريبًا، قال الجاحظ عن الشعر العربي: «أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، وأول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام، خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام[(١)]».

ومخضرمين: وهم الذين قالوا الشعر في الجاهلية، ثم أدركوا الإسلام، «كلبيد» و«حسّان».

ومتقدمين: «الإسلاميين»، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

ومولدين: وهم من بعدهم، كبشار.

ومحدثين: وهم الذين أتوا بعدهم، كأبي تمام والبحتري.

ومتأخرين: كمن حدث بعدهم، كشعراء الحجاز والعراق، ولا يستدل في استعمال الألفاظ بشعر هؤلاء بالاتفاق، كما يستدل بشعر الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين بالاتفاق[(٢)].

قال ابن سلام في «طبقات فحول الشعراء»: «كان الشِّعر في الجاهلية

(١) تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي: د. شوقي ضيف، (ص: ١٤٠)، ط. المعارف بتصرف.

ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون».

وقال أبو هلال العسكري في «الصِّناعتين»: «الشِّعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها».

وقال ابن فارس: «الشِّعر ديوان العرب، به حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، وتعلمت اللغة».

وقد أورد صاحب كتاب «زهر الآداب» وصفًا للشعر الجميل، لأبي العباس الناشئ؛ قال فيه: «الشعر قيد الكلام، وعقل الآداب، وسور البلاغة، ومعدن البراعة، ومجال الجَنان، ومسرح البيان، وذريعة المتوسّل، ووسيلة المتوصّل، وذِمام الغريب، وحرمة الأريب، وعصمة الهارب، وعدَّة الراهب، ورجلة الداني، ودوحة المتمثّل، وروحة المتحمّل، وحاكم الإعراب، وشاهد الصواب».

ويُنصح المبتدئون بالشعر بحفظ الشعر الرصين الجزل، بدءًا من المعلقات، والمفضليات، والأصمعيات، وديوان الحماسة، مرورًا بديوان هذيل، وأشعار المولَّدين الفطاحل، أمثال: جرير والفرزدق، وانتهاء إلى الشعراء المطبوعين المجيدين من المحدثين، كأبي تمّام، والبحتري، والمتنبي، ومن حذا حذوهم، وبلغ شأوهم.

● **سبب تسمية المعلقات:**

كان فيما أثر من أشعار العرب بضع قصائد من مطوّلات الشعر العربي، عدَّها النقاد قمّةَ الشِّعر، وأدقَّه معنىً، وأبعده خيالاً، وأبرعَه وزنـًا، وأصدَقَه تصويرًا لحياة العرب قبل الإسلام.

وفي سبب تسمية هذه القصائد بالمعلّقات أقوال؛ منها ما قاله ابن عبد ربّه

في «العقد الفريد» وابن رشيق في «العمدة»، والسُّيوطي في «المزهر» وياقوت الحموي في «معجم الأدباء» وابن الكلبي، وابن خلدون وغيرهم: «أنّه بلغ من كلف العرب به، -أي الشعر-، وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلّقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهّبة امرئ القيس، ومذهّبة زهير، والمذهّبات سبع».

وذكر ابن الكلبي: أنّ أوّل ما علّق هو شعر امرئ القيس على ركن من أركان الكعبة أيّام الموسم، حتّى نظر إليه ثمّ أُحدر، فعلّقت الشعراء ذلك بعده.

وذكر أبو جعفر النحّاس أنّ حمّادًا الراوية هو الذي جمع السبع الطوال، ولم يثبت أنّها كانت معلّقة على الكعبة، وقال د. شوقي ضيف: «لا يوجد لدينا دليل مادّي على أنّ الجاهليين اتّخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم، فالعربية كانت لغة مسموعة لا مكتوبة»[١].

- **شعراء المعلقات:**

شعراء المعلقات سبعة هم: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وعنترة العبسي، وزهير بن أبي سلمى، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حِلِّزَة، ولبيد ابن ربيعة، وبعض النقاد يرون أنَّ المعلقات عشرة، ويلحقون بالسابقين الأعشى ميمون، والنابغة الذبياني، وعبيد الأبرص[٢].

---

(١) شرح القصائد الطوال: الخطيب التبريزي.
(٢) والسِقط: منقطع الرمل. واللِّوى حيث يلتوي ويرق. والدَّخول وحَومل: موضعان.
(٣) دَمُّون: موضع، وقيل: أرض.

● **أسلوب المعلقات:**

لو رجعنا إلى القصائد الجاهلية الطوال، والمعلّقات منها على الأخصّ، رأينا أنّ الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص، فيبدأون غالباً بذكر الأطلال، ثمّ ينتقل أحدهم إلى وصف الراحلة، ثمّ إلى الطريق التي يسلكها، بعدئذ يخلص الشاعر إلى «المديح» أو «الفخر» وقد يعود الشاعر إلى الحبيبة، ثمّ إلى الخمر، وبعدئذ ينتهي «بالحماسة» أو «الفخر» أو بذكر شيء من «الحِكَم» كما عند زهير، أو من «الوصف» كما عند امرئ القيس.

● **المعلقة الأولى: لامرئ القيس.**

وهي من البحر الطويل، وعدد أبياتها (٧٨) بيتًا، (٩) منها في ذكرى الحبيبة، و(٢١) بيتاً في بعض مواقف له، و(١٣) بيتًا في وصف المرأة، و(٥) أبيات في وصف الليل. و(١٨) بيتاً في وصف السحاب والبرق والمطر، والبقية في أمور مختلفة، ومطلعها:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزِلِ بِسِقْط اللِّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فتوضِحَ فالمقراةَ لَم يعفُ رسمُها لما نسجتها من جنوب وَشَمأَلِ[1]

وامرؤ القيس: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، ويعرف بـ «الملك الضليل» لاضطراب أمره طول حياته، و«ذي القروح» لما أصابه في مرض موته، كان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، علمه خاله الشعر فجعل يشبب ويلهو ويعاشر الصعاليك، فبلغ ذلك أباه فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى «دَمُّون»[2] بحضرموت موطن آبائه وعشيرته، وهو في

(١) ذكره الميداني في مجمع الأمثال (٤٦٨٤)، ويضرب للدول الجالبة للمحبوب والمكروه.

(٢) الأندر: الكُدْس من القمح خاصة. والأَندَرُون: فِتْيان يجتمعون للشُّرب. وقيل: الأَندَرُ:

سن العشرين، فأقام زهاء خمسين سنة، ثم جعل يتنقل في أحياء العرب يغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب، فقال: «رحم الله أبي، ضيعني صغيرًا، وحَمّلني دمه كبيرًا، لا صَحْوَ اليوم، ولا سُكرَ غدًا، اليومَ خَمْرٌ وغدًا أمر»[١]، ونهضَ من غده، فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد.

- **المعلقة الثانية: لطرفة بن العبد، وعدد أبياتها (١٢٢) بيتًا، ومطلعها:**

لخولةَ أطلالٌ ببَرقةِ ثَهمدِ تلوحُ كباقي الوشمِ في ظاهر اليدِ

وطرفة بن العبد: هو أبو عمرو الوائلي، شاعر مقلّ، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند، فجعله من ندمانه، ثم أرسله بكتاب إلى «المكعبر» عامله على البحرين وعمان، يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله «المكعبر»، سنة ٦٠ قبل الهجرة، وكان عمره عشرين عامًا، وقيل: ستة وعشرين عامًا.

- **المعلقة الثالثة: لعنترة العبسي، وعدد أبياتها (٨٠) بيتًا:**

وهي من البحر الكامل، جاءت في وصف الأطلال، وفي بعد الحبيبة وأثره، وفي وصف موكب الرحلة، وفي وصف الحبيبة، وفي وصف الناقة، وفي الفخر، ومطلعها:

هل غادر الشعراء من مُتَردَّمِ أم هل عرفتِ الدارَ بعد توهّمِ

وعنترة بن شداد بن عمرو العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، من نجد، كانت أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها، وكان من أحسن الناس شيمة، وأعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وقد

قرية بالشام فيها كروم، فجمَعها الأَندَرِين.

نشأ عبدًا منبوذًا يرعى الإبل، وأحب عبلة ابنة عمه مالك، وفي يوم من الأيام أغار حي من العرب على بني عبس غارة حملوا فيها كل شيء، وسبوا عبلة، فحضه أبوه على الحرب، فقال: العبد لايُحسنُ الكرّ، بل يحسن الحلاب والصَرَّ، فقال له أبوه: «كرّ يا عنتر وأنت حرّ».

اشتهر شعر عنترة بالغزل، والحماسة، وشهرته بالحماسة أكثر، شهد حرب داحس والغبراء، ونظم معلقته هذه في أعقابها، ليعاتب عبلة، ويفتخر أمامها بشجاعته وكرمه، وليعاتب أباه وعمه الَّذَيْنِ ضَنّا بعبلة عليه، عاش عنترة طويلاً، واجتمع في شبابه بامرئ القيس، وقتله الأسود الرهيص، أو جبار بن عمرو الطائي قبل أن يتزوج عبلة، وذكر «الأعلم الشنتمري» في اختياراته من أشعار الشعراء الستة الجاهليين أنّ النبي ﷺ حينما أنشد هذا البيت:

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكلِ

قال: ما وصف لي أعرابيٌّ قطُّ فأحببتُ أن أراه إلاّ عنترة(١).

- **المعلقة الرابعة: لزهير بن أبي سلمى، وعدد أبياتها (٦٢) بيتًا، ومطلعها:**

أمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا العِينُ وَالأرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأطلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وزهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، قال ابن الأعرابي: «كان لزهير في الشعر ما لَم يكن لغيره، كان أبوه شاعرًا، وخاله شاعرًا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته

(١) انظر: الأغاني، لأبي الفرج (٢٥/ ٩٢٢).

الخنساء شاعرة، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة، وقد عُمّر تسعين عامًا، وتوفي قبل بعثة النبي ﷺ، كان لا يعاظل، وكان يتخير وحشي الكلام، ولم يمدح أحدًا إلا بما فيه، وكان كثير التنقيح والتهذيب لشعره، حتى زعموا أنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر، ويعرضها على أصحابه في أربعة أشهر، ومن أجل ذلك عرفت قصائده بالحوليات، ويتميز شعره بالحكمة، وقد نظم معلقته ليمدح فيها الحارث بن عوف وهرم بن ضمضم، اللذين أوقفا حرب داحس والغبراء بمساعيهما، وهو في ذلك يزين السلام، ويصور أهوال الحرب.

- **المعلقة الخامسة: لعمرو بن كلثوم، وعدد أبياتها (١٠٣) أبيات، ومطلعها:**

ألا هبي بصحنك فأصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا(١)

والشاعر هو: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبو الأسود، ولد في شمال جزيرة العرب، وتجول فيها وفي الشام وفي العراق ونجد، وكان من أعز الناس نفسًا، وهو من الفتاك الشجعان، ساد قومه وهو فتى ابن خمس عشرة سنة، وأُمّر طويلًا، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند، وكان فارسًا شجاعًا، معجبًا بنفسه، ويقال: إن معلقته كانت تبلغ ألف بيت، ولكن لَم يصلنا إلا عشرها، وقد كتبت معلقته في زمنين منفصلين، حيث نظم بعضها قبل مقتل عمرو بن هند، ونظم البعض الآخر بعد قتله، وهي تدور على الحماسة والفخر وفيها شيء من الغزل ووصف الخمر والحكمة.

---

(١) الحَلْز: البُخْل، قال الجوهري: وبه سُمِّيَ الحارث ابن حِلِّزَة.

(٢) الشنفرى في اللغة: البعير الضخم، أو غليظ الشفة، أوسيء الخلق.

● **المعلقة السادسة: للحارث بن حِلِّزَة، وعدد أبياتها (٨٤) بيتًا، ومطلعها:**

آذنتنا ببينها أسماءُ ... رُب ثاوٍ يَمَلُّ منه الثِّواءُ

والحارث بن حِلِّزَة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، كان أبرص، فخورًا، من أهل العراق، مشهور، لكنه مقل، قيل: إنه ارتجل المعلقة في حضرة عمرو بن هند، وشعره سهل ورائق، وتدور معلقته في الأكثر على الفخر والحماسة، وفيها شيء من الحكمة وحسن المناقشة والتعليل[1].

● **المعلقة السابعة: للبيد بن ربيعة، وعدد أبياتها (٨٨) بيتًا، ومطلعها:**

عَفَتِ الديار محلُّها فمقامها ... بمنى، تأبَّد غولُها فرجامُها

ولبيد بن ربيعة بن مالك العامري، هو أبو عقيل، وهو من الأشراف المجيدين، ومن أصحاب المعلقات بإجماع الرُّواة، وقد أسلم في السنة التاسعة، وسكن المدينة، وقيل: هو من المؤلفة قلوبهم، ولما بنيت البصرة والكوفة سنة ١٤هـ انتقل إلى الكوفة وسكنها، وكتب اسمه في ديوانها، وكان عطاؤه ألف درهم بالعام، وتوفي سنة ٤١ هـ في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل: إنه لَم يقل في الإسلام شعرًا إلا نادرًا، وهو قوله:

الحمدُ للهِ لَم يأتِني أجَلي ... حتى اكتسيتُ من الإسلامِ سربالاً

● **كتب ذات صلة:**

بلغ عدد طبعات المعلقات المحصية قرابة الثمانين طبعة، بين مشروحة وغير مشروحة.

وقد شرحها ثلاثون عالمًا تقريبًا، من أشهرهم:

- شرح أبي بكر الأنباري، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ)، وقد نشره

وفي ترجمته انظر: الشنفرى شاعر الصعاليك، ولامية العرب: د. عبد الحليم حفني.

المستشرق الإنكليزي تشارلس جيمس ليال. وطبع أيضاً بتحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون.

- شرح القالي: أبي علي، إسماعيل بن القاسم (ت: ٣٥٦ هـ).

- شرح النحاس، أبي جعفر، أحمد بن محمد (ت: ٣٨٨ هـ).

- شرح الزّوزني، الحسين بن أحمد (ت: ٤٨٦ هـ).

- شرح المعلقات العشر الطوال المذهبات: للتبريزي (ت: ٥٠٢ هـ).

- فتح المتعال في إعراب القصائد العشر الطوال: محمد علي طه الدرّة، في عشرة مجلدات. ط. دار الرازي، دمشق، ١٩٨٩م.

- المعلقات السبع، شرح معاصر وتبسيط للشروح القديمة: سليمان العطار، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها: أحمد الأمين الشنقيطي، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٣م.

- المعلقات العشر، شرح ودراسة تحليل: د.مفيد قميحة، دار الفكر اللبناني ١٩٩١م.

- لو أسلمت المعلقات، نظرات في المعلقات الجاهلية ومعارضتها بسبع إسلاميات: يوسف العظم، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م.

- بحوث في المعلقات: يوسف اليوسف، منشورات وزارة الثقافة السورية ١٩٧٨م.

لامية العرب

لم يختلف النقاد - سواء في القديم أو في الحديث - على أن لامية العرب درَّة من أثمن ما حوى الأدب العربي قاطبة، ولذلك توافر عليها في القديم جلة الأدباء والنقاد والعلماء، بالشرح والتحليل، ومحاولة إبراز ما تحتوي عليه من المزايا.

« د. عبد الحليم حفني»

● **الشَّنفرى (ت: نحو ١٠٠ ق. هـ).**

عمرو بن مالك الأزدي، شاعر جاهلي، كان من فتاك العرب، ومن الشعراء الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم، وكان عدَّاءًا يضرب به المثل، فيقال: «أعدى من الشنفرى».

نشأ في منطقة «السراة» بين مكة والمدينة، ولم تحدد الروايات زمن ولادته ولاوفاته، ويرجح النقاد أنه كان في الجيل السابق للإسلام مباشرة، ونقل وهو صغير إلى بني سلامان بن مفرج، فكانت حياته فيهم حياة الدخيل عليهم، ثم عاداهم وهاجر عنهم، واختلفت الروايات في سبب ذلك[١].

والشعراء الصعاليك: د. يوسف خليف. والأدب الجاهلي: د. شوقي ضيف. ومجمع الأمثال، للميداني، «أعدى من الشنفرى»، (٤٦/٢). وديوان الشنفرى.

● **الموضـوع:**

في «شعر الصّعاليك»، والصُّعلوك: هو الفقير الذي لا مال له، وكان عُروة بن الوَرْد يسمّى «عروة الصّعاليك»؛ لأنه كان يجمع الفقراء فيرزقهم مما يغنمه، وأطلقت الصَّعْلكة في الجاهلية على اللصوصية والتمرد على المجتمع، وقطع الطريق، وظهرت لأسباب عديدة، ولم تظهر في قريش؛ لما كانت تتمتع به من مكانة أدبية ودينية واقتصادية.

ولم تكن الصعلكة في الجاهلية أمرًا شائنًا، بل كانت عند بعضهم أمرًا يدعو إلى الفخر، وربما زاوله بعض السادة، ومن الكلمات الجاهلية المشهورة: «ما خلا قوم من صعلوك إلا ذلوا»، و«كل صعلوك جواد».

ويرى د. شوقي ضيف أنّ الصعلكة كأنما تحولت في أواخر العصر الجاهلي إلى نظام يشبه الفروسية، لأنها وإن كانت حقًا تقوم على السلب والنهب، إلا أنهم كانوا لا يسلبون ولا ينهبون سيدًا كريمًا.

● **من أبيات القصيدة:**

بلغ عدد أبيات القصيد ستةً وثمانين بيتًا.

أولها:

أقيموا بَني أمي صدورَ مُطِيِّكم ... فإنِّي إلى قومٍ سواكم لأمْيَلُ

فقد حُمَّت الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ ... وشُدَّت لِطيَّاتٍ مطايا وأرْحُلُ

وفي الأرضِ مَنْأى للكريمِ عن الأذَى ... وفيها لِمنْ خافَ القِلى مُتَنَزَّلُ

لَعَمْرُكَ، ما بالأرض ضيقٌ على امرئٍ ... سَرَى راغبًا أو راهبًا، وهو يعقلُ

ولي دونكم أهلونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرقطُ زُهلول وَعَرفاءُ جيألُ

هم الأهلُ، لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ لديهم، ولا الجاني بما جَرَّ، يُخْذَلُ
وكلٌّ أبيٌّ، باسلٌ، غَيْرَ أنَّني إذا عَرَضَتْ أولى الطَّرائدِ أبسلُ

- **مضمون لامية العرب:**

إن هذه القصيدة اللامية أقرب ما تكون إلى المذكرات الشخصية؛ لخلوها من الموضوعات التي تعوَّد الشعراء طرقها، حيث تعتبر عرضًا لقصة حياة الشنفرى كاملة، وتصويرًا للبيئة الجاهلية، وبيانًا لحياة وقيم وأهداف الصعاليك.

وقد تَمَيّزَ الشَّاعر - كغيره من شعراء الصّعاليك - بأنه لَم يلتزم بالمطلع التقليدي للقصيدة، وهو المدح والغزل، وبأنه لَم يرتب عناصر القصيدة، وإنما عمد إلى الموضوع مباشرة.

وعالج الشاعر في هذه القصيدة الموضوعات التالية:

حالته النفسية: ويمكن تلخيصها بأنه إنسان ساخط على المجتمع، راغب بالاستمتاع بالحياة.

بيان مؤهلات الصعلكة: ويمكن ردُّها للسلاح، والخشونة، والعَدو، والتحمل، وتمييز الأماكن.

وصف الهموم والأحزان: وأسبابها المطاردة، وقسوة البيئة، وشدة الحر والبرد، والحرمان، ومتاعب البحث عن الطعام والشراب.

- **القيمة الأدبية للامية العرب:**

قال أبو علي القالي: «وهي -أي اللامية- من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول».

وسميت بلامية العرب؛ لأنها تصلح أن تكون مفخرة من مفاخر الأدب

العربي، كما سميت قصيدة الطغرائي بلامية العجم(١).

وقال المستشرق «كارلونالينو»: وهي قصيدة غاية في الجمال، تنطق بلسان حال الشاعر(٢).

• تشكيك بلاميَّة العرب:

يرى بعض النقاد أن هذه القصيدة مما نُحِل على الشنفرى، وأن الذي نحلها عليه خلف الأحمر، مستدلين بما أورده أبو بكر الزبيدي في «طبقات النحويين» من أن خلف الأحمر كان يقول القصائد الغر، ويدخلها في دواوين الشعراء، وأن هذه القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى هي له(٣).

• كتب ذات صلة:

من أشهر شرّاح اللامية: المُبَرِّد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت:

---

(١) لامية العجم: للشاعر الحسين بن علي بن عبد الصمد الطغرائي (ت: ٥١٤ هـ)، وقبل ظهور لامية العجم لم يصف أحد قصيدة الشنفرى بلامية العرب، وإنما حديثهم عنها بلامية الشنفرى، ويميل النقاد إلى القول بأنها سميت بلامية العجم بدافع شعوبي؛ لمعارضة لامية العرب. قال الذهبي في «العبر»: والطغرائي الوزير، مؤيد الدين، الأصبهاني، صاحب ديوان الإنشاء للسلطان محمد بن ملكشاه، ثم عزل منه وكان من أفراد الدهر، وهو صاحب لامية العجم. قال الطغرائي لاميته معبرًا عن آلام العزل:

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَل وحِليةُ الرأي زانتني لدى العطل

وقد شرحها صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) وسمى هذا الشرح: «الغيث المسجم في شرح لامية العجم»، وللدماميني (ت: ٨٢٧ هـ) «نزول الغيث» مخطوط، انتقد فيه لامية العجم.

(٢) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية: كارلونالينو، طبع دار المعارف.

(٣) خلف الأحمر (ت: ١٨٠هـ) أبو محرز، أديب راوية شاعر أستاذ الأصمعي، من الموالي، أصله من فرغانة، اتهم بوضع الشعر ونسبته إلى الشعراء.

٢٨٦هـ)، وهو أول شرح لها.

وابن دريد: أبو بكر، محمد بن الحسن (ت: ٣٢١ هـ).

والزمخشري: (ت: ٥٣٨ هـ) وسماه: «أعجب العجب في شرح لامية العرب».

والعكبري: أبو البقاء، عبد الله بن حسين (ت: ٦١٦ هـ).

والمستشرق الإنكليزي ردهوس (ت: ١٨٩٢).

وعاكش اليمني: الحسين بن أحمد الضمدي، (ت: ١٢٩٠هـ)، حيث كتب حاشية على لامية العرب، فقام الأستاذ محمد محمود الشِّنقيطي (ت: ١٣٢٢ هـ = ١٩٠٤م) المعروف بابن التلاميذ، وهو علامة عصره في اللغة والأدب، بتأليف كتاب «إحقاق الحق وتبريء العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب»، بين فيها أغلاطه[١].

وعطاء الله بن أحمد الأزهري: في كتاب «نهاية الأرب في شرح لامية العرب». قال في المقدمة: فهذا تعليق لطيف، وتنميق شريفٌ، على القصيدة الفريدة، واللامية المجيدة، المنظومة على البحر الطويل، والأسلوب المثيل، المشهورة بلامية العرب...[٢].

(١) الأعلام للزركلي (٧/ ٨٩).

(٢) موقع مخطوطات الأزهر.

ديوان الحماسة

إن حماسة أبي تمام تعدّ أهم اختيار شعري في التاريخ الأدبي . . . جمع بين دفتيه قرابة أربعة آلاف بيت اختارها أبو تمام من أشعار العرب.

«د. جابر قميحة»

- **أبو تمام (١٨٨ - ٢٣١ هـ):**

حبيب بن أوس، أحد أمراء البيان، في شعره قوة وجزالة، كان أسمرًا، طويلاً، فصيحًا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ الكثير من أراجيز العرب غير القصائد، ولد في قرية جاسم، من قرى حوران في سورية، ورحل إلى مصر، وأرمينيا، وأذربيجان، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم بها سنتين حتى توفي بها، له تصانيف منها: «فحول الشعراء»، و«مختار أشعار القبائل»، و«نقائض جرير والأخطل»، و«الوحشيات» وهو ديوان الحماسة الصغرى[(١)].

- **الموضـوع:**

في المختارات الشعرية. والحماسة في اللغة: الشجاعة والشدة، واشتهر الكتاب ببابه الأول، وهو أعظم الأبواب[(٢)].

(١) انظر كتاب (أخبار أبي تمام: للصولي).

(٢) أعجب الشعراء والأدباء باختيارات أبي تمام في ديوان الحماسة، فنسجوا على منواله، وممن كتب بموضوعها وسمى كتابه باسمها؛ الحماسة: لأبي عبادة، وليد بن عبد الله البحتري (ت: ٢٨٤هـ). والحماسة الشجرية: لأبي السعادات، هبة الله بن علي بن الشجري النحوي (ت: سنة ٥٤٢)، والحماسة: لعلي بن الحسن، المعروف بشميم الحلي (ت: ٦٠١هـ). والحماسة: لأبي الحجاج، يوسف بن محمد البياسي الأندلسي (ت: ٦٥٣ هـ). والحماسة البصرية: لعلي بن أبي الفرج البصري (ت: ٦٥٦ هـ).

وعرف «بالحماسة الكبرى» تمييزًا له عن كتابه «الوحشيات» الذي يعرف بالحماسة الصغرى.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدّ ديوان الحماسة عظيم القيمة من الناحيتين الفنية والأدبية للمَعنِيّين بالشعر القديم؛ فهو حافل بألوان متعددة من الشعر الجيد لأرقى عصور العربية «الجاهلي والإسلامي»، ومن الناحية اللغوية يرجع إليه الأدباء عند المقارنة والتحقيق، ويستدل اللغويون والمفسرون والمحدثون والمؤلفون في الأدب بنصوصه، كما يعدّ أبو تمام - في عمله هذا - أوَّل من صنَّف الشعر بحسب الفنون التي ينتمي إليها، وكان اهتمامه مركزًا على ذكر شعر الشعراء المجيدين؛ وقيل: «إن أبا تمام في اختياره أشعر منه في شعره».

وقد رتب أبو تمام مختاراته ترتيبًا موضوعيًّا، فكان ديوانه أوَّل مجموع شعري تصنف فيه الأشعار حسب الموضوع الشعري؛ وله بذلك فضل في تبويب الشعر، قال المرزوقي: «وقع الإجماع - من النقاد - على أنه لم يتفق في اختيارات المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام، ولا في اختيارات المقصّدات أوفى مما دوّنه المفضَّل ونقده».

وقال الزمخشري بعدما استشهد ببيت لأبي تمام: «وهو وإن كان محدَثًا لا يستشهد بشعره، فهو من علماء العربية، فأجعلُ ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»[١].

(١) الكشاف (١ / ٤٣).

● **سبب تأليف الكتاب:**

كان السبب في تأليف أبي تمام للحماسة أنه قصد عبد الله بن طاهر[(١)] وهو بخراسان، فمدحه فأجازه، وعاد يريد العراق، فلما دخل همذان اغتنمه أبو الوفاء ابن سلمة، فأنزله وأكرمه، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق، فغَمَّ أبا تمام ذلك، وسَرَّ أبا الوفا، فأحضر له خزانة كتبه، فطالعها، واشتغل بها، وصنف خمسة كتب في الشعر، منها كتاب الحماسة والوحشيات، فبقي الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون به حتى تغيرت أحوالهم، وورد أبو العواذل همذان من الدينور فظفر به، وحمله إلى أصبهان، فأقبل أدباؤها عليه، ورفضوا ما عداه من الكتب في معناه، ثم شاع واشتهر[(٢)].

● **المنهج والأسلوب:**

يتألف الديوان من عشرة أبواب، كل باب يشمل موضوعًا؛ وذلك على النحو التالي: باب الحماسة، باب المراثي، باب الأدب، باب النَّسيب، باب الهجاء، باب الأضياف والمديح، باب الصِّفات، باب السَّيْر والنُّعاس، باب المُلَح، باب مذمَّة النِّساء.

اشتمل الكتاب على مختارات شعرية رائعة من الشعر العربي القديم، بدءًا من العصر الجاهلي إلى عصر أبي تمام، حيث اختار ما يروق من

---

(١) عبد الله بن طاهر: من أشهر الولاة بالعصر العباسي، ولَّاه المأمون خراسان وما يتصل بتلك الأطراف، وللمؤرخين إعجاب به وثناء على أعماله. قال ابن خلكان: كان عبد الله سيدًا نبيلاً عالي الهمة شهمًا، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. (الأعلام: ٤/ ٩٤).

(٢) كشف الظنون: حاجي خليفة (ص: ٥٥٨٦).

الشعر، دون أي اعتبار لمدى شهرة الشاعر.

يتراوح عدد أبيات الحماسيات من الأربعين إلى البيت والبيتين.

وبلغ عدد الشعراء الذين استشهد أبو تمام بشعرهم ٥٠٠ شاعرًا، وقد يختار للشاعر الواحد أكثر من قصيدة، وقد ألف «ابن جني» كتاب «المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة» كما ألف كتاب «شرح مشكلات الحماسة».

ولم يقتصر اختياره على الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، بل تعدّاه إلى اختيار شعر لشعراء مولّدين، وكذلك المحدثين.

● **كتب ذات صلة:**

شرح ديوان الحماسة أكثر من عشرين واحدًا(١).

- تلو الحماسة: للأبيوردي الشاعر، أودعه ما يضاهي ديوان الحماسة من شعر المحدثين. والأبيوَرْدي نسبة إلى «أبيورد» مدينة بخرسان (ت: ٥٠٧ هـ) أبو المظفر، محمد بن أبي العباس، شاعر ومؤرخ ونسّابة.

(١) ومن تلك الشروح: شرح المرزوقي، أحمد بن محمد (ت: ٤٢١هـ). وشرح الصولي، أبي بكر، محمد بن يحيى (ت: ٣٣٥ هـ). والآمدي، حسن بن بشر (ت: ٣٧٠ هـ) وله كتاب آخر بعنوان (الموازنة بين البحتري وأبي تمام). والعسكري، أبي هلال، الحسن بن عبد الله (ت: ٣٩٥ هـ). والهروي، أبي المظفر، محمد بن آدم (ت: ٤١٤ هـ). وابن سيده، علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨ هـ) واسم كتابه (الأنيق). والفسوي، زيد بن علي الفارسي، نزيل حلب (ت: ٤٦٧ هـ) والشيرازي، عبد الله بن إبراهيم (ت: ٤٧٦٨ هـ). والشاماتي، عبد الله بن أحمد (ت: ٤٧٥ هـ)، والشنتمري، يوسف بن سليمان، الملقب بالأعلم (ت: ٤٧٦هـ). والإشبيلي، إبراهيم بن محمد (ت: ٥٨٤ هـ)، وعثمان بن جني (ت: ٣٩٣هـ). والخطيب التبريزي، يحيى بن علي (ت: ٥٠٢هـ). والبيهقي، مسعود بن علي (ت: ٥٤٤هـ) والعكبري، أبي البقاء، عبد الله ابن حسين (ت: ٦١٦ هـ).

- المنثور البهائي: لأبي سعد النيرماني، علي بن محمد (ت: ٤١٤ هـ) نثر به ديوان الحماسة، وأهداه إلى بهاء الدولة ابن بويه.

● **طبعات الكتاب:**

كان ديوان الحماسة من أوائل الكتب التي طبعت في أوروبا أو العالم العربي والإسلامي، فقد طبعه المستشرق «فريتاخ» بألمانيا عام (١٨٤٧)[١].

وطبع في مطبعة بولاق عام (١٨٧٠م) بعناية محمد قاسم.

وشرحه وعدَّل أبوابه: سيد المرصفي، وطبع سنة ١٩١٥م.

وطبع بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد سنة ١٩٣٨م.

وحققه: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط. القاهرة سنة١٩٥١م.

وحققه: د. عبد الله عسيلان. ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود.

وحققه: د. عبد المنعم أحمد صالح، ط. الهيئة العامة للثقافة بالقاهرة.

❋ ❋ ❋

(١) جورج فيلهلم فريتاخ (١٧٨٨ـ١٨٦١) Georg Wikhelm Freytag مستشرق ألماني، عين أستاذًا للغات الشرقية في بون، نشر قطعة من (زبدة الحلب في تاريخ حلب) لابن العديم، ومعجم البلدان لياقوت.

طبقات فحول الشعراء

ولا ريب في أن ابن سلام قد وضع اللبنة الأولى في بناء النقد العربي.
«د. محمد صبري الأشتر»

● **ابن سلّام الجمحي (١٥٠ ـ ٢٣٢هـ):**

محمد بن سلّام الجمحي «بالولاء» البصري، إمام في الأدب، له علم في الشعر والأخبار، أخذ عن الأصمعي وخلف الأحمر، ويونس بن حبيب وغيرهم، وروى عنه المازني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم. قيل فيه: لا يُكتب عنه الحديث، لأنه رجل يُرمى بالقدر، وإنما يكتب الشعر عنه(١).

ويقال لهذا الكتاب «طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين»، ويرى الأستاذ محمود شاكر: أن لفظة «فحول» مقحمة على عنوان الكتاب.

● **موضوعه:**

في علم طبقات الشعراء، وهو من فروع التواريخ والأدب، وقد كتب فيه كثير من الكتب، منها: أخبار الشعراء وطبقاتهم: لمحمد بن حبيب (ت: ٢٤٥ هـ). والشعر والشعراء: لعمر بن شبّة البصري (ت: ٢٦٢ هـ) ترجم فيه لعدد كبير من شعراء الجاهلية، وحتى منتصف القرن الثالث الهجري. وطبقات الشعراء: لعبد الله ابن الخليفة العباسي المعتز بالله (ت: ٢٩٦هـ).

---

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبي (٦٥٢/١٠)، ومعجم الأدباء: لياقوت الحموي.
وانظر ترجمته في «بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة: للسيوطي».

والشعر والشعراء: لمحمد بن داود الجراح (ت: ٢٩٦ هـ). ومعجم الشعراء: لمحمد بن عبد الواحد، المعروف بغلام ثعلب (ت: ٣٤٥ هـ). ومعجم الشعراء: لمحمد بن عمران، أبي عبيد الله المرزباني (ت: ٣٨٤ هـ). ويتيمة الدهر في محاسن شعراء العصر: لأبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ) ترجم فيه لشعراء القرن الرابع. والأنموذج: لابن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٣ هـ) ترجم فيه لشعراء القيروان. ودمية القصر وعصرة أهل العصر: للباخرزي (ت: ٤٦٧ هـ) ترجم فيه لشعراء القرن الخامس. وزينة الدهر في لطائف شعراء العصر: للحظيري (ت: ٥٦٨ هـ) ترجم فيه لشعراء القرن السادس. والمختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر: لابن بشرون الصقلي، عثمان بن عبد الرحيم، (توفي بعد سنة ٥٦١ هـ) ترجم فيه لشعراء القرن السادس. وخريدة القصر وجريدة العصر: للعماد الأصفهاني، محمد بن محمد (ت: ٥٩٧ هـ) ترجم فيه لشعراء القرن السادس.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب أقدم كتاب وصل إلينا في تراجم الشعراء، مما يعطيه قيمة تاريخية بالإضافة إلى قيمته الموضوعية، كما تعد المقدمة التي ابتدأ المؤلف بها كتابه أول ما كتب في موضوع المقدمات النقدية، حيث ضمنها كثيرًا من آرائه.

● **المنهج والأسلوب:**

مهّد المؤلف لكتابه بمقدمة نقدية عن الشعر المطبوع والشعر المتكلف، واعتبر أن مقياس التفضيل هو كثرة الشعر أولًا، وجودته ثانيًا. وتعرّض في المقدمة لمسألة الشعر المنحول، داعيًا إلى ضرورة تنقية تراث الشعر من

الزيف، فقال: «إن في الشعر مصنوع مفتعل، موضوع كثير، لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية» .

تناول المؤلف ابن سلام دور «محمد ابن إسحاق» في إفساد الشعر، بما دسّه في سيره ومغازيه، وذكر أسباب ذلك.

كما تناول قضية أنساب العرب، وأول من تكلم بالعربية قديمًا.

تعرض لقضية نشأة النحو العربي، فتحدث عن الأسباب التي حملت على وضع الشعر.

تعرض لبعض القضايا النقدية، مثل المفاضلة بين النثر والشعر، والسرقات الأدبية، وأسباب الانتحال، وغير ذلك .

ترجم في كتابه لـ (١١٤) شاعرًا، جعلهم على طبقات، عشر طبقات من الجاهلية، تضم ٤٠ شاعرًا، وعشر طبقات من الإسلاميين، تضم ٤٠ شاعرًا أيضًا، وطبقة أصحاب المراثي وهم ٤ شعراء، وطبقة شعراء القرى وهم ٢٢ شاعرًا، وطبقة شعراء اليهود وهم ٨ شعراء.

يذكر في الترجمة اسم الشاعر، ونسبه، وأقوال العلماء فيه، ونبذًا من شعره، وأقوال النقاد فيه.

لم يتعرض إلى معاصريه من الشعراء.

اهتم في كتابه بأمرين؛ هما صحة الشعر المنسوب إلى أصحابه، وكون هذا الشعر هو نتاج الشاعر.

• **كتب ذات صلة:**

طبع الكتاب لأول مرة في «ليدن» بهولندا (ما بين سنتي١٩١٣ـ ١٩١٦م) بعناية «يوسف هل».

وطبع بدار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٢م، بتحقيق الأستاذ محمود شاكر، وامتازت هذه الطبعة بحواش مهمة[١].

محمد بن سلام الجمحي وكتابه طبقات الشعراء: د. علي جواد الطاهر، نشر دار الفكر، سنة ١٩٩٥م.

(١) الكتاب القديم: د. محمد صبري الأشتر، دار القلم العربي، حلب.

ديوان المتنبي

أبو الطيب المتنبي، الشاعر، الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة، والحكم البالغة، والمعاني المبتكرة، وفي علماء الأدب من يعدّه أشعر الإسلاميين.

«خير الدين الزركلي»

- **أبوالطيب المتنبّي (٣٠٣ ـ ٣٥٤ هـ):**

أحمد بن الحسين الجعفي، ولد بالكوفة، ونشأ بالشام، وأقام بالبادية، وطلب الأدب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس، وتعاطى قول الشعر في حداثته، حتى بلغ فيه الغاية، وأنهى فيه النهاية، وفاق فيه أهل عصره، مدح الأمير سيف الدولة، علي بن حمدان، وأكثر القول في مديحه، ثم مضى إلى مصر، ومدح بها كافورًا الإخشيدي، ثم خرج من مصر وورد العراق، ودخل بغداد وجالس بها أهل الأدب، وقرئ عليه ديوانه.

قال أبو الحسن محمد بن علي العلوي: «كان المتنبي وهو صبي ينـزل في حواري الكوفة، وكان أبوه يعرف بعبدان السقا، يستقي لنا ولأهل المحلة، ونشأ هو محبًّا للعلم والأدب والقراءة، وأكثر من ملازمة الوراقين».

وقال أبو علي بن حامد: «سمعت خلقًا بحلب يحكون أن أبا الطيب المتنبي تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ – أمير حمص من قبل الإخشيدية – فقاتله وأسره، وشرد من كان قد اجتمع إليه من قبائل العرب، وحبسه في السجن دهرًا طويلًا حتى كاد يتلف، فسئل في أمره،

فاستتابه وكتب عليه وثيقة، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام وأطلقه، قال: وكان المتنبي إذا شوغب في مجلس سيف الدولة ـ ونحن إذ ذاك بحلب ـ نذكر له مما كان يحكى عنه فينكره ويجحده»(١).

جاءته دعوة من ابن العميد، وزير ركن الدولة البويهي، فذهب إليه في «أرجان» ثم كتب إليه عضد الدولة البويهي من «شيراز» يستزيره أيضًا، فسار إليه المتنبي ومدحه، وعاد بعد ذلك يريد بغداد والكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي وقتله، وقتل ابنه «المحسد» وغلامه «مُفلح» قرب بغداد.

● **القيمة الأدبية لشعر المتنبي:**

وفَّق المتنبي بين الشعر والحكمة، قال ابن خلكان: «والمتنبي وإن كان مشهور الإحسان في النظم، فقد كانت له معان يجيدها في الناس، والناس في شعره على طبقات، فمنهم من يرجحه على أبي تمام، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه».

---

(١) انظر ترجمته في نزهة الألباء في طبقات الأدباء: للأنباري، ووفيات الأعيان: لابن خلكان، وتاريخ دمشق: لابن عساكر، وبغية الطلب: لابن العديم.

وكتب عنه من المعاصرين:

محمود محمد شاكر «المتنبي» حصل به على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي سنة ١٤٠٣هـ، وجاء في قرار البراءة: الكتاب حمل كثيرًا من القيم العلمية والأدبية العالية، منها التعمق في الدراسة، والجهد والاستقصاء، والقدرة على الاستنتاج، والدقة في التذوق، والربط المحكم بين الشعر وأحداث الحياة، والكشف عن ذلك في تطور أساليب المتنبي.

كما كتب عنه كل من: د. طه حسين. والمستشرق الفرنسي «بلاشير». وشفيق جبري. ومحمد عبد المجيد. ومحمد كمال حلمي. وفؤاد البستاني. وزكي المحاسني. ومحمد شعيب. وإبراهيم العريض. وعبد الغني الملاح. وعبد الله الحيدري. وسهيل عثمان. ومنير كنعان. ونورية الشملان. وعبد العزيز التويجري. ود. بكري شيخ أمين. ود. محمد التونجي، ومعروف الرصافي، وعبد الوهاب عزام، وغيرهم كثير.

- **قصائد الديوان:**

اشتمل الديوان على ٥٤٩٤ بيتًا، الشاميات منها ٢٣٥٢ بيتًا، والسيفيات منها١٥٤٠ بيتًا، ومعنى السيفيات «قصائده في مدح سيف الدولة» والكافوريات منها ٥٢٨ بيتًا، والفاتكيات منها ٣٥٧ بيتًا، والشيرازيات منها ٣٩٦ بيتًا.

ينقسم ديوان المتنبي إلى قسمين: قسم بلا تاريخ، قد رتِّب حسب تقلبه في البلاد، وهو القسم الأول، ويضم العراقيات والشاميات، وتشتمل على (٤٤) قصيدة، مدح بها (٣٢) رجلًا.

القسم الثاني، وهو قسم مؤرخ بالسنين والأيام، ويبدأ بمدحه لسيف الدولة في أنطاكية سنة ٣٣٧ هـ وينتهي بالكافية في وداع عضد الدولة.

ضمن شعره كثيرًا من الأمثال والحكم، واختص بالإبداع في وصف القتال والتشبيب، وأجاد التشبيه وإرسال المثلين في البيت الواحد، وأبدع المديح والهجاء.

بلغ عدد الأبيات الغزلية في الديوان ٤٥٠ بيتًا، علمًا بأنه لم يفرد بابًا خاصًا بالغزل، ولم يتغزل بامرأة بعينها[١].

- **كتب ذات صلة:**

ألف في المتنبي من الكتب أكثر مما ألف في أي شاعر آخر، قال ابن خلكان: «واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه، وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم: وقفت على أكثر من أربعين شرحًا، ولَم يفعل هذا بديوان غيره»، ومن هذه الشروح:

---

(١) الغزل في شعر المتنبي: د.ياسين الأيوبي، مجلة العربي العدد ٦٨٦ .

شرح ابن جني (ت: ٣٩٢ هـ)، وكان المتنبي يقول: «ابن جني أعرف بشعري مني».

شرح أبي العلاء المعري (ت: ٤٤٩ هـ)، وكان المعري يرى أن المتنبي أشعر المحدثين، وكان إذا خلا ممن لا يوثق إليه قال: ناولوني «معجز أحمد» يعني ديوان أبي الطيب، وأحمد اسم المتنبي.

شرح الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ)، وهو أجلها نفعًا، وأكثرها فائدة.

شرح ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ) واسمه «شرح مشكل أبيات المتنبي» اقتصر فيه على ما كان سببًا للخصومة، ومثارًا للجدل مما أشكل من أبيات المتنبي، وما استغلق من معانيه، وما استبهم من تراكيبه، وأكثر فيه من الاستشهادات النحوية والآراء اللغوية.

تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: لسليمان بن علي المعري (ت: ٤٩٢ هـ).

شرح الخطيب التبريزي: أبي زكريا، يحيى بن علي (ت: ٥٠٢ هـ).

شرح العكبري: أبي البقاء، عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦ هـ).

العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ناصيف اليازجي.

شرح عبد الرحمن البرقوقي (ت: ١٩٤٤م)، أورد فيه أقوال الشراح من المتقدمين والمتأخرين.

- **مآخذ**:

نقد أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) شعر المتنبي في «الصناعتين» من غير أن يشير إلى اسمه، ولذلك قيل: إنه لا يتحدث عن شعر المتنبي إلا حين يريد التمثيل للشعر القبيح، وعُدّ هذا تحاملاً من العسكري على المتنبي.

واتهم المتنبي بالسرقات الأدبية في شعره، ومن المؤلفات التي تناولت «سرقات المتنبي»:

الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: للصّاحب، إسماعيل بن عباد (ت: ٣٨٥ هـ)، وهي رسالة كتبها الصاحب لتدوين ملاحظاته على شعر المتنبي.

الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره: للحاتمي، محمد بن الحسين (ت: ٣٨٨ هـ) ألفها للوزير أبي الفرج، محمد بن العباس الشيرازي، وشرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبي في بغداد.

الوساطة بين المتنبي وخصومه: للجرجاني، علي بن عبد العزيز (ت: ٣٩٢ هـ) قال فيه: «إن قومًا مالوا إليه حتى فضلوه في الشعر على جميع أهل زمانه، وقومًا لم يعدوه في الشعراء وأزروا بشعره غاية الإزراء، حتى قالوا: إنه لم ينطق إلا بالهراء، ولا يتكلم إلا الكلمة العوراء، ومعانيه كلها مروية، فتوسطت بين الخصمين وذكرت الحق من القولين»، وهو كتاب جليل غزير المادة، صدره بمقدمة لجيد الشعر ومرذوله في دواوين القدماء والمحدثين، وجعلها مدخلاً لوساطته بين خصوم المتنبي ومحبيه، وقد نافح فيه عن المتنبي، وردّ به على الصاحب ابن عباد.

الإبانة عن سرقات المتنبي: للعميدي، محمد بن أحمد (ت: ٤٣٣هـ) وفيه تحامل على المتنبي في النقد.

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي: ليوسف البديعي الدمشقي (ت: ١٠٧٣ هـ)، تكلم فيه عن حياته وآراء العلماء في شعره، وعن شروح الديوان، وعن السرقات الأدبية.

۞ ۞ ۞

الكافي في العروض والقوافي

لمست أهمية هذا الكتاب لاستيفائه معظم مسائل العروض والقوافي، وبسطه إياها بسطًا تطبيقيًا مفصَّلاً، وعرضها عرضًا تعليميًا مبسطًا، هدفه الإفهام والتيسير . . . وزاد هذا الكتاب أهمية لدينا أنه كتاب قديم يهيء للناس فرصة لدراسة العروض والقوافي دراسةً خالصة من شوائب التَّعالُم.

«د. فخر الدين قباوة»

● **ابن الخطيب التبريزي (٤٢١ ـ ٥٠٢ هـ):**

يحيى بن علي الشيباني، أبو زكريا، كان أحدَ الأئمة في النَّحو واللغة والأدب، حُجّةً صدوقًا ثبتًا، رحل إلى أبي العلاء المعري، وأخذ عنه، وعن عبد القاهر الجرجاني، وغيرهم من الأئمة، وسمع الحديث وكتبه، وُلي تدريس الأدب بالنظامية، وخزانة الكتب بها، من كتبه: «غريب القرآن»، و«شرح اللمع لابن جني»، و«شرح الحماسة»، و«شرح ديوان المتنبي»، و«شرح المفضليات»، و«شرح السبع الطوال»، و«شرح سقط الزند للمعري» وغير ذلك[١].

● **الموضوع:**

في علم العروض: وهو علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة للشعر العارضة للألفاظ والتراكيب العربية، ويراد به معرفة الأوزان أهي

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: الأنباري. ومعجم الأدباء: لياقوت الحموي.

صحيحة أم مكسورة[(١)].

وشرح المرزوقي في شرح «ديوان الحماسة» معنى عمود الشعر بقوله: هو ما لَم يتعثر الطبع بأبنيته، ولا حاكم في هذه الصناعة إلا استقامة الطبع وسلامة الذوق.

وموضوعه: الألفاظ العربية، من حيث إنها معروضة للإيقاعات المعتبرة في البحور الستة عشر عند العرب، على ما وضعه واضع هذا الفن الخليل بن أحمد، وعليه يكون هذا العلم فرعًا من فروع علم الموسيقى[(٢)].

وعده بعض المتأخرين فرعًا من فروع علم الشعر.

وأول من اخترع علم العروض: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تتبع أشعار العرب، وحصرها في خمسة عشر وزنًا، وسمى كلًا منها بحرًا، وزاد

---

(١) العروض في الاصطلاح تدل على الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت الشعري. وعلى العلم الخاص بمعرفة أوزان النظم، وما يعتريها من تغييرات، واختلف في اشتقاق العروض، فقيل: لاكتشاف الخليل إياه بمكة المسماة بالعروض، أو لأن الشعر يعرض عليه. ومن أشهر كتب العروض: القوافي للأخفش (ت: ٣١٥ هـ). وضرورة الشعر: للسيرافي (ت: ٣٦٨ هـ). والقسطاس: للزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، جمع فيه خلاصة علم العروض. وضرائر الشعر: لابن عصفور الإشبيلي (ت: ٦٦٩ هـ).

(٢) علم الموسيقى: علم رياضي، يبحث فيه عن أحوال النغم، من حيث الاتفاق والتنافر، وأحوال الأزمنة المتخللة من النقرات، من حيث الوزن وعدمه، ليحصل معرفة كيفية تأليف اللحن. وأول من وضع هذا العلم «فيثاغورس»، ومن الكتب المؤلفة فيه: «الموسيقى الكبير» للفارابي، محمد أبي نصر (ت: ٣٣٩ هـ)، وفي كتاب «الشفا» لابن سينا (ت: ٤٢٩ هـ) باب عن الموسيقى. و«الأدوار»: لصفي الدين الأرموي البغدادي، ألفه لنصير الدين الطوسي. انظر: «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون»: القاضي عبد رب النبي نكري.

الأخفش بحرًا آخر، سماه «المتدارك» ويقال له: «المحدث، أو الخبب».

وأكثر البحور استعمالًا في الشِّعر القديم: الطويل، والوافر، والكامل، والبسيط.

وأقلها: المضارع، والمقتضب، والمجتث، والمتدارك، حتى أنكرها بعضهم وعدها متأخرة.

● **من مصطلحات العروضيين في الشعر:**

يقال لبيت الشعر الذي ينظمه الشَّاعر مفردًا وحيدًا «اليتيم».

و«النُّتْفَة» هما البيتان.

و«القطعة» هي ما زاد على اثنين إلى ستة من أبيات الشعر.

و«القصيدة» هي مجموعة الأبيات، من سبعة أبيات فأكثر.

ويقال للبيت إذا استوفى جميع تفعيلاته كما هي في دائرته «التَّام».

و«المجزوء» هوكل بيت حذفتْ عَروضه وضربُه، وهذا واجب في كل من المديد، والمضارع، والهزج، والمقتضب، والمجتث، وجائز في كل من البسيط، والوافر، والكامل، والخفيف، والرجز، والمتدارك، والمتقارب، وممتنع في كل من الطويل، والمنسرح، والسريع.

و«المشطور» هو البيت الذي حذف شطره أو مصراعه، وتكون فيه العَروض هي الضرب، ويكون في الرجز والسريع.

و«المنهوك» وهوالبيت الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، ويقع في كل من الرجز، والمنسرح.

و«المدوَّر» وهو البيت الذي تكون عَروضه والتفعيلة الأولى مشتركتين في كلمة واحدة.

و«المرسل، أو المصمّت» هو البيت الذي اختلفتْ عَروضه عن ضربه في القافية.

و«المُخَلَّع» هو ضرب من البسيط عندما يكون مجزوءًا.

و«المصرَّع» هو البيت الذي أُلحقت عروضه بضربه في زيادة أونقصان، وغالبا ما يكون في البيت الأول؛ وذلك ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصةً أو قصيدة.

و«المُقَفَّى» هو البيت الذي وافقت عروضُه ضربَه في الوزن والرّوْي .

● **المنهج والأسلوب:**

تنقسم موضوعات هذا الكتاب إلى أربعة أقسام، هي: علم العروض، وعلم القوافي، وعيوب الشعر، وما تجب معرفته في صنعة الشعر.

بدأ المؤلف بمقدمة، بيَّن فيها سببَ تسمية علم العروض بهذا الاسم، وقال: إن الشعر العربي كله مركب على: سبب، ووَتَد، وفاصلة، ثم شرح معنى كل مصطلح من هذه المصطلحات وأقسامه.

حصر المؤلف الأمثلة التي يقطَّع بها الشعر العربي فوجدها ثمانية: اثنان خماسيان، وهما: فَعُولُنْ. فَاعِلُن. وستة سباعية وهي: مَفَاعِيلُنْ. فَـاعِلاتُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مُفَاعَلَتُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مفعولات، وما جاء بعد هذه الأمثلة فهو زحاف له أو فرع عليه.

بيـَّن معنى العروض والضرب، وقال: إن الشعر العربي له أربع وثلاثون عروضًا، وثلاثة وستون ضربًا، وقد جمعها وعددها وعرف بها.

تناولَ الكتاب ستة عَشَرَ بحرًا عروضيًا: هي الطويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والرمل، والسريع، والمنسرح،

والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث، والمتقارب، والمتدارك.

طريقة دراسته للبحور:

يذكر اسم البحر، وسبب تسميته، وأجزاءه من التفعيلات، وعروضه وضربه في الأصل، ثم يبين ما لحق به من الزحاف أو العلل، ويبيِّن أحسن أوجه استعمال البحر.

يسوق مثالاً على كل حالة من حالات استعمال البحر، ويقطعه تقطيعًا عروضيًا، مبينًا ما دخله من العلل، ويذكر أقوال العلماء واختلافهم حول عروض البحر أو ضربه.

ذكر عيوبَ الشِّعر وحَصَرَها: في الإقواء، والإكفاء، والإبطاء، والسناد، والتضمين، والإجازة، والرمَل، والتجريد، ثم شرح معاني هذه العيوب.

وقد نظم صفيّ الدِّين الحِلِّي: مفاتيح البحور، فكتب عن كل بحر بيتًا يحوي شطره الأول، فقال(١):

طويلٌ، له دون البحور فضائلُ: فَعُولُنْ، مَفَاعِيلُنْ، فَعُولُنْ، مفاعِلُ

لِمديد الشّعر عندي صفاتُ: فَاعِلاتُنْ، فَاعِلُنْ، فاعلاتُ

إنّ البسيط لديه يُبسط الأملُ: مُسْتَفْعِلُنْ، فاعلن، مُسْتَفْعِلُنْ، فَعِلُ

بحور الشِّعر وافرها جميلُ: مُفَاعَلَتُنْ، مُفَاعَلَتُنْ، فَعُولُ

كَمُلَ الجمالُ من البحورِ الكاملُ: مُتَفَاعِلُنْ، مُتَفَاعِلُنْ، مُتَفَاعِلُ

على الأهزاج تسهيلُ: مفاعيلن، مفاعيلُ

في أبحر الأرجاز بحرٌ يُسْهلُ: مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُ

---

(١) الحلي: عبد العزيز بن سرايا الطائي (ت: ٧٥٠ هـ)، أكبر شعراء العراق في عصره.

رَمَلُ الأبحرِ تَرويه الثِّقاتُ: فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلاتُ
بحرٌ سريعٌ مالهُ ساحلُ: مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، فاعلُ
منسرحٌ فيه يُضرب المَثَلُ: مُسْتَفْعِلُنْ، مفعولاتُ، مفتعلُ
يا خفيفًا خفَّتْ به الحركاتُ: فاعلاتن، مُسْتَفْعِلُنْ، فاعلاتُ
تعدّ المضارعاتُ: مفاعيلُ، فاعلاتُ
اقتضب كما سألوا: فاعلاتُ، مفتعلْ
إن جثّت الحركات: مُسْتَفْعِلُنْ، فاعلاتُ
عن المتقارب قال الخليلُ: فَعُولُنْ، فَعُولُنْ، فَعُولُنْ، فعولُ
حركات المُحْدَثِ تنتقِلُ: فَعِلُن، فَعِلُن، فَعِلُن، فَعِلُ(١)

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:
الكافي في العروض والقوافي: بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، سنة ١٩٧٠م.
أبجد العلوم: للقنوجي.
كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوي.
الموسوعة العربية الميسرة.
العروض التعليمي: د.عبد العزيز نبوي، ود. سالم عباس خدادة.
مجلة عالم الفكر «الموسيقى» المجلد السادس ١٩٧٥م، الكويت.

كليلة ودِمنة

وقد كان لكتاب كليلة ودمنة أثر كبير في الأدب العربي وفي غيره من الآداب، وعني الناس فيه عناية كبرى، وحذوا حذوَه.

«أحمد أمين»

• **عبد الله بن المقفَّع (١٠٦ - ١٤٢ هـ):**

من أئمة الكتاب، وأول من عني الإسلام بترجمة كتب المنطق، اتصل بالعباسيين وأدَّب بعض أولادهم، وكان يتقن العربية والفارسية، ويتكسب بالكتابة، اتهم بالزندقة. قال ابن النديم: «كان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، مضطلعًا باللغتين، فصيحاً بهما، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس، منها كتاب كليلة ودمنة، وكتاب التاج في سيرة أنوشروان، وكتاب الأدب الكبير»[(١)].

• **الموضوع:**

عدّ بعضهم هذا الكتاب في علم إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، وهو علم يعرف منه أنواع الفضائل، وهي اعتدال ثلاث قوى: وهي القوة النظرية، والغضبية، والشهوية، وكيفية اقتنائها، لتتحلى النفس بها، وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها.

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٥٣/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٩/٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩٦/١٠)، والأعلام للزركلي (١٤٠/٤).

وعده بعضهم في القصص والحكم والأمثال[١].

قال في «كشف الظنون»: «وهو كتاب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، وضعه «بيدبا» الفيلسوف الهندي، وهو كتاب على ألسنة البهائم والطيور، تنزيهاً للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها، وصيانة لغرضه الأقصى فيه من العوام، وضنه به على الجهلاء الطغام».

وكليلة ودمنة: اسمان لثعلبين شقيقين، وردت قصتهما في الكتاب، فسمي الكتاب باسمهما.

وقيل: إن سبب ترجمتها إلى العربية عقد مقارنة بين الفساد الحاصل أيام الملك الهندي، والاضطراب الذي كان أيام الخليفة المنصور، وإرشاد الخليفة إلى ما يجب أن يتمسك به من خلق. وبيّن ابن المقفع أن هدفه من هذه الترجمة استمالة قلوب الملوك وأهل الهزل من الشبان، ليكثر انتساخه، ولا يبطل على مرور الأيام، ويدعو طالب الحكمة إلى إدامة النظر فيه، والتماس جواهر معانيه، ولا يظن أن مغزاه هو الإخبار عن حيلة بهيمتين، أو محاورة سبع لثور، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود.

---

(١) عرف العرب القصص على لسان الحيوان، ومن ذلك ما ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» (في بيتِهِ يُؤتَى الحَكَم) قال: هذا مما زعمت العرب عن ألسن البهائم، قالوا: إن الأرنب التقطت ثمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب، فقالت الأرنب: يا أبا الحِسْل. فَقَال: سميعًا دَعَوْتِ، قَالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادِلًا حَكَّمْتُما، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يُؤتى الحكم، قالت: إني وجدت ثمرة، قال: حُلْوَة فكُلِيها، قالت: فاخْتَلَسَها الثعلب، قال: لنفسه بغَى الخَيْرَ، قالت: فَلَطَمْتُه، قال: بحقِّكِ أخَذْتِ، قالت: فَلَطَمَنِي، قال: حُرٌّ انتصر، قالت: فاقْضِ بيننا، قال: قد قَضَيْتُ، فذهبت أقواله كلها أمثالاً.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدّ هذا الكتاب من الأدب العالمي؛ إذ لاقى قبولًا عالميًا؛ لما فيه من حكايات تربوية هادفة.

وتتجلى قيمته العلمية في كونه يفيد في الاطلاع على الآداب العالمية، وعلى القصص الحيواني المستوحى من بيئة الحيوانات، وفي صقل لغة الناشئة، وتنمية عقولهم، وتوسيع مداركهم؛ ولقيمته العلمية نظمه كثير من الشعراء، وقلده أدباء كثيرون.

قال ابن المقفع: «إنه كتاب جمع حكمة ولهوًا، فأحبه الحكماء، وأحبه الأغرار للهوه».

ويعد البعض هذا الكتاب أول كتاب عربي في الأخلاق، لما فيه من نصائح وتوجيهات بطريقة المثل.

وقيل: إنّ أهم كتاب نقله العرب عن الهنود هو كتاب «كليلة ودمنة» في السلوك والأدب(١).

● **المنهج والأسلوب:**

اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: مقدمة اشتملت على ست مقدمات أو فصول.

الباب الثاني: سبب تأليف الكتاب، وقصة الملك كسرى أنوشروان.

الباب الثالث: في القصص التي ترجمها، وجعلها على أبواب، مثل باب الأسد والثور، وباب القرد والفيل، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين.

---

(١) حنين بن إسحاق، دراسة تاريخية ولغوية: محمد الدبيان (١/١٥) ط. مكتبة الملك فهد.

تقوم فكرة الكتاب على الحوار بين الفيلسوف «بيدبا» والملك «دَبْشليم».

● **كتب ذات صلة:**

ثعلبة وعفرة: لسهل بن هارون (ت: ٢١٥ هـ) قلد فيها كليلة ودمنة.

وذكر ابن النديم في أخبار أبان اللاحقي الرقاشي (ت: ٢٠٠هـ): أنه كان شاعرًا اختص بنقل الكتب المنثورة إلى الشعر المزدوج، فمما نقل كتاب «كليلة ودمنة»[(١)].

الصادح والباغم والحازم والعازم والفاتك والناسك: لابن الهَبَّاريَّة، محمد ابن محمد (ت: ٥٠٩هـ) وهو شاعر هجّاء، وهي أراجيز على لسان الحيوان في ألفي بيت في الحكمة والأخلاق والسياسة، نظمها في عشر سنين، طبعت بعنوان «الفطنة في نظم كليلة ودمنة» بعناية نعمة الله الأسمر، في المطبعة اللبنانية سنة ١٩٠٠م. وطبعت باسم «ديوان ابن الهبارية» بشرح عزت العطار بدمشق سنة ١٩٣٦م.

وترجمها إلى الإنكليزية المستشرق الإنكليزي: وليم رايت (١٨٣٠-١٨٨٨م)[(٢)].

حقق كليلة ودمنة: د. عبد الوهاب عزام، ود. طه حسين، سنة ١٩٤٦م، ط. دار المعارف، واتبعها بتعليقات عن الحيوانات الوارد ذكرها.

---

(١) الفهرست (ص: ١٥٠).

(٢) المراجع:

كليلة ودمنة: نشر الشركة الوطنية بالجزائر ودار الشرق ودار الحياة. بيروت.

دليل مكتبة الأسرة المسلمة: إشراف د.عبد الحميد أبوسليمان، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

ضحى الإسلام: أحمد أمين، (ص ٢١٣- ٢٤٦) ط. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧م.

الأسلوب التعليمي في كليلة ودمنة: محمد علي حمد الله، ط. دار الفكر بدمشق، ١٩٧٠م

جزيرة البنائين: قصة تعليمية على ألسنة الحيوانات، تحكي تاريخ الأمم والشعوب في نهضتها، على غرار «كليلة ودمنة» : د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، ط. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت.

۞ ۞ ۞

البيان والتبيين

وللجاحظ كتب حِسان، منها البيان والتبيين، وهو أشرفها، لأنه جمع فيه من المنثور والمنظوم، وغرر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به[١].

«المسعودي»

● **الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ):**

أبو عثمان، عمرو بن بحر، الملقب بالجاحظ،كبير أئمة الأدب.

قال ابن سيَّار: «الملوك عيال على عمر إذا ساس، والفقهاء عيال على أبي حنيفة إذا قاس، والمحدثون عيال على أحمد إذا أسند، والبلغاء عيال على الجاحظ إذا انتخب وأعرب».

وقال أبو هَفّان: «لَم يُرَ قطُّ، ولَم يُسْمع من أحب الكتب والعلوم أكثر منه، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنًا ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها للنظر».

وروى ابن كثير أن سبب موته كان بوقوع الكتب عليه، إذ اعتاد أن يصفّ كتبه قائمة محيطة به ويجلس إليها، وكان عليلًا فسقطت عليه فقتلته[٢].

(١) يرى الأستاذ المحقق عبد السلام هارون أن صوابه هو «البيان والتبيُّن» بياء واحدة مشددة مضمومة، ودلل على ذلك بأدلة. «قطوف أدبية: دراسات نقدية في التراث العربي» عبد السلام محمد هارون (ص: ٩٨) مكتبة السنة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

(٢) انظر ترجمة الجاحظ في: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي. وكتب عنه الكثير جدًا من الكتب والدراسات.

● **الموضوع:**

في علم الأدب، وهو علم يحترز به عن الخطأ في كلام العرب، لفظًا وخطًّا، وتنحصر مقاصده في عشرة علوم هي: علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض، وعلم القوافي، وعلم النحو، وعلم قوانين الكتابة، وعلم قوانين القراءة.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب من أول ما كتب في الأدب، وهو أحد أركانه المعدودة.

قال المسعودي: «وكتب الجاحظ ـ مع انحرافه المشهور ـ تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أَحْسَنَ نظم، ورصفها أحسن رصف، وكساها من كلامه أَجْزَلَ لفظ، وكان إذا تخوَّفَ مَلَلَ القارئ وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة، وله كتب حسان: منها كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغُرَر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر عليه لاكتفى به»(١).

وعدّ أبوهلال العسكري: كتاب البيان والتبيين أكبر كتب البلاغة وأشرفها، لاشتماله على الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة(٢).

وقال ابن خلدون: «سمعنا من شيوخنا في مجالس العلم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل

---

(١) مروج الذهب: المسعودي (٤٧١/٢) ط. التحرير.

(٢) الصناعتين: أبو هلال العسكري (ص: ١٠).

للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها».

قال د. محمد صبري الأشتر: «وليس يوجد أديب في العربية لم يفد من هذا الكتاب، ولم يتمرس بما فيه من أدب، واستمد كبار القدماء منه مادة غزيرة في مؤلفاتهم، مثل ابن قتيبة في عيون الأخبار، والمُـبَرِّد في الكامل، وابن عبد ربه في العقد، والعسكري في الصناعتين، والحصري في زهر الآداب، وابن رشيق في العمدة، وعبد القادر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وأسامة بن منقذ في لباب الآداب[١]».

- **سبب تأليف الكتاب:**

قدّم الجاحظ هذا الكتاب لخزانة القاضي أحمد بن أبي دؤاد[٢].

وكان أحمد بن أبي (دؤاد) شاعراً فقيهاً متكلما، وكان يحضر مجلس المأمون في المناظرة، وكان المأمون معجباً به.

- **مآخذ:**

أخذ على الكتاب أنه خلا من الترتيب والتبويب.

كما لوحظ على أسلوبه كثرة الخروج عن الموضوع، فهو يستطرد لأدنى مناسبة.

- **المنهج والأسلوب:**

- تناول الكتاب موضوع الألفاظ وفصاحتها، فبدأ بذكر طائفة من الآيات التي تنوه بشأن البلاغة والبيان.

---

(١) الكتاب القديم: د. محمد الأشتر (ص: ١٠٥).

(٢) معجم الأدباء: ياقوت الحموي (١٦/ ٧٩).

- حوى الكتاب مختارات من النثر، والخطب، والرسائل، والوصايا في الجاهلية والإسلام، وصدر الدولة العباسية، ومن شعر المراثي، وهجاء البرامكة ومديحهم، وما قيل في الشيب.

- عني بالخطابة عناية كبيرة، فذكر آداب الخطيب، وعاداته وزيه، وكل ما يتصل بالخطابة، وجمع أخبار أشهر الخطباء منذ نشأة الخطابة العربية، وبعضًا من خطبهم.

- اشتمل الكتاب على بعض الفكاهات والنوادر، مما يعطي انطباعًا للقارئ عن شخصية المؤلف بأنها تميل إلى الفكاهة والظّرْف.

- عقد بابًا للحن وأخبار اللحانين، وذكر صورًا للعِيِّ والحصر، وأورد طائفة من أخبار النَّوكى والحمقى وأقوالهم(١).

- عني بأخبار العباد والنساك والزهاد، ونوه بأثر القرآن الكريم، والحديث الشريف في تقويم ألسنتهم.

- دافع عن العرب، وأشاد بهم وبفصاحتهم وبعاداتهم وتقاليدهم، رادًّا بذلك على مزاعم الشعوبية، الذين كانوا يكرهون العرب، وينكرون فضلهم(٢).

- يتسم أسلوب المؤلف باتساع الرواية، والبراعة في الوصف، والدقة في التصوير.

---

(١) الأنْوك: الأحمق، وجمعه النَّوْكَى.

(٢) الشعوبية: نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحط منهم. (المعجم الوسيط).

- **بعض ماورد في كتاب «البيان والتبيين» من مقولات مأثورة:**

اشتمل الكتاب على المقولات المأثورة، والدرر المنثورة، والفصول الشريفة، والفكر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وهذا بعض منها:

- الخروج مما بُني عليه أول الكلام إسهاب (٥٩/١).

- إذا كان الحب يعمي عن المساوئ، فالبغض يعمي عن المحاسن. (٩٣/٢).

- حدِّث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، فإن رأيت منهم فترة فأمسك (١٠٥/١).

- كانوا يمدحون الجهير الصوت، ومدحوا سعة الفم (١١٧/١).

- قيل لعبد الملك بن مروان: عجل عليك الشيب، فقال: وكيف لا يعجل علي، وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين. (١٢٨/١).

- مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها (١٤٦/١).

- قال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبِه، فإذا أراد الكلامَ تفكّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت. وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن همَّ بالكلام تكلّم به، له أو عليه (١٥٥/١).

- عن أبي حمزة قال: إنما يهلك الناس في فضول الكلام، وفضول المال (١٦٩/١).

- قيل: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق (١٨٠/١).

- قال بعضهم: إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون (١٨٢/١).

- كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر (٢٠٣/١).

- السكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل (٢٢٦/١).

- خطب أحدهم.. ثم قال أحد السامعين: هذا الفتى أخطب العرب، لو كان في خطبته شيء من القرآن (١١٦/١).

- طبقات الشعراء ثلاث: شاعر، وشويعر، وشعرور (٩/٢).

- قال أبو عقيل: نشاط القائل على قدر فهم المستمع (٢٨/٢).

- قال بعض الأوائل: إنما الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل (٥٠/٢).

- قال الأحنف: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات (٥٠/٢).

- اصحب من يتناسى معروفه لديك، ويتذكر إحسانك إليه، وحقوقك عليه (٥٢/٢).

- قال ابن عباس: لكل داخل دهشة، فآنسوه بالتحية (٦١/٢).

- قال زياد: ما قرأت كتاب رجل قط، إلا عرفت فيه عقله (٦٤/٢).

- قال حذيفة: كن في الفتنة كابن لبون، لا ظهر فيركب، ولا لبن فيُحلب (٦٦/٢).

- قال يحيى بن خالد: ثلاثة أشياء تدل على عقل صاحبها: الكتاب، والرسول، والهدية (٦٨/٢).

- قيل لبعض العلماء: أي الأمور أمتع؟ قال: مجالسة الحكماء، ومذاكرة العلماء (٧٣/٢).

- قال نصر بن سيار: لا تسمّ غلامك إلا باسم يخف على لسانك (١٤٦/٢).

- قال صلاح المري: كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول (١٩٩/٢).

- قال سفيان بن عيينة العلم مثل السراج؛ من مرَّ به اقتبس منه (١٩٩/٢).

- قال عمر: من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، يستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم (٦٨/٢).

- قيل لعمر: فلان لا يعرف الشر، قال: ذلك أجدر أن يقع فيه (١٠١/١).

- قال أيوب السختياني: في أصحابي من أرجو دعوته ولا أقبل شهادته (٢٣٦/٢).

- سئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان، فقال: تلك دماء كف الله يدي عنها، فأنا لا أحب أن أغمس لساني فيها (١٩٨/٢).

- قال ابن واسع: الإبقاء على العمل أشد من العمل (٧٠/٢).

- قال الشاعر:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويعديهم داء الفساد إذا فسد
يُعظّم في الدنيا بفضل صلاحه ... ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

- قال بعض الحكماء: من لم ينشط لحديثك؛ فارفع عنه مؤونة الاستماع منك (٦٠٥/١).

- قال عبد الله بن مسعود: «خير الأمور أوساطها، وما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، نفس تنجيها، خير من إمارة لا تحصيها» (٢١٤/١).

- قال أبو هريرة النحويّ: «كفى بترك العلم إضاعة» (٢١٥/١).

۞ ۞ ۞

عيون الأخبار

هذا الكتاب... لقاح عقول العلماء، ونتاج أفكار الحكماء، والمتخيّر من كلام البلغاء، وفِطَن الشعراء، وسِيَر الملوك وأثار السلف.

«ابن قتيبة»

- **ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ):**

أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ولد ببغداد، وتوفي فيها، وسكن الكوفة، وهو إمام في اللغة والأدب وأخبار الناس، ومن العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء، ويعدُّ إمام مدرسة بغداد النحوية، وقد وصفه ابن تيميّة بأنه «خطيب أهل السنّة». قال ابن النديم: «كان صادقًا فيما كان يرويه، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر، والفقه؛ كثير التصنيف والتأليف». قيل: بلغت مصنفاته زهاء ثلاثمائة مصنَّفٍ، أشهرها «أدب الكاتب»، و«غريب القرآن»، و«مشكل القرآن»، و«المعرفة»، و«تقويم اليد»، و«تقويم اللسان»، وقد اتفق العلماء على أن مصنفات ابن قتيبة كلها مفيدة، وأنها عظيمة القدر جليلة النفع. قال الذهبي في السير: «كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار»[1].

(١) انظر ترجمته في: الفهرست: ابن النديم (ص: ٨٥). وتاريخ بغداد: الخطيب البغدادي (١٠/ ١٧٠). ونزهة الألباء: أبو البركات الأنباري (ص: ٢٠٩). وإنباه الرواة: القفطي (٢/ ١٤٤). ووفيات الأعيان: ابن خلّكان (٣/ ٤٢). وسير أعلام النبلاء: الذهبي (١٣/ ٢٩٨). والبداية والنهاية: ابن كثير (١١/ ٤٨).

- **موضوعه:**

في علم المحاضرات، وهو علم يحصل منه ملكة إيراد كلام للغير، مناسب للمقام من جهة معانيه الوصفية، أو من جهة تركيبه الخاص.

وفي هذا الكتاب مختارات من الأدب، والثقافة العامة، والأخبار، والطرائف، والأخلاق، والسياسة، والاجتماع.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب أجل تآليف ابن قتيبة؛ قال المؤلف عن كتابه هذا: إنه كتابٌ دالٌّ على معالي الأمور، مرشدٌ لكريم الأخلاق، زاجرٌ عن الدناءة، ناهٍ عن القبيح، باعثٌ على صواب التدبر وحُسن التقدير...

وهذه عيون الأخبار نظمتها لمُغْفل التأدب تبصرةً، ولأهل العلم تذكرةً، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدبًا، وللملوك مُستراحًا.

وتميز أسلوب المؤلف بالعرض الجميل، واللفظ المتخير، والمعنى اللطيف، كما تميز بالاستطراد في بعض المرات، ولم يخلُ من بعض النوادر والطرائف.

- **مـآخذ:**

أخذ عليه إيراده بعض الطرائف والفكاهات، وإفصاحه بذكر بعض الفواحش[١].

---

(١) وقد دافع عن نفسه في المقدمة، بقوله: وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة، وما رُوي عن الأشراف والأئمَّة فيهما، فإذا مرّ بك -أيّها المتزمِّت- حديث تستخفُّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه، وما أردنا به، واعلم أنَك إنْ كنت مستغنيًا عنه بتنسُّكك؛ فإنَّ غيرك ممَّن يترخَّص فيما تشدَّدت فيه مُحتاج إليه، وإنَّ =

وقد طلب من القارئ ألا يستعجل بالحكم على الكتاب بالنقص قبل إتمام قراءته، فقال: «وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مشبعًا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفح الكتب كلها، فإنه رب معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع، فنقسم ما جاء فيه على مواضعه».

● **المنهج والأسلوب:**

لخّص المؤلف منهجه في هذا الكتاب فقال: «واعلم أنا لم نزل نتلقط هذه الأحاديث -في الحداثة والاكتهال- عمن هو فوقنا في السن والمعرفة، وعن جلسائنا وإخواننا، ومن كتب الأعاجم وسيرهم، وبلاغات الكتَّاب في فصول كتبهم، وعمن هو دوننا، غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنًا لحداثته، ولا عن الصغير قدرًا لخساسته، ولا عن الأمَة الوكعاء لجهلها، فضلا عن غيرها؛ فإن العلم ضالة المؤمن، من حيث أخذه نفعه، ولن يزري

= الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك، فَيُهَيَّأ على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه توقِّي المُتزمِّتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه، ولأعرض عنه من أحببنا أن يُقبِل إليه معك، وإنَّما مثل هذا الكتاب مثل المائدة، تختلف فيها مذاقاتِ الطُّعوم لاختلاف شهوات الآكلين، وإذا مَرَّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنَّك الخشوع أو التَّخاشع على أن تصعِّر خدَّك وتُعرض بوجهك، فإنّ أسماء الأعضاء لا تُؤثِم؛ وإنما المأثم في شَتم الأعراض وقول الزُّور والكذب وأكل لحوم النَّاس بالغيب... فتفهَّمْ الأمرين، وافرُق بين الجنسين، ولم أترخَّص لك في إرسال اللسان بالرَّفَث على أن تجعله هِجيراك على كل حال، ودَيْدَنَك في كلِّ مقال، بل التَّرخُّص مني فيه عند حكاية تحكيها، أو رواية ترويها، تنقصها الكناية، ويذهب بحلاوتها التّعريض، وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السَّلف الصَّالح في إرسال النَّفس على السَّجيَّة، والرَّغبة بها عن لِبْسَة الرِّياء والتَّصنُّع، ولا تشعر أنّ القوم قارفوا وتنزَّهْت، وثلموا أديانهم وتورَّعت!

بالحق أن تسمعه من المشركين، ولا بالنصيحة أن تستنبط من الكاشحين، ولا يضير الحسناء أطمارُها، ولا بنات الأصداف - أي اللؤلؤ- أصدافُها، ولا الذهب الإبريزَ مخرجُه من كبا - الكِبا: الكُناسة-، ومن ترك أخذ الحسن من موضع أضاع الفرصة، والفرص تمر مرَّ السَّحاب».

وقسم المؤلف الكتاب إلى عشرة كتب، وكل كتاب يحمل موضوعًا مستقلًا؛ فهو في حقيقته مجموعة كتب مستقلة عن بعضها.

الكتاب الأول: «كتاب السلطان» تكلم فيه عن السلطان وسيرته، واختيار العمال، وآداب صحبة السلطان، والرأي والمشورة، وكتمان السر، وخيانات العمال، والقضاء والشهادات والأحكام، والظلم والحبس والحُجّاب.

الكتاب الثاني: «كتاب الحرب» تكلم فيه عن آداب الحرب ومكايدها، والصبر، والحيل، وأخبار الجبناء والشجعان وأشعارهم، والعدة والسلاح والفروسية، والسفر، والطيرة والفأل.

الكتاب الثالث: «كتاب السُّؤدد» تكلم فيه عن مخايل السؤدد وأسبابه، وتكلم عن الغنى والفقر، والتجارة والبيع، والتواضع والتكبر، والحياء والعقل، والحلم والغضب، والعزة والذل، واللباس والتختم والتطيب، والمحادثة والمزاح.

الكتاب الرابع: «الطبائع والأخلاق المذمومة» تكلم فيه عن تشابه الناس في الطبائع، وعن الحسد، والغيبة، والكذب، والحمق، وتشابه أخلاق بعض الناس مع الحيوان، ثم ذكر طبائع الحيوان وخواصها.

الكتاب الخامس: «العلم والبيان» تكلم فيه عن العلم، والحفظ، والقرآن، والحديث، والرد على الملحدين، ووصايا المعلمين، والتلطف في الكلام، وسرد فيه أشهر الخطب لمشاهير الإسلام.

الكتاب السادس: «كتاب الزهد» تكلم فيه عما أوحى الله إلى أنبيائه، وعن الدعاء، والمناجاة، والبكاء، والتهجد، والمشيب والكبر والموت، ومقامات الزهاد ومواعظهم.

الكتاب السابع: «كتاب الإخوان» تكلم فيه عن اتخاذ الإخوان واختيارهم، والمحبة والمودة، ومداراة الناس، وحسن الخلق، وحسن الجوار، والزيارة، والهدية، والعيادة، والتعزية، وشرار الإخوان، والتباغض، والعداوة، وشماتة الأعداء.

الكتاب الثامن: «كتاب الحوائج» تكلم فيه عن إغاثة الملهوف، وإنجاز المواعيد، والشكر، والثناء، والقناعة، والعفاف، والحرص، والإلحاح.

الكتاب التاسع: «كتاب الطعام» تكلم فيه عن صنوف الأطعمة، ومآكل العرب ومشاربهم، وآداب الطعام، والجوع، والصوم، والضيافة، وأخبار البخلاء، وما يُصلح الأبدان، والحِمْية، والأدوية، والتُّخَمة، والأشربة، ومنافع النبات والبقول والفواكه.

الكتاب العاشر: «كتاب النساء» تكلم فيه عن أخلاق النساء، وما يحب منهن وما يكره، والحضّ على الزواج، والحسن والجمال، والقبح والدمامة، والطول والقصر، ووصايا الأولياء للنساء، وسياسة النساء ومعاشرتهن، والولادة والولد، والطلاق، والعشق والغزل، ومساوئ النساء، والتقبيل، والدخول بالنساء والجماع(١).

---

(١) طبع الكتاب لأول مرة في (جوتينجن) سنة ١٩٠٨م بعناية المستشرق بروكلمان.
وقامت دار الكتب المصرية بالقاهرة بطباعته سنة ١٩٣٠م.
وأعيد طبعه سنة ١٩٦٣م بتحقيق لجنة من العلماء برئاسة أحمد زكي العدوي.

الكامل
في اللغة والأدب والنحو والتصريف

الكامل من أمهات الكتب العربية، ودعامة من دعامات الأدب واللغة، وهو يمثل الثقافة العربية؛ لكثرة ما فيه من أخبار طريفة، وأمثال سائرة.
«د. محمد صبري الأشتر»

• **المُبَرِّد (٢١٠ ـ ٢٨٦ هـ):**

أبو العباس، محمد بن يزيد الأزدي البصري، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، كان أديبًا ظريف الحديث، عالمًا باللغة وآدابها، حافظًا لغريبها، اشتهر بخصومة بينه وبين ثعلب، وكان مقدمًا عند الوزراء والأكابر، ومن كلام المُـبَرِّد عن نفسه: «وأنا لا أحتاج إلى وصف نفسي لعلم الناس بي، إنه ليس أحد من الخافقين تختلج في نفسه مشكلة إلا لقيني بها، وأعدني لها...».

وللمُبَرِّد مصنفات كثيرة، بلغت أربعين كتابًا، منها «الروضة»، و«المقتضب»، و«الاشتقاق»، و«التعازي والمراثي»[(١)].

• **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب أحد أركان وركائز الأدب العربي وتاريخه، وأشهر كتب الْمُـبَرِّد وأكثرها شيوعًا، يمتاز الكتاب ببلاغة العبارة، وجزالة الأسلوب،

---

(١) قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: «المُبَرَّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر، وبعضهم يكسر». ولقب بالمبرد لأنه لما صنف المازني، كتاب «الألف واللام» سألوه عن دقيقه وعويصه، فأجاب بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرد، أي المثبت الحق.

فهو يعين المتأدبين في فنون اللغة والأدب، ويعرفهم بأوجه الفصاحة، ويبصرهم بأساليب البيان.

قال الأستاذ أحمد أمين: «الكتاب يمثل الثقافة العربية في جميع نواحيها».

وهذا الكتاب يعد من أهم مصادر الأدب العربي، وضمنه آراءه في الأدب والنقد والبيان، وأشار فيه إلى بعض آرائه في النحو العربي ودراسته.

● **مآخذ:**

أخذ على المُبَرِّد أنه قد يتعرض لموضوع معين، ثم يتحول إلى غيره، دون منهج ثابت معلوم، وأنه يميل غالبًا إلى الاستطراد والترسل، ويعوز أخباره التي ينقلها الترتيب والتنسيق، وأنه لا يعنى برواية الأخبار وتحقيق الأحداث، حيث يهمل الأسانيد التي يروي عنها، والمصادر التي يقتبس منها؛ قال أبو المعافى الجريري: «وعمل أبو العباس، محمد بن يزيد النحوي، كتابه الذي سماه «الكامل» وضمنه أخبارًا وقصصًا لا إسناد لكثير منها، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما لا يأتي مثله به، لسعة علمه وقوة فهمه، ولطيف فكرته وصفاء قريحته، ومن جلي النحو والإعراب وغوامضهما ما يقل وجود من يسد فيه مسده، إلا أن كتابه هذا مقصِّر عما وسمه به، واختاره من ترجمته، وغير لائق به ما آثره من تسميته، فحطّه بهذا عن منزلة لولا ما صنعه كانت حاصلة له، فسبحان الله ما أبين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه، وأشد منافاته للقبه»(١).

وقد اشتمل كتاب «رغبة الآمل من كتاب الكامل» للمرصفي على ذكر

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: لأبي المعافى، زكريا الجريري، المتوفى سنة ٣٩٠ هـ، (٦/١) ط. دار الكتب العلمية -بيروت-.

جملة من المآخذ[١].

● **المنهج والأسلوب:**

قال المؤلف في مقدمته مبينًا منهجه: «هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبًا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحًا شافيًا، حتى يكون الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيًا...».

اهتم المبرّد بجمع وشرح العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، ولذلك يعده البعض من كتب الحديث.

يحتوي الكتاب على مجموعة من النصوص المختارة من الشعر، والنثر، والرسائل، والخطب، والمواعظ، والأمثال، وعلى دراسات في قضايا اللغة، وفي مسائل النحو، بالإضافة إلى ما فيه من أخبار الحرب والسياسة والأدب.

يعد كتاب «الكامل» من أهم المصادر التي يعتمد عليها في دراسة فرقة الخوارج، حيث اهتم بهم اهتمامًا خاصًا، فذكر أخبارهم وأدبهم»[٢].

قد ينقل أخبارًا عن غير العرب، فيذكر «بزرجمهر» و«أزدشير» من الفرس في مواطن معدودة، وقد يذكر بعض ملوك الروم، ويقص خبرهم مع المسلمين[٣].

(١) انظر: ردود المرصفي على المبرد: حسن هادي المحمدي. مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد٤، العدد ١٤.

(٢) صدر عن «دار الفكر بدمشق» جزء مستقل بعنوان «أخبار الخوارج من كتاب الكامل».

(٣) المراجع: مصادر التراث العربي: د.عمر الدقاق، المكتبة العربية، حلب.
الكتاب القديم: د. محمد صبري الأشتر، دار القلم العربي، حلب.

- **كتب وأعمال ذات صلة :**

وضعت على كتاب الكامل الكثير من الكتب، ما بين مؤاخذات عليه، وشروح حواش، من ذلك :

القرط على الكامل، المسمى «الطرر على الكامل » لابن سعد الخير، علي بن إبراهيم (ت: ٥٧١هـ).

«رغبة الآمل من كتاب الكامل» لسيد علي المرصفي، طبع سنة ١٩٢٧م.

طبع الكتاب لأول مرة سنة (١٨٨٢) بعناية المستشرق الإنكليزي (رايت) ونشرته جمعية الاستشراق الألمانية[١].

اعتنى بطبعه: زكي مبارك، وأحمد محمد شاكر، طبعة البابي الحلبي، سنة ١٩٣٧م.

حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، مكتبة نهضة مصر، سنة ١٩٥٦م.

حققه: أ.د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م. وتعد هذه الطبعة أفضل طبعاته.

❁ ❁ ❁

(١) وليم رايت w. wright (١٨٣٠-١٨٨٨م) مستشرق إنكليزي، عين أستاذًا للغة العربية في جامعة كمبرج، نشر (الكامل للمبرد) وغير ذلك.

العقد الفريد

كان من أهم كتب المختارات أو المحاضرات «العقد الفريد» لابن عبد ربه... ولد ونشأ بقرطبة، وتثقف ثقافة عصره، من فقه، وتفسير، وحديث، ونحو، وعروض، وتاريخ، وأدب، واتصف بصفات الندمان، من حب للموسيقى، وغرام بالصوت الحسن، والوجه الحسن، وظهر أثر ذلك في كتابه العقد، ففيه الثقافة الدينية واضحة، والثقافة الأدبية واضحة، وميله إلى الغناء والموسيقى، والإشادة بهما... وقد أدرك الناس من قديم قيمة العقد فأحبوه، وعكفوا على مطالعته، واقتبسوا منه، واستعانوا به في تآليفهم ومحاضراتهم ومحفوظهم، ورووْا منه في ملحهم ونوادرهم[(١)].

«أحمد أمين»

● **ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٧ هـ):**

أبو عمر، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي القرطبي، مولى هشام ابن عبد الرحمن، كان من الفضلاء، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين، وكانت له في عصره شهرة ذائعة.

قال عنه المقري: «وإن له شعرًا انتهى مُنتهاه، وتجاوز سِماك الإحسان وسماه»، وله أرجوزة تاريخية، وديوان شعر[(٢)].

---

(١) اسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو (العقد)، وصفة (الفريد) ألحقت بالكتاب في وقت متأخر. وانظر: «العقد الفريد بين المشرق والأندلس» لحازم عبد الله، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، المجلد ٧ (ص: ٣٥٣).

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ونفح الطيب للمقري، والبداية والنهاية لابن كثير.

=

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أن السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب: أنه وجد كتب الأدب قبله غير جامعة، ولا محيطة بفنون الأخبار، فوضع هذا الكتاب ليكون كافيًا في موضوعه، فقال: «ألفت هذا الكتاب، وتخيرت جواهره من متخير الآداب، ومحصول جوامع البيان».

● **موضوعه:**

في علم المحاضرات، وهو علم باحث عن أحوال يرغب فيها الملوك من القصص، والأخبار، والآداب، والمواعظ والعبر، والأمثال، وغرائب الأقاليم، وعجائب البلدان، وغير ذلك من الأحوال التي فيها ترغب الملوك والأمراء والرؤساء وأهل الرفاهة والإتراف.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب مصدرًا من مصادر الأدب واللغة والنقد؛ وهو حافل بالمادة الأدبية، من شعر، ونثر، وأخبار، وحكم، ونوادر ورسائل، بالإضافة إلى ما فيه من فقه وحديث وتاريخ، كما يعد من المصادر الأساسية لتاريخ الحياة العربية بجوانبها المختلفة.

قال ابن خلكان: «وهو من الكتب الممتعة، حوى من كل شيء[(١)]».

● **مآخذ:**

أخذ على المؤلف أنه عني بأدب المشرق، وكان الأولى به أن يعنى بأدب

= وانظر: ابن عبد ربه العقد: جبرائل سليمان جبور، تحدث فيه عن حياة ابن عبد ربه، وما قيل فيه، وفي كتابه العقد، ومزاياه، والمآخذ عليه.

(١) الوفيات (١/١١٠).

الأندلس، حتى روي عن الصاحب بن عباد، أنه لما وصله الكتاب، وقرأه قال: «هذه بضاعتنا رُدّت إلينا».

كما أخذ عليه أن ذوقه كان ينبو أحيانًا، فيروي من الهُجر ما لا يليق. قال عنه ابن كثير -رحمه الله-: «وكتابه العقد يدل على فضائل جمة، وعلوم كثيرة مهمة، كان من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين...»(١).

كما أخذ عليه أنه قد لا يذكر مصادره. وأنه سكت عن أحداث تاريخية مهمة، فلم يتعرض لها أثناء عرضه للأحداث. وأنه يبدي الروايات دون تعليق عليها.

● **المنهج والأسلوب:**

يستهل كل باب بتمهيد يسميه فرشًا، يحدد فيه الغاية منه.

شبّه المؤلف كتابه بعقد ثمين، مؤلف من خمسة وعشرين جوهرة كريمة، ولكنه لَم يسم إلا الاثنتي عشرة الأولى. الجوهرة الأولى: «اللؤلؤة» في السلطان. والجوهرة الثانية «الفريدة» في الحروب ومدار أمرها. والجوهرة الثالثة «الزبرجدة» في الأجواد والأصفاد. والجوهرة الرابعة «الجمانة» في الوفود. والجوهرة الخامسة «المرجانة» في مخاطبة الملوك. والجوهرة السادسة «الياقوتة» في العلم والأدب. والجوهرة السابعة «الجوهرة» في الأمثال. والجوهرة الثامنة «الزُّمُرّدة» في المواعظ والزهد. والجوهرة التاسعة «الدرة» في التعازي والمراثي. والجوهرة العاشرة «اليتيمة» في النسب وفضائل العرب. والجوهرة الحادية عشرة «العسجدة» في كلام الأعراب. والجوهرة

---

(١) البداية والنهاية: (١١/ ٢٣٠).

الثانية عشرة «المجنبة» في الأجوبة. والجوهرة الثالثة عشرة «الواسطة» في الخطب. والجوهرة الرابعة عشرة «المجنبة الثانية» في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة. والجوهرة الخامسة عشرة «العَسْجَدة الثانية» في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم. والجوهرة السّادسة عشرة «اليتيمة الثانية» في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة. والجوهرة السّابعة عشرة «الدرة الثانية» في أيام العرب ووقائعهم. والجوهرة الثامنة عشرة «الزّمردة الثانية» في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه. والجوهرة التاسعة عشرة «الجوهرة الثانية» في أعاريض الشعر وعلل القوافي. والجوهرة العشرون «الياقوتة الثانية» في علم الألحان. والجوهرة الحادية والعشرون «المرجانة الثانية» في النساء وصفاتهن. والجوهرة الثانية والعشرون «الجمانة الثانية» في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيلين. والجوهرة الثالثة والعشرون «الزبرجدة الثانية» في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان. والجوهرة الرابعة والعشرون «الفريدة الثانية» في الطعام والشراب. والجوهرة الخامسة والعشرون «اللؤلؤة الثانية» في النتف والهدايا والفكاهات والملح.

أوضح المؤلف منهجه في التأليف في مقدمة الكتاب فذكر أنه تخيَّرَه من مُتخيَّر جواهرِ الأدبِ ومحصولِ جوامع البيان. وأنه ليس له إلا تأليف الأخبار وحسن الاختيار، وحسن الاختصار. . . وأنه عمد في اختياره من جملة الأخبار، وفنون الآثار، إلى أشرفها جوهرًا، وأظهرها رونقًا، وألطفها معنى، وأجزلها لفظًا، وأحسنها ديباجةً، وأكثرها حلاوةً وطلاوة. وأنه حذف الأسانيد طلبًا للتخفيف والإيجاز. وأنه رأى الكتب قبله قاصرةً فجعل كتابه هذا كافيًا جامعًا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه الخاصة والعامة. وأنه أتبع ذلك بشواهد من الشعر في تجانس الأخبار، وقرن بها غرائب شعره.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

حققه: محمد سعيد العريان.

شرحه وحققه وضبطه وصححه ووضع عناوينه وفهرسه: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

وحققه: كرم البستاني.

وصنع فهارس له: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحمد رشاد عبد المطلب.

وحققه: خليل شرف الدين.

وفهرسه وعلق عليه وصححه: محمد شفيع، أستاذ اللغة العربية في جامعة البنجاب.

۞ ۞ ۞

الأغاني

إنَّ الأصبهاني حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية، ويهمل الجوانب الجدية إهمالًا ظاهرًا، يدلُّ على أنه قليل العناية بتدوين أخبار الجدِّ والرّزانة والتجمّل والاعتدال، وهذه الناحية من الأصبهاني أفسدت كثيرًا من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه.

«د. زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع»

- **أبو الفرج الأصفهاني (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ):**

علي بن الحسين، ولد في أصبهان، ونشأ في بغداد، وتتلمذ على الأخفش وجعفر بن قدامة، وكان شاعرًا مجيدًا. قال عنه القاضي أبو علي التنوخي، وهو أحد معاصريه: «أبو الفرج الأصفهاني، كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والأحاديث المسندة، والنسب ما لم أرَ قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر، منها اللغة، والنحو، والسير، والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئًا كثيرًا، مثل علم الجوارح والبيطرة، ونتف من الطب والنجوم والأشربة... وكان إلى كل ذلك أكولًا نهمًا». وقال الذهبي: «... في نقل الآداب. وكان وسخًا زريًا، وكانوا يتقون هجاءه». من كتبه «مقاتل الطالبيين»، و«أخبار الإماء والشعراء والقيان»، و«الخمارون والخمارات»[(١)].

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٢/١٦). وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي. والفهرست لابن النديم. ومعجم الأدباء لياقوت الحموي.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الأصبهاني، وعليه تقوم شهرته.

وهو خزانة ملح، ونكت، ونوادر، ونبذ، وفصول ممتعة، في العادات والتقاليد، والحكايات، والنوادر.

قال أبومحمد المهلبي: سألت أبا الفرج في كم جمع هذا الكتاب؟ فقال: في خمسين سنة.

قال ابن خلدون: «كتاب الأغاني، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم، وأنسابهم، وأيامهم، ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه، ولعمري إنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم، من كل فن من فنون الشعر، والتاريخ، والغناء، وسائر الأحوال»[(١)].

وقال ياقوت الحموي: «ولَم يكن يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره، وإنه كان جليسه الذي يأنس إليه وخدينه الذي يرتاح نحوه»[(٢)].

وقال ابن خلكان: «وحكي عن الصاحب بن عباد أنه كان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملًا من كتب الأدب ليطالعها فلما وصل إليه كتاب الأغاني لَم يكن بعد ذلك يستصحب سواه»[(٣)].

---

(١) المقدمة (١/٥٥٤).

(٢) معجم الأدباء: لياقوت الحموي (٤/١٧٠٨).

(٣) وفيات الأعيان (٣/٣٠٧).

والصاحب بن عباد: أبو القاسم الطالقاني، إسماعيل بن عباد بن العباس، وزير غلب الأدب، له تصانيف جليلة في اللغة والأدب والشعر، وكان معتزليًا، لقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه، فكان يدعوه بذلك.

قال د. حسن محسن: «يعدّ كتاب الأغاني واحدًا من أهم مصادر تراث العربية الواسعة الانتشار، كما يعد موسوعة أدبية، ونقدية، وتاريخية، ولغوية»(١).

وقال د. محمد أحمد خلف الله: «والأخبار التي تركها الأصفهاني ألوان، منها النسب، ومنها أخبار الاضطهاد، أو القتل السياسي، ومنها أخبار الوقائع والحروب، وأيام العرب، ثم أخبار الغناء، وأخبار الشعراء والمغنين»(٢).

ويذهب بعض الدارسين إلى أن قيمة الكتاب تتحدد في جمعه الأغاني العربية، وانفراده بذكر الغناء العربي وقواعده، وآلات الطرب والموسيقى، وكل ما يتصل بذلك في تلك العصور.

ويرى د. طه حسين أن الأغاني يعد مصدرًا لمن يريد أن يدرس الحياة الأدبية والاجتماعية في عصر الدولة الأموية والعباسية «حديث الأربعاء».

● **موضوعه:**

الشعر العربي الذي غناه المغنون منذ بدء الغناء العربي وحتى عصر الأصفهاني، مع نسبة كل شعر إلى صاحبه، وذكر نبذ من طرائف أخباره، وتسمية واضع اللحن وطرق الإيقاع، والإصبع الذي ينسب إليه، ولون الطريقة، ونوع الصوت، وكل ما يتصل بذلك؛ وفيه ترجمة لأكثر شعراء العرب،كما فيه ترجمة لكثير من المغنيين في الدولتين الأموية والعباسية. وذهب البعض إلى اعتباره من كتب الموسيقى، واعترضوا على وضعه بين

---

(١) معجم الألفاظ المفسرة في كتاب الأغاني: د. حسن محسن، استهدف هذا الكتاب تقديم الجانب اللغوي في الأغاني.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: لمحمد أحمد خلف الله، استهدف هذا الكتاب عرض الجانب الروائي والشخصيات الإخبارية.

كتب الأدب، وعدّه بعضهم من كتب الغناء[(١)].

- **مآخذ:**

أخذ على كتاب الأغاني العديد من المآخذ، منها إساءته للأئمة من العلماء والفقهاء، وقد كتب الأستاذ وليد الأعظمي كتابًا كشف فيه بعض هذه الإساءات أسماه «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني» قال فيه: «رأيت نيران الشعوبية والحقد وهي تغلي في الصدور كغلي القدور»، وقد قسم الأعظمي كتابه إلى أربعة أقسام؛ الأول: ترجمة الأصفهاني وأقوال العلماء فيه. الثاني: أخبار وحكايات أوردها عن آل البيت، وهي أخبار تسيء إليهم وتجرح سيرتهم وتشوه سلوكهم وتوهن أمرهم. الثالث: فيه حكايات شنيعة وأخبار فظيعة. الرابع: أخبار وحكايات فيها استخفاف بالعبادات.

وقال الخوانساري: «إني تصفحت كتاب أغانيه المذكور إجلالًا، فلم أر

---

(١) قال في الأغاني: الغناء على ثلاثة أضرب، فضربٌ ملهٍ مطربٌ يحرك ويستخف، وضربٌ ثانٍ له شجاً ورقةً، وضربٌ ثالثٌ حكمةٌ وإتقان صنعةٍ، وزعمت الفلاسفة: أنّ النغم فضل بقي من المنطق لَم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن إليه الروح.

وفي عهد عبد الرحمن الأوسط ابن هشام (٢٠٦ -٢٣٨هـ) وفد على الأندلس أبو الحسن، علي بن رائع، الملقب بزرياب.. فقربه عبد الرحمن الأوسط، وكان زرياب فارسي الأصل، حسن الصوت، حلو الحديث، زاد على العود وترًا خاصًا، واتخذ مضرب العود من قوادم النسر، بدل الخشب، وقد أورث زرياب صناعة الغناء في الأندلس، كما قال ابن خلدون، وكان في زيه مثالًا يحتذى في ملابس الفصول المختلفة، كما أدخل في الطعام ألوانًا جديدة، وقد بلغ الذروة في الجاه والثروة.

(تاريخ الإسلام: د.حسن إبراهيم)، و(الموسوعة العربية الميسرة).

فيه إلا هزلًا أو ضلالًا، أو بقصص أصحاب الملاهي اشتغالًا»[١].

وقال ابن الجوزي: «ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر»[٢].

وأخذ عليه أنه يعد بالشيء ولا يفي به في غير موضع، قال ياقوت الحموي: «وقد تأملت هذا الكتاب - الأغاني - وعنيت به، وطالعته مرارًا، وكتبتُ منه نسخة بخطي في عشر مجلدات، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فأكثرت، وجمعت تراجمه فوجدته يعد بالشيء ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في أخبار أبي العتاهيه: وقد طالت أخباره هاهنا، وسنذكر خبره مع عتب في موضع آخر ولَم يفعل، وقال في موضع آخر: أخبار أبي نواس مع جنان، إذْ كانت سائر أخباره قد تقدمت، ولَم يتقدم شيء. والأصوات المائة هي تسع وتسعون»[٣].

● **المنهج والأسلوب:**

أورد المؤلف آراءه في المقدمة، وذكر فائدة الكتاب، وطبيعته، ومنهجه، والباعث على تأليفه، والمشقة التي احتملها في سبيل ذلك.

ميَّزَ مائة صوت كانت قد جمعت لهارون الرشيد، وعرفت بالمائة المختارة، وافتتح كتابه بالكلام عنها.

جَمَعَ الأصواتَ المُغَنَّاةَ، وضبط ألحانَها، وذكر من لَحَّنها، ومن غنَّاها، ومن أَلَّف كلماتها من الشُّعراء.

---

(١) روضات الجنان: للخوانساري (ت: ١٨٩٥م) محمد الموسوي الأصفهاني: مؤرخ من علماء الإمامية، (٥/ ٢١١).

(٢) المنتظم: لابن الجوزي (١٤/١٨٥).

(٣) انظر: مواطن الخلل والاضطراب في كتاب الأغاني: لمحمد خير شيخ موسى، مجلة التراث العربي عدد ٣٤.

يحمل الكتاب من خلال مواضيعه قيمتين أساسيتين، هما الرِّواية واللغة.

فأما الرواية: فقد روى فيه الأخبار الفنية للغناء العربي، وما يتبع ذلك من حديث عن المذاهب الأدبية والنقدية ورواية أخبار الشعراء والقصص والأخبار.

وأما اللغة: فقد اعتمد فيها على الشواهد الشعرية والنقدية، حيث يذكر المناسبة التي ورد فيها، بعد أن ينسبه لقائله، ويفسر الكلمات التي يرى أنها بحاجة إلى توضيح، كشرح أسماء المواضع، والأماكن، والبلاد والقرى، وقد يتعرض لبيان أوجه البلاغة في النص.

المواضيع التي تضمنها الكتاب هي أخبار القيان، والإماء الشواعر، وأيام العرب، والغلمان المغنون، والحانات، وأنساب العرب، والخمارون والخمارات، والديارات، والنغم، ومجموع الأخبار والآثار والنوادر.

ترجم فيه ترجمة مفصلة لـ(٤٢٦) علمًا من أعلام الشعر والغناء (للشعراء والشاعرات) وذكر القصيدة التي أخذت منها الأبيات المغناة.

اهتم بذكر آداب العرب وسلوكهم، ووصف هيئاتهم وملابسهم، ومآكلهم ومشاربهم، وحشد صورة الملاهي وأنواع الشراب، ودور الناس وموائدهم وأوانيهم وفرشهم وقصور الخلفاء .

ووصف حالة التعليم والكتاتيب، وكيفية معاملة الطلاب، ومكافئة النابغين منهم.

كما قدّم صورة للأندية الأدبية في العصر العباسي.

وانفرد بشرح كلمات لغوية، وذكر ألفاظًا ومصطلحاتٍ كانت شائعة في ذلك العصر.

حفل الكتاب بآراء نقدية أدبية وموضوعية متباينة مبثوثة في ثنايا الكتاب.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

- مجرّد الأغاني: اختصار للأصفهاني نفسه.

- تجريد الأغاني من ذكر المثالث والمثاني: اختصار لابن واصل الحموي (ت: ٦٩٧ هـ)[١].

- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني: لابن منظور، صاحب لسان العرب (ت: ٧١١هـ).

- رسالة في الموسيقى، وكشف رموز كتاب الأغاني: ابن المنجم (ت: ٣٠٠هـ) نشر مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٧٦م.

- تهذيب الأغاني: محمد الخضري (ت: ١٩٢٧).

- منهج أبي الفرج الأصفهاني: د. داود سلوم.

- شخصيات الأغاني: د. نوري القيسي، ود. داود سلوم.

- أخبار النساء في كتاب الأغاني: عبد الأمير مهنا.

- أخبار النساء ونوادرهن في كتاب الأغاني: إبراهيم شمس الدين.

- النقد الأدبي في كتاب الأغاني: د. أحمد شوقي ضيف[٢].

● **طبعات الكتاب:**

- أول من طبعه المستشرق «فولد» وهو غير كامل، وذلك سنة ١٨٤٠م.

- وطبع في بولاق سنة ١٨٦٨م.

---

(١) وذلك لما شكا الملك المنصور، محمد بن عمر المظفر الأيوبي صاحب حماه من طول الأغاني وكثرة أسانيده وكثرة الأصوات والألحان فيه اختصره له فحذف فيه بعض التراجم والنصوص، طبع بتحقيق: د.طه حسين وإبراهيم الأبياري.

(٢) (رسالة ماجستير) سنة ١٩٣٩.

- وطبع بمطبعة التقدم سنة ١٩٠٥م بتصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي.

- ووضع له المستشرق الإيطالي (جويدي) فهرسًا أبجديًا بالفرنسية سنة ١٨٩٥م يعرف بـجداول الأغاني الكبير، أحصى فيه أسماء (١١٥٠) شاعرًا ورد ذكرهم في الكتاب.

- وقام الأستاذ محمد محمود الشِّنقيطي بتصحيح بعض الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني، ونشرت تصحيحاته بكتاب سمي (تصحيح كتاب الأغاني) سنة ١٩١٦م، مطبعة الجمالية.

- ضبطه وصححه وشرح غريبه: مجموعة من المحققين، ط. دار الكتب المصرية بدأت سنة ١٩٢٧م برئاسة الأستاذ أحمد زكي العدوي.

- وحققه: عبد الله العلايلي، وأحمد أبو سعد، وموسى سليمان، سنة ١٩٦٢م دار الثقافة ببيروت.

- وحُقق: بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، سنة ١٩٧٠م الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- وحققه د. إحسان عباس وآخرين، دار صادر، سنة ٢٠٠٢م.

الأمالي

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن - علم الأدب - وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها.

«ابن خلدون»

● **أبو علي القالي (٢٢٨ ـ ٣٥٦ هـ):**

إسماعيل بن القاسم،كان أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين، وأخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد الأزدي، وأبي بكر ابن الأنباري، وابن درستويه وغيرهم، وسمع من البغوي وغيره، وترك العديد من المؤلفات أشهرها «البارع» في اللغة، رتبه على حروف المعجم، وهو من أجمع وأشهر كتب اللغة، و«المقصور والممدود»، و«الإبل ونتاجها»، و«حلي الإنسان والخيل وشياتها»، و«فعلت وأفعلت» في الأمثال، و«مقاتل الفرسان» و«شرح المعلقات»[١].

(١) انظر ترجمة القالي في تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي. ووفيات الأعيان لابن خلكان. وإنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي. ومعجم الأدباء لياقوت الحموي. وشذرات الذهب لابن العماد. ونسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله الأندلس لأبي محمد الفهري. وطبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي الأندلسي. ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري. والقالي: نسبة إلى «قاليقلا» بمناز كرد من بلاد أرمينيا، قال أبو بكر الزبيدي: سألت أبا علي: لم قيل لك القالي؟ فقال: لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رفقةٍ، فيها أهل قالي قلا، وهي قرية من قرى منازكرد، وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر، فلما دخلت بغداد نسبت إليهم لكوني كنت معهم.

● **الموضوع:**

في أمالي الأدب واللغة والثقافة العامة.

وقد ظهرت كتب كثيرة قبل كتاب القالي وبعده تحمل الاسم نفسه مثل:

- أمالي اليزيدي: أبي عبد الله، محمد بن العباس (ت: ٣١٠ هـ).

- أمالي الزّجاج: أبي إسحاق، إبراهيم بن محمد (ت: ٣١٦ هـ).

- أمالي ابن دريد: محمد ابن أبي بكر اللغوي (ت: ٣٢١ هـ).

- أمالي ابن الأنباري: أبي بكر، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨ هـ).

- أمالي ابن الشجري: أبي السعادات، هبة الله، بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسني (ت: ٥٧٢ هـ)، وهو كتاب نفيس كثير الفائدة، قال ابن خلكان: أملاه في أربعة وثمانين مجلسًا.

● **سبب تأليف الكتاب:**

لما ذاع صيت القالي في بغداد، ووصلت شهرته إلى الأندلس طلبه أميرها، عبد الرحمن الناصر، وهناك لقي حفاوة بالغة ورعاية كريمة، فكان يملي دروسه ارتجالًا على طلبته في قرطبة في المسجد الجامع بالزهراء، وذلك كل يوم خميس، وقد صرح القالي في مقدمته بإهداء الكتاب للخليفة الناصر، بقوله يصف كتابه: وأودعته - أي الأمالي - فنونًا من الأخبار، وضروبًا من الأشعار، وأنواعًا من الأمثال، وغرائب من اللغات، على أني لم أذكر فيه بابًا من اللغة إلا أشبعته، ولا ضربًا من الشعر إلا اخترته، ولا فنًّا من الخبر إلا انتخلته... إلى أن قال: ليكون الكتاب الذي أستنبطه إحسان الخليفة جامعًا، والديوان الذي ذكر فيه اسم الإمام كاملًا.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب عند أهل الفن عمدة في بابه، ومرجعًا في اللغة والأدب، وقد تميز بغزارة المادة، وضبط الرواية، ودقة التحقيق.

قال ابن حزم: «وهذا الكتاب مبارٍ لكتاب الكامل الذي جمعه أبو العباس المُبَرِّد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوًا وخبرًا، فإن كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعرًا».

وقال أبو بكر الزَّبيدي: «وهذا الكتاب غاية في معناه، وهو أنفع الكتب؛ لأن فيه الخبر الحسن، والمثل المتصرف، والشعر الفائق المنتقى من كل معنى صحيح، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة ليست توجد في شيء من كتب اللغة بكمال ما هي في هذا الكتاب، وفيه الإبدال والقلب مستقصى، وفيه تفسير الإتباع، وهو ما لم يسبقه إليه أحد إلى فوائد كثيرة فيه».

● **المآخذ:**

أخذ على القالي أنه لم يلتزم ترتيبًا معينًا، لا في التسلسل التاريخي، ولا في المواضيع والأبواب، فهو أشبه ما يكون بالمقالات والروايات المتناثرة التي لا يرتبط أولها بآخرها.

وقد جمع أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تلميذ القالي (ت: ٤٨٧ هـ)، بعض المآخذ التي أخذت على القالي في كتاب، وأسماه «التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه»، ذكر فيه أن كثيرًا من الأبيات التي نسبها أبو علي هي لغير أصحابها، أو أخطأ في روايتها.

• **المنهج والأسلوب:**

تقوم مادة الكتاب الأساسية على جمع نصوص غزيرة من الأخبار والروايات والأشعار، والآيات، والأحاديث، والخطب، والوصايا، والحكم، والأمثال، والرسائل.

ربما عقد القالي مجلسًا خاصًا لمادة لغوية بعينها.

اشتمل الكتاب على مباحث في التصريف والتفسير والقراءات.

أفاض في التعليقات والشروح اللغوية، واستشهد على ذلك بالمأثور من كلام العرب.

حرص في معظم مروياته على ذكر الأسانيد.

من خصائص الكتاب أن رواياته كلها مشرقية، فلا تجد فيه إشارة إلى أخبار الأندلسيين(١).

---

(١) المراجع:

تاريخ الأندلس الأدبي: إحسان عباس.

مصادر التراث والبحث: محمود فاخوري.

موسوعة المصادر والمراجع: د. عبد الرحمن عطبة.

النثر الفني في الأندلس: د. مصطفى الزباخ.

قراءة لغوية في كتاب الأمالي: مثنى يوسف حمادة «مجلة الفتح» العدد ٢٣ سنة ٢٠٠٥م جامعة ديالى العراق.

• **كتب وأعمال ذات صلة:**

النوادر: وهو كتاب الأمالي نفسه[١]، وربما سمي الكتاب بـ«نوادر القالي» تسمية له بأحد أقسامه «النوادر».

سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: لأبي عبيد البكري الأندلسي، وهو مطبوع، بتحقيق عبد العزيز الميمني.

طبع الكتاب لأول مرة بمصر سنة ١٣٢٢هـ بمطبعة بولاق، بعناية إسماعيل يوسف التونسي.

حققه وفهرسه المستشرق الإنجليزي: (بيفان) وزميله، وطبع في ليدن بهولندا سنة ١٩١٣م.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: بحوث وتحقيقات العلامة عبد العزيز الميمني: لعبد العزيز الحاج عبد الكريم الميمني بتقديم د. شاكر الفحام. ط. دار المغرب الإسلامي (٢٦/١).

خطب ابن نباتة

إن ابن نباتة الخطيب رجل موفق، رزق ما لم يرزق أحد من الشهرة العريضة بين الخطباء والواعظين، استطاع أن يؤدي الأغراض المرجوَّة من مثله، في تعابير فصيحة، لو أنها رزقت من العمق ما رزقته من السلاسة لكانت مثلاً في براعة الإنشاء.

«د. زكي مبارك»

- **ابن نُباتة (٣٣٥ ـ ٣٧٤ هـ):**

أبو يحيى، جمال الدين، عبد الرحيم بن محمد، خطيب زمانه، ولد في «ميافارقين» بديار بكر، وسكن مدينة حلب، وكان خطيبها، وكان مقدمًا في علوم الأدب، شغوفًا بالوعظ، اشتهر بخطبه في الحثِّ على الجهاد في حروب سيف الدولة مع الروم، وأجمعوا على أن خطبه لم يعمل مثلها في موضوعها. قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: «ولَم يسبق إلى مثل ديوانه هذا، ولا يُلحق، إلا أن يشاء الله شيئًا، لأنه كان فصيحًا بليغًا ورعًا»[(١)] .

- **الموضوع:**

في فن الخطابة، وهي مخاطبة الجمهور القائم على الإقناع والاستمالة. وهي وسيلة دعاية ونشر وإذاعة لأفكار الخطيب، وأفكار جماعته التي يعبِّر بلسانها، ووسيلة تحريض وشحن عاطفي ونفسي، وتعتمد على الجمل

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٣٢١/١٦). ومرآة الجنان: لليافعي. والبداية والنهاية: لابن كثير، ووفيات الأعيان: لابن خلكان. وشذرات الذهب: لابن العماد.

القصيرة، والألفاظ المألوفة، والمعاني القريبة، والترتيب المنطقي، ووحدة الموضوع، ومخاطبة العقل والقلب معًا[(١)].

وكان النبي ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه، واشتدّ غضبه، كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم» وعلا صوته، وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله، وكان يخطب قائمًا، وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم.

- **القيمة العلمية:**

تميزت خطب ابن نباتة بمراعاة فنون البديع من السجع والموازنة والتضمين، مما يدلُّ على تدربه على صياغة الكلام.

قال ابن خلكان: «إنَّ الإجماع وقع على أن خطبه ما عمل مثلها، وفيها دلالة على غزارة علمه، وجودة قريحته».

وقال ابن الأثير في «المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر»: إن خطبه كانت منشورة بين أيدي الناس، يفرحون بها، ويُكبِّون عليها، وإنها كانت في أنفسهم تساوي مقامات الحريري.

وقال محمد د. زكي مبارك: «ومهما يكن من شيء، فقد استطاع ابن نباتة أن يملك ألباب الجماهير بخطبه، وعرف كيف تساس العامة، وكيف تغرس في صدرها بذور التقى والإباء، واستطاع أن يؤدي الأغراض المرجوة من

---

(١) ينظر: كتاب «الخطابة» لأرسطو، وضع فيه قواعد ونماذج محددة للخطابة، وهو من أول الكتب التي ترجمت إلى العربية. وجمع الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» أخبار أشهر الخطباء العرب، وذكر بعضًا من خطبهم. و«أصول الإنشاء والخطابة» للشيخ محمد طاهر بن عاشور، صدر بتونس سنة ١٩٢٠م وهو كتاب تعليمي تطبيقي، جمع فيه قواعد الإنشاء والخطابة. والخطابة، أصولها وتاريخها: للشيخ محمد أبو زهرة.

مثله في تعابير فصيحة».

- **المنهج والأسلوب:**

كان ابن نباتة على صلة بسيف الدولة بن حمدان، وكان سيف الدولة كثير الغزوات، فلهذا أكثر ابن نباتة من خطب الجهاد، لحضّ الناس عليه، ولحثهم على نصرة سيف الدولة.

واشتمل الديوان على مجموعة خطب تدور مواضيعها حول ذكر الموت والمعاد، والحشر والميزان، وما أعده الله للمحسنين من نعيم، وما أعده الله للمسيئين من عقاب، وتكلم على فضائل المواسم والشهور.

- **مآخذ:**

وصف أسلوب ابن نُباتة بالكلف بالخيال المزخرف بالصنعة والتجويد، وأخذ عليه أن أفكاره سطحية ومحدودة ومكررة، وعلل د. محمد زكي مبارك ذلك بقوله: وعذر الرجل أنه كان يخطب طوائف من الناس العمق في مخاطبتها عِيٌّ والتدلي في إفهامها إفصاح، ولكل مقام مقال.

وأخذ عليه استشهاده بالأحاديث الضعيفة.

- **توقيع بخطابة (جامع) من إنشاء ابن نباتة:**

أما بعد حمد الله الذي قسم للمنابر شرفًا يتجدد، وعطفًا من الفصحاء يتأكد، وعلمًا مرفوعًا لا يتعدى، وعلمًا منصوبًا لا يتعدد، والصلاة والسلام على سيد الثقلين وصاحب القبلتين محمد، وعلى آله وصحبه القانتين القائمين الركع السجّد، ما عظّم خطيبٌ ومجّد، وبدا في حلية سيادةٍ، وأهبة خطابةٍ، وهو على الحالين مسوّد، فإن لصهوات المنابر فرسانًا، ولصدور المحاريب أعيانًا، ولعيون المشاهد أناسي يراعي منها الاستحقاق لكل عينٍ

إنساناً، ولما كان جامع جراح المعمور بذكر الله تعالى مما أسس على التقوى، ووسم بأهل الزهد سمةً إذا ضعفت السمات تقوى، مجمع الصلحاء من كل ناحية، ومنتجع الفقراء، فنعم الجامع لهم ونعمت الزاوية، ومفزع العظماء عند استدفاع حربٍ وكرب، ومطلعٌ لنور الهداة الذي أغرب فأطلع نجومهم من الغرب، تعيّن أن نختار له الخطباء والأئمة، وننتخب لمنصبه من أفاضل الأمة، وتتناسب حضار منبره بصاحب علومهم وأعلامهم وإمامهم، المسرورين به يوم يأتي كل أناسٍ بإمامهم، فرسم بالأمر - لا زالت أعواد المنابر بذكره أرجة، وأعلامها كالألسنة بحمده لهجة - أن يفوض لفلان علمًا باستحقاق شرفه لهذه الرتبة، وصعود هذه الذروة والهضبة، ولأنه الأولى بدرجات الرتب النفائس، والأجدر بجني فروعها الموائس، والإمام على الحالين إذا قامت صفوف المساجد وإذا قعدت صفوف المدارس، والعربي الذي إذا رقى ذروة منبرٍ أطلقت عليه لفظة فارس، والورع الذي آثر في مناصبه الباقية على الفانية، ومنابر الحِكَم المضيئة على مراتب الحكم الماضية، وعلى مجالس الدعاوى مجالس الدعوات، وعلى مقام الصلات مقام الصلوات، وعلى القضاء الفرض، وعلى الرحبة المحل الأرقى ولو كمفحص القطاة من الأرض، وعلى عَرَض الدنيا القليل جوهر الفضل الكثير، وعلى كتاب أدب القاضي كتاب الجامع الصغير، فليباشر هذه الوظيفة المباركة خطيباً تدرأ مواعظه الخطوب، واعظًا من قلبٍ تقيٍّ تصل هدايا تقاه إلى القلوب، فصيحًا تكاد المنابر تهتز طرباً ببيانه، نجيحاً تكاد أجنحة أعلامها تطير فرحًا بمكانه، شاملًا بنفحات فضله النواسم، كاملًا لو تقدم زمانه لم يقل: فلا الكُرَّجُ الدنيا ولا الناس

قاسم؛ والله تعالى يسدد أقواله وأفعاله، ويرفع على المنابر والرتب والمراتب مقامه ومقاله، ويمتعه بهذه الرتبة التي أشبهت معنىً في الخلافة؛ فلم يكن يصلح إلا لها ولم تكن تصلح إلا له[(١)].

● **كتب ذات صلة:**

اهتم النقاد بتعقب خطب ابن نباتة ومناقشتها، وقد شرحها مجموعة من العلماء ذكرهم صاحب «كشف الظنون» منهم: أبو البقاء العكبري، وموفق الدين عبد اللطيف البغدادي.

وطبع الكتاب ضمن إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت (مجلة الوعي الإسلامي) سنة ٢٠١٢م.

---

(١) المراجع:
صبح الأعشى: للقلقشندي (٣٧٠/١٢) ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
النثر الفني في القرن الرابع الهجري: د. زكي مبارك.
خصائص الخطبة والخطيب: نذير محمد مكتبي.
الموسوعة العربية السورية «الخطابة» (٨/ ٨٤٥).

الصناعتين

أجمل أثرٍ لأبي هلالٍ العسكري هو كتاب «الصناعتين»، وقد أراد أن يُودِعَـه جمـيعَ ما يُحتاج إليه في صَنعة الكلام، نثره ونظمه، من غير إخلالٍ ولا إسهاب.

«د. زكي مبارك»

● **أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥ هـ):**

الحسن بن عبد الله العسكري، نسبة لـ «عسكر مُكرم» مدينة في الأهواز، ولد بها، ولم يبرحها أكثر عمره، كان أديبًا، شاعرًا، راوية، ذا علم غزير، وثقافة متعددة، وكان قويَّ القلب، أبيَّ النفس، يترفع عن الدنيا، ويتّجر في الثياب احترازًا عن الطمع والدناءة، له مؤلفات كثيرة في اللغة، والأمثال، والأوائل، والتفسير، والشعر وغير ذلك[١].

● **الموضوع:**

في صناعة النـثر وصناعة الشعر. أما النـَّثر: ويسمى إنشاء النثر، فهو علم يُبحث فيه عن المنثور، من حيث إنه بليغ وفصيح، ومشتمل على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة واللائقة بالمقام. ومباديه مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل، بل له استمداد من جميع العلوم، لا سيما الحكمة العملية، والعلوم الشرعية، وسِيَر الكُمّل، وحكايات الأمم، ووصايا الحكماء والعقلاء وغير ذلك من الأمور غير المتناهية، ومجالاته

(١) ترجم له الذهبي في التاريخ، والصفدي في الوافي، وياقوت في معجم الأدباء.

الرواية والقصة والمقال والرسالة والتاريخ والسيرة والموعظة والخطبة.

ويدخل موضوع هذا الكتاب أيضًا في علم البلاغة، وهي تشتمل على: البيان، والبديع، والمعاني.

فالبيان: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة، في وضوح الدلالة على المقصود، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض.

والبديع: علم تعرف به وجوه تفيد الحسن في الكلام، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، وبعد رعاية وضوح الدلالة على المرام.

والمعاني: علم تتبع خواص تراكيب الكلام، ومعرفة تفاوت المقامات، حتى يمكن الاحتراز عن الخطأ.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذ الكتاب مرجعًا مهمًا لمن يريد دراسة الشعر والنثر، وتعقب مذاهب الشعراء والكتاب بالنقد، وهو من أجلّ كتب الصناعة الأدبية، وأغزرها مادةً، ويعدُّ ثمرة ما ألف في هذا الفن، أودع فيه أبو هلال خلاصة ما توصّل إليه سابقوه ممن عالجوا موضوعه، كابن سلام في «طبقات الشعراء»، والجاحظ في «البيان والتبيين»، وابن قتيبة «في نقد الشعر»، وابن المعتز في «البديع»، وقدامة في «نقد الشعر»، والآمدي في «الموازنة»، والجرجاني في «الوساطة»، إلا أنه أكثر من النقول عن «البيان والتبيين».

قال المؤلف عن كتابه: ولَم يسبقني إلى تفسير هذه الأبواب، وشرح وجوهها أحد، وإنما اقتصر من كان قبلي على ذكر تلك النعوت، عارية عما هي مفتقرة إليه، من إيضاح غامضها وإنارة مظلمها.

وقال صاحب «كشف الظنون»: وهو كتاب مفيد جدًا.

● **مآخذ:**

أخذ على المؤلف إهماله أسماء الكتاب والشعراء في كثير من الشواهد، كأن يقول: كتب بعضهم إلى أخ له، وكتب بعضهم يصف رجلًا، كما يكثر من كلمة قال الشاعر، وقال الآخر، من غير تعيين.

كما أخذ عليه كثرة الاستطراد والإطناب؛ متأثرًا بذلك بأسلوب الجاحظ في البيان والتبيين؛ وقد قال في مقدمة الكتاب بعدما أثنى على الجاحظ وكتابه: «إلا أنّ الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير، فرأيت أن أعملَ كتابي هذا مشتملًا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام، نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال، وإسهاب وإهذار، وأجعله عشرة أبواب، مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً».

وأخذ عليه تحامله على شعر المتنبي، ونقده له في أكثر من مناسبة، من غير أن يشير إلى اسمه، فهو لا يتحدث عن شعره إلا حين يريد التمثيل للشعر القبيح.

● **المنهج والأسلوب:**

بنى المؤلف كتابه هذا على عشرة أبواب، وكل باب يتكون من عدة فصول، ومجموع ما اشتمل عليه الكتاب ثلاثة وخمسون فصلاً.

الباب الأول: في موضوع البلاغة. والباب الثاني: في تمييز الكلام. والباب الثالث: في صنعة الكلام. والباب الرابع: في حسن السبك. والباب الخامس: في الإيجاز والإطناب. والباب السادس: في حسن الأخذ وقبحه.

والباب السابع: في التشبيه. والباب الثامن: في السجع. والباب التاسع: في البديع. والباب العاشر: في مقاطع الأمر (الكلام) ومباديه.

بيَّن المؤلف أن هناك غاية أساسية لتعلم البلاغة، هي أن يعرف المتأدب إعجاز القرآن، وهناك غايات ثانوية، منها فهم الأدب، والقدرة على إجادة الإنشاء.

اشتمل الكتاب على شواهد أدبية، من الرسائل، والحكم، والأشعار.

يرى المؤلف أنّ سر البلاغة يرجع إلى الألفاظ، وليس الشأن في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما هو جودة اللفظ وصفاؤه وحسنه وبهاؤه .

ويرى أن حسن اللفظ موقوف على جمال المعنى، فلا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه.

والكلام عنده بسلاسته، وسهولته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، واستواء تقسيمه، مع عدم ضروراته.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

- نقد الشعر: ألفه قدامة بن جعفر البغدادي (ت: ٣٣٧ هـ) في عشرين بابًا، فأراد أبو هلال أن يتمه، فأنشا هذا الكتاب من عشرة أبواب.

- علق عليه: محمد أمين الخانجي، طبعة الآستانة سنة ١٣٢٠هـ.

- حققه: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي ١٩٥٢م.

مقامات بديع الزمان الهمذاني

وأول من فتح باب عمل المقامات هو علامة الدهر وإمام الأدب البديع الهمذاني، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه، وهي في غاية البلاغة وعلوِّ الرتبة في الصنعة.

«القلقشندي»

● **بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ - ٣٩٨ هـ):**

أبو الفضل، أحمد بن الحسين، أحد أئمة الكتاب، وكان شاعرًا، ولد ونشأ بهمذان، وتتلمذ على ابن فارس، وابن دريد، والخوارزمي، كان فقيرًا، اتصل بالأمراء والوزراء والكبراء، ومدحهم، يضرب المثل بحفظه، ويقال: إن أكثر مقاماته كانت ارتجالًا.

قال ابن كثير: «صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري، واقتفى أثره، وشكر تقدمه، واعترف بفضله، وكان قد أخذ اللغة عن ابن فارس، ثم برز، وكان أحد الفضلاء الفصحاء».

وقال الثعالبي: «بديع الزمان، ومعجزة همذان، وفرد الدهر، وغرة العصر، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في طرف النثر وملحه، وغرر النظم ونكته، ولم ير ولم يرو أن أحدًا بلغ مبلغه من لب الأدب وسره، وجاء بمثل إعجازه وسحره، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتًا فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفًا ولا

يخل بمعنى، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه هذًا، ويسردها سردًا، وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها، وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخره ثم هلم جر إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النثر والنظم، ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجل في أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه»(١).

● **الموضـوع**:

في المقامات، وهي من فروع علم إنشاء النثر، قال القلقشندي: وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة؛ كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الناس لسماعها(٢).

وقيل: «هي كتابة حسنة التأليف أنيقة التصنيف، تتضمن نكتة أدبية مدارها على رواية لطيفة تسند إلى بعض الرواة، ووقائع شتى تعزى لأحد الأدباء، المقصود منها غالبًا جمع درر البيان، وشوارد اللغة، ونوادر الكلام»(٣).

وهي تعرف بالمكان الذي تجري فيه: فيقال المقامة الحلبية، والمقامة

(١) يتيمة الدهر: للثعالبي (٢٥٦/٤)، وانظر ترجمته في: البداية والنهاية: لابن كثير. ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي.
(٢) صبح الأعشى: القلقشندي (١٠/١٤).
(٣) جواهر الأدب: أحمد الهاشمي، ط. المعارف، بيروت (ص: ٢٨٩).

الموصلية نسبة إلى حلب والموصل، وربما نسبت إلى المروي عنه كالمقامة الحريرية.

قال في أبجد العلوم: «وبالجملة فهذا العلم - المقامات - طويل الذيل عظيم السَّيْل كثير النفع، لكن قصرت عنه همم العلماء حتى اندرس وطمس».

ويعتبر الهمذاني مخترع فن المقامات ورائده، وقد نسج على منواله الكثير من الأدباء، ومن أشهر المقامات:

«مقامات الحريري» أبي محمد، قاسم بن علي (ت: ٥١٦ هـ).

«مقامات ابن بسَّام» الشنتريني (ت: ٥٤٢ هـ) أوردها في ثلاثين مقامة.

المقامة السَّرقسطية: لمحمد بن يوسف التميمي السرقسطي، المعروف بابن الأشتركوني (ت: ٥٣٨ هـ) وهي خمسون مقامة[١].

● **سبب تأليف المقامات:**

ألف الهمذاني مقاماته لأمير سجستان خلف بن أحمد، وخصه بست مقامات منها في مدحه.

● **القيمة الأدبية لمقامات الهمذاني:**

تعدّ مقامات الهمذاني أول كتاب ألف في فن المقامات؛ إلا أنه لم يلق ما لقيته مقامات الحريري من العناية بشرحها وتفسير غريبها.

وتمتاز بعض هذه المقامات بالطرافة، كالمقامة الحمدانية التي يصور فيها مساجلة عقدها سيف الدولة لوصف فرس.

والمقامة المارستانية التي صور فيها مجنونًا يصب غضبه على المعتزلة.

---

(١) حققها د. حسن الوراكلي (رسالة دكتوراه من جامعة مدريد)، ولدراستها انظر: فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين: د. مصطفى الزباخ.

والمقامة الجاحظية التي وازن فيها بين الجاحظ وابن المقفع.

والمقامة المضيرية، التي اشتملت على الكثير من مفردات الحضارة.

وتميّزت مقامات الهمذاني بأنها الأسهل صنعة، والأفضل شعرًا، والأكثر تعمقًا في اللغة.

قال د. يوسف نور عوض: «كان النموذج الفني الذي أنشأه بديع الزمان بداية لفيض زاخر من الفن المقامي أتى بعده، فقد استطاع أن يوجد في مجال النثر ديباجة جديدة تعدل في ديباجتها القصيدة الجاهلية»[١].

وقال د. حازم عبد الله خضر: «ويعتبر بديع الزمان الهمذاني ممن ساهم في تأسيس المقامات برسائله الرائقة ومقاماته الفائقة، وفتح الباب لمدرسة امتدّ أثرها عميقًا في الأدب العربي حتى غدت مقاماته النموذج الأول والقدوة للمقامات التي جاءت بعدها»[٢].

● **الأسلوب:**

بلغ عدد المقامات التي أملاها الهمذاني ٥١ مقامة.

هي: المقامة القريضية، المقامة الأزاذية، المقامة البلخية، المقامة السجستانية، المقامة الكوفية، المقامة الأسدية، المقامة الغيلانية، المقامة الأذربيجانية، المقامة الجرجانية، المقامة الأصفهانية، المقامة الأهوازية، المقامة البغدادية، المقامة البصرية، المقامة الفزارية، المقامة الجاحظية، المقامة المكفوفية، المقامة البخارية، المقامة القزوينية، المقامة الساسانية، المقامة القردية، المقامة الموصلية، المقامة المضيرية، المقامة الحرزية،

(١) فن المقامة بين المشرق والمغرب: د. يوسف نور عوض. مكتبة الطالب. مكة المكرمة.

(٢) النثر الأندلسي: د .حازم عبد الله خضر.

المقامة المارستانية، المقامة المجاعية، المقامة الوعظية، المقامة الأسودية، المقامة العراقية، المقامة الحمدانية، المقامة الرصافية، المقامة المغزلية، المقامة الشيرازية، المقامة الحلوانية، المقامة النهيدية، المقامة الإبليسية، المقامة الأرمنية، المقامة الناجمية، المقامة الخلفية، المقامة النيسابورية، المقامة العلمية، المقامة الوصية، المقامة الصيمرية، المقامة الدينارية، المقامة الشعرية، المقامة الملوكية، المقامة الصفرية، المقامة السارية، المقامة التميمية، المقامة الخمرية، المقامة المطلبية، المقامة البشرية.

تبدأ المقامة عادةً بقول المؤلف: حدثنا عيسى بن هشام، و«عيسى بن هشام» هو الراوية الذي اختاره المؤلف لمقاماته.

اختار المؤلف لمقاماته بطلاً أسماه «أبا الفتح الإسكندراني» وتتمثل شخصيته في أنه يتخذ من الحيلة والمراوغة وسيلة للعيش.

قدم المؤلف من خلال مقاماته صورة شاملة لواقع وأسلوب بيئته.

انتقد المؤلف -بطريقة غير مباشرة- النظام والمجتمع، بإبراز بعض الأخطاء السلوكية التي كانت منتشرة آنذاك، مثل التسول والحيلة والزيف والنفاق في سبيل تحصيل لقمة العيش.

أشار إلى اختلال القيم في المجتمع الذي كان يعيش فيه وسيادة طبقة الأغنياء، الذين حولوا كل شيء لمصلحتهم.

اشتملت المقامات على فوائد عامة في الأخلاق، والسلوك، والقصص، وكيفية تحصيل العلم.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

اتُّهم بديع الزمان بأنه نسج هذه المقامات على منوال أخبار ملوك اليمن الأقدمين المسجوعة التي رواها ابن دريد(١).

ويرى بعض النقاد أنه ربما يكون من أهم مصادر الهمذاني في مقاماته حكايات الوعاظ والناسكين والقصاصين، وحكايات البخلاء.

أول من شرح مقامات الهمذاني الشيخ محمد عبده، سنة ١٨٨٨م وطبع شرحه في المطبعة الكاثوليكية، وصرح أنه أسقط بعض العبارات الفاضحة من مقامتين، كما أسقط المقامة الشامية برمتها -ومكانها بعد المقامة المارستانية- وتبعه على ذلك معظم ناشري المقامات.

وشرح مقامات بديع الزمان: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد(٢).

ذكر أحمد أمين في كتابه «حياتي» أنه أثناء رحلته إلى الآستانة سنة ١٩٢٨م رأى شخصًا ألمانيًا أعجبه، هو الأستاذ «ريشر» الذي كان يحضِّر بحثًا في المقامات، فيجمع المقامات التي كتبت من عهد البديع إلى اليوم، ويصنفها ويتفهمها ويعلق عليها.

---

(١) ابن دريد: (ت: ٣٢١ هـ) صاحب كتاب الجمهرة في اللغة، أبو بكر، محمد بن الحسن، وهو شاعر من أئمة اللغة والأدب. قال د. مصطفى الزباخ: ابن دريد يعتبره بعضهم مفتق أكمام هذا الفن، وكان أول من أثار هذا الرأي الحصري في كتابه (زهر الآداب)، ثم تبنى هذا الرأي (مرجليوث) في (دائرة المعارف الإسلامية) ثم أثاره من جديد د. زكي مبارك.

(٢) المراجع:

المقامة: د. شوقي ضيف: ط. دار المعارف، مصر.

الرسائل والمقامات: د. عمر فروخ.

النثر الفني في القرن الرابع الهجري: د. زكي مبارك.

رسائل الصابي والشريف الرضي

هذا كتاب مفيد طريف، تقدمه «دائرة المطبوعات والنشر في حكومة الكويت» إلى علماء العربية، فيما أخذت على نفسها من تقديم ما يجمع الطرافة والفائدة والجودة من تراثنا القديم، أما فائدته فتبدو في أنه أثر من آثار النثر العربي في القرن الخامس الهجري، وما أحوجنا إلى نشر النصوص النثرية القديمة التي خلفها كتابنا الأقدمون، والتي توضح تطور النثر العربي خلال القرون، وتكشف أساليبه وألوانه، بتحقيق جديد صحيح وفهم عميق، وأما طرافته فتبدو في أن هذه الرسائل تبادلها أديبان كبيران من أدباء العربية فكانت لهما عنوان صداقة وآية ودٍّ، وهما الصابي والشريف الرضي.
«د. صلاح الدين المنجد»

- **أبوإسحاق الصَّابي (٣١٣ ـ ٣٨٤هـ):**

إبراهيم بن هلال، أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل، كان قد خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء، وتقلد أعمالاً جليلة، ومدحه الشعراء، وكان حسن العشرة للمسلمين، عفيفًا في مذهبه، وكان ينوب عن الوزير أبي محمد المهلبي في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة، وكان بينه وبين الصاحب «أبي القاسم، إسماعيل بن عباد» مراسلات ومواصلات ومتاحفات، وكذلك بينه وبين الرضي «أبي الحسن، محمد بن الحسين الموسوي» مودّة ومكاتبات، مع اختلاف الملل، وتباين النحل، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين والنسب، قال أبو منصور الثعالبي في «اليتيمة»:

«وكان يصوم شهر رمضان موافقة للمسلمين وحسن عشرة منه لهم، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه، وبرهان ذلك في رسائله»(١) .

● **الشَّريف الرَّضي: (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ):**

محمد بن الحسين، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي، أشعر الطالبيين، على كثرة المجيدين فيهم، مولده ووفاته في بغداد، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد، وشعره من الطبقة الأولى رصفًا وبيانًا وإبداعًا(٢).

● **الموضوع:**

في التَّرسُّل: وهو من فروع علم الإنشاء، وهو علم تذكر فيه أحوال الكاتب، والمكتوب، والمكتوب إليه، من حيث الآداب، والاصطلاحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، ومن حيث العبارات التي يجب الاحتراز عنها (مدينة العلوم).

قال ابن خلدون مبينًا ما يجب أن يكون عليه كاتب الرسائل من أخلاق وصفات: «واعلم أن صاحب هذه الخطة لابد أن يُتخيَّر من أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم، لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك، مع ما تدعو إليه عِشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في الترسيل وتطبيق مقاصد

(١) معجم الأدباء: لياقوت الحموي (١٣٢/١) دار الغرب الإسلامي. ويتيمة الدهر (٢٤٣/٢).
(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان. وتاريخ بغداد. والمنتظم. ويتيمة الدهر. وللدكتور زكي مبارك كتاب: «عبقرية الشريف الرضي».
(٣) المقدمة (ص: ٢٤٧) .

=

الكلام من البلاغة وأسرارها»[١].

• **ومن أشهر كتّاب الرسائل:**

عبد الحميد بن يحيى (ت: ١٣٢هـ) أحد أئمَّة الكتاب، يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون، حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد[٢].

بديع الزمان الهمذاني: أحمد بن الحسين (ت: ٣٩٨هـ).

أحمد بن رشيق الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) طلب الأدب، وبرز فيه، وبسق في صناعة الرسائل، مع حسن الخط، وشارك في سائر العلوم، ومال إلى

= تعدّدت فنون الرسائل؛ فمنها الديوانية، ومنها الوعظية، ومنها العلمية. فالترسل الديواني: هو ما يصدر عن ديوان الرسائل الذي يعنى بشؤون المكاتبات التي تصدر عن الخليفة إلى ولاته وأمرائه وقادة جنده وملوك الدول الأخرى. والرسائل الوعظية: هي التي يكتبها بعض العلماء والصالحين إلى الخلفاء والسلاطين والأمراء يحثونهم على الصلاح والتقوى والرأفة بالرعية، والاستعداد للموت، وما أشبه ذلك. والرسائل العلمية: هي التي خُصِّصت للحديث عن بعض الموضوعات الأدبية أو العلمية أو الدينية أو التاريخية، وهذا النوع من الرسائل يدخل في باب التأليف ولا يدخل في باب التَّرسُّل، ومن أمثلته الرسالة القشيرية في التصوف، وبعض رسائل أبي العلاء المعرِّي، مثل رسالة الغفران، ورسالة الصاهل والشاحج ورسالة الملائكة، وقد عُرف هذا اللون بالرسائل الأدبية، وكان الجاحظ أمير بيانه، والتَّرسّل الإخواني: أو الإخوانيات، والمراد المكاتبة الدائرة بين الأصدقاء، وقد أوصل القلقشندي أنواع الرسائل الإخوانية إلى سبعة عشر نوعًا؛ هي «التهاني، والتعازي، والتهادي، والشفاعات، والتشوق، والاستزارة، واختطاب المودة، وخطبة النساء، والاستعطاف، والاعتذار، والشكوى، واستماحة الحوائج، والشكر، والعتاب، والسؤال عن حال المريض، والأخبار، والمداعبة».

(١) الأعلام: للزركلي (٣/٢٨٩).

(٢) معجم الأدباء: لياقوت الحموي (٣/٢٢).

الفقه والحديث، وبلغ من رياسة الدنيا أبلغ منزلة[١].

● **القيمة الأدبية لرسائل الصابي:**

كان الصَّابيُّ قد تقلد ديوان الرسائل، ولذا أصبحت رسائله ذات أهمية تاريخية لأنها تعاصر أحداث بغداد، إضافة إلى رصانة أسلوبها، قال عنه الثعالبي: إنه أوحد العراق في البلاغة، ومن به تثني الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة والصناعة.

● **مراسلة:**

كان بين الصّابيِّ والشَّريف الرَّضيِّ صداقة قوية، وكان يسعى كل منهما لدى الآخر في صنعته كي يقتني قنيةً منه، فهذا الشريف الرضي ينفذُ رُقعًا لأبي إسحق، يسأله فيها إنشاء عهد له، يقدمه للخليفة العباسي الطائع لله، في أمر نقابة الطالبيين، ويوضح أغراض العهد بكلام بَهيٍّ.

ويتعهد الصابيُّ بذلك، ويُنفّذ ما يطلبه الرضي، ويقدمه متواضعًا، وهو يقول له في أمر ما طلب: «... والله يا سيدي لو كتبتَ أنتَ ما استكتبتنيه، وكفيتَ نفسَك ما استكفيتنيه، لكنت أجرأ مني يدًا ولسانًا، وأطول شأوًا وميدانًا، وأكثر إصابةً وإحسانًا...»[٢].

---

(١) المراجع:

رسائل الصابي والشريف الرضي: تحقيق د. محمد يوسف نجم، دائرة المطبوعات بالكويت.

صبح الأعشى: للقلقشندي.

أدب الرسائل في صدر الإسلام: جابر قميحة.

النثر الفني في القرن الرابع: د. زكي مبارك.

النثر الفني أبرز فنونه وأعلامه: عمر عروة، دار القصبة، الجزائر.

الإمتاع والمؤانسة

الكتاب ممتع مؤنس كاسمه، يلقي نورًا كثيرًا على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع، أعني العصر البويهي[١]، وهو عصر مُغْبَش بالظلام، فإنه يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه، فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم،كابن عباد، وابن العميد، وابن سعدان، ومحاسنهم ومساويهم، ويصف العلماء، ويحلِّلُ شخصياتهم، وما كان يدور في مجالسهم، من حديث وجدال وخصومة، ويصف النزاع بين المناطقة والنحويين، والمناظرة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي وبين أبي يوسف القنّائي، في المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي، ورأي العلماء في الشعوبية، والمفاضلة بين الأمم، إلى كثير من أمثال ذلك، وفي الكتاب النص الوحيد الذي كشف لنا عن مؤلفي إخوان الصفا.

«أحمد أمين»

- **أبو حيان التوحيدي (٣١٢ ـ ٤٠٠ هـ):**

علي بن محمد بن العباس، يرجح أنه ولد سنة ٣١٢، واختلف في سنة وفاته، وخلاصة ما قيل فيه: إنه كان موجودًا سنة ٤٠٠هـ، وهو فيلسوف، معتزلي، نعته ياقوت بفيلسوف الأدباء، ونعته ابن الجوزي بالزنديق، كان جميل الخط، دقيق النقل، خبيرًا بالتصحيف والتحريف، وكان يمارس

(١) البويهيون: دول إسلامية، تنسب إلى أبي شجاع بن بويه من الديلم، الذي تحكّم في فارس وبغداد، واستولى ابنه أحمد على بغداد، ولقبه الخليفة بمعز الدولة، وصار الخلفاء يلقبون كل سلطان من بني بويه بأمير الأمراء، ولم يكن للخليفة إبَّان حكمهم كلمة نافذة.

الوراقة والنسخ في بغداد، عاش بائسًا فقيرًا يقصد الأمراء والوزراء. قال السيوطي في (بغية الوعاة): «إنه لما انقلبت به الأيام، رأى أن كتبه لَم تنفعه، وضن بها على من لا يعرف قدرها، فجمعها وأحرقها» فلم يسلم منها غير ما نقل قبل الإحراق من كتبه منها: المقابسات، والصداقة والصديق، ورسائل أبي حيان، والكيمياء[١].

قال القفطيُّ: وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية، وهو: «ابتدأ أبو حيان كتابه صوفيًّا، وتوسطه محدثًا، وختمه سائلاً ملحفًا».

- **الموضوع:**

في علم مسامرة الملوك، وهو فرع من فروع المحاضرات، وموضوعات الكتاب تشمل الأدب، والفلسفة، والحيوان، والمجون، والأخلاق، والطبيعة، والبلاغة، والتفسير، والحديث، واللغة، والسياسة.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يكتسب هذا الكتاب قيمته العلمية من كونه رصد بدقة الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية في القرن الرابع الهجري، بالإضافة إلى ما اشتمل عليه من وصف مجالس السمر، وما يدور فيها من الفكاهة والطرف، ومن كونه سلط الضوء على حياة العامة وموقفهم من الملوك والأمراء.

- **سبب تأليف الكتاب:**

كان لأبي حيان صديق اسمه أبو الوفا المهندس «محمد بن محمد

---

(١) انظر: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع: د. محمد عمارة.
وأبو حيان التوحيدي: د. إحسان عباس.

البوزجاني» قام بوصله بالوزير أبي عبد الله بن العارض «ابن سعدان» وزير صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهي وقرّبه منه، ومدحه عنده، فجعله الوزير من سُمّاره، وسامره نحو أربعين ليلة، كان يطرح عليه فيها أسئلة مختلفة، فيجيب عنها، ثم طلب أبو الوفا من أبي حيان أن يقصّ عليه ما دار من حديث بينه وبين الوزير ومنَّ عليه أن وصله به وهدده إن لم يفعل أن يؤذيه، فأجاب أبو حيان سؤله، وفضّل أن يدوِّن ذلك في كتاب يشتمل على كل ما دار في كل مجالس السمر، فكان من ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة، وكان أبو حيان يدوِّن كل جزء ويرسله إلى صديقه أبي الوفا.

- **المنهج والأسلوب:**

قسم المؤلف كتابه إلى ليالٍ، فكان يدوّن كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن العارض «ابن سعدان» من حديث.

وبلغ عدد الليالي في الكتاب ثمان وأربعين ليلة.

الليلة الأولى: شروط الوزير للمسامرات «طلبات التوحيدي».

الليلة الثانية: تقييم أبي حيان لفلاسفة عصره.

الليلة الثالثة: التعريض والقدح في خاصة الوزير ابن سعدان.

الليلة الرابعة: حديث التوحيدي عن الصّاحب بن عباد.

الليلة الخامسة: الكلام على أبي إسحاق الصّابي وجماعة من الكتاب.

الليلة السادسة: المفاضلة بين العرب والعجم، وأخلاق العرب.

الليلة السابعة: المناظرة بين الحساب والبلاغة.

الليلة الثامنة: مناظرة بين أبي سعيد السيرافي ومتى القنائي.

الليلة التاسعة: أخلاق الإنسان.

الليلة العاشرة: نوادر الحيوان.

الليلة الحادية عشرة: نوادر الحيوان.

الليلة الثانية عشرة: حديث النفس.

الليلة الثالثة عشرة: أخلاق الأمم.

الليلة الرابعة عشرة: الطرب على الغناء.

الليلة الخامسة عشرة: شهادة العقل وشهادة الحس، ومسائل لغوية.

الليلة السادسة عشرة: الجبر والقدر، وسرد القصص على العامة.

الليلة السابعة عشرة: مسائل لغوية، والدين والفلسفة، وفيها وصف إخوان الصفا بأنهم عصابة تآلفت على العشرة وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهبًا زعموا أنهم قرّبوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله تعالى والمصير إلى جنته، وذلك أنهم قالوا: إن الشريعة دُنست بالجهالات واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال(١).

الليلة الثامنة عشرة: فقر بليغة متنوعة في الحكمة والأخلاق والفلسفة.

الليلة التاسعة عشرة: أشعار وحكايات ماجنة.

الليلة العشرون: كلمات بوارع قصار جوامع.

---

(١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا: هي خمسون رسالة في الفلسفة، كتبها أشخاص كتموا أسماءهم وبثوها في الوراقين ولقنوها للناس، وعنهم اقرأ: رسائل إخوان الصفا مؤامرة على الإسلام: أنور الجندي، مجلة منار الإسلام. وإخوان الصفا: جبران عبد النور، قال: إنهم عمدوا إلى الأساليب المتعارف عليها في الجاسوسية العالمية من استبدال الحروف العربية بإشارات غريبة لا يعرف معادلها إلا الذين وقفوا عليها. وإخوان الصفا: د. عادل العوا.

الليلة الحادية والعشرون: أحاديث في الخلافة والصراع على السلطة.

الليلة الثانية والعشرون: حديث عن الغناء.

الليلة الثالثة والعشرون: فلسفة أبي الحسن العامري[١].

الليلة الرابعة والعشرون: أحاديث نبوية.

الليلة الخامسة والعشرون: الحيوان والطبيعة، وهل عرفت العرب الفرق بين الرّوح والنَّفس.

الليلة السادسة والعشرون: حديث النُساك والزُّهاد والصَّالحين.

الليلة السابعة والعشرون: المفاضلة بين النثر والشعر.

الليلة الثامنة والعشرون: كلمات قصار بمثابة الأمثال والحكم والنوادر.

الليلة التاسعة والعشرون: حديث عن الاتفاق والمصادفة.

الليلة الثلاثون: الفأل والطيرة.

الليلة الحادية والثلاثون: ليلة لغوية حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم.

الليلة الثانية والثلاثون: ليلة لغوية أخرى.

الليلة الثالثة والثلاثون: الحرب والحزم، وبعض المسائل اللغوية.

الليلة الرابعة والثلاثون: نوادر المجانين، وحديث عن الطعام.

الليلة الخامسة والثلاثون: الأكل والشرب، وأخلاق التجار.

الليلة السادسة والثلاثون: حديث عن الطعام.

الليلة السابعة والثلاثون: احتجاج الوزير على تشوق العامة إلى معرفة أسرار الوزراء والأمراء.

---

(١) أبو الحسن العامري: محمد بن يوسف النيسابوري (ت: ٣٨١هـ)، فيلسوف، كانت بينه وبين التوحيدي وابن سينا مباحثات في الفلسفة.

الليلة الثامنة والثلاثون: حديث الذكور والإناث، وسياسة عمر بن الخطاب، وخلفاء بني العباس.

الليلة التاسعة والثلاثون: الفرق بين الإرادة والاختيار.

الليلة الأربعون: إجابات أبي سليمان المنطقي وعدم رضا الوزير بها.

الليلة الحادية والأربعون: مسائل لغوية متعددة.

الليلة الثانية والأربعون: تكليف التوحيدي بأن يخاطب ابن زُرعة ليكتب فصلاً في الأخلاق.

الليلة الثالثة والأربعون: تقديم إجابة ابن زُرعة عن الأخلاق.

الليلة الرابعة والأربعون: إهانة ابن يوسف -غريم الوزير- في مجلس عضد الدولة.

الليلة الخامسة والأربعون: عبارات دقيقة، وإجابات مفحمة، وحكايات تعريضية مسكتة.

الليلة السادسة والأربعون: الموازنة بين البحتري وأبي تمام والهجوم على أهل الكلام لأن مناظراتهم حول الأديان تفسد النفوس، وتزرع الشك.

الليلة السابعة والأربعون: حديث عن عائشة بنت أبي بكر.

الليلة الثامنة والأربعون: النفس وتزكيتها.

كان الوزير أبو عبد الله العارض يسأل وأبوحيان يجيب، لذلك فإن الكتاب جاء على طريقة: قال لي وسألني، وقلت له وأجبته،كأن يقول الوزير في بداية الليلة: سمعت صياحك اليوم في الدار مع أبي عبيد، ففيم كنتما؟ أو يقول: حدثني أبو الوفا عنك حديث الخراساني، فأريد أن أسمعه منك، أو يقول: ألا تتمم ما كنا بدأنا به.

كان الوزير يكلف في بعض المرات من يكتب المسألة المعروضة في

رسالة، وفي بعض المرات يكلفه أن يكتب له في مسائل مشكلة في اللغة أو الفلسفة، أو الاجتماع، وفي بعض المرات يدفع له رقعة فيها أسئلة ويطلب منه أن يفكر في الإجابة عنها، أو أن يتصل بغيره من العلماء ليعرف رأيهم، فيحضر الجواب في جلسة قادمة، ويتلوها على الوزير.

كان الوزير في بعض المرات إذا انتهى المجلس يطلب من أبي حيان أن يأتيه بطرفة يسميها «ملحة الوداع»، وهذه الملحة تكون عادة نادرة لطيفة، أو أبياتًا رقيقة، وقد يقترح الوزير أن تكون الملحة شعرًا بدويًا.

وصف في بعض الليالي مجالس الغناء والطرب وأنواع الطعام والشراب واللباس التي كانت سائدة في عصره.

اشتمل الكتاب على ذكر بعض قصص الصُّوفية ومصطلحاتهم الخاصة.

هناك ثلاثة أشخاص لهم دور رئيس في الكتاب.

الشخصية الأولى: الوزير ابن سعدان، الذي شكلت مسامراته مع التوحيدي محتوى الكتاب.

الشخصية الثانية: أبو الوفا المهندس، الذي شكل طلبه من التوحيدي إعادة ذكر تلك المسامرات .

الشخصية الثالثة: أبو حيان التوحيدي، الذي قدم إجاباته لطلب المهندس في صيغة جواب مكتوب، وقد اتسم أسلوب التوحيدي بالإطالة والإطناب.

- **مآخذ:**

يؤخذ على الكتاب بعض الأمور.

منها: إيراده بعض قصص الهزل والمجون والمخنثين والغلمان.

ومنها: أن موضوعاته لا تخضع لتبويب أو ترتيب أو منهج أو قاعدة،

وإنما هي خواطر وأحاديث متفرقة، ومسامرات فكرية.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

أشار بعض الأدباء والنقاد إلى وجود شبه بين كتاب «الإمتاع والمؤانسة» وكتاب «ألف ليلة وليلة» من حيث صور كل منهما حياة المجتمع الفكرية في شكل قصصي[(١)].

نقل المؤلف عن كتاب «الحيوان: للجاحظ» كما في الليلتين التاسعة والعاشرة، إذ تحدث فيهما عن أنواع الحيوانات وطباعها ونوادرها وغرائبها.

۞ ۞ ۞

---

(١) ألف ليلة وليلة: مجموعة منوّعة من القصص الشعبي العربي في نحو ١٤٢٠ مقطوعة، وقد يكون ابن النديم أقدم من ذكرها، حيث أشار إلى أنها مترجمة عن أصل بهلوي اسمه «الهزار أفسانه» أي الألف خرافة. روتها شخصية تُسمى شهرزاد للسلطان شهريار. وتعود أقدم مخطوطة وصلت إلينا من ألف ليلة وليلة إلى القرن الحادي عشر الهجري، وقد كُتبت بلغة أقرب للعامية ومسجوعة أحيانًا، ولم يُعرف لها مؤلف، ولذلك عُدَّت أدبًا شعبيًا. وهي تصور حياة الحكام والتجار وحياة الفقراء، وتشيع فيها أجواء العجائب وعوالم الغرائب، وتكثر فيها قصص المغامرات المثيرة، مثل رحلات السندباد، وما شاهده من عجائب المخلوقات. ترجمها غالان إلى الفرنسية عام ١٨٠٤م، وترجمها إلى الإنجليزية برتُن بين عامي (١٨٨٢ و١٨٨٥م)، ثم تُرجمت بعد ذلك إلى مختلف اللغات. وظهرت أول طبعة عربية لألف ليلة وليلة عام ١٨١٤م عندما طُبعت في كلكتا، ثم طُبعت في القاهرة بمطبعة بولاق عام ١٨٣٥م. ثم توالت الطبعات. (الموسوعة العربية) و(ألف ليلة وليلة) د. سهير القلماوي.

مجمع الأمثال

يحكى أن الزمخشري بعدما ألف «المستقصى في الأمثال» اطلع على «مجمع الأمثال» للميداني، فأطال النظر فيه، وأعجبه جدًا، ويقال: إنه ندم على تأليفه المستقصى؛ لكونه دون مجمع الأمثال في حسن التأليف والوضع، وبسط العبارة، وكثرة الفوائد.

«كشف الظنون»

- **الميداني (ت: ٥١٨ هـ):**

أبو الفضل، أحمد بن محمد، قال ابن خلكان: «كان أديبًا فاضلًا، عارفًا باللغة، اختص بصحبة الواحدي صاحب التفسير، ثم قرأ على غيره ... وله التصانيف المفيدة، مثل: كتاب الأمثال، وكتاب السَّامي في الأسامي، وشرح المفضليات، والنحو الميداني، ونزهة الطَّرف في علم الصَّرف، ومُنية الراضي في رسائل القاضي[(١)].

- **الموضوع:**

في الأمثال، وهو من فروع علم اللغة، وهو معرفة الألفاظ الصادرة عن البليغ، المشتهرة بين الأقوام، بخصوص ألفاظها وهيئاتها وموردها وسبب ورودها وقائلها وزمانها ومكانها[(٢)].

---

(١) ترجم له في الأنساب: للسمعاني. والبداية والنهاية: لابن كثير. وشذرات الذهب: لابن العماد. وبغية الوعاة: للسيوطي. ومعجم الأدباء: لياقوت.

(٢) من كتب الأمثال: أمثال العرب: للمفضل الضبي (ت: ١٦٨ هـ). والأمثال: لأبي فيد، مؤرِّج بن عمرو السدوسي (ت: ١٩٥ هـ). والأمثال: لأبي عبيد، القاسم بن سلام =

- **الغاية من تأليف الكتاب:**

ألف الميداني هذا الكتاب تحقيقًا لرغبة الشيخ العميد ضياء الدولة، أبي علي، محمد بن أرسلان، حيث أشار عليه بجمع كتاب في الأمثال، مشتمل على غثها وثمينها، محتوٍ على جاهليِّها وإسلاميِّها.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب أفضل كتاب صنف في موضوعه، وذلك من حيث حسن التأليف، وبسط العبارة، وكثرة الفائدة، قال في أبجد العلوم: «وكتاب الأمثال للميداني، وهو من أجمع ما جمع فيه، والمشهور أن الإمام الزمخشري لما تأمّل كتاب الميداني ندم على أنه ألف كتابًا جامعًا في الأمثال، فقد ظن أنه حشد فيه، وجمع ما لم يتهيأ لغيره، وباهى بأن سماه «المستقصى» ثم تبين له أنه أقل فائدة وأهون جمعًا من كتاب الميداني».

وصرح الميداني بأنه رجع في تأليفه إلى أكثر من خَمسين كتابًا في الأمثال، نخل ما فيها فصلًا فصلًا وبابًا بابًا، قال: فطالعت من كتب الأئمة الأعلام ما امتد في تقصيه نفس الأيام. . . حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتابًا.

= (ت: ٢٢٤ هـ). والأمثال: لأبي عكرمة الضبي (ت: ٢٥٠ هـ). والفاخر في الأمثال: للمفضل بن سلمة (ت: ٢٩٠ هـ). وأمثال الحديث: للرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن (ت: ٣٦٠ هـ). وجمهرة الأمثال: لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥ هـ). والمستقصى في أمثال العرب: للزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ). ونكتة الأمثال: لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت: ٦٣٤ هـ).

- **مآخذ:**

اعتذر المؤلف لقرائه بقوله: وأنا أعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من خلل يراه أو لفظ لا يرضاه، فأنا كالمنكر لنفسه المغلوب على حسه وحدسه، منذ حطَّ البياض بعارضيَّ رحاله، وحال الزمان على سوادهما فأحاله، وأطار من وَكر هامتي خُداريَّه[١]، وأنحى على عود الشباب فمصَّ رِيَّه، وملكت يد الضعف زمام قواي، وأسلمني من كان يحطِب في حبل هواي.

- **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من ثلاثين بابًا، خصَّ ثمانية وعشرين بابًا منها لحروف المعجم.

الباب التاسع والعشرون: ذكر فيه أسماء أيام العرب وأيام الإسلام خاصة.

الباب الثلاثون: أورد فيه نبذًا من كلام النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

طريقته في الكتاب: يفتتح كل باب بذكر ما ورد في كتاب أبي عبيد، القاسم بن سلام، ثم يعقبه بما جاء على وزن أفعل من ذلك الباب، ثم يستعرض أمثال المولدين، ويقصد بذلك الأمثال التي جاءت بعد عصر الاحتجاج إلى عصره.

يحذف من أول المثل (الـ) التعريف، وكذلك الحال لألف الوصل والقطع والأمر والاستفهام، وألف المخبر عن نفسه.

يتعرض لما في المثل من اللغة والإعراب والقصص المتعلقة به.

بلغ عدد الأمثال التي أوردها المؤلف أكثر من ستة آلاف مثل.

---

(١) الخُدْرة: الظلمة الشديدة.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

اختصره تلميذه الخُويي، يوسف بن طاهر، وسماه «فرائد الخرائد» أسقط منه كما يقول: ما أُهمِلَ من الأمثال، وبعض ما قصّ من أخبار أولئك الأجلاف المجاهيل، وطبعته دار النفائس في الأردن.

نظم إبراهيم الأحدب الطرابلسي كل ما فيه من أمثال في منظومة سماها «فرائد اللآل في مجمع الأمثال» طبعته مطبعة اليسوعيين ببيروت.

المرأة العربية ودلالاتها في مجمع الأمثال للميداني: د. رسلان بني ياسين، ود. حسن الربابعة، نشرته جامعة اليرموك.

مجمع الأمثال، دراسة لغوية دلالية: أحمد جاسر عبد الله «رسالة ماجستير».

الميداني وكتابه الأمثال: د. أحمد محمد الضبيب، مجلة العرب، العدد ١٠ .

نشر المستشرق الهولندي «هنريك ألبرت شولتنز» الأستاذ بجامعة ليدن الكتاب لأول مرة سنة ١٧٧٣م.

ونشره المستشرق الألماني «فريتاخ» في بون سنة ١٨٤٣م مع ترجمته إلى اللاتينية.

وأول طبعة له في مصر سنة ١٨٦٧م في بولاق، بعناية قطة العدوي.

وطبع بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٥٩م، ط. المكتبة التجارية.

وكتب المستشرق الفرنسي «كاترمير» منتخبات من أمثال الميداني[١]،

---

(١) إتين مارك كاترمير (١٧٨٢- ١٨٥٧م) مستشرق فرنسي، ترجم عن العربية إلى لغته شطرًا من كتاب (السلوك لمعرفة الدول والملوك) للمقريزي، و(مقامات الحريري) وغيرهما، وله بالفرنسية مجلدان عن اللغة العربية وآدابها وعادات أهل البادية.

وكتب المستشرق الألماني «ماكسيميليان هابخت» نخبة من أمثال الميداني[١].

وترجمه المستشرق الإنجليزي «إدورد بوكوك» إلى الإنكليزية[٢].

(١) ماكسيميليان (أو ماكسيميليانوس) (١٧٧٥- ١٨٣٩م) مستشرق ألماني، وهو أول من طبع كتاب «ألف ليلة وليلة» في أوربا، وله «نخبة من أمثال الميداني».

(٢) إدورد بوكوك: (ت: ١٦٤٨) من القسيسين كأبيه، أقام في حلب خمس سنوات، وجمع نحو ٤٢٠ مخطوطة عربية، هي الآن في مكتبة بودلي بأكسفورد.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

وإذا كان ابن بسام يتوخى أن يكون كتابه دليلًا لأعلام الأندلس من الشعراء والكتاب، فإن سعة اطلاعه وغزارة ثقافته، قد جعلت كتابه يتعدى حدود هذا المسعى الأدبي، ليصبح موسوعة ثقافية تضم -إلى جانب النصوص الشعرية والنثرية- أخبارًا سياسية واجتماعية وأدبية، وملاحظات بلاغية ونقدية ولغوية، وإشارات ثقافية متنوعة.

«د. مصطفى الزباخ»

أستاذ التعليم العالي بكليتي علوم التربية والآداب بالرباط

- **ابن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢ هـ):**

أبو الحسن، علي بن بسام الأندلسي، أديب من الكتاب الوزراء، نشأ في بيت أدب وعلم، قال عنه في نفح الطيب: وشهرته تغني عن ذكره.

كان ملمًّا بالمعارف الأدبية والتاريخية واللغوية والدينية، ولما اضطربت الحياة في بلده «شنترين» اضطر إلى الترحال إلى إشبيلية، بسبب الحملات المسيحية، حيث كابد فيها ألوانًا من الحسد والمكائد وشظف العيش، له عدة مؤلفات تدور في أغلبها حول تخليد مآثر الإسلام في الأندلس؛ إلا أن أشهرها وأقيمها هو هذا الكتاب «الذخيرة»(١).

(١) شنترين: تقع في البرتغال اليوم، وهي مركبة من (شنت) و(رِين) مدينة متصلة بأعمال باجة في غربي الأندلس وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يومًا، وبينها وبين باجة أربعة أيام). (معجم البلدان: لياقوت).

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

يبدو من مقدمة المؤلف أنه ألف هذا الكتاب لتحقيق عدة غايات منها: إبراز مجالات الإبداع في الأندلس، ومعارضة المشارقة والتشبه بهم، مثل ابن عبد ربه في «العقد الفريد»، والثعالبي في «يتيمة الدهر»، وتخليد الوجود الأدبي والثقافي للمسلمين في الأندلس، حيث تزامن تأليف هذا الكتاب مع بداية الحملات المسيحية ضد المسلمين.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا الكتاب رائعة ابن بسام الباقية على مر الأيام، وأشهر كتاب ألف في شعراء الأندلس، ومن الموسوعات الأدبية الغنية بالتراجم الأندلسية، وأوفى مرجع عن أدباء الأندلس وأعيانها في القرن الخامس وبعض أدباء القرن الرابع، وكذلك بعض أدباء القرن السادس، وقد تميز الكتاب بإشراقة الصياغة، وجمال التمثيل، والنضج الثقافي، والواقعية، والروح الإسلامية، وبحفظ مادة تاريخية مهمة؛ يصلح بها لأن يكون وثيقة للأحداث التاريخية والتطورات السياسية في تلك المنطقة لعصري الطوائف والمرابطين، وأثبت المؤلف فيه تفوق بيئة الإبداع الأدبي على غيرها من البيئات.

قال د. أحمد مختار العبادي: «هذا الكتاب موسوعة أدبية تاريخية، تضمنت تراث القرن الخامس الهجري، وهي الفترة العلمية المزدهرة، التي جمعت بين عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف».

- **المنهج والأسلوب:**

اشتمل الكتاب على ذكر (١٥٤) ترجمة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم أو تقدموه قليلاً.

قسم الكتاب إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: خصه بترجمة قرطبة وما يصاقبها من بلاد الأندلس، تناول فيه أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب والأندلس، واشتمل على الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء.

القسم الثاني: خص به أهل الجانب الغربي من الأندلس، وذكر أهل حضرة إشبيلية وما اتصل بها، وتناول فيه أشعار أهل العراق والدول الديلمية .

القسم الثالث: خص به الجانب الشرقي من الأندلس، وتناول فيه أشعار أهل الجبل وفارس وطبرستان وأصفهان من وزراء الدول الديلمية وكتابها وشعرائها وقضاتها.

القسم الرابع: أفرده لمن طرأ على جزيرة الأندلس من أدباء وشعراء، وذكر فيه بعض شعراء أفريقيا والمشرق من أهل خراسان وما وراء النهرين من أدباء بخارى ونيسابور.

طريقته في العرض:

يبدأ في كل قسم بترجمة الملوك والرؤساء، ثم الكتاب، ثم الوزراء، ثم الشعراء، ثم المقلين، بعدما يستوفي الترجمة، يثبت مختارات من شعره أو نثره، كل ذلك بإسهاب وتفصيل .

● **المآخذ:**

اعتذر المؤلف ابن بسام لقارئيه عما قد يجدونه من ملاحظات على الكتاب، بقوله في المقدمة: ولعل بعض من يتصفحه سيقول: إني أغفلت كثيرًا، وذكرتُ خاملًا، وتركتُ مشهورًا، وعلى رسله، فإنما جمعته بين صعبٍ قد ذلَّ، وغَرْبٍ - أي نشاط - قد فلَّ، ونشاطٍ قد قلَّ، وشبابٍ ودَّعَ فاستقلّ، من تفاريق كالقرون الخالية، وتعاليق كالأطلال البالية، بخط جهال كخطوط الراح، أو مدارج النمل بين مهابّ الرياح، ضبطهم تصحيف، ووصفهم تبديل وتحريف، أيأس الناس منها طالبها، وأشدهم استرابة بها كاتبها، ففتحت أنا أقفالها وفضضت قيودها وأغلالها.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

يتيمة الدهر: للثعالبي؛ حيث جاء كتاب الذخيرة معارضة له[١].

حققه: د. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا ١٩٨١م.

وحققه: د. لطفي عبد البديع. الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥م.

وحققه: د. محمد رضوان الداية، نشر وزارة الثقافة السورية.

وحققه: سالم مصطفى البدري، نشر دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م[٢].

(١) يتيمة الدهر: للثعالبي (ت: ٤٣٠ هـ)، يعد أول وأوفى كتاب في تراجم شعراء القرن الرابع الهجري، وقد قسمه إلى أربعة أقسام، الأول: في شعراء الشام ومصر والموصل والمغرب والأندلس. الثاني: في شعراء العراق. الثالث: في شعراء فارس والجبل. الرابع: في شعراء خراسان وما وراء النهر.

(٢) المراجع:

مع المكتبة العربية: د. عبد الرحمن عطبة.

فنون النثر الأدبي بالأندلس: د. مصطفى الزباخ.

دراسات في التراث: مجلة عالم الفكر: المجلد ٨.

نهاية الأرب في فنون الأدب

إن منهج النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب منهج يضاهي أحسن مناهج عصرنا الحديث الذي تقدمت فيه صناعة التأليف أي تقدم، ولمنهجه الواضح المفيد، ولما يحوي الكتاب من موضوعات غزيرة المعاني والمطالب، وعلوم وفنون متنوعة مختلفة، يعد أحد الكتب الجامعة الهامة ذات المواد العامة.

«د. عبد الحليم الندوي»

- **النويري (٦٧٧ - ٧٣٣ هـ).**

شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب، كان فقيهًا، مؤرخًا، أديبًا، عالمًا غزير الاطلاع، وكان زكي الفطرة، حسن الشكل، فيه مكرمة وأريحية وود لأصحابه، وكان يعمل في النسخ، فكان يبيع النسخة من البخاري بألف درهم، والنسخة من نهاية الأرب بألف درهم، كما ذكر ذلك ابن كثير، اتصل بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فوكله في بعض أموره.

- **موضوعه:**

في المحاضرات، وتشمل العلم والأدب، والتاريخ والجغرافيا، واللغة والسياسة والاجتماع، والطب، والفلك، والحيوان، والنبات.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب أنموذجًا للموسوعات التي كتبت في العصر المملوكي، قال النويري: «فامتطيت جواد المطالعة وركضتُ في ميدان المراجعة، وحيثُ ذلَّ لي مركبها، وصفا لي مشربها، آثرتُ أن أجرِّد كتابًا أستأنس به

وأرجع إليه، وأعوّل فيما يعرض لي من المهمات عليه، فاستخرت الله سبحانه وتعالى، وأثبتُ منها خمسة فنون حسنة الترتيب، بيّنة التقسيم والتبويب. . . وما أوردت فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل عليه»[١].

قال الزركلي: «نهاية الأرب في فنون الأدب كبير جدًا، وهو أشبه بدائرة معارف؛ لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره».

وقال في الموسوعة العربية الميسرة: «وفي العصور الوسطى بذلت محاولات متعددة، فقد كتب العلامة النويري موسوعته الكبيرة نهاية الأرب في فنون الأدب، في ثلاثين مجلدًا، ورتبها على خمسة فنون، جمع فيه النويري خلاصة التراث العربي، وقد ضاع الكتاب في القرون الأخيرة، حتى عثر المرحوم أحمد زكي باشا على نسخة منه في إحدى مكتبات الآستانة، فنقل منه صورة شمسية وحملها إلى القاهرة، وتألفت لجنة لتحقيقه وطباعته، وتأتي قيمة الكتاب في أنه نموذج فذٌّ لترتيب التراث الأدبي».

● **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من خمسة مواضيع رئيسة، سمى كل موضوع فنًا يندرج تحت كل فن أقسام[٢].

الفنّ الأول في السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السُّفلية: تكلم فيه عن السماء وما فيها، والليالي والأيام والشهور، والأعوام والفصول، والمواسم

---

(١) نهاية الأرب: للنويري (٢٥/١).

(٢) انظر: منهج النويري في كتابه نهاية الأرب: د. عبد الحليم الندوي دار الفكر.

والأعياد، والأرض والجبال والبحار والجزائر والأنهار والعيون، وطبائع البلاد وأخلاق ساكنيها وخصائصها، والمباني القديمة والمعاقل والقصور والمنازل.

الفنّ الثاني في الإنسان وما يتعلق به: تكلم فيه عن تسمية الإنسان، وتنقلاته، وطبائعه، ووصف أعضائه، والغزل والنسب والعشق والهوى، والأنساب، والأمثال المشهورة عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة، والمشهور من أمثال العرب وأوابدهم، وأخبار الكهنة، والزجر والفأل والطير، والفراسة والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجي، والألغاز، والمدح والهجاء، والمجون، والفكاهات والمُـلَح، والخمر والمعاقرة والندمان والقيان، وآلات الطرب، والتهاني والبشائر، والمراثي، والزهد والتوكل والأدعية، والملك وما يشترط فيه، والوزارة، وقادة الجيوش، وأوصاف السلاح، والمناصب الدينية، والكتاب والبلغاء.

الفنّ الثالث في الحيوان: تكلم فيه عن السِّباع، والوحوش، والظِّباء، والخيل والبغال والحمير، والإبل، والبقر والغنم، وذوات السُّموم، والطَّير والسَّمك، وآلات صيد البرِّ والبحر.

الفنّ الرابع في النبات: تكلم فيه عن أصل النبات، وما يتصل به من ذكر الأقوات والخضروات والأشجار والفواكه، والرياض والأزهار، وأصناف الطيب والبخورات والأدوية.

الفنّ الخامس في التاريخ: تناول فيه الحديث عن مبدأ خلق آدم وحواء وأخبارهما، ومن كان بعد آدم إلى نهاية خبر أصحاب الرس، وذكر قصة إبراهيم وقصة لوط، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وذي الكفل، وشعيب، وموسى، وعيسى، وأنبياء بني إسرائيل، وأخبار ملوك الأصقاع،

وملوك الأمم والطوائف، وسيل العرم، ووقائع العرب في الجاهلية، وأخبار الملة الإسلامية، وفيه سيرة النبي ﷺ وأخبار الخلفاء الراشدين، وأخبار الدولة الأموية والعباسية والعَلَوِيَّة، ودول ملوك الإسلام.

اشتمل الكتاب على ذكر جميع العلوم والفنون التي كانت رائجة في زمن المؤلف.

ضمّنه الأمثال السائرة، والنوادر، والمجون، والخطب، والمقالات، والأخبار، والحكايات، والعهود والمواثيق، والأشعار.

طريقته في العرض:

يبدأ في كل فن وفي كل باب بذكر آيات من القرآن الكريم، ثم بالأحاديث، ثم بأقوال الخلفاء الراشدين، والعلماء والحكماء، مما له صلة بالموضوع الذي يريد الحديث عنه.

وقد ألزم المؤلف نفسه بأسلوب السجع الذي كان سائدًا في عصره.

● **مآخذ:**

قال المؤلف معتذرًا عما قد يجده القارئ من اعتراضات عليه: «تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلي، فإن يكن اعتراض فعلى علاهم لا عليّ العار، وقد علمت أنه من صنف كتابًا فقد استهدف، وأصمّ الأسماع وإن كان لبعضها قد شنف».

وأخذ على المؤلف عدم عزوه المرويات إلى مراجعها.

● **كتب ذات صلة:**

استمد المؤلف مادته العلمية والأدبية والتاريخية من أكثر من مئة كتاب ومرجع، لذلك فهو يعد تلخيصًا ونقلًا لهذه المراجع .

لخص المؤلف فيه حوالي ثلاثين كتابًا من كتب الأدب، كالأغاني، وفقه اللغة، ومجمع الأمثال.

نشر الجزء الخاص بالأندلس مع ترجمته المستشرق الأسباني «ماريا نوجبار ريميرو» وصدر في مدريد سنة ١٩١٧م.

وطبع الكتاب بتحقيق د. مفيد قميحة وآخرين، بدار الكتب العلمية في (٣٣) مجلداً، سنة ٢٠٠٤م.

۞ ۞ ۞

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

والحق أن كتاب «صبح الأعشى» هو في حقيقة أمره موسوعة علمية ضخمة، وإن ما تحويه هذه المجموعة من مادة غزيرة أعظم من أن يحيط بها فرد واحد، مهما تبلغ سعة علمه.

«د. سعيد عبد الفتاح عاشور»

- **القلقشندي (٧٥٦ - ٨٢١ هـ):**

أحمد بن علي الفزاري القلقشندي القاهري، أبو العباس، شهاب الدين، مؤرخ أديب بحاثة، وهو من أسرة علم، التحق بديوان الرسائل وناب في الحكم، من مصنفاته «حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السّيف والقلم»، و«نهاية الأرَب في معرفة قبائل العرب»(١).

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب من أمهات كتب الأدب، ودائرة معارف ينتظم فيها ما كان سائدًا من الثقافة والعلوم في عصر المؤلف، وهو موجه في الأصل إلى ناشئة الكُتاب لتنبيههم إلى ما يجب عليهم أن يستوعبوه من فنون المعرفة؛ لكي يشتد ساعدهم في الكتابة، ويشكّل مصدرًا أساسًا للمعلومات حول بعض الموضوعات، مثل الألقاب الإسلامية وأصولها ومعانيها، وتطور استعمالها عبر التاريخ، كما يعد أضخم موسوعة وصلتنا في أدب الإنشاء ومراسلات الملوك، أودع فيه أهم وثائق ديوان الإنشاء بمصر، الذي تولى

(١) القلقشندي: نسبة إلى قلقشندة من قرى القليوبية، بمصر.
وانظر ترجمته في إنباء الغمر بأبناء العمر: لابن حجر، والضوء اللامع: للسخاوي.

رئاسته حقبة من مطلع القرن التاسع الهجري، إضافة إلى الكثير من رسائله الأدبية. قال في كشف الظنون: «لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها، وجعل بابًا من أبوابه مخصوصًا بعلم الخط وأدواته».

● **الباعث على تأليف الكتاب:**

قال المؤلف مبيِّنًا الباعث له على تأليف هذا الكتاب: «لما كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها، وأربح البضائع وأنفعها، وأفضل المآثر وأغلاها، لا سيما كتابة الإنشاء، التي هي بمنزلة سلطانها، وإنسان عينها، بل عين إنسانها، لا يلتفت الملوك إلا إليها، ولا يعول في المهمات إلا عليها... أشار منْ رأيُه مقرون بالصواب، ومشورتُه عَريّة عن الارتياب، - ويقصد القاضي بدر الدين بن فضل الله العمري، رئيس ديوان الإنشاء - أن أتبعها - أي رسالة الكواكب الدرية - بمصنف مبسوط، يشتمل على أصولها وقواعدها، ويتكفل بحل رموزها وذكر شواهدها... فامتثلت أمره».

● **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من مقدمة، وعشر مقالات، وخاتمة.

أما المقدمة: فهي مكونة من خمسة أبواب، تناول فيها المبادىء التي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء، وفضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حمقاهم، وعرَّف الكتابة لغة واصطلاحًا، وبيَّن معنى الإنشاء، وذكر صفات الكتّاب وآدابهم، وعرف بحقيقة ديوان الإنشاء، وذكر قوانين ديوان الإنشاء، وترتيب أحواله، وآداب أهله.

وأما المقالات: فقد اشتملت كل مقالة على عدة أبواب، واشتمل كل

باب على عدة فصول، عالج في كل فصل موضوعًا من المواضيع.

المقالة الأولى: في الكتابة، وتاريخ ديوان الإنشاء؛ وما يحتاج إليه الكاتب بالجملة من مواد الإنشاء، من معرفة اللغة والنحو، وحفظ كتاب الله تعالى، والكثير من السنة النبوية، وخطب البلغاء ورسائلهم ومكاتباتهم ومحاوراتهم، وأشعار العرب، ومن الأمور العملية، كالخطِّ وتوابعه ولواحقه، ثم أورد المؤلف وصية عبد الحميد الكاتب التي كتبها إلى الكتاب يوصيهم فيها. وذكر العلوم المتداولة بين العلماء والمشهور من الكتب المصنفة فيها(١).

---

(١) أرجع المؤلف المقصد من العلوم المتداولة بين العلماء إلى سبعة أصول، يتفرع عنها أربعة وخمسون علمًا، الأصل الأول: علم الأدب، وفيه عشرة علوم، الأول علم اللغة، الثاني علم التصريف، الثالث علم النحو، الرابع علم المعاني، الخامس علم البيان، السادس علم البديع، السابع علم العروض، الثامن علم القوافي، التاسع علم قوانين الخط، العاشر قوانين القراءة. الأصل الثاني: العلوم الشرعية، وفيه تسعة علوم، الأول علم النواميس المتعلق بالنبوات، الثاني علم القراءات، الثالث علم التفسير، الرابع علم رواية الحديث، الخامس علم دارية الحديث، السادس علم أصول الدين، السابع علم أصول الفقه، الثامن علم الجدل، التاسع علم الفقه. الأصل الثالث: العلم الطبيعي، وفيه اثنا عشر علمًا، الأول علم الطب، الثاني علم البيطرة، الثالث علم البيزرة، الرابع علم الفراسة، الخامس علم تعبير الرؤيا، السادس علم أحكام النجوم، السابع علم السحر، الثامن علم الحرف والأوفاق، التاسع علم الطلسمات، العاشر علم الكيماء، الحادي عشر علم الفلاحة، الثاني عشر علم ضرب الرمل. الأصل الرابع: علم الهندسة، وفيه عشرة علوم، الأول علم عقود الأبنية، الثاني علم المناظر، الثالث علم المرايا المحرقة، الرابع علم مراكز الأثقال، الخامس علم المساحة، السادس علم إنباط المياه، السابع علم جر الأثقال، الثامن علم البنكامات «أي الساعات»، التاسع علم الآلات الحربية، العاشر علم الآلات الروحانية. الأصل الخامس: علم الهيئة، وفيه خمسة علوم: الأول علم الزيجات «التقاويم»، الثاني علم المواقيت، الثالث علم كيفية =

المقالة الثانية: في الجغرافيا بمختلف فروعها؛ تكلم فيها عن شكل الأرض، وإحاطة البحر بها، وبيان جهاتها الأربع، وما اشتملت عليه من الأقاليم السبعة الطبيعية، وفي ذكر البحار، وفي ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء الراشدين، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وخلفاء الفاطميين، وخلفاء الأندلس، وعن مدّعي الخلافة من بقايا الموحدين بأفريقية، وعن الديار المصرية، والبلاد الشامية، والبلاد الحجازية، وفضائل كل ديار ومحاسنها، وخواصها، وعجائبها، وآثارها.

المقالة الثالثة: في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتبات والولايات وغيرهما، من ذكر الكنى، والألقاب، ومقادير قطع الورق وما يناسبها من الأقلام، والبياض الذي يراعيه الكاتب وكيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء، ونحو ذلك.

المقالة الرابعة: وهي أهم مقالات الكتاب وأضخمها، إذ تضم مصطلحات المكاتبات الدائرة بين ملوك الشرق والغرب، منذ بداية الإسلام، وألقاب الملوك وأرباب المناصب، أودع فيها نوادر الرسائل، وذكر فيها مقدمات المكاتبات، من حسن الافتتاح، وبراعة الاستهلال، وكون المقدمة تتناسب مع المكتوب، وفي مقاصد المكاتبات، كالبشارة، والحث على الجهاد، والتهنئة ببعض المناسبات، والصرف عن الخدمة،

= الأرصاد، الرابع علم تسطيح الكرة، الخامس علم الآلات الظلية. الأصل السادس: علم العدد المعروف بالأرتماطيقي، وفيه خمسة علوم، الأول علم الحساب، الثاني علم حساب التخت والميل، والثالث علم الجبر والمقابلة، الرابع علم حساب الخطأين، الخامس علم حساب الدور والوصايا. والأصل السابع: العلوم العملية، وفيه ثلاثة علوم، الأول علم السياسة، الثاني علم الأخلاق، الثالث علم تدبير المنزل.

والإبلال من المرض، والعود من الحج، والقدوم من السفر، والتعازي، والشفاعات، والتهادي، والتزويج، والشكر، والشكوى، والاعتذار، والعتاب، والمداعبة، وتكلم عن معرفة إخفاء ما في الكتب من السر.

المقالة الخامسة: عرض للبيعات والعهود والكثير من النصوص الرسمية.

المقالة السادسة: فيما يكتب في الوصايا الدينية، وتصاريح الخدمة السلطانية «الطرخانيات»(١) والإطلاقات، والأوقاف.

المقالة السابعة: في الإقطاعات والقطائع وأحكامها ونماذج منها .

المقالة الثامنة: في الأيمان وأنواعها، ويمين كل ملة وطائفة .

المقالة التاسعة: في عقد الصلح والفسوخ، وعهود الأمان، وكيف تعقد لأهل مختلف الملل، والهدن وأنواعها وصيغها.

المقالة العاشرة: في فنون من الكتابة التي لا علاقة لها بالإنشاء ويتداولها الكتاب، كالمقامات والرسائل والهزليات .

الخاتمة: تكلم فيها عن أمور لها علاقة بالإنشاء، كالبريد وتاريخه، والحمام الزاجل، والثلج وطرق نقله.

أورد نماذج لإجازات الفتيا والتدريس، وعِراضة الكتب، ووثائق الأمان، والأيمان، ونصوص تقليد المناصب بإمارة الحج، والسلطنة، والنيابة، والنظر بالبيمارستان، وكتابة السر، وقاضي القضاة، والوزارة، وتقدمة العسكر، والتواقيع بالتدريس، ونظارة المدرسة، وبنقابة الأشراف، وبنظر الجيش، وبنظر الدواوين، وبنظر الخزانة الكبرى، وبنظر البيوت

---

(١) الطرخان في التركية: أن يسمح للشخص المتقاعد بالإقامة حيث يشاء.

والحاشية، وبنظر السلاح، وبرئاسة الطب، وبمشيخة الشيوخ، ونحو ذلك.

اشتملت هذه المقالات على زهاء (٢٥٠٠) مصطلح، يندر العثور عليها في غيره من الكتب[1].

- **كتب ذات صلة:**

- طبع الكتاب عدة طبعات منها:

طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة بين عامي ١٩١٣ - ١٩٢٢.

- كما طبع الكتاب بإشراف: د. سعيد عبد الفتاح عاشور سنة ١٩٧٠م.

- وشرحه وعلق عليه وفهرسه: محمد حسين شمس الدين ١٩٨٩م.

۞ ۞ ۞

---

(١) قام بجمعها والتعريف بها محمد قنديل في كتابه «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى».

المستطرف من كل فن مستظرف

ولا شك أن كتابه المستطرف أكثر كتبه «أي الأبشيهي» أهمية، وأوسعها انتشارًا، فهو كتاب ممتع، وسمير مؤنس، يشدك إليه، ويأخذ بمجامع قلبك، فلا تجد سبيلاً للخلاص من رفقته ومعاشرته، لأنه يجمع بين دفتيه كل ما ينمّي الروح، ويهذّب الأخلاق، ويصقل الفكر والضمير.

«د.محمد مفيد قميحة»

- **الأبشيهي (٧٩٠ - ٨٥٢ هـ):**

محمد بن أحمد، بهاء الدين، أبو الفتح، حفظ القرآن الكريم وصلى به وهو ابن عشر سنين، وتلقى العلوم الشرعية على بعض علماء عصره، كالجلال البلقيني وغيره، وتولى الخطابة في بلده بعد وفاة أبيه، وله شعر لم يصل إلى حد الجودة. وله عدة مؤلفات منها «أطواق الأزهار على صدور الأنهار» في الوعظ، و«تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين»(١).

- **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أن السبب الداعي له لتأليف هذا الكتاب: هو أنه رأى جماعة من ذوي الهمم، جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم، وبسطوا مجلدات في التواريخ والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ورقائق الأشعار، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة، وتفرد كل واحد منها بفرائد لم تكن في غيره من الكتب محصورة، فاستخار الله تعالى، وجمع من

(١) في الضوء اللامع للسخاوي ترجمة للإبشيهي جاء فيها: وتعانى النظم والتصنيف في الأدب وغيره، ولكنه لعدم إلمامه بشيء من النحو يقع فيه وفي كلامه اللحن كثيرًا .

جموعها هذا المجموع اللطيف، وجعله مشتملاً على كل فن ظريف.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يكتسب هذا الكتاب قيمته العلمية من كونه كتاب موسوعي، شامل لأطراف متباينة من فنون الأدب والحكمة، ولا يرتكز على موضوع واحد.

قال حاجي خليفة: «وهو مشتمل على كل فن ظريف، وفيه الاستدلال بآيات القرآن، وأحاديث صحيحة، وحكايات حسنة عن الأخيار، ونقل فيه كثيرًا مما أودعه الزمخشري في «ربيع الأبرار» وابن عبد ربه في «العقد»، وفيه لطائف عديدة من منتخبات الكتب المفيدة، وأودعه من الأمثال والنوادر الهزلية، والغرائب والدقائق والأشعار والرقائق».

● **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من أربع وثمانين بابًا، تناول في كل باب قضية من القضايا، ويندرج تحت كل باب عدة فصول في بعض الأحيان.

تناول الكتاب أكثر الجوانب العلمية والثقافية والدينية التي تهم القارىء.

بدأ بالحديث عن مباني الإسلام وعلومه وآدابه، ثم تحدث عن أضداد هذه الأخلاق.

وتكلّم عن الملك والسلطان، وما يجب في صحبتهما، وما يتعلق بذلك من الوزراء، والحجاب، والولاة، والقضاة، والرشوة، والهدية.

وتكلّم عن الزينة، والعافية والمرض والأدواء، وأخبار المعمَّرين.

وتكلّم عن الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والجن.

وتكلّم عن الحيوانات وخواصها .

وتكلّم عن عجائب المخلوقات، وعجائب الأرض والجبال.

وتكلّم عن الفنون والغناء والألحان والعشق والعشاق.

وتكلّم عن النساء وصفاتهن ونكاحهن، وما يتصل بذلك .

ومن نوادره فيه: حديثه عن الأمثال العامية، على حروف المعجم، ميَّز عنها أمثال النساء في معجم مسستقل .

وتكلّم عن البحار والأنهار وسائر المياه وعجائبها.

وتكلّم عن المعادن والأحجار وخواصّها.

وتكلّم عن رقائق الشعر والمواليا والدوبيت والأوزان المستحدثة.

وأورد العديد من نوادر العرب، والقراء، والفقهاء، والقضاة، والنحاة، والمعلمين، والمتنبئين، والمؤذنين، وغيرهم.

وتكلم عن الحرف وأصحابها .

طريقته في العرض: يبدأ الباب غالبًا بذكر الآيات التي تتناسب مع العنوان، ثم يتبعها بأحاديث نبوية حول المعنى، ويردفها بالقصص والحكم والقصص والأشعار والنكات الطريفة.

● **مآخذ:**

أخذ على الكتاب الاستطراد أو التعليق الذي قد يبدو مقحمًا في بعض المرات.

كما أخذ عليه إيراده بعض الألفاظ العامية في بعض النثر أو الشعر الذي يستشهد به.

كما أخذ عليه إيراده بعض غرائب الأحاديث التي تحتاج إلى التوثيق.

ويأخذ عليه ذكره ملوك الفرس قبل الإسلام، والثناء عليهم، وإظهار مآثرهم، وكأنهم ملوك الإسلام.

وهو على ما فيه من الحكم والأخلاق، وذكر آداب العرب الحميدة، والنوادر والملح والمستغربات، يكثر فيه النقل عن الإسرائيليات دون تمحيص.

وأخذ عليه توسعه في ذكر الجواري والنساء.

وأخذ عليه إيراده الشعر الذي يمدح الخمر ويزينها.

● **طبعاته:**

- طبع بالعربية في القاهرة لأول مرة سنة ١٣٠٤هـ.
- وحققه: عبد الله أنيس الطباع، دار القلم بيروت، سنة ١٩٨١م.
- وحققه: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية لبنان، ١٩٩٣م.
- وترجم إلى اللغة التركية، وطبعت تلك الترجمة في الأستانة سنة ١٨٤٦م.
- وترجم إلى الفرنسية، بعناية المستشرق «رايت» سنة ١٩٠٢م.

المزهر في علوم اللغة

يعتبر كتاب المزهر من خير الكتب التي ألفها جلال الدين السيوطي، فقد جعله في أنواع اللغة العربية... يذكر كثيرًا من مفرداتها وأمثالها وشعرها.

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

أراد السيوطي أن يبتكر ترتيبًا جديدًا في تصنيف علوم اللغة، فكتب هذا الكتاب، قال: «هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه، واخترت تنويعه وتبويبه، وذلك في علوم اللغة، وأنواعها، وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع، وأتيت به بعجائب وغرائب حسنةَ الإبداع، وقد كان كثير ممن تقدم يُلمُّ بأشياء من ذلك، ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك، غير أن هذا المجموع لَم يسبقني إليه سابق، ولا طرق سبيله قبلي طارق، وقد سميته المزهر في علوم اللغة»(١).

● **المنهج والأسلوب:**

ذكر السيوطي أن كتابه هذا اشتمل على بيان خمسين نوعًا من فنون اللغة العربية، وقد رد الأنواع التي استعرضها إلى ثمانية أصناف رئيسة، هي:

الصنف الأول: ثمانية أنواع راجعة إلى اللغة من حيث الإسناد، وهي معرفة الصحيح - ويقال له الثابت والمحفوظ- تكلم فيه عن تعريف اللغة،

---

(١) السيوطي (ت: ٩١١هـ): تقدمت ترجمته في الإتقان.
صنّف في كل علم، وتحدث في كل فن، ودرّس، وأفتى، وساجل، وناظر، وخاصم وخوصم، ودوّى ذكره في الآفاق. انظر «مجلة التراث العربي» ملف خاص بالسيوطي. العدد: ٥١، سنة ١٩٩٣م، صادرة عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

ووضعها، وأصلها، وألفاظها، ودلالاتها، وسبب اختلاف لغات العرب، وكتبها، ومعرفة ما روي من اللغة ولَم يصح ولَم يثبت. ومعرفة المتواتر والآحاد، ومعرفة المرسل والمنقطع. ومعرفة الأفراد - بين فيه حكم ما انفرد واحد بروايته والأمثلة على ذلك -. ومعرفة من تقبل روايته ومن تردّ. ومعرفة طرق الأخذ والتحمل، وهي ستة: السماع من لفظ الشيخ، والقراءة على الشيخ، والسماع على الشيخ بقراءة غيره، والإجازة، والمكاتبة، والوِجادة. ومعرفة المصنوع: وهو الموضوع، ويُذكر في المدرج والمسروق.

الصنف الثاني: ثلاثة عشر نوعًا راجعًا إلى اللغة من حيث الألفاظ، وهي معرفة الفصيح، ذكر فيه معناه، وأقسامه، ورتبه. ومعرفة الضعيف، والمنكر، والمتروك من اللغات، ومعرفة الرديء المذموم، ومعرفة المُطَّرد والشاذ، ومعرفة الحوشيِّ والغريب، والشَّاذ والنَّادر، والمهمل والمستعمل، والمفاريد - أي الذي لا نظير له في الألفاظ المسموعة، أو أنَّ المتكلم به من العرب واحدٌ ويخالف ما عليه الجمهور - ومختلف اللغة، وتداخل اللغات وتوافقها، والمعرّب، والألفاظ الإسلامية، والمولد.

الصنف الثالث: ثلاثة عشر نوعًا راجعًا إلى اللغة من حيث المعنى، وهي معرفة خصائص اللغة، ومعرفة الاشتقاق، والحقيقة والمجاز، والمشترك، والأضداد، والمترادف، والإتباع - وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعًا وتأكيدًا، مثل حظيت وبظيت - والخاص والعام، والمطلق والمقيَّد، والمشجَّر - وهو مداخلةُ الكلام للمعاني المختلفة - والإبدال، والقلب، والنحت.

الصنف الرابع: خمسة أنواع راجعة إلى اللغة من حيث مُلَحها ولطائفها، وهي معرفة الأمثال، ومعرفة الآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والإخوة

والأخوات، والأذواء والذوات، وما ورد بوجهين (بحيث يُؤْمَنُ فيه التَّصحيف)، وما وَرَدَ بوجهين (بحيث إذا قرأه الألثغ لا يُعاب)، ومعرفة الملاحن، والألغاز، وفتيا فقيه العرب.

الصنف الخامس: هو نوع واحد راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها وهو معرفة الأشباه والنظائر.

الصنف السادس: ثمانية أنواع راجعة إلى رجال اللغة ورواتها، وهي معرفة أدب اللغوي، ومعرفةُ كتابة اللغة، والتصحيف والتحريف، ومعرفة الطبقات والحفاظ، والثقات والضعفاء، ومعرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب، والمؤتلف والمختلف، والمتفق والمفترق، والمواليد والوفيات.

الصنف السابع: في معرفة الشّعر والشُّعراء.

الصنف الثامن: في معرفة أغلاط العرب.

استوعب المؤلف في هذا الكتاب كثيرًا مما في كتب اللغة العربية التي سبقته.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

طبع الكتاب بتحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، ط. عيسى البابي الحلبي.

دراسة وصفية في كتاب المزهر للسيوطي: د. خالد أحمد المشهداني. دار سعد الدين، سوريا، ٢٠١٠م.

نفح الطيب

وصنَّف المَقري كتبًا كثيرة، كلها ممتع، وكلها مفيد أعظم الفائدة، وتمتاز كتبه الأدبية بصفاء العبارة، ونقاء الديباجة، وإشراق المعنى ووضوحه، وهو في ذلك كله يتأسّى بلسان الدين ابن الخطيب، وزير الأندلس وأديبها، وينسج على منواله، ولكنَّ كتب ابن المقري تمتاز بظاهرة ليست في كتب لسان الدين، هذه الظاهرة هي استطراداته الكثيرة، وخروجه عما يعقد له الباب.

«الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد»

- **المقريّ (٩٩٢ - ١٠٤١ هـ):**

أبو العباس، أحمد بن محمد، أديب، حافظ، مؤرخ، فقيه، مفتٍ، قاضٍ، له شعر حسن، وأخبار ومطارحات مع أدباء عصره، ولد ونشأ في تلمسان بالمغرب، ثم انتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها، ثم انتقل إلى القاهرة فتزوج بها، ثم انتقل إلى دمشق، فأقبل الناس على دروسه في المسجد الجامع، حتى نقل مكان درسه من وسط الجامع إلى صحنه الخارجي، له نحو ثلاثين كتابًا في التاريخ والتراجم والفقه والعقيدة وغير ذلك، منها «أزهار الرياض في أخبار عياض»، و«روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس»، و«نفح الطيب»[١].

(١) المَقريّ: على وزن (المهدي) نسبة إلى (مَقْرة)، وقال صاحب (تاج العروس): وقد تشدد القاف، وبه اشتهرت الآن. وكتب عن المقري كل من الحبيب الجنحاني التونسي. وعثمان الكعاك التونسي. ود. محمد بن عبد الكريم الجزائري.

● **سبب تأليف الكتاب:**

هذا الكتاب ثمرة زيارة المقري لدمشق، حيث حدث تلاميذه فيها عن لسان الدين ابن الخطيب، فألحوا عليه أن يجمع لهم أخباره في كتاب؛ وكان أحمد الشاهيني، الوجيه الدمشقي، المدرس بالمدرسة الجقمقية أشدهم إلحاحًا في ذلك، فألَّفَ المَقريّ هذا الكتاب إجابةً لطلبهم، يضاف إلى ذلك سبب آخر، هو رغبة المؤلف في أن يعرِّف المشارقة على التراث الأندلسي والمغربي بشكل عام.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا الكتاب من أهم المراجع التي تحدثت عن الأندلس ورجالها وأدبائها، ووثيقة تاريخية وأدبية عن تاريخ المنطقة، لما حواه من معلومات مفصلة عن الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية، وهو صلة ثقافية بين المشرق والمغرب، وهو أقدم كتاب أندلسي ظهر للنور وعرفته المطبعة العربية، وكان مصدراً لأكثر ما عرفه المشارقة عن الأندلس في مدى مائة عام أو أكثر. قال د. إحسان عباس: «إن كتاب النفح قد اتخذ الطابع الموسوعي الذي يجعله مغنيًا عن عشرات الكتب، لصعوبة الرجوع إلى تلك الكتب مجتمعة في نطاق؛ حيث اعتمد المقري في تأليفه على مصادر لَم يصلنا أكثرها بالصورة التي وصلته».

● **المآخذ:**

أخذ على المؤلف كثرة الاستطراد، والخروج عن الموضوع لأدنى مناسبة، والتكرار، والعودة للموضوع الواحد أكثر من مرة، وكثرة السجع، وتكلفه في بعض الأحيان.

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ المؤلف الكتاب بمقدمة طويلة، ذكر فيها منهجه في الكتاب، وتحدث فيها عن رحلاته، وحنينه إلى وطنه، وما قاله في ذلك، ووصف فيها دمشق ومدحها ومدح أهلها، وقد قسم الكتاب إلى قسمين.

القسم الأول: تناول فيه تاريخ الأندلس، وجعله على ثمانية أبواب.

الباب الأول: في وصف جزيرة الأندلس.

الباب الثاني: في فتح الأندلس.

الباب الثالث: في سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامي.

الباب الرابع: في ذكر قرطبة والزهراء والزاهرة، تحدث عن رجال قرطبة وعلمائها وأدبائها وشعرائها وعلمهم وذكائهم.

الباب الخامس: في التعريف ببعض من رحل من الأندلس للمشرق.

الباب السادس: في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من المشرق.

الباب السابع: في ذكر نبذة من فضائل أهل الأندلس.

الباب الثامن: خروج الأندلس عن يد المسلمين.

القسم الثاني: عن ابن الخطيب، وجعله على ثمانية أبواب.

الباب الأول: في ذكر أولية لسان الدين، وذكر أسلافه.

الباب الثاني: في نشأته، وترقّيه، ووزارته، وسعادته.

الباب الثالث: في ذكر مشايخه.

الباب الرابع: في ذكر مخاطبات الملوك والأكابر الموجهة إليه.

الباب الخامس: في إيراد جملة من نثره.

الباب السّادس: في مصنفاته.

الباب السّابع: في ذكر بعض تلامذته.

الباب الثامن: في ذكر أولاده[١].

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

- اعتنى به مجموعة من المستشرقين، هم: «دوزي، ودوج، وكريل، ورايت» واقتصر على القسم الأندلسي، وطبع في «ليدن بهولندا».

قال د. إحسان عباس: «وخير طبعة ظهرت منه طبعة دوزي في ليدن ١٨٥٥م، حيث نشروا الكتاب في قسمين، يحتوي كل قسم على جزءين، وألحقوا بذلك جزءاً صغيراً يضم الفهارس والتصويبات»[٢].

- ثم طبع الكتاب عدة طبعات؛ كان أولها طبعة بولاق سنة ١٢٧٩هـ - ١٨٦٢م.

- ثم طبع في المكتبة التجارية بالقاهرة، بإشراف الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٤٩م.

- وحققه، وفهرسه: د. إحسان عباس، طبعة دار صادر ١٩٦٨م.

- وأشرف على طباعته: د. مريم قاسم طويل، ود. يوسف علي طويل، سنة ١٩٩٥م.

- وترجمه إلى الأسبانية: كيانجوس دون باسكوال[٣].

---

(١) لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي الأندلسي: محمد بن عبد الله (ت: ٧٧٦ هـ) مؤرخ، أديب، نبيل، وزير بني الأحمر، عظمت مكانته عندهم، ثم وجهت له تهمة الزندقة، وأفتى بعض العلماء بقتله، كان يلقب بذي الوزارتين (السيف والقلم)، درس الطب والفلسفة والشريعة والأدب، وترك آثارًا متعددة بلغت ٦٠ كتابًا.

(٢) رينهارت دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣م) مستشرق هولندي، معروف بأبحاثه حول تاريخ العرب في إسبانية.

(٣) كيانجوس: (١٨٠٩-١٨٩٧م) مستشرق إسباني، أستاذ اللغة العربية في مدريد.

كتاب سيبويه

والحق أن كتاب سيبويه ـ في النحو والصرف ـ كان من القوة بحيث كان المرجع في العالم الإسلامي، من تاريخ تأليفه إلى اليوم، وكل ما خطه الناس أنهم شرحوا غامضًا، أو اختصروا مطولًا، أو بسطوا مفصلًا.

«أحمد أمين»

- **سيبويه (١٤٨ - ١٨٠ هـ):**

أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الحارثي بالولاء، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، وكانت في لسانه حَبْسَة، وكان أنيقًا جميلًا، قدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد، ورحل إلى بغداد ولازم كبار الأئمة والشيوخ في عصره، منهم حماد بن سلمة، والأخفش الأكبر، وعيسى بن عمرو الثقفي، وابن النديم، وابن الأنباري، يروى في سبب تعلمه النحو: أنه جاء إلى حماد بن سلمة مع قوم يكتبون الحديث. قال حماد: فكان فيما أمليت ذكر «الصَّفا» فقلت: صعد رسول الله ﷺ الصفا، وكان هو الذي يستملّ، فقال: صعد النبي ﷺ الصَّفاء. فقلت: يا فارسيُّ، لا تقلْ الصَّفاء، لأنَّ الصَّفا مقصورة، فلما فرغ من مجلسه كسر القلم، وقال: لا أكتب شيئًا حتى أُحكم العربية[١].

(١) مجالس العلماء للزجاجي (ص: ١١٨) مجلس سيبويه مع حماد بن سلمة. ط. الخانجي.
وانظر ترجمة سيبويه في مراتب النحويين: لأبي الطيب اللغوي (ص: ٦٥). و«نزهة الألباء في طبقات الأدباء» للأنباري (ص: ٥٥)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٤٦٤/١)، و«وفيات الأعيان» ابن خلكان (٥٥٧/١) و(٤٦٣/٣)، و«انباء الرواة» للقفطي (٢٢٤/٣)، و«الدر الكامنة» لابن حجر (١٧٨/١). وسيبوبه إمام النحاة في آثار =

● **الموضوع:**

في علم النحو، أو علم الإعراب. وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقمًا، وكيفية ما يتعلق بالألفاظ، من حيث وقوعها فيه من حيث هو هو، أو لا. وغرضه: تحصيل ملكةٍ يقتدر بها على إيراد تركيب وضع وضعًا نوعيًا لما أراده المتكلم من المعاني، وعلى فهم أي مركب كان، بحسب الوضع المذكور. وغايته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية.

وأول من كتب في النحو أبو الأسود الدؤلي الكناني، وهو مؤسس مدرسة البصرة في النحو، والتي ظهر فيها عدد من النحاة، مثل الأخفش الكبير (ت: ١٥٧ هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٤ هـ)، وسيبويه، والمازني (ت: ٢٤٩ هـ)، والمبَرِّد (ت: ٢٨٥ هـ).

ثم ظهرت الكوفة: وكان من أشهر رجالها الكسائي (ت: ١٨٩ هـ)، والفراء (ت: ٢٠٧هـ)، وابن السكيت (ت: ٢٤٣ هـ) وغيرهم.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب من أعظم الكتب التي وصلتنا في النحو والصرف، وأقدمها تاريخًا؛ إذ هو باكورة التأليف في علمي النحو والصرف، وأصل الأصول في النحو والصرف واللسانيات. قال المازني: «من أراد أن يصنف كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ».

= الدارسين خلال اثنى عشر قرناً: كوركيس عواد، ط. المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨م. وسيبوبه إمام النحاة: علي النجدي ناصيف. والمدارس النحوية: د. شوقي ضيف (ص: ٦١) ط. المعارف.

وقال الجاحظ: «لَم يكتب الناس في النحو كتابًا مثله، وجميع ما كتب عليه عيال». وقال ابن خلكان: «كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله عَلَمًا عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه».

وقال المـبَرِّد: «لَم يعمل كتاب في علم من العلوم مثله».

وقد روي: أن يهوديًا بذل للمازني (بكر بن محمد) مائة دينار، ليقرئه كتاب سيبويه، فامتنع من ذلك، فقيل له: لم امتنعت مع حاجتك وعيلتك؟ فقال: إن في كتاب سيبويه كذا كذا آية من كتاب الله، فكرهت أن أقرئ كتاب الله للذمة، فلم يمض على ذلك مديدة، حتى أرسل الواثق في طلبه، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله.

● **المـآخذ:**

يقال: إن سيبويه لَم يستقل بوضع كتابه، وإنما أخذ كتاب الجامع لعيسى بن عمرو الثقفي، وبسط فيه، وحشى عليه من كلام الخليل وغيره. قال ابن النديم في الفهرست (ص:٧٤): قرأت بخط أبي العباس: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانًا، منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل؛ وقد ردّ هذا الاتهام كثير من العلماء، وفسروه بأن سيبويه انتفع بجهود النحويين قبله.

وأخذ عليه أنه أسرف في التقسيم والتفريع. وأنه تداخلت مضامين كثير من الأبواب مع بعضها. وأن أسلوبه يتسم بالغموض.

● **المنهج والأسلوب:**

خلا الكتاب من الترتيب، وليس له مقدمة أو خاتمة.

اعتمد المؤلف على العلماء الذين سبقوه، وبشكل خاص على أستاذه الخليل

بن أحمد، وعلى يونس بن حبيب، وكان يعزو كثيرًا من الآراء إلى أصحابها.

اعتمد سيبويه في احتجاجه على القرآن الكريم(١)، وعلى كلام العرب، من شعر ونثر، وعلى القياس.

أما الحديث النبوي الشريف: فقد قال بعض العلماء -ومنهم ابن الضائع وأبو حيان - إن سيبويه ترك الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث الشريف لأنه يجوز نقل الحديث بالرواية، واعتمد على إثبات اللغة بالقرآن الكريم، وصريح النقل عن العرب، وردّ كثير من النحاة هذا الرأي(٢).

ورد في الكتاب نحو ألف شاهد، وكان يعتمد على سماعه من العرب الخلص، فيقول: سمعنا العرب الفصحاء يقولون، وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم(٣).

كان يستعمل القياس كثيرًا، فيقول: والقياس كذا، أو والقياس يأباه.

لم يقتصر الكتاب على النحو والصرف، وإنما اشتمل على فوائد بجميع الفروع العربية، فقد أورد معلومات لغوية، فروى عنه أصحاب المعاجم، وأورد معلومات تتعلق بالقراءات، وبالتجويد، وبالبلاغة، وبفقه اللغة، وباللهجات، وبالشعر.

---

(١) ينظر: الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه: د. محمد إبراهيم عباده.
ومنهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم د. سليمان يوسف خاطر.

(٢) ينظر في ذلك: «الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه» د. خديجة الحديثي ١٩٧٤م.
و«تاريخ الاحتجاج بالحديث الشريف» أ.د. فخر الدين قباوة، طبع سنة ٢٠٠٤م.
و«ارتكاز الفكر النحوي على الحديث والأثر في كتاب سيبويه» أ.د. محمود فجال ٢٠٠٩م.

(٣) ينظر شواهد الشعر في كتاب سيبويه د. خالد عبد الكريم جمعة. ط. دار العروبة. الكويت.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

هناك الكثير من الكتب التي شرحت كتاب سيبويه ونكته وأبنيته وشواهده[١].

طبع الكتاب لأول مرة في باريس، وأشرف على طبعه المستشرق الفرنسي «هرتويغ ورنبرغ» ما بين سنتي (١٨٨١ و١٨٨٩م).

وترجمه إلى الألمانية «ج. يان» وأصدره في خمسة مجلدات، ما بين سنتي (١٨٩٥ و١٩٠٠م).

وطبع الكتاب في بولاق سنة ١٨٩٨م، وعلى هامشه شرح الأعلم الشنتمري، المسمى «تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب».

وحققه الأستاذ: عبد السلام هارون، وصدر سنة ١٩٦٣م.

وفهرس شواهده: د. أحمد راتب النفاخ، وصدر عن دار الإرشاد ببيروت، سنة ١٩٧٠م.

✡ ✡ ✡

---

(١) انظر: كشف الظنون. وسمى الأستاذ عبد السلام هارون (٥٥) كتاباً ألفت حوله، ومن أشهرها: (تفسير أبنية الكتاب) للجرمي (ت: ٢٢٥هـ)، وشرحه المازني (ت: ٢٤٨هـ)، وشرح شواهده المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، و شرحه الزجاج (ت: ٣١٠هـ)، وشرحه الأخفش (ت: ٣١٥هـ)، والسراج (ت: ٣١٦هـ)، والرماني (ت: ٣٨٤هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٥هـ)، وابن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)، والشُّلوبِّين الصغير (ت: ٦٦٠هـ)، وأبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وابن خروف (ت: ٦٠٩هـ).

المفصَّل في صنعة الإعراب

كتاب «المفصل» للزمخشري قد جمعت أصول هذا العلم فصولُه، وأُوجِز لفظه فتيسَّر على العالم تحصيله[١].

«ابن يعيش»

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

قال المؤلف مبينًا الغاية من تأليف الكتاب: «لقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب، وما بي من الشفقة والحدَب على أشياعي من حفدة الأدب، لإنشاء كتاب في الإعراب محيطٍ بكافة الأبواب، فأنشأتُ هذا الكتاب، مقسومًا إلى أربعة أبواب، الأول: في الأسماء، والثاني: في الأفعال، والثالث: في الحروف، والرابع: في المشترك من أحوالها».

● **القيمة العلمية للكتاب:**

هذا الكتاب أحد الكتب المهمة في علم النحو، حيث ساهم في شرحه كبار الأئمة والأدباء، كالفخر الرازي، والرضي الصاغاني، وابن النجار البغدادي، وأبي البقاء العكبري، وابن مالك النحوي، وابن الحاجب، والشلوبين، وابن يعيش، وابن أم قاسم المرادي، وابن عطاء الله السكندري، وصدر الأفاضل الخوارزمي، والوزير القفطي، وابن سعد المروزي، وعلم الدين السخاوي، وغيرهم.

قال أبو البركات الأنباري في «طبقات الأدباء»: «وأما أبو القاسم محمود

(١) الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تقدمت ترجمته في التفسير.

ابن عمر الزمخشري، فإنه كان نحويًا فاضلًا، وصنف كتبًا حسنة، منها كتاب «الكشاف عن حقائق التنـزيل»، وكتاب «الفائق في غريب الحديث»، وكتاب «ربيع الأبرار»، وكتاب «أسماء الأودية والجبال»، وكتاب «المفصل في النحو» وكان يزعم أنه ليس في كتاب سيبويه مسألة إلا وقد تضمنها هذا الكتاب، ويحكى أن بعض أهل الأدب، أنكر عليه هذا القول، وذكر له مسألة من كتاب سيبويه، وقال: هذه ليست فيه، فقال: إنها إن لم تكن فيه نصاً فهي فيه ضمنًا؛ وبيَّن له ذلك».

قال الأستاذ سعيد الأفغـاني: «وقد أورد المؤلف فيه جميع ما استطاع من قواعد وضوابط اللغة العربية، وأوجز عبارته إيجازًا شديدًا، ويظهر أنه وضعه لطبقة متقدمة من الطلاب حظيت بقدر وافر من الثقافة العامة حينئذ»[١].

● **المنهج والأسلوب:**

جعل المؤلف كتابه على أربعة أقسام:

الكتاب الأول: في الأسماء. الكتاب الثاني: في الأفعال. الكتاب الثالث: في الحروف. الكتاب الرابع: في المشترك من أحوالها.

اتسم الكتاب بالاختصار، وقد علل المؤلف ذلك بالقول: إن هذا الكتاب للمتعلمين، محيط بكافة الأبواب، مرتب ترتيبًا يبلغ بهم الأمر البعيد بأقرب السعي، ويملأ سجالهم بأهون السقي.

افتتح الزمخشري كتابه بمناهضة الشعوبية ومن يجري على منوالهم ممن يكرهون العربية، وينهون عن تعلمها، وقال في المقدمة: «الله أحمد على

(١) من تاريخ النحو: سعيد الأفغاني.

أن جعلني من علماء العربية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز».

● **مآخذ:**

كان ابن يعيش يرى: أن بعض ضروب المفصل أغربت عباراتها، فأشكلت على الدارسين، وأن بعض ألفاظه كان مجملًا مما يحتمل أكثر من وجه من المعاني، وأن بعض قضاياه واضحة ولكنها تخلو من الدليل، ولهذا عمد إلى شرحه.

أورد أبو الفضل المريسي (ت: ٦٥٥ هـ) في شرحه سبعين مأخذًا على الزَّمخشريّ في كتاب «المفصل» وتعقبّه بالرَّدِّ.

وكتب أبو الحجاج، يوسف بن معزوز القيسي الأندلسي (ت: ٦٢٥هـ) كتابًا أسماه «التنبيه على أغلاط الزمخشري في المفصل وما خالف فيه سيبويه».

● **كتب ذات صلة:**

شرح الزَّمخشريّ نفسه كتابه «المُفصَّل» مرتين، الشَّرْح الأول «شرح بعض مشكلات المُفَصَّل» والشَّرح الثاني «الأنموذج».

وشرح المُفَصَّل: صدر الأفاضل، القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت: ٦١٧ هـ)، وطبع بتحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت.

وشرح المُفَصَّل: موفق الدين، يعيش بن علي (ت: ٦٤٣ هـ)، حيث كان شديد الإعجاب بكتاب المُفَصَّل، لذلك شرحه شرحًا مطولًا جدًا، جمع فيه الآراء، واستقصى الشواهد والنقول، ويمكن اعتباره أوسع وأهم

كتب النحو على الإطلاق[١].

وشرحه: العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن حسين (ت: ٦١٦ هـ) وأسماه «الإيضاح».

وشرحه ابن مالك: محمد بن عبد الله الأندلسي، إمام النحاة في عصره (ت: ٦٧٢ هـ).

وشرحه الهمداني: رشيد الدين، أبو يوسف يعقوب الهمداني المقري، نزيل دمشق (ت: ٦٤٣هـ)، وهو من أهم شروحه[٢].

ونظمه أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، شهاب الدين، وهو مؤرخ، محدث.

ونشره المستشرق الألماني فلايشر[٣].

❁ ❁ ❁

(١) ابن يعيش وشرح المفصل: د. محمد عبد اللطيف الخطيب.

(٢) هدية العارفين: ١/ ٦٩٧.

(٣) فلايشر (١٨٠١-١٨٨٨) مستشرق ألماني، له بالألمانية تآليف كثيرة عن العرب والإسلام، ومما نشره بالعربية (تفسير البيضاوي) و (المفصل) للزمخشري.

ألفية ابن مالك

وهي مقدمة مشهورة، جمع فيها ابن مالك مقاصد العربية.

«حاجي خليفة»

- **ابن مالك الطائي (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ).**

محمد بن عبد الله، جمال الدين، أبو عبد الله، إمام النحاة، وحافظ اللغة. وكان كثير النوافل، حسن السّمت، رقيق القلب، راجح العقل، اتصف بصدق اللهجة، وقوة الدين.

قال الذهبي: «سمع بدمشق من السخاوي، والحسن بن الصباح وجماعة، وأخذ العربية عن غير واحد، وجالس بحلب ابن عمرون وغيره، وتصدر بها لإقراء العربية، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب؛ حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، وأربى على المتقدمين».

وقال الصفدي: «انفرد عن المغاربة بشيئين: الكرم والمذهب الشافعي»[(١)].

وكان ابن مالك قد ألف كتابًا في النَّحو سمّاه «الكافية الشافية» ثم لخصه في هذه الأرجوزة، وأولها:

قال محمدٌ هو ابن مالكِ ... أحمد الله ربي خير مالكِ

مصليًا على النبي المصطفى ... وآله المستكملين الشرفا

وأستعين اللهَ في ألفية ... مقاصد النحو بها محوية

---

(١) الوافي بالوفيات (٣/٣٥٩)، وبغية الوعاة: للسيوطي (١/١٣١).
وانظر: «ابن مالك اللغوي» غنيم غانم الينبعاوي، ط. جامعة الملك عبد العزيز.

تقرب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعد مُنْجَزِ

• **المنهج والأسلوب:**

رتب علم النحو فيها على ثلاثة أبواب، أولها: الكلمة والكلام، وثانيها المبني والمعرب، وثالثها: النكرة والمعرفة، ثم فصل ذلك.

يمتاز منهج ابن مالك بالدقة في التنظيم، ففي أغلب الأبواب يعرّف بعنوان الباب الذي يعالجه، ويبين حكم إعرابه.

كما يمتاز أسلوبه بشيئين، هما على طرفي نقيض، هما السلاسة، والمبالغة في الاختصار(١).

طريقته في العرض: يبين أحكام الإعراب وعوامله، ويتلو ذلك ببيان الوضع اللغوي، مثل أحكام التقديم والتأخير، والإضمار والحذف، وعادة تأتي أحكام الحذف في آخر الباب، ثم يختمه بالتنبيه على أن ما لم يذكره يجب الاقتصار فيه على السماع، أو أن غير ما أورده يحسب من الضرورات أو اللهجات الخاصة، مثل قوله: ونادر أو ذو اضطرارٍ غيرُ ما ذكرته(٢).

أجاز ابن مالك القياس على كل تعبير لغوي مستعمل، فقال: «وليقس ما لم يقل».

---

(١) انظر كتاب «مآخذ شراح الألفية على ابن مالك» للدكتور باسم عبد الرحمن البابلي. ط. دار الكتب العلمية.

(٢) تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: د. محمد المختار ولد أباه، إصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو».

● **القيمة العلمية للألفية.**

حظيت هذه الألفية بالشهرة والقبول، فما زال الطلبة والدارسون يحفظونها ويدرسونها منذ ثمانمائة سنة إلى يومنا هذا، حتى صارت مادة التأليف والتدريس.

● **كتب ذات صلة:**

قال الأستاذ سعيد الأفغاني: «وشرحت الألفية شروحًا جمة، ووضعت على الشروح حواشٍ كثيرة، وأكثر هذه الشروح شهرة اليوم شرح ابن عقيل، وشرح الأشموني، وكلاهما مطبوع طبعات عديدة».

وقد ذكر صاحب «كشف الظنون» أربعين شرحًا للألفية، من أشهرها:

- الخلاصة الألفية في علم العربية: لابن مالك نفسه، وهو شرح مختصر.

- شرح ابن الناظم: لبدر الدين، محمد بن محمد (ت: ٦٨٦ هـ)، وهو شرح منقح اشتهر بشرح ابن المصنف، وعليه عدة حواشٍ، وقد تعقب أباه في كثير مما قاله، ورد عليه بعض الآراء.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام، عبد الله بن أحمد (ت: ٧٦١ هـ)، ودفع الخصاصة عن قراء الخلاصة: شرح آخر لابن هشام.

- شرح ابن عقيل: عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٧٦٩ هـ)، وهو من أيسر شروح الألفية.

- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك: للأشموني، أبي الحسن، علي بن عيسى (ت: ٩٠٠ هـ)، وهو من أغنى الشروح وأغزرها بالشواهد.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب

«المغني» الكتاب القيّم المشهور، الحافل بالمسائل والشواهد والمناقشات، وحكايات الخلاف بين المذاهب النحوية، وبين النحاة أنفسهم، رزق الشهرة في حياة المصنف، فكثر الإقبال عليه، وحظي بخدمته بعد وفاته، فكثرت عليه الشروح والحواشي... وانفرد في تأليفه بنسق استطاع أن يضم أشتاتًا كثيرة في نظام، وأن يجمع قواعد كلية تنطبق على ما لا يحصى من أجزاء وأنواع، وحشد له من الشواهد العظام كثرة قل أن تجمع في كتاب، وكانت له على كتب النحويين المشهورة ملاحظ ومآخذ نعاها عليهم، واجتهد في اجتنابها في كتابه هذا.

«سعيد الأفغاني»

- **ابن هشام الأنصاري (٧٠٨ - ٧٦١ هـ).**

عبد الله بن يوسف ابن هشام، جمال الدين، الشافعي، ثم الحنبلي، كان نحويًا فاضلًا، وعالِمًا مشهورًا، برًا، متواضعًا، دَمِث الخلق، رقيق القلب، من مصنفاته: «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك»، و«رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة»، و«شذور الذهب في معرفة كلام العرب» وشرحه، و«قطر الندى» وشرحه، قال ابن خلدون: «مازلنا ونحن بالمغرب نسمع بأنه ظهر في مصر عالم بالعربية، يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه»[(١)].

---

(١) ترجم له في «بغية الوعاة» للسيوطي (٢/٦٩). وفي «الدرر الكامنة» لابن حجر (٢/١٦) وفي «شذرات الذهب» لابن العماد.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

لهذا الكتاب مكانة كبيرة عند السابقين، وله مثلها عند المعاصرين، وقد اتفق العلماء على أنه أعظم كتب ابن هشام قدرًا، وأرفعها مقامًا، ومن أجمع كتب العربية لمباحث النحو، لذلك انتشر ذكره بين الناس، وأكب العلماء عليه. قال ابن خلدون: «وصل إلينا بالمغرب ديوان من مصر، منسوب إلى جمال الدين ابن هشام، استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة، وتكلم عن الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرر أكثر أبوابها، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد».

قال د. محمد عبد اللطيف الخطيب: «إنه كتاب انفرد بطريقة العرض والأسلوب الذي نهجه ابن هشام في مناقشة مسائله، ومن هنا لَم يكن من السّهل على كل دارس للنحو أن يفهمه، فلابد لفهمه من الارتباط بالقرآن الكريم، وكتب التفسير وإعراب القرآن»[(١)].

● **المنهج والأسلوب:**

قسم المؤلف الكتاب إلى قسمين:

- **القسم الأول**: جعله للحروف والأدوات في اللغة العربية؛ حيث أحصاها حسب الترتيب المعجمي، سواء كانت عاملة أو مهملة، وبين معانيها وأحكامها، ثم ساق الشواهد عليها.

- **القسم الثاني**: وجعله في ثمانية أبواب.

- الباب الأول: في تفسير المفردات، وذكر أحكامها.

---

(١) مقدمة المحقق: د. محمد عبد اللطيف الخطيب.

وبلغت الأدوات في هذا الباب أربعًا ومئة أداة، ابتدأ فيها بألف المفردة، وانتهى منها بالحديث عن الأداة (يا).

- الباب الثاني: تناول فيه ما تبقى من أبواب الجملة وأنواعها وأقسامها، وأحكامها .

- الباب الثالث: في شبه الجملة وأحكامها .

- الباب الرابع: في ذكر أحكام يكثر ورودها.

- الباب الخامس: في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها.

- الباب السادس: في التحذير مما اشتهر بين المعربين، والصواب خلافه.

- الباب السابع: بين كيفية الإعراب.

- الباب الثامن: قصره على ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من المسائل الجزئية، ووضع في هذا الباب مجموعة من القواعد النحوية الأصولية، بلغت إحدى عشرة قاعدة.

- اشتمل الكتاب على ذكر ٩٥٠ شاهدًا شعريًا.

● **كتب ذات صلة:**

لما أدرك العلماء صعوبة أسلوب الكتاب، ودقة مسائله، وضعوا عليه الحواشي والشروح، كي يستعين بها الطلبة، فتأخذ بيدهم إلى إدراك الغامض من مسائله(١).

(١) من ذلك: شرح ابن الصائغ الزمردي، محمد بن عبد الرحمن (ت: ٧٧٦ هـ).
وتحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب: لمحمد ابن أبي بكر الدماميني (ت: ٨٢٧هـ) ألفه في الهند بعد أن نزح إليها.
وكافي المغني: لشمس الدين ابن عماد المالكي (ت: ٨٤٤ هـ). =

اعتنى به: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

وحققه: د. مازن مبارك وعلي حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني، نشر دار الفكر دمشق.

وحققه وشرحه وفهرسه: د. محمد عبد اللطيف الخطيب، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت سنة ٢٠٠٠ م.

۞ ۞ ۞

= شرح المغني: أبو النجا ابن خلف المصري (ت: ٨٤٩ هـ).

شرح مغني اللبيب: للشُّمَّني، أحمد بن محمد (ت: ٨٧٢ هـ).

شرح أبيات مغني اللبيب: للسيوطي (ت: ٩١١ هـ)، وهو مطبوع بتصحيح وتعليق: محمد محمود الشنقيطي، نشر لجنة التراث العربي.

شرح أبيات مغني اللبيب: لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣ هـ)، وهو مطبوع بتحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، نشر دار البيان دمشق.

حاشية على مغني اللبيب: مصطفى محمد عرفة الدسوقي (ت: ١٢٣٠هـ)، طبعة مكتبة المشهد الحسيني.

حاشية على مغني اللبيب: للشيخ محمد الأمير (ت: ١٢٣٢هـ)، نشر المكتبة التجارية.

خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب

خزانة الأدب: إحدى مجاميع الأدب الكبرى، وأعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها.

«عبد السلام هارون»

- **عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ):**

علامة بالأدب والتاريخ والأخبار، ولد وتأدب ببغداد، وأولع بالأسفار، فرحل إلى دمشق ومصر وأدرنة، وتوفي في القاهرة، كان يتقن آداب التركية والفارسية، أشهر كتبه «خزانة الأدب»، شرح به شواهد شرح الكافية للإستراباذي، ومن تصانيفه: «شرح شواهد الشافية»، و«شرح شواهد مغني اللبيب لابن هشام، وحاشية على شرح بانت سعاد، لابن هشام[١].

ترجم له المحبي فقال: «الأديب، المصنف الرحال، الباهر الطريقة في الإحاطة بالمعارف والتضلع من الذخائر العلمية، وكان فاضلًا بارعًا مطلعًا على أقسام كلام العرب، النظم والنثر، راويًا لوقائعها وحروبها وأيامها، وكان يحفظ مقامات الحريري، وكثيرًا من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم، وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعية، مع الثبت في النقل، وزيادة الفضل، والانتقاد الحسن، ومناسبة إيراد كل شيء منها في موضعه، مع اللطافة وقوة المذاكرة، وحسن المنادمة، خرج من بغداد، وورد دمشق وقرأ بها، وأقام في مسجد مقدار سنة، ثم رحل إلى مصر، وأخذ العلوم

(١) الأعلام: للزركلي (٤١/٤).

الشرعية وآلاتها النقلية والعقلية عن جمع من مشايخ الأزهر، وجمع كتبًا كثيرة، فكانت لديه مكتبة نفيسة، وقيل: كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة، وألف المؤلفات الفائقة»[١].

● **موضوع الكتاب:**

يتكون هذا الكتاب من كتب ثلاثة:

الأول: كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب، المعروفة بـ«الكافية»، وهي مقدمة وجيزة في النحو، من تأليف: ابن الحاجب[٢].

الثاني: شرح كافية ابن الحاجب: للرَّضيِّ الأستراباذي[٣].

الثالث: «خزانة الأدب»، وهو شرح شواهد الرضي الإستراباذي في شرحه للكافية.

● **القيمة العلمية للكتاب.**

بالرغم من أن موضوع الكتاب في النحو؛ إلا أن البغدادي جمع فيه فنونًا وأخبارًا قلَّما اشتمل عليها كتاب غيره، وتمتع بمنهج أصيل، رسمه لنفسه في فاتحة الكتاب، ولم يَحِدْ عنه إلا في القليل النادر، ورجع في كتابه إلى ما

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: المحبي (٢/ ٤٥٢).

(٢) ابن الحاجب الكردي: عثمان بن عمر (ت: ٦٤٦ هـ)، قال ابن أبي شامة: «كان من أذكى الأمة قريحة، ركنًا من أركان الدين في العلم والعمل، بارعًا في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية، متقنًا لمذهب مالك، وكان ثقة، حجة، متواضعًا، عفيفًا، كثير الحياء، منصفًا، محبًّا للعلم وأهله، ناشرًا له، صبورًا على البلوى، محتملاً للأذى».

(٣) الرَّضيِّ الأستراباذي: محمد بن الحسن (ت: ٦٨٦ هـ)، ويعدُّ شرح الرَّضِيِّ من أمتع الشروح وأندرها في صواب النظر ودقة الملاحظة، لما تمتع به الرَّضِيُّ من ذكاء وقاد، وتمحيص لآراء النحويين قبله.

ينوف على الألف مرجع.

كما أنه تكلف عناءً شديداً في توثيق ما يردُ ضمن الأخبار من الأشعار، وامتاز بإثبات ما خُشِيَ عليه الضياع من القصائد التي يقلُّ تداولهُا.

ويعد الشيخ محمود شاكر -رحمه الله- عبد القادر بن عمر البغدادي (مؤلف هذا الكتاب) رائدًا في تبنّيه إعادة قدرة الأمة على تذوق اللغة والشعر والآداب وعلوم اللغة[١].

- **سبب تأليف الكتاب.**

ذكر المؤلف في المقدمة أنه جعل هذا الكتاب هدية للسلطان الغازي (محمد خان) ابن السلطان (إبراهيم خان) نخبة آل عثمان، خلد الله ظلال خلافته السابغة الوارفة، وأفاض على العالمين سجال رأفته المترادفة.

- **المنهج والأسلوب.**

اشتمل الكتاب على شرح (٩٥٧) شاهدًا من شواهد النحو.

رقّم البغدادي الشواهد التي شرحها، واتخذ رقم الشاهد دليله في أي إحالة تتصل به.

لم يلتفت إلى الشعر الذي لا يعرف قائله.

يترجم لصاحب الشاهد مرة واحدة، ثم يحيل على الترجمة في المرات الأخرى.

ترجم فيه (٢٤٠) شاعرًا، منهم ثلاث شواعر، انحصروا في الفترة بين

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا العلامة محمود شاكر. ط. مؤسسة الرسالة بيروت (ص: ٨٦).

(٢) أبو حية النميري (ت نحو: ١٨٣ هـ)، واسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة: شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

الجاهلية ونهاية القرن الثاني، باستثناء أبي حية النميري (ت: ٢١٠هـ)[1].

● **كتب ذات صلة:**

إقليد الخزانة: لعبد العزيز الميمني، جعله فهرسًا له، وتنكيتات ونقضيات عليه، طبعته جامعة النجاب. و«الإقليد: المفتاح».

لغات العرب في خزانة الأدب للبغدادي: د. ليلى خلف السبعان، بحث منشور في مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، بجامعة الكويت، رصدت فيه جهد البغدادي في دراسة اللهجات العربية، وموقفه منها، مع رصد قضايا اللغة والنحو التي وردت خلال دراسته للشواهد.

مباحث النقد اللغوي في كتاب خزانة الأدب للبغدادي: وليد نهاد عباس، بحث منشور في مجلة ديالي سنة ٢٠٠٩م، العدد (٣٨).

خزانة الأدب للبغدادي، دراسة في المنهج والمادة الأدبية: د. محمد إبراهيم حوّر، مؤسسة البيان، دبي، ١٩٨٧م.

وهناك كتاب مشهور باسم «خزانة الأدب وغاية الأرب» لابن حجة الحموي، أبي بكر بن علي (ت: ٨٣٧هـ)، وهو كتاب أدبي عام، يشتمل على اللغة والأدب والتاريخ والتراجم.

● **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب سنة ١٨٨٢م بمطبعة بولاق.

وطبع بتحقيق عبد السلام محمد هارون، من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٩م.ذ

* * *

خَلق الإنسان

إنه من أمتع الكتب، فالقارىء حين يبدأ فيه لا ينصرف عنه إلى غيره حتى ينتهي منه، لما يستحوذ عليه من طرافة الموضوع، وحسن عرضه، ومزجه بالأدب الرفيع، فهو كأنه قصة محبوكة، ولا عجب في ذلك فهو قصة الإنسان نفسه بصورة علمية جديدة.

«عبد الستار أحمد فراج»

- **ثابت بن أبي ثابت الكوفي (ت: ٢٥٠ هـ)** .

أبو محمد، من أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام، نحوي، لغوي، لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عن كبار النحويين، وكان من أحسن الناس خطًا، وله حظ في الفقه على مذهب أهل الحديث[١].

- **الموضوع**:

في علم اللغة، وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر، وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية، والغاية منه الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب، ومنفعته الإحاطة بهذه المعلومات وطلاقة العبارة وجزالتها، والتمكن من التفنن في الكلام، وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة، والأقوال البليغة.

---

(١) الأعلام: للزركلي (٢/٩٧)، وانظر ابن النديم (ص: ٦٩)، وبغية الوعاة (ص: ٢١٠).

والمعجم لغة: هو الكتاب الذي أزيلتْ العُجْمَةُ فيه، وذهبَ الخفاءُ منه. قال الخليل: كتاب مُعجَم، وتَّعجيمه تَنقيطه؛ كي تستبينَ عُجْمَتُه وتَتَّضِحَ.

والمُعْجَمُ العربي: هو كتاب يضمُّ ألفاظَ اللغة العربية مرتبةً على نَمَطٍ مُعَيَّنٍ، مشروحة شرحًا يزيل إبهامَها، ومضافًا إليها ما يناسبها من المعلومات. والمعاجم العربية كثيرة ومُتَنَوِّعة، وهي مختلفة في موضوعاتها وطريقة ترتيبها. وصنَّف في خلق الإنسان جماعة من الأدباء واللغويين والأطباء، عدا الكتب التي فيها فصول عن خلق الإنسان(١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب من أفضل الكتب التي تناولت الحديث عن أسماء أعضاء الإنسان، أجاد فيه المؤلف حق الإجادة، وجمع فيه اسم كل عضو من أعضاء الإنسان، مما يدل على سعة اطلاعه، وبراعته في الاستشهاد، وقد أثبت خبرة العرب العظيمة في تفصيل أجزاء الإنسان ودقائق ما يحتويه جسمه ومسميات كل ذلك وأوصافه، مما يعين الباحثين والمعربين في أداء مهمتهم.

قال د. أحمد زكي: والكتاب ينفع مجامع اللغة العربية وأعضاء لجانه أولئك الآخذين اليوم في إحياء القديم النافع من المصطلحات، فالكتاب يتناول مظاهر الحياة جميعها، ممثلة في الأجسام لأطوار الحياة منذ الطفولة

---

(١) وممن كتب في خلق الإنسان: أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ). والأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت: ٢١٦هـ). وابن الأعرابي، محمد بن زياد (ت: ٢٣١هـ). وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ). وابن الأنباري، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ). وأحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ). والزّجاجي، يوسف بن عبد الله (ت: ٤١٥هـ). والخطيب الإسكافي (ت: ٤٢١هـ). وابن حيدرة الطبيب (ت: ٦٦٧هـ). والسيوطي (ت: ٩١١هـ).

إلى أن يصبح الرجل رمة وتصبح المرأة كذلك . . . قصارى القول : إنه كتاب يبتهج به رجال اللغة وصانعوها اليوم ومجددوها ، أدباء كانوا أو علماء.

- **المنهج والأسلوب:**

يتكون الكتاب من عدَّة أبواب، منها :

- باب في الحمل والولادة، استعرض فيه ما يخلق في الرحم، وما يخرج مع الولد، وأسماء الصغير والصغيرة إلى منتهى الكبر، ثم ذكر أسماء العجوز، وأسماء الحائض، وما تقوله العرب عن الإنسان في مراحل عمره.

- وباب في وصف الرأس، تحدث فيه عن نبات الشعر، وكثرته أو قلته، ثم تحدث عن الشيب وألوان الشعر وما يصيب الشعر.

- وباب في الأذن، حيث ذكر نعوتها وأجزاءها.

- وباب في الوجه، وما فيه .

- وباب الحاجب.

- وباب في العين وعيوبها وما استحسن من صفاتها وألوان الحدقة والدمع .

- ثم تعرض لذكر الأنف وصفاته .

- وللفم وما فيه من الشفة، والأسنان، واللسان، والحلق، واللحية، وختم ذلك بالحديث عن العنق.

- وباب في المنكب والكتف، ذكر فيه أسماء ما فيها من العضد، والذراع، والكف، والأصابع، وأوصاف اليد.

- وباب في الظهر، وباب في الصدر، ذكر فيه النحر، واللبة، والثغرة، والترائب، والثدي، والإبط، والجنبين، والخاصرة، وما يتصل بذلك.

- وباب في البطن، ذكر فيه ما تحتويه من القلب، والكبد، والطحال، والرئة، والكليتان، والمعدة، والمصارين، والحشوة، وغير ذلك.

- وباب في وسط الإنسان، وأوصافه، ومحاسن البطون وقبحها، وأدوائها، ذكر فيه أسماء ذكر الرجل، وفرج المرأة، وما يتصل بذلك من الوركين، والعجز، والدبر، والفخذين، والأنثيين.

- وباب في الركبة والساق والقدم، استعرض أسماء الأصابع وصفاتها، وأوصاف القدم والمشي وعيوبه، وختم الباب بذكر العظام التي في الإنسان.

- وباب في ذكر أعضاء الإنسان المبدوءة بحرف الكاف فقال: إن في جسد الإنسان ثلاث عشرة كافًا، هي: الكوع، والكُرسوع، والكَتِف، والكاهل، والكَتِد، والكاذة (لحم أعلى الفخذين) والكاثبة، والكَفَل، والكعب، والكبد، والكُلية، والكف.

● **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب بتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، نشر وزاة الإعلام، الكويت، ١٩٦٥م.

۞ ۞ ۞

الأضـداد

ولعل كتاب «الأنباري» من أحسن ما ألف في هذا الموضوع «الأضداد» لغزارة مادته، وكثرة شواهده، وسعة علم مؤلفه.

«د. صلاح الدين المنجِّد»

- **ابن الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ هـ):**

أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، كان إمامًا في اللغة، والنحو، والأدب، والأخبار، والتفسير. قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن.

ومن مصنفاته «أدب الكتاب»، و«شرح المفضليات»، و«غريب الحديث»، و«الكافي» في النحو. أدّب أولاد الخليفة الراضي، وألقى محاضراته في المسجد الذي كان أبوه يلقي فيه، فكانت حلقتاهما متجاورتين. قال عنه ابن النديم: كان في نهاية الذكاء والفطنة، وجودة القريحة، وسرعة الحفظ، وكان مع ذلك ورعًا من الصالحين.

قال الأزهري في «مقدمة التهذيب»: كان واحدَ عصره، وأعلمَ من شاهدتُ بكتاب الله ومعانيه وإعرابه ومعرفة اختلاف أهل العلم في مشكله، وله مؤلفات حسان في علم القرآن، وكان صائنًا لنفسه، مقدمًا في صناعته، معروفًا بالصِّدق، وحافظًا حسنَ البيان، عذبَ الألفاظ، لَم يُذْكَرْ لنا إلى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها من يخلفه أو يسدُّ مسدَّه[1].

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، وتهذيب اللُّغة: للأزهري الهروي (ت: ٣٧٠ هـ).

● **الموضوع:**

في علم اللغة. والأضداد: ألفاظ يدل الواحد منها على معنيين متقابلين، مثل كلمة «الجون» مثلاً، تطلق على الأسود والأبيض. وكلمة «الجلل» تطلق على العظيم والقليل. وكلمة «الرّهْو» للارتفاع والانحدار. وكلمة «القُرْء» للحيض والطهر(١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر كتاب الأضداد أفضل وأوفر كتاب ألف في الألفاظ التي تحتمل معنيين متضادين في اللغة العربية. قال محمد أبو الفضل إبراهيم: «ولكن أعظم هذه الكتب خطرًا، وأوسعها كلمًا، وأحفلها بالشواهد، وأشملها للعلل، هو كتاب الأنباري، فإنه أتى على جميع ما ألف قبله وأربى عليه، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب، وشواهد الشعر والحديث والقرآن في كثرة بالغة، وإسهاب كثير، مع عذوبة المورد، ووضوح التعبير، وإشراق الدلالة، واطراد التنسيق، وسهولة الأسلوب، أعانه على ذلك كثرة محفوظه، ووفرة روايته، ووضوح الفكرة في عقله، مع دقة التعليل وقوة الحجاج».

● **سبب تأليف الكتاب:**

بيَّنَ المؤلف سبب تأليف هذا الكتاب، فقال: وقد جمع قوم من أهل

(١) اختلف اللغويون حول وجود ظاهرة الأضداد في اللغة: فبعضهم أثبتها، كالأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت: ٢١٦ هـ)، وأبي حاتم السجستاني، سهل بن محمد (ت: ٢٧٥هـ)، وقطرب، محمد المستنير (ت: ٢٠٦ هـ) وابن الأنباري، وغيرهم.
وبعض اللغويين أنكر وجود الأضداد: ومن أشهرهم ابن دُرُسْتَوَيه، عبد الله بن جعفر (ت: ٣٤٧ هـ)، وحجته في ذلك قوله: إن اللغة توقيف من الله ﷻ، والاشتراك اللفظي والأضداد يؤديان إلى الإبهام والغموض، وهذا محال في حكمة الله.

اللغة الحروف المتضادة، وصنفوا في إحصائها، فوجدت كل واحد منهم أتى من الحرف بجزء وأسقط جزءًا منها، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي.

• **المنهج والأسلوب:**

بدأ الكتاب بمقدمة دافع فيها عن العرب في إيقاعهم الكلمات التي لها معانٍ متضادة.

وعرَّض بأهل البدع والزيغ والإزراء على العرب، ويقصد بهم «الشعوبيين»، لأنهم كانوا يعيبون على لغة العرب اشتمالها على الأضداد، فقال: ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم.

لَم يتبع في كتابه منهجًا محددًا، وإنما يسوق الأضداد، دون نسق أو نظام.

بلغ عدد الكلمات المتضادة في معانيها التي أوردها في الكتاب ٣٥٧ كلمة[١].

• **طبعات الكتاب:**

عني بنشره المستشرق الهولندي «هوتسما»، وطبع سنة ١١٨١ مـ[٢].

وطبع في القاهرة سنة ١٣٢٥هـ بعناية وضبط وتصحيح الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي، مع العلامة الشيخ أحمد الشنقيطي.

وحققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر وزارة الإعلام بدولة الكويت.

---

(١) مارتن تيودو هوتسما: عني بنشر كتب عربية، منها تاريخ اليعقوبي، وديوان الأخطل.

(٢) المرجع: مصادر التراث العربي: د. عمر الدقاق.

فقه اللغة وسرّ العربية

ومن أهم مؤلفات الثعالبي «فقه اللغة» وهو كتاب جيد، والثعالبي نعترف بأنه رجلٌ خفيفُ الروح، نقرأ كتبه ورسائله برغبةٍ وكَثرةِ شوقٍ، وهو لذلك عميق الأثر، لكثرة ماعُرف لعهده من أنواع الثقافة الأدبية.

«د. زكي مبارك»

- **أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٣٠ هـ):**

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، لُقّبَ بجاحظ زمانه، وعرف بحافظ نيسابور، وكان يعمل مؤدِّبًا للصبيان، واتصل بطائفة من رجال الأدب والملك في عصره، وكان مَرْضِيًّا عنه من جميع من صحبهم من الرؤساء والوزراء، كان واعية، كثير الحفظ، حجة، ثقة فيما يحدّث، مكينًا في علمه، ضليعًا في فنه.

قال ابن بسام: «كان رأس المؤلفين في زمانه، والمصنفين بحكم أقرانه، طلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع الفجر في الغياهب»[1].

له مصنفات مهمة، زادت على المائة، في اللغة والأدب والشعر والسياسة والتفسير والتراجم، منها (ثمار القلوب) و(يتيمة الدهر)[2].

---

(١) الثَّعالبي: نسبة إلى مهنته، حيث كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب. ترجم له كثيرون، وانظر ترجمته في: نزهة الألباء: لابن الأنباري. والبداية والنهاية: لابن كثير. وشذرات الذهب: لابن العماد. والوافي بالوفيات: للصفدي، ومعجم الأدباء: للحموي.

(٢) يتيمة الدهر: يعد أول وأوفى كتاب في تراجم شعراء القرن الرابع الهجري.

• **الموضوع:**

في علم «معاجم المعاني»، وهذا القسم من المعاجم يرجع إليه من يعرف معنى من المعاني، ويرغب في الوقوف على الألفاظ الموضوعة له.

• **سبب تأليف الكتاب:**

ألّف الثعالبي هذا الكتاب بناءً على رغبة الأمير الخراساني، أبي الفضل الميكالي[١]، حيث كان الثعالبي يتردد على مجلسه، فكتب هذا الكتاب لتضمينه ما كان يجري في مجلس الأمير من نكت وفوائد، وقد قال المؤلف مبيّنًا ذلك: وقد كانت تجري في مجلسه -آنسه الله- نكت من أقاويل أئمة الأدب، في أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها، مما لم يتنبهوا لجمع شمله، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات، وتضاعيف التصنيفات، لمع يسيرة كالتوقيعات، وفقر خفية كالإشارات، فيلوّحُ لي -أدام الله دولته- بالبحث عن أمثالها، وتحصيل أخواتها، وتذييل ما يتصل بها، وينخرط في سلكها، وكسر دفتر جامع لها.

• **القيمة العلمية للكتاب:**

حظي هذا الكتاب بشهرة واسعة بين أهل اللغة والأدب، ويعد من أهم كتب معاجم المعاني، ويمتاز بالتنسيق الدقيق، وحسن الترتيب والتبويب.

• **مآخذ:**

أخذ على الثعالبي في فقه اللغة، أنه في جملته ليس من صنعه، حيث نقل فصولاً برمتها عن أمثال ابن دريد، والخوارزمي، وأبي الحسن الجرجاني،

---

(١) أبو الفضل الميكالي: عبيد الله بن أحمد (ت: ٤٣٦ هـ) وكان أميرًا كاتبًا، له مؤلفات.

وابن الأعرابي، لكن له فضل الترتيب والتبويب.

كما أخذ عليه خُلُوُّهُ من الشّواهد.

● **المنهج والأسلوب:**

يشتمل كتاب «فقه اللغة» على ثلاثين بابًا، كل باب يتكون من فصول، قال: فبلغت بها الثلاثين على مهل ورَوِيّة، وضمنتها من الفصول ما يناهز ستمائة، وهذا ثبت الأبواب، ثم ذكر ثلاثين بابًا، كانت بمثابة الفهرس للكتاب وهي: الباب الأول: في الكليات، وهي ما أطلق أئمة اللغة في تفسيره لفظ كل. الباب الثاني: في التنزيل والتمثيل. الباب الثالث: في الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها. الباب الرابع: في أوائل الأشياء وأواخرها. الباب الخامس: في صغار الأشياء وكبارها، وعظامها وضخامها. الباب السادس: في الطول والقصر. الباب السابع: في اليبس، واللين، والرطوبة. الباب الثامن: في الشدة، والشديد من الأشياء. الباب التاسع: في الكثرة والقِلة. الباب العاشر: في سائر الأوصاف والأحوال المتضادة. الباب الحادي عشر: في المَلء، والامتلاء، والصفورة والخلاء. الباب الثاني عشر: في الشيء بين الشيئين. الباب الثالث عشر: في ضروب الألوان والآثار. الباب الرابع عشر: في أسنان الناس والدواب، وتنقل الحالات بها. الباب الخامس عشر: في الأصول، والأعضاء، والرؤوس، والأوصاف. الباب السادس عشر: في الأمراض والأدواء وما يتلوها، وذكر الموت والقتل. الباب السابع عشر: في ذكر ضروب الحيوانات وأوصافها. الباب الثامن عشر: في ذكر أحوالٍ وأفعال للإنسان وغيره. الباب التاسع عشر: في الحركات والأشكال والهيئات، وضروب الضرب والرمي .الباب العشرون: في الأصوات وحكايتها. الباب

الحادي والعشرون: في الجماعات. الباب الثاني والعشرون: في القطع، والانقطاع، والقِطَع، وما يقاربها في الشق والكسر، وما يتصل بها. الباب الثالث والعشرون: في اللباس وما يتصل به، والسلاح وما ينضاف إليه، وسائر الآلات والأدوات، وما يأخذ مأخذها. الباب الرابع والعشرون: في الأطعمة والأشربة وما يناسبها. الباب الخامس والعشرون: في الآثار العلوية، وما يتلو الأمطار، من ذكر المياه وأماكنها. الباب السادس والعشرون: في الأرضين، والرمال، والجبال، والأماكن، والمواضع، وما يتصل بها وينضاف إليها. الباب السابع والعشرون: في الحجارة. الباب الثامن والعشرون: في النبت والزرع والنخل. الباب التاسع والعشرون: في ما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية. الباب الثلاثون: في فنون مختلفة الترتيب، من الأسماء والأفعال والأوصاف.

طريقته في العرض: يعنون للمعنى المراد، ثم يورد المعاني المتقاربة، فمثلاً في التفصيل بين النقوش يقول: النَقش في الحائط، والرَقش في القرطاس، والوشي في الثوب، والوشم في اليد، والوسم في الجلد، والرَشم في الحنطة والشعير، والطبع في الطين والشمع، والأثر في النصل.

وقد حرص المؤلف على رد كل قول لقائله، ويستشهد بالإضافة للقرآن الكريم بالشعراء الجاهليين والإسلاميين.

والقسم الثاني «سر العربية» وموضوعه في مجاري كلام العرب والاستشهاد بالقرآن الكريم، حيث قال: وشفعته بـ «سر العربية» ليكون اسمًا يوافق مسمّاه، ولفظًا يطابق معناه. ويتكون من تسعة وتسعين فصلًا، تناول فيه طريقة العرب وسننهم وطريقهم في التعبير، وفي التقديم والتأخير، والإضافة، والكناية، والاختصاص، والمدح والذم، وفي دلالات الأفعال، وفي الحذف، وفي

الإضمار، وفي الزوائد والصلات، وفي نيابة الحروف عن بعض، وفي المجاز، وفي تسمية العرب بالشنيع من الأسماء، وفي أبنية الأفعال، وفي التشبيه، وفي الإبدال، والقلب، والتضاد، والنعت، وفي التكرير، والإعادة، والتصغير، والاستعارة، والتجنيس، والطباق، والالتفات، والحشو.

● **كتب ذات صلة:**

فقه اللغة: أحمد بن فارس (ت: ٣٤٥ هـ)، أراد في كتابه أن يثبت أن للغة العرب خصائص ليست موجودة لغيرها من سائر اللغات، وساق الأدلة والشواهد على ذلك، ونقل عنه الثعالبي كثيراً.

ذكر المؤلف المصادر التي استقى منها مادة هذا الكتاب، ومنها كتاب الخليل، والأصمعي، والشيباني، والكسائي، والفراء، وأبي زيد، وأبي عبيدة، وابن الأعرابي، والنضر بن شميل، وثعلب، والمبَرِّد، ونفطويه، وغيرهم.

طبع هذا الكتاب الكثير من الطبعات، ومن أجودها الطبعة التي حققها د. خالد فهمي، إصدار مكتبة الخانجي، سنة ١٩٩٨م.

مقدمة في فقه اللغة العربية: د. لويس حنا عوض[1]، صدر سنة ١٩٨٠م.

❁ ❁ ❁

(١) د. لويس حنا عوض (١٩١٤ - ١٩٩٠م)، كاتب مصري سجن بسبب آرائه المتطرفة، وكان من دعاة الخروج على العمود الشعري، ويدعو للكتابة بالعامية، وكتابه هذا صودر بحكم محكمة، لأنه يمس الدين والآداب، وتصدى له الأستاذ محمود شاكر، ورد عليه في كتابه (أباطيل وأسمار)، كما رد عليه حلمي القاعود في كتابه (لويس عوض: الأسطورة والحقيقة)، (تتمة الأعلام: محمد خير يوسف).

مختار الصَّحاح

يعد هذا الكتاب أشهر كتب الرازي، وهو الذي خلَّد ذكره، وقُرِنَ اسمه به، حتى صار يعرف به، فيقال: صاحب مختار الصحاح[(١)].

- **الرازي (ت: ٦٦٦ هـ):**

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي، أبو عبد الله، وقيل: أبو بكر، لقب بزين الدين، وهو عالِم كبير القدر، دخل مصر، والشام، واستقر بقونية ببلاد الروم، واشتغل فيها بالعلم والتأليف، له العديد من المؤلفات، منها «غريب القرآن»، و«مختار الصحاح»، فرغ من تأليفه سنة ٦٦٦هـ، كما كتب ذلك بنفسه في آخر نسخة خطها بيده، وهو المشهور في كتب التراجم، وقيل كان حيًّا بعد سنة ٦٦٨ هـ[(٢)].

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يكتسب هذا الكتاب قيمته العلمية من كونه لا يستغني عنه طالب علم أو عالم، أو فقيه، ويتميز باشتماله على جانب من الأحكام الفقهية.

ومما يدل على القيمة العلمية لهذا الكتاب أن الزبيدي صاحب تاج العروس جعله من مصادره، كما صرح بذلك.

---

(١) الصَّحاح، بالفتح: بمعنى الصَّحيح؛ يقال: دِرْهَم صحيح وصَحاحٌ، ويجوز أَن يكون بالضم كطُوال في طويل، ومنهم مَن يرويه بالكسر ولا وجه له.

(٢) الأعلام: للزركلي (٥٥/٦).

• **المنهج والأسلوب:**

- رتّبه على لام الفعل، أي على أواخر الحروف.

- جرّد الكلمات من حروف الزيادة، وردّ الجمع إلى المفرد، وفعل المضارع والأمر إلى الماضي، والألفات في وسط وآخر الكلمات إلى أصلها (الواو أو الياء).

- بيَّن المؤلف منهجه فقال: واقتصرت فيه على ما لا بد لكل عالم فقيه أو حافظ أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه؛ لكثرة استعماله وجريانه على الألسن، مما هو المهم فالأهم، خصوصا ألفاظ القرآن العزيز، والأحاديث النبوية، واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبَها، طلبًا للاختصار وتسهيلًا للحفظ. وضممت إليه فوائد كثيرة من تهذيب اللغة للأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها، ومما فتح الله به علي. وقد ميّز ما أضافه بقوله قلت. وضبط الأسماء على الأعم الأغلب، إما بذكر مثال مشهور، وإما بالنص على حركات حروفها.

• **كتب ذات صلة:**

- تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، ويعد هذا الكتاب اختصارًا له، واختيارًا من مواده، كما صرح المؤلف بذلك في المقدمة(١).

(١) الجوهري: أبو نصر، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣ هـ)، كان إمامًا في اللغة العربية. ألف كتاب «الصحاح» جعل الحرف الأخير بابًا، والأول فصلًا، وقسم كل باب إلى فصول حسب أوائل الكلمات، واقتصر على جمع الألفاظ الصحيحة، وعني بالضبط عناية دقيقة؛ وأشار إلى اللغات المختلفة في اللفظ الواحد، واعتنى بالتنبيه على المعرَّب من الألفاظ، واستشهد بالقرآن، والحديث، وما رُويَ من فصيح كلام العرب شعرًا ونثرًا، ونسب الأقوال إلى أصحابها في كثير من الأحيان، واهتم بأسماء القبائل والأعلام.

- رتبه طبقًا للحرف الأول فالثاني: محمود خاطر، بتكليف من وزارة المعارف العمومية بمصر، وظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٠م، وتوالت الطبعات بعد ذلك، كلها على هذا المنوال، حتى ظن أكثر الناس أن المختار مرتب على أوائل الكلمات[١].

❁ ❁ ❁

(١) المراجع:
كتاب «الصحاح» للجوهري، تحقيق: عبد الغفور عطار «مقدمة المحقق»، ط. دار العلم، سنة ١٩٩٠م.
كشف الظنون: حاجي خليفة.
موسوعة المصادر والمراجع: د. عبد الرحمن عطبة.
مصادر التراث والبحث: محمود فاخوري.
تفسير غريب القرآن: للرازي، طبع بتحقيق د. عبد الله محمد عبد الرحمن أحمد، نشر وزارة الأوقاف، دولة الكويت.

لسان العرب

لسان العرب من أكبر المعاجم العربية، جمعه ابن منظور من خمسة معاجم صرّح بذكرها في مقدمته، هي: التهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، وحواشي ابن بري، والنهاية لابن الأثير، فأورد جميع ما فيها، عدا المكرر وبعض الاستطرادات.

- **ابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ):**

أبو الفضل، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، جمال الدين، كان إمامًا حجةً عالمًا بالنحو واللغة والحديث والتاريخ وسائر علوم العربية، خدم بديوان الإنشاء بالقاهرة، وولي القضاء بطرابلس الغرب، وله مصنفات كثيرة. قال ابن حجر: «كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة».

وقال الصفدي: «لا أعرف في كتب الأدب شيئًا إلاّ وقد اختصره».

- **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أنه كان مشغوفًا بمطالعة كتب الأدب، ومهتمًّا بالاطلاع على تصانيفها، وعِلل تعاريفها، لكنه رأى أن علماء اللغة أحد رجلين: إما رجلٌ أحسن الجمع ولَم يحسن الوضع، وإما رجلٌ أجاد الوضع ولم يجد الجمع، ثم بين رأيه في كتب اللغة التي اطلع عليها، وبعد ذلك استخار الله تعالى في جمع هذا الكتاب، الذي جمع فيه من اللغات والشواهد والأدلة ما لم يجمع مثله مثله، في زمن كثر فيه اللحن، وافتخر الناس بغير لغتهم.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعـدُّ هذا الكتاب من أضخم المعاجم اللغوية وأغزرها مادة، وهو أشهر كتب ابن منظور، وعليه تقوم شهرته، وقد تلقّاه العلماءُ بالثقة والتقدير، فهو موسوعةٌ ثريّةٌ شاملةٌ، لا تقتصر على المواد اللغوية وشروحها، بل يضمُّ فوائد واستطرادات ونقولًا كثيرة ومتنوعة، يفيد منها الأديب، والفقيه، والمحدث، واللغوي، والصرفي، والنحوي، والإخباري، وعالم التفسير، وهو أشهر معاجم اللغة العربية في العصور المتأخرة.

تميَّزَ الكتابُ بكثرةِ الشَّواهدِ الشِّعريةِ والنَّثريةِ التي يحتجُّ بها من الآيات، والأحاديث، والحكم، والأمثال، والمأثور من كلام العرب وأشعارهم، وبكثرة الاستطراد، وكثرة الفوائد، ولاسِيَّما الفقهية، والنُّقول الكثيرة، مع عَزْوِ كلِّ قولٍ إلى صاحبه، واهتمّ بالنَّوادر، وجَمَعَ ما تفرّق في المعاجم الأخرى، كما تميز بالتوسِّع في شرح الموادّ وما تفرع منها من ألفاظ؛ كما اهتم بذكر بعض القواعد النّحوية والصّرفية.

- **مـآخذ:**

على الرغم من قيمة الكتاب العلمية وأهميته، فقد أخذ بعض العلماء عليه بعض المآخذ، منها كثرة تكرار الشروح، ومنها افتقاره إلى الترتيب والتنظيم، حيث حشد الألفاظ حشدًا لا يقوم على منهج واضح، ويؤخذ عليه تركه بعض الصيغ والمعاني التي أوردها أحد مراجعه، ولا سيما التهذيب، كما يؤخذ عليه اقتصاره في المراجع على الكتب الخمسة وإهمال غيرها من المراجع الكبيرة المهمة، كالجمهرة لابن دريد، والبارع للقالي، والمقاييس في اللغة لابن فارس، وغيرها.

وقد استدرك على طبعته العلامة أحمد تيمور بعض الأخطاء المطبعية، ونشرها في جزء صغير بعنوان «تصحيح لسان العرب».

وكتب الأستاذ عبد السلام هارون «تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب» نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة.

● **المنهج والأسلوب:**

- بدأ المؤلف بمقدمة عن شرف اللغة العربية، وارتباطها بالقرآن الكريم ثم نقد التهذيب، والمحكم، والصّحاح.

- وضع بعد المقدمة بابين، الأول: في تفسير الحروف المقطعة في أول سور القرآن الكريم، والثاني: في ألقاب حروف المعجم وطبائعها وخواصّها.

- بين المؤلف منهجه في هذا الكتاب، فقال: ولا أدعي فيه دعوى، فأقول: شافهت أو سمعت، أو فعلت أو صنعت، أو شددت الرّحال أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالًا، ولم يخليا لأحد فيها مجالًا، فإنهما عيّنا في كتابهما عمن رويا، وبرهنا عما حويا، ونشرا في خطبهما ما طويا، ولعمري لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفيا... وليس في هذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في هذه الكتب... وأديت الأمانة في نقل الأصول بالفص، وما تصرفت بكلام غير مافيها من النص، فليعتد من ينقل عن كتابي أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة.

- رتب المؤلف الكلمات على حسب جذور الكلمة، دون مراعاة لحروف الزيادة.

- رتبه على حروف الهجاء، وجعل الأواخر أبوابًا والأوائل فصولًا.
- يتحدث في بداية كل باب عن الحرف المعقود له الباب.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

طبع الكتاب لأول مرة بمطبعة بولاق بتصحيح جماعة من علماء الأزهر الشريف، سنة ١٨٨٢م.

رتَّب اللسان على أوائل الحروف: يوسف الخياط ونديم المرعشلي، وألحقا به معجمًا حديثًا للمصطلحات العلمية والفنية. ط. دار لسان العرب. بيروت، سنة ١٩٧٠م.

إحصائيات جذور معجم لسان العرب «باستخدام الكمبيوتر»: د. علي حلمي موسى، نشرته جامعة الكويت، سنة ١٩٧٢م.

حقّقه ورتَّبه على حسب الحروف الأوائل: عبد الله علي الكبير وزميلاه. ط. دار المعارف، مصر، سنة ١٩٨٠م.

فهارس لسان العرب: خليل أحمد عمايرة، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.

معجم الملابس في لسان العرب: د. أحمد مطلوب، نشرته مكتبة لبنان، ناشرون، رتبت مواده على الحرف الأول، وصدر سنة ١٩٩٥م.

لسان العرب لابن منظور، دراسة وتحليل ونقد: د. حكمت فواز، ط. دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٦م.

حققه: يوسف البقاعي، وإبراهيم شمس الدين، ونضال علي. ط. الأعلمي، بيروت، سنة ٢٠٠٥م.

أصول الجذور العربية في لسان العرب: د. سالم سليمان الخماش، نشر جامعة الملك عبد العزيز، سنة ٢٠١٠م.

القاموس المحيط

وهو من أصح ما ألف في اللغة العربية نقلاً، وأدقها وضعًا، وأوسعها مادةً، ومنذ أن صدر عن مؤلفه سار في الناس ذكره، وأعجبوا به حيث كان، وتدارسوه في كل مكان، وقد تلقاه جهابذة العلم بالقبول، وعنوا به شرحًا وتعليقًا واستدراكًا ونقدًا.

«الطاهر أحمد الزّاوي»

- **الفيروزآبادي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ):**

أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيرزآبادي الشيرازي، مجد الدين، كان إمامًا في اللغة، والأدب، والحديث، والتفسير، حفظ القرآن الكريم في سن السابعة، وانتقل إلى العراق، وتجول في مصر، وبلاد الشام، ودخل الهند وبلاد الروم، ورحل إلى بلدة «زبيد» باليمن، فأكرمه ملكها، فسكنها، وولي قضاءها، وتوفي بها، له مصنفات كثيرة تزيد عن العشرين كتابًا، منها «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، و«البلغة في تاريخ أئمة اللغة»(١).

- **القيمة العلمية للكتاب:**

قال المؤلف مشيرًا إلى مِيَزِ كتابه هذا: «وألّفتُ هذا الكتاب محذوفَ الشواهد، مطروحَ الزوائد، معربًا عن الفُصْحِ والشوارد.. مشتملاً على فرائد أثيرة، وفوائد كثيرة، من حسن الاختصار، وتقريب العبارة، وتهذيب

(١) الأعلام: للزركلي (١٤٧/٧). وكشف الظنون: حاجي خليفة (١٣٠٦/٢).

الكلام، وإيراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة».

وقال الشاعر منوِّهًا بقيمته:

أيا طالبًا لكلام العربْ ... ومبتغياً فيه نَيلَ الأرَبْ
عليك بهذا الكتابِ الذي ... ترقَّى من الفضلِ أعلى الرتبْ
وأجمعَ كلُّ الورى أنه ... أجلُّ تصانيفِ أهلِ الأدبْ
ولو أنصفوه إذا نَمَّقوه ... لما خُطَّ إلا بماء الذّهبْ

وإنَّ مما يدل على القيمة العلمية لهذا الكتاب أنَّ كلمة «قاموس» صارت تطلق على كل معجم لغوي، مهما كان نوعه، لاشتهار هذا الكتاب وكثرة تداوله[١].

● **مآخذ:**

أخذ على المؤلف أنه لا يطّرد على نسق معين في ترتيب ألفاظ كل مادة. كما أخذ عليه غموض عبارته في بعض الأحيان، وتداخل الضمائر بسبب حرصه على الإيجاز والتكثيف.

وقد تتبعه بعض المؤلفين بالنقد، ومن ذلك كتاب: «الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط» لداود زاده (ت: ١٠١٧هـ).

و«الجاسوس على القاموس» لأحمد فارس الشدياق (ت: ١٨٨٧م)، تعقب فيه أغلاط القاموس، وعلق على بعض ما فيه، ودافع عنه تجاه من طعنوا عليه.

---

(١) القاموس في اللغة: البحر، أو أوسطه، أو معظم مائه.
وفي الاصطلاح: معجم بالكلمات ومعانيها، مرتبة أبجديًا بلغة واحدة، أو بلغة وما يقابلها في نقلها إلى لغة أخرى.

• **المنهج والأسلوب:**

اعتمد المؤلف على كتب اللغة التي قبله.

رتب الكتاب ترتيبًا هجائيًا، بحسب أواخر أصول الكلمات، فجعل الحرف الأخير بابًا، والحرف الأول فصلاً.

وراعى الاختصار والإيجاز، مع الاعتدال وعدم الإخلال.

ومن مظاهر هذا الاختصار أنه رمز للشيء المعروف بـ (م)، وللموضع بـ (ع)، وللجمع بـ (ج)، ولجمع الجمع بـ (جج)، وللقرية بـ (ة)، وللبلدة بـ (د).

لم يكثر من إيراد الشواهد، حيث لَم يرد في كتابه كله إلا نحو (٢٥٠) شاهدًا.

كما أنه لم ينسب الآراء إلى قائليها.

واستوعب الكتاب معظم مفردات اللغة العربية، حتى الغريب النادر منها.

وحرص على ضبط الكلمات بالحركة، وفي بعض المرات بالحرف.

واعتنى بذكر الأعلام، والقبائل، والأمور الطبية، وبمصطلحات الفنون والعلوم.

ونص على الألفاظ المولدة، والأعجمية، والغريبة، مع بيان أصلها.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

اعتنى بطبعه: المستشرق «ماتيو لومسدن» وصدر سنة ١٢٣٠هـ.

وطبع بمطبعة بولاق، بتصحيح الشيخين، نصر الهوريني، ومحمد قطة العدوي سنة ١٢٧٢هـ.

وطبع الكتاب في المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٠١هـ.

وكتب العلامة أحمد تيمور كتاب تصحيح القاموس المحيط.

ورتبه الشيخ الطاهر أحمد الزاوي على الأوائل بدل الأواخر[١].

كسر الناموس في شرح القاموس: لعبد الله بن شرف الدين الحسني الشافعي، ملك اليمن (ت: ٩٧٣ هـ)، قال في الأعلام: هو في نقد القاموس.

تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)[٢].

۞ ۞ ۞

(١) الشيخ الطاهر أحمد الزاوي: مفتي ليبيا، باحث وفقيه ولغوي ومؤرخ، توفي سنة ١٩٨٦م «تتمة الأعلام: محمد خير رمضان يوسف».

(٢) الزبيدي: أصله من واسط بالعراق، ومولده بالهند، ومنشؤه بزبيد باليمن، زادت مصنفاته على المائة، في اللغة، والحديث، والتصوف، والسيرة، وغير ذلك.
وتاج العروس: تعقب فيه القاموس، واستدرك فيه ما غفل عنه الفيروزآبادي، وصوَّب له بعض المواد، واعتمد في شرحه على كتب اللغة، ذاكرًا مصادره، وأكثر من إيراد الشواهد، وقد صدر الكتاب محققًا تحقيقًا دقيقًا عن وزارة الإعلام، في دولة الكويت في ٤٠ مجلدًا.

المجموعة الثالثة

في الفهارس والموسوعات

وتشمل الكتب التالية:

الفهرست

التعريفات

كشاف اصطلاحات الفنون

الفهرست

هذا الكتاب من أنفس النفائس، لا نظير له فيما يتعلق بمعرفة مصنفي العرب وتآليفهم في كل فن إلى أواخر القرن الرابع للهجرة، ومعرفة ما ترجم إلى العربية من كتب الهند والفرس واليونان والسريان، فهو منبع غزير، ومصنف لا بد منه لكل من يشتغل في تاريخ أدبيات العرب القديمة[١].

«نللينو: مستشرق إيطالي»

● **ابن النديم (ت: ٣٨٠ هـ، وقيل غير ذلك):**

محمد بن إسحاق، عالم، أديب، له اشتغال بالتاريخ، والفقه، والحديث، والمنطق، والعلوم اليونانية، كان وراقًا ببغداد، رحل إلى البصرة، واتصل ببعض علمائها وأدبائها وأخذ عنهم، وتتلمذ على أبي الفرج الأصفهاني، وأبي

(١) الفهرست: هو الكتاب الذي يجمع أسامي الكتب (معرّب).
ومن أشهر وأهم الفهارس التي تناولت أسامي العلوم والكتب والمؤلفين: «الفهرست» لابن خير الإشبيلي (ت: ٥٩٣ هـ) ذكر فيه الكتب المصنفة على ضروب العلم وأنواع المعارف التي ظهرت في الأندلس. و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ) ذكر فيه اسم ١٥٠٠٠ كتاب، و٩٥٠٠ ترجمة، و٣٠٠ علم، و«إيضاح المكنون، وهدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (ت: ١٩٢٠م)، و«تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان (ت: ١٩٥٦) رصد ما وقع تحت علمه من مخطوطات الكتب العربية التي ألفت باللغة العربية في جميع العلوم عبر تاريخ الفكر العربي والإسلامي منذ العصر الجاهلي حتى منتصف القرن العشرين، وحصر أماكن وجودها في مكتبات العالم. و«تاريخ التراث العربي» لفؤاد سيزكين، تدارك مافات بروكلمان وأضاف إليه بعض الموضوعات، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، وهو كتاب خاص بمصنفي الكتب العربية من عرب وعجم، رتّبه ترتيبًا معجميًا من زمن الجاهلية حتى زمن المؤلف، وصدر سنة ١٩٥٧م.

سعيد السيرافي، وعرف بالذكاء، وسعة الاطلاع.

قال الأستاذ محمود فاخوري: «ومن خلال عمل ابن النديم في هذا الكتاب يلاحظ قارئوه أن المؤلف عالم كبير، وأديب واسع الاطلاع، قد أوتي حظًا كبيرًا من المهارة في التصنيف، وفي التعريف بالعلوم وبأصحابها، على منهج سليم، وبراعة فائقة»[(١)].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب عمدة في التراجم، وأصلاً من أصول التأليف، وهو أول أوفى سجل حتى عصره باللغة العربية وصلنا، يعرِّف بأقدم ما ألف في اللغة العربية أو ترجم إليها، في جميع أبواب المعرفة، منذ بدء التأليف، حتى سنة ٣٧٧ هـ، تناول النشاط الفكري في الأدب، واللغة، والفقه، والحديث، والتاريخ، والعقائد، والمذاهب، والطب، والفلك، والموسيقى، والفلسفة، والحساب.

قال ياقوت الحموي: «وقد جوّد فيه -أي «الفهرست»- واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون العلم وتحقيقه لجميع الكتب».

وقال المستشرق الروسي «بارتولد»: إن انتشار الثقافة والمعرفة في العصر العباسي كان السبب في اتساع نطاق التأليف في جميع فروع الأدب، حتى أمكن منذ نهاية القرن العاشر أن يظهر أثر ضخم يعالج الكلام في

---

(١) قال المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله: محمد بن إسحاق، النديم، الوراق، مصنف كتاب «فهرست العلماء» هكذا بدون «ابن»... وقال: والذي درج على أقلام الكاتبين هو «ابن النديم» وليس بصحيح، لما ذكرته. لسان الميزان: ابن حجر (٦/ ٥٥٧)، وتنظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (٨/٨٣٣). ومعجم الأدباء لياقوت (٦/٢٤٢٧).

تصنيف العلوم، ذلك هو كتاب الفهرست لابن النديم، وسيظل هذا المصنف المرجع الوثيق لجميع المشتغلين بدراسة الأدب العربي، هذا فضلاً عن أننا نجد فيه أحيانًا مادة تاريخية قيمة ذات طابع عام لا أثر لها في المصادر الأخرى.

ويمتاز الكتاب بذكر أسماء بعض الكتب الهامة التي لم تصلنا، فقد ذكر اسم (١٢) كتابًا في صناعة السلاح وتنظيم الجيوش، وذكر اسم (٩) كتب في تركيب العطور، وذكر اسم (١١) كتابًا في الطبخ، وذكر اسم (١١) كتابًا في الصيدلة، وذكر ثلاث صفحات في الكتب المؤلفة في العشق والعشاق، ومعظمها لم يصلنا منه غير وصف ابن النديم له(١).

ويعتبر بعض الدارسين أن فهرست ابن النديم كان أساسًا لتصنيف (ديوي العشري) الذي أصدره سنة ١٨٧٦م، أي بعد أربع سنوات من طباعة الفهرست(٢).

● **المنهج والأسلوب:**

قسم المؤلف كتابه إلى عشرة أبواب، أسماها مقالات، وقسم كل مقالة إلى عدد من الفنون، أو الفصول، فبلغ عددها اثنين وثلاثين فنًا، وأحصى (٨٣٦٠) كتابًا لـ (٢٢٣٨) مؤلفًا، منهم (٢٢) امرأة و(٦٥) مترجمًا.

المقالة الأولى: في لغات الأمم ولهجاتهم، وفي الكتب المنزلة، وفي القرآن الكريم وعلومه وتاريخ جمعه وترتيب نزوله وسوره، تعرض فيها

(١) الفهرست للنديم: د. شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، ط. العربي القاهرة (٣٩/١).
(٢) ملفيل ديوي (١٨٥١ - ١٩٣١م) أمين مكتبة أمريكي، أنشأ في بوسطن مع بعض زملائه مجلة المكتبة عام ١٨٧٧م، وأسس في نيويورك مدرسة لتدريب أمناء المكتبات، ابتكر تصنيف ديوي العَشْري لتصنيف الكتب في المكتبات وفقًا لموضوعاتها «المورد: للبعلبكي».

لفضل القلم والكتابة، وبيان أنواع الخطوط العربية، وأنواع الورق الذي كان يستعمل .

المقالة الثانية : في نشأة النحو ومدارس النحويين، وأهم الكتب والمؤلفات في هذا العلم .

المقالة الثالثة : في الأدباء، والكتاب، والرُّواة، والملوك، والمؤرخين، والندماء، والمغنين، والمضحكين .

المقالة الرابعة : في طبقات الشعراء في الجاهلية والإسلام، وأسماء الدواوين، والرواة، وأسماء كتبهم.

المقالة الخامسة : في علم الكلام، وشيوخ الفرق الدينية، والزهاد، وأسماء مؤلفيهم. تحدث فيها عن المعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والجبرية، والحشوية، والخوارج، والصوفية.

المقالة السادسة : في المدارس الفقهية، وأصحاب المذاهب، والكتب التي كتبت في ذلك.

المقالةالسابعة : في الفلاسفة، والمهندسين، وأهل الحساب، والمنجمين، والأطباء .

المقالةالثامنة : في السحر، والشعوذة، والعطور، والصيدلة، والخرافات.

المقالة التاسعة : في الفرق الضالة، كالحرانية، والصابئة، والوثنية، والمزدكية، وأديان الصين، والهند وغيرهم، وبيان كتبهم.

المقالة العاشرة : في أخبار الكيمائيين، والفلاسفة القدماء والمحدثين، وأسماء كتبهم.

طريقته في العرض : يتحدث عن أصحاب كل علم، وما صنف فيه من الكتب أو الرسائل، ويضيف إلى ذلك كثيرًا من الأخبار والآراء والأحكام.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

يعتمد ابن النديم في التراجم كثيرًا على أبي سعيد السيرافي، وأبي الفرج الأصفهاني، كما يعتمد على كتب تاريخية، وأخرى في الفرق والأديان، وعلى كتب ترجمت في الطبيعيات أو حول التراث اليوناني القديم.

طبع الكتاب لأول مرة في ليبسك بعد أن حققه وألحق به ملاحظات المستشرق الألماني جستاف فلوغل (ت: ١٨٧٠م) ثم أتمه تلميذاه رويديجر وموللر ونشر في ليبزج.

وترجمه إلى اللغة الإنجليزية: د. بيار ضودج[١]، عميد الكلية الأمريكية ببيروت، وطبعت جامعة كولومبيا هذه الترجمة سنة ١٩٧٠م.

وحققه: الإيراني رضا تجدد المازندراني، وطبع في طهران، وترجمه إلى الفارسية، سنة ١٩٧١م.

وحققه: د. مصصطفى الشويمي، المؤسسة الوطنية الجزائر سنة ١٩٨٥م.

وحققه: د. ناهد عباس عثمان، وطبع في قطر، دار قطري بن الفجاءة، سنة ١٩٨٥م.

وحققه: د. شعبان خليفة ووليد العوزة، القاهرة، سنة ١٩٩١م.

ضبطه يوسف علي الطويل، وفهرسه أحمد شمس الدين، ط. دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٦م.

---

(١) بيار ضودج (١٨٨٨-١٩٧١م) مستشرق أميركي، من أعضاء مجمع اللغة العربية المراسلين، مولده ووفاته في نيويورك، عين أستاذًا وعضوًا في هيئة الجامعة الأميركية ببيروت، وأستاذًا في الجامعة الأميركية بالقاهرة، ترجم إلى الإنكليزية كتاب (الفهرست) لابن النديم، وكتب مقالات في حياة ابن النديم وكتابه الفهرست ترجمت إلى العربية.

وحققه: د. محمد عوني عبد الرؤوف، ود. إيمان السعيد جلال، ط. الهيئة العامة للثقافة، سنة ٢٠٠٦م[١].

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:
مصادر التراث العربي: د. عمر دقاق.
مصادر التراث والبحث: محمود فاخوري.
موسوعة المصادر والمراجع: د.عبد الرحمن عطبة.
الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف د.شفيق غربال.
«تركستان» من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: فاسيلي فلاديمير فتش بارتولد.
وانظر: أعمال مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب في طرطوس سوريا، الذي ختم أعماله يوم (٢٨/ ٥/ ١٩٨٩م) زامن الذكرى الألفية لولادة ابن النديم.
وكتاب الفهرست: د. عبد الستار الحلوجي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المجلد السابع.

التعريفات

هذا الكتاب «التعريفات» يضم مصطلحات شتى، مختلفة من هنا وهناك، تناول علومًا جمة، ليس للدارس غنى عنها.

«إبراهيم الأبياري»

• **الشريف الجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦ هـ):**

علي بن محمد، فيلسوف، لغوي، كان إمامًا في جميع العلوم، ولا سيما العقلية منها، صنف في جميع العلوم، وذكر له أكثر من ستين مؤلفًا، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مفقود، وكان يصنّف بالعربية والفارسية.

• **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدّ هذا الكتاب خلاصة لجهود السابقين في هذا المجال، قال في «كشف الظنون»: وهو مختصر، جمع تعريفات الفنون على الحروف.

وقال إبراهيم الأبياري «محقق الكتاب»: الجرجاني بما فعل في هذا الكتاب قد ذلل لك السبيل إلى الحصول على ما تريد، ويسر لك العرض، بعد أن تناوله بالتنقيح، كما أضاف وعقب، وكما بوَّب ورتب، وبهذا كله قدم لنا الجرجاني خلاصة أفكار سبقت، فله الشكر على ما عنى به نفسه.

ومما يدلّ على القيمة العلمية لهذا الكتاب: أن المستشرقين قد اتجهوا إليه أول ما اتجهوا إلى التراث، فطبعوه أول مرة في أوربة سنة ١٧٤٣م.

- **مـآخذ :**

لوحظ على المؤلف توسعه في ذكر المصطلحات الصوفية.

- **الغاية من تأليف الكتاب :**

قال المؤلف : هذه تعريفات جمعتها ، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم ، ورتبتها على حروف الهجاء ، من الألف إلى الباء إلى الياء ، تسهيلًا لتناولها للطالبين وتيسيرًا لتعاطيها للراغبين.

- **المنهج والأسلوب :**

عرف المؤلف بالمصطلحات العلمية المستعملة في جميع الفنون ، فاشتمل على المصطلحات الفقهية ، والأصولية ، والاعتقادية ، والنحوية ، والصرفية ، والمنطقية ، والفلسفية ، والكلامية ، والفلكية ، والهندسية ، والحسابية ، والصوفية ، والبلاغية ، والتجويدية ، والعروضية ، والحديثية ، واللغوية ، وغير ذلك .

كثيرًا ما يورد للمصطلح الواحد أكثر من تعريف.

بلغ عدد المصطلحات التي أوردها ألفًا وستمائة وسبعة وسبعين مصطلحًا.

ووضع عبدالرؤوف المناوي (ت: ١٠٣٠هـ) عليه زيادات مهمة في «التوقيف على مهمات التعاريف».

۞ ۞ ۞

كشاف اصطلاحات الفنون

لكن «كشاف اصطلاحات الفنون» يقع بينها -أي بين الكتب المؤلفة في هذا الباب- موقعًا حسنًا، فقد استقصى فيه «التهانوي» بحث المواضعات العلمية، متدرجًا من الدلالة اللغوية إلى غيرها من الدلالات في شتى العلوم، من نقلية وعقلية، وتوسع في إيراد المسائل التي اقتضاها البحث، معتمدًا على الكتب المعتبرة في العلوم المختلفة، على آراء الثقات من العلماء والمؤلفين، وذكر المظانّ التي نقل عنها، يوردها في ثنايا المادة أو في آخرها، بحيث أضحى الكتاب معلمةً للثقافة والمؤلفين.

«د. لطفي عبد البديع»

● **التهانوي (ت: ١١٥٨هـ):**

محمد أعلى بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد بن مولانا أتقى العلماء محمد صابر الفاروقي السني، الحنفي، التهانوي، نسبة إلى «تهانة» موطنه في الهند، كان حيًّا سنة ١١٥٨ هـ، وهي السنة التي فرغ فيها من تسويد هذا الكتاب.

نشأ في بيت علم، فتتلمذ على والده في العلوم الشرعية والعربية، وأما العلوم العقلية والطبيعية فقد طالع مختصراتها الموجودة عنده، واقتبس منها المصطلحات أثناء المطالعة.

● **موضوعه:**

في تعريف المصطلحات العلمية، وهو فرع من فروع علم الموسوعات[١].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب معلمة للاصطلاحات العلمية عند المسلمين، وقد قضى المؤلف بضع سنين في تأليفه، أراد من ذلك أن يوفر للمثقفين كتابًا وافيًا لاصطلاحات جميع العلوم، من طبية، وفلسفية، ورياضية، وغير ذلك، كافياً المتعلم الرجوع إلى الأساتذة.

قال د. جميل أحمد: «وهو معجم عظيم النفع للمصطلحات العلمية والفنية، يغني عن مراجعة آلاف الصفحات وعشرات الكتب، كفى تقديرًا له أن علماء العرب تلقوه بالقبول، وعلماء الغرب عملوا على نشره».

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أنه وجد كتباً تشرح مصطلحات بعض العلوم، ولكنه لم يقف على كتاب يشرح مصطلحات جميع العلوم، ولذا ندب نفسه للاضطلاع بهذه المهمة، معتمدًا في ذلك على مجموعة من الكتب المعتبرة في العلوم المختلفة، وعلى آراء الثقات من العلماء والمؤلفين، ذاكرًا هذه المواطن.

---

(١) انظر «تصنيف العلوم» في هذا الكتاب.

- **المنهج والأسلوب:**

بدأ كتابه بمقدمة طويلة، تحدث فيها عن العلوم المدونة، وما يتعلق بها، وأصول التأليف، ومقاصد المؤلفين وأقسام العلوم.

قسّم العلوم إلى عربية وغير عربية، وقسم العربية إلى علوم، هي: اللغة، والتصريف، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض والقوافي، والنحو.

وقسّم العلوم إلى شرعية وغير شرعية، فالشرعية هي: «الفقه الأكبر» التوحيد والصفات، والتفسير، والقراءات، والإسناد، والحديث، وأصول الفقه، والفرائض، والسلوك .

وقسّم العلوم إلى عقلية ونقلية، فالعقلية هي التي لا تتغيير بتغير الملل والأديان، وهي: المنطق وأصوله، والحكمة وأقسامها.

بلغ عدد المصطلحات التي أوردها ٣٥٤٠ مصطلحًا.

رتّب المؤلف الكتاب على فنين: فن الألفاظ العربية، وفن الألفاظ الأعجمية.

اتبع أسلوب الموسوعات الهجائية، حيث جمع المصطلحات ورتبها ترتيبًا معجميًا بحسب أصولها، فجعل الحرف الأول بابًا، والحرف الأخير فصلاً.

طريقته في التعريف: يورد الكلمة، ثم يضبطها بالحرف، ثم يسوق تعريفها اللغوي، ثم الاصطلاحي، مع عزو كل تعريف إلى مصدره، بذكر اسم الكتاب، واسم المؤلف.

قد يسوق للكلمة الواحدة أكثر من تعريف، حسب ترددها بين العلوم، وحسب اختلاف العلماء في تعريفها، فكلمة (بدل) مثلا تكلم عنها في عشر

صفحات، حيث ضبطها، ثم بيَّن معناها اللغوي، ثم معناها عند الصرفيين، ثم عند النحويين، ثم عند المحدثين، ثم عند المهندسين، ثم عند الأصوليين، ثم عند أهل التعمية من الفرس، ثم عند الصوفيين.

يتعرض للألفاظ ذات الصلة بالكلمة المعقود لها الباب، ويذكر الصلة والعلاقة بينهما

أورد فيه جميع المصطلحات المتعلقة بجميع العلوم المعروفة حتى زمانه.

غلب على اهتمامه تفسير المصطلحات الصوفية، أو ما يعبر عنه بالعلوم الحقيقية.

- **كتب ذات صلة:**

حققه: المستشرق النمساوي «سبرنجر» سنة ١٨٥٤م، ط. كلكتا الهند.

وأشرف على طباعته: أحمد جودت، سنة ١٣١٧هـ، طبعة إستانبول.

وحققه: د. لطفي عبدالبديع، ط. وزارة الثقافة المصرية ١٩٦٣م.

وحققه: د. علي دحروج. ط. مكتبة لبنان، ناشرون ١٩٩٦م.

المجموعة الرابعة

وتشمل :

- التراجم .
- والطبقات .
- والتاريخ .
- والجغرافيا .
- والرحلات .

الطبقات الكبرى

في صفحاته كنـز لا ينضب من المعرفة، لمن شاء أن يدرس سيرة الرسول ﷺ وحياة القرنين الأولين من تاريخ الإسلام، وهو المنبع الذي يمد الباحثين بموضوعات جديدة في كتابة السير، والبحث عن طرق الإسناد، وكيفية تدوين الحديث، ويعلمنا الشيء الكثير عن الأمور الاجتماعية المتصلة بحياة البيت والسوق، وأمور الزي والطعام والشراب، وعن جوانب من الأعمال والمهن والحياة التجارية، وعن كثير من النواحي الثقافية، والأحكام الفقهية، والصِّراع بين السنة والأهواء، وعن عشرات الموضوعات، كل ذلك في لغة سهلة مستوية جزلة، وفي اعتدال وقصد وموضوعية وتجرد، لا يستطيعه إلا من كان مخلصًا، كابن سعد، يقدم الغاية العلمية على كل شيء آخر.

«د. إحسان عباس»

● **ابن سعد (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ) .**

أبوعبد الله، محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، البصري، وهو مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد بالبصرة، وارتحل إلى بغداد، وأقام فيها ملازمًا أستاذه الواقدي، يكتب له، حتى عرف باسم «كاتب الواقدي» ورحل إلى المدينة المنورة، وإلى الكوفة، ولقي الشيوخ وكتب عنهم، لم يذكر له العلماء سوى كتابين غير الطبقات «الطبقات الصغير»، و«أخبار النبي ﷺ» وكان جامعًا للكتب.

قال الخطيب البغدادي: «محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدل على صدقه، فإنه يتحرى في كثير من روايته».

• **الموضوع:**

في علم طبقات الصّحابة والتابعين.

والطبقة: «الجيل بعد الجيل، أو القوم المتشابهون في سن أو عهد».

واختلف في عدد طبقات الصحابة، وجعلهم الحاكم اثني عشرة طبقة.

وأول من صنف على الطبقات: الهيثم بن عدي (ت: ٢٠٧هـ) له كتاب «طبقات الفقهاء والمحدثين»، و«طبقات من روى عن النبي ﷺ من الصحابة»(١).

---

(١) والطبقة في الاصطلاح: جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ، أو تقارب شيوخهم، ومن أشهر كتب الطبقات:

- طبقات الرواة: لخليفة بن خياط البصري (ت: ٢٤٠هـ)
- طبقات الشعراء: لعبد الله بن الخليفة العباسي المعتز بالله (ت ٢٩٦ هـ).
- طبقات الشعراء: لمحمد بن عبد الله، المعروف بابن قتيبة (ت: ٢٧٦ هـ).
- طبقات النساك: لابن الأعرابي، أحمد بن محمد (ت: ٣٤٠ هـ).
- طبقات الصوفية: لأبي عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين (ت: ٤١٢ هـ).
- طبقات الأولياء: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٠ هـ).
- طبقات التابعين «تحفة الناظرين»: لابن النجار (ت: ٦٤٣ هـ).
- طبقات الحكماء «إخبار العلماء بأخيار الحكماء»: علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦ هـ).
- طبقات الأطباء والحكماء: لابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت: ٣٧٧ هـ).
- طبقات الأطباء «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: لموفق الدين ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم الدمشقي (ت: ٦٦٨هـ).
- طبقات المتكلمين: لأبي بكر، محمد ابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ).
- طبقات الأدباء «نزهة الألبا»: لأبي البركات، عبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ).
- طبقات النحويين واللغويين: لمحمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت: ٣٧٩ هـ).
- طبقات الحفاظ «تذكرة الحفاظ»: لمحمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ). =

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب من أشهر كتب الطبقات في الرجال عامة، وفي الحديث خاصة.

وهو أول ما صنف في هذا الموضوع، بعد كتاب الواقدي الذي سبقه بكتاب يحمل الاسم نفسه.

وقد اعتبر العلماء كلام ابن سعد في الجرح والتعديل مقبولًا، لذلك فهو يعتبر مصدرًا من مصادر تراجم رجال الحديث.

ومن ميِّزات هذا الكتاب أنه حفظ لنا تراجم أعداد كبيرة من الصحابة والتابعين، إذ كان لايزال قريب العهد بهم.

ومما يدل على القيمة العلمية لهذا الكتاب أن أكثر العلماء الذين كتبوا بعده في هذا الموضوع تأثروا به وأخذوا عنه.

= - طبقات الفقهاء: لأبي إسحاق الشيرازي، إبراهيم بن علي (ت: ٤٧٦ هـ).
- طبقات الحنابلة: لأبي يعلى، محمد بن محمد بن الحسين (ت: ٥٢٦ هـ).
- طبقات الشافعية: لتاج الدين، عبد الوهاب ابن السبكي (ت: ٧٧١ هـ).
- طبقات الحنفية «الجواهر المضيئة»: لعبد القادر بن محمد القرشي (ت: ٧٧٥ هـ).
- طبقات الحنفية «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»: لتقي الدين الغزي (ت: ١٠١٠ هـ).
- طبقات المالكية: لابن فرحون، برهان الدين، إبراهيم بن علي (ت: ٧٩٩ هـ).
- طبقات المحدثين: لابن الملقن، عمر بن علي (ت: ٨٠٤ هـ).
- طبقات القراء: لابن الجزري، محمد بن محمد (ت: ٨٣٣ هـ).
- طبقات المعبِّرين: لحسن بن حسين الخلال، ذكر فيه ٧٥٠٠ معبر من المشاهير.
- طبقات المفسرين. وطبقات الحفاظ. وطبقات الأصوليين. وطبقات البيانيين. وطبقات الكتاب. وطبقات اللغويين والنحاة «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» وطبقات الخطاطين: للسيوطي.

- **المنهج والأسلوب :**

قسم المؤلف كتابه على أساس الطبقات، والطبقة عنده تساوي عشرين سنة تقريبًا.

راعى المؤلف في التراجم عنصرين، هما: عنصر الزمان: وكانت الطبقة السابقة للإسلام هي المحور الأكبر فيه. وعنصر المكان: حيث ترجم للصحابة ومن بعدهم على حسب الأمصار التي نزلوا فيها، فترجم لمن كان في المدينة، ومكة، والطائف، واليمن واليمامة، ثم من نزل الكوفة، ثم من نزل بالبصرة، ومن كان موطنه الشام، ومصر، وغيرها.

تتفاوت التراجم طولًا وقصرًا، بقدر اهتمام المؤلف بالأشخاص، وبقدر المرويات عنهم.

اعتمد المؤلف بشكل رئيس على المرويات والأسانيد، وقد يعلق على بعض المرويات وينقدها، لكنه في الغالب يكتفي بسردها.

قد يتعرض لذكر شخص بأكثر من موضع، فيذكره بين البدريين، ثم مع المفتين، ثم مع المهاجرين، وفي هذه الحالة يطيل الترجمة في موطن واحد، ويختصر في الأخرى.

أفاض المؤلف كثيرًا في تراجم الصحابة وكبار التابعين.

وضع في اعتباره الأول السابقة للإسلام، والتضحية في سبيله.

اكتفى المؤلف بتراجم موجزة لمعاصريه.

يتكون الكتاب من ثمانية مجلدات.

المجلد الأول: في السيرة النبوية الشريفة.

المجلد الثاني: في غزوات النبي ﷺ وذكر مرض موته، ثم ذكر من كان

يفتي بالمدينة، ومن جمع القرآن من أصحاب الرسول ﷺ على عهده وبعده، ثم ذكر من كان يفتي بالمدينة بعد أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار.

المجلد الثالث: فيه تراجم البدريين من المهاجرين والأنصار.

المجلد الرابع: فيه تراجم المهاجرين والأنصار، ممن لَم يشهد بدرًا ولهم إسلام قديم، والذين أسلموا قبل فتح مكة.

المجلد الخامس: فيه ذكر التابعيين من أهل المدينة، والصحابة الذين نزلوا مكة، والطائف، واليمن، واليمامة، والبحرين، ثم من كان بعد هؤلاء الصحابة في تلك المدن من التابعيين، فمن بعدهم.

المجلد السادس: فيه ذكر الكوفيين من الصحابة، ثم من كان في الكوفة بعدهم من التابعيين فمن بعدهم، من أهل الفقه والعلم إلى زمن المؤلف.

المجلد السابع: فيه ذكر من نزل أصقاعًا وبلادًا من الصحابة ومن بعدهم من التابعين وأتباعهم إلى زمنه، وأكثر من ذكر من نزل بالبصرة والشام ومصر، وأما باقي البلاد فذكر منها عددًا قليلاً.

المجلد الثامن: فيه ذكر النساء الصحابيات.

● **كتب ذات صلة:**

- حققه وفهرسه: المستشرق «أدواردسخاو» وصدر ما بين عامي ١٩٠٤م ـ ١٩٤٠م. ط. ليدن بهولندا.
- حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٨م.
- حققه: عبد القادر محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- حققه: د. علي محمد عمر، ط. الخانجي، القاهرة، سنة ٢٠٠١م.

- ابن سعد، منهجه وموارده: د. محمد صالح السامرائي، صدر عن دار عماد الدين، الأردن، سنة ٢٠١٠م.

۞ ۞ ۞

أسد الغابة في معرفة الصحابة

هذا الكتاب في معرفة أسماء الصَّحـابة نفيس جدًا، بَـذل مؤلفه جهدًا كبيرًا في جمعه وتهذيبه وترتيبه[١] .

«د. محمود الطحان»

- **ابن الأثـير (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ):**

أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، عز الدين، إمام، مؤرخ، نسابه، أديب، نشأ في بيت وجاهة وثراء، سكن الموصل، وتنقل في بغداد، ودمشق، وحلب، والقدس، وتلقى العلم في كل بلد زاره من أكابر علمائه، وكان منـزله مجمع الفضلاء والأدباء.

له عدة مصنفات منها «الكامل في التاريخ».

قال ابن خلكان: «اجتمعت به، فوجدت رجلًا مكملًا في الفضائل وكرم الأخلاق، وكثرة التواضع، فلازمت الترداد عليه».

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب معجمًا للرجال، وهو من أنفس الكتب التي عرَّفت بصحابة النبي ﷺ، بذل المؤلف فيه جهدًا كبيرًا في جمعه وترتيبه وتهذيبه، وهو من الكتب التي اعتمد عليها علماء الحديث، وبخاصة لمعرفة الحديث المرسل من الحديث الموصول.

(١) ممن كتب في معرفة أسماء الصَّحـابة قبل ابن الأثير: ابن سعد (ت: ٢٣٠ هـ) «الطبقات الكبرى». وابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ترجم فيه للصحابة ولرواة الحديث. وكتب بعده ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) «الإصابة في تمييـز الصحابة».

قال الذهبي: «إنه كتاب نفيس، مستقصٍ لأسماء الصحابة، الذين ذكروا في الكتب الأربعة المصنفة في معرفة الصحابة، وهي كتاب ابن منده، وكتاب أبي نعيم، وكتاب أبي موسى الأصبهاني، وكتاب ابن عبد البر».

وأخذ على المؤلف أنه ربما خلط في بعض المرات بين الصحابة ومن ليس صحابيًا.

- **المنهج والأسلوب:**

رتب المؤلف الأسماء ترتيبًا أبجديًا، على نسق حروف المعجم، وكذلك بالنسبة لاسم الأب، واسم الجد، واسم القبيلة.

اعتمد المؤلف على من تقدمه، وقد ذكر في أول كل ترجمة رموزًا لأسماء من تقدمه من المصنفين الذين ذكروا هذه الترجمة.

واستدرك على من تقدمه، ونوه إلى بعض أوهامهم.

اشتمل الكتاب على ذكر ٧٥٥٤ ترجمة.

- **كتب ذات صلة:**

اختصره الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) بعنوان تجريد أسماء الصحابة.

حققه: محمد عاشور، ومحمد إبراهيم البنا، ط. الشعب[١].

---

(١) المراجع:

كشف الظنون: حاجي خليفة.

وفيات الأعيان: لابن خلكان.

أصول التخريج: د. محمود الطحان.

علوم الحديث: د. صبحي الصالح.

وفيات الأعيان
في أنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان

إنَّ علمَ التاريخ مرآة الزمان، وكنت ممن أكثر لكتبه المطالعةَ، واستحلى من فوائده المراجعةَ، فلما وقفت على كتاب «وفيات الأعيان» لقاضي القضاة ابن خلكان، قدَّس الله روحه، وجدته من أحسنها وصفاً، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة، والمحاسن الكثيرة.

«محمد بن شاكر الكتبي»

● **ابن خلكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ):**

أبو العباس، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي الشافعي، المعروف بـ «ابن خلكان» الملقب بـ «شمس الدين» و«قاضي القضاة» مؤرخ حجة أديب، كان كريمًا جوادًا ممدوحًا فاضلاً، بارعًا، حسن الفتاوى، حلو المذاكرة، وافر الحكمة، فيه رياسة كبيرة، وكان فيه ستر وحلم وعفو، ولد في أربل وتوفي في دمشق. تفقه بالموصل، وقدم الشام شابًا، وأخذ بحلب عن القاضي بهاء الدين بن شداد وغيره، ودخل مصر وسكنها، وتأهَّل بها، وناب فيها القضاء عن القاضي السنجاري، ثم قدم الشام، فولاه الملك الظاهر قضاءها، ثم عزل بعد عشر سنين(١).

(١) ترجمه السبكي في طبقات الشافعية (١٤/٥)، وابن العماد في الشذرات (٣٧١/٥).

● **الموضوع:**

في التراجم، ويقال لها السيرة، وهي اصطلاح يدل على تاريخ حياة امرىء من الناس تستحق التسجيل والذكر(١).

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب من أشهر كتب التراجم، وأحسنها ضبطًا وإحكامًا. قال د. إحسان عباس: «ويتمتع الكتاب بدقة فائقة، لا من حيث الاختيار والانتقاء وحسب، بل من حيث الضبط لكل ما يظن المؤلف أن القارئ بحاجة إلى ضبطه، وهذا يجعل الوفيات مصدرًا هامًا لضبط الأعلام وأسماء الأماكن».

وقد تميز بخصائص وميزات جعلته موضع ثقة الآخذين عنه، وفي مقدمة هذه الميزات أنه جعله عامًا جامعًا، وتميز الكتاب بالأمانة والنزاهة والعدالة.

قال محمد محيي الدين عبد الحميد: «وفيات الأعيان، معلمة التاريخ الكبرى، التي دبجتها يراعة القاضي الفاضل العلامة ابن خلكان».

وقال أحمد أمين: «فمن مؤرخي التراجم ابن خلكان، وهو من أوائل

---

(١) السيرة الذاتية: مأخوذة من سار أي مشى في الأرض، ثم أصبحت تدل على السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان، وهي ترادف كلمة ترجمة.
وقد ذكر العلماء أن من «الرؤوس الثمانية» للتأليف ترجمة المؤلف، ليركن قلب المتعلم إليه في قبول كلامه. والأصل في الترجمة أن تكون حكاية حال المترجم له بصدق وتجرد، وأن تخرج عن النهج الانطباعي لرفع المترجم أو خفضه، والأجدى اتباع منهج النقد والتحليل على ضوء علم النفس والاجتماع لبيان أثر المترجم في مجتمعه ومدى تجاوبه مع القضايا الكبرى لأمته ومجتمعه.

المؤلفين في هذه العصور، ترجم فيه للمشهورين ورجال العلم والأدب والصناعة والمال غير الصحابة والخلفاء، واجتهد في تحري الحقائق بعين نافذة، في لغة سليمة بسيطة، متوقيًا قدر الإمكان ألفاظ الفجور».

● **مـآخذ:**

شنع بعد المؤرخين على «ابن خلكان» من جهة اختصاره تراجم بعض كبار العلماء في أسطر يسيرة، وتطويله في تراجم الشعراء والأدباء في أوراق أو صحائف، وربما يكون من يطيل في ترجمته مطعونًا بانحلال العقيدة، قال ابن كثير في كلامه عن «ابن الراوندي»: وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات، وقَلَس عليه (أي: رماه) ولم يجرحه بشيء، ولا كأن الكلب أكل له عجينًا، على عادته في العلماء والشعراء، فالشعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة والزنادقة يترك لهم ذكر زندقتهم(١).

● **سبب تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف في المقدمة أنه كان مولعًا بالاطلاع على أخبار المتقدمين وتواريخهم، فعمد إلى مطالعة كتب هذا الفن، وأخذ من أفواه الأئمة ما لَم يجده في كتاب، فحصل عنده مسودات عديدة، وأن تصنيف هذا الكتاب وترتيبه استغرق ثمانية عشر عامًا في أوقات متفرقة، وقد انشغل المؤلف

---

(١) قال ابن خلكان عن الراواندي (ت: ٢٤٥هـ): أبو الحسين، أحمد بن يحيى العالم المشهور، له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتابًا، منها كتاب «فضيحة المعتزلة»، وكتاب «التاج»، وكتاب «الزمرد»، وكتاب «القصب» وغير ذلك، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم. اهـ.

خلال هذه الفترة بالقضاء الشرعي، وبالسفر إلى الشام في خدمة الركاب العالي «أبي الفتح بيبرس» لمدة عشر سنوات.

● **المنهج والأسلوب:**

ترجم المؤلف لكل من له شهرة بين الناس، ويقع السؤال عنه، منذ العصر الجاهلي حتى زمن المؤلف، ولم يقتصر على ذكر طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك.

واشترط فيه ألا يترجم لمن لم يعرف تاريخ وفاته، وألا يترجم للصحابة والتابعين إلا لجماعة يسيرة منهم، لكثرة ما ألف في تراجمهم، ولا يذكر أحدًا من الخلفاء سوى ابن المعتز لمنـزلته في الأدب.

رتب أسماء الذين ترجم لهم على نسق حروف المعجم.

أتى من أحوال المترجم بما وقف عليه، مع الإيجاز، وأثبت وفاته ومولده إن قدر عليه، وقيَّد من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيفه، وذكر من محاسن كل شخص ما يليق به من مكرمة أو نادرة، أوشعر أو رسالة.

واشتمل الكتاب على ثمانمائة وست وأربعين ترجمة.

● **كتب وأعمـال ذات صلة:**

ذكر ابن خلكان في مقدمته أنه لم يترك كتابًا من الكتب التي في أيدي الناس، المشهورة والخاملة، والمبسوطة والوجيزة، إلا اختار منه ما يدخله في كتابه هذا.

الوافي بالوفيات: للصفدي (ت: ٧٦٤ هـ)، وهو تذييل لوفيات الأعيان. كما ذيلّه كل من الزين العراقي، والتاج المخزومي، وبدر الدين الزركشي.

فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي (ت: ٧٦٤ هـ)، تدارك فيه ما فات

ابن خلكان من التراجم التي تعمد إغفالها، كما أثبت التراجم لرجال مشهورين من القدماء، ومن المعاصرين.

طبع الكتاب أول مرة في جوتنجن بألمانيا ما بين سنة ١٨٣٥ و١٨٥٠م بعناية الألماني وستنفلد.

وطبع في بولاق سنة ١٨٥٩م بعناية الشيخ محمد قطة العدوي.

وحققه: محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٤٨م، مكتبة النهضة المصرية.

وحققه: د. إحسان عباس، مابين سنة ١٩٦٨ و ١٩٧٢م في ستة مجلدات ضخمة، أتبعها بمجلدين، في ترجمة ابن خلكان وكتابه، وفهارس الكتاب الفنية، ط. دار صادر.

ترجمه إلى التركية المولى أظهر الدين الأردبيلي (ت: ٩٣٠ هـ) نزولًا عند رغبة السلطان سليم خان، وطبعت الترجمته في إستانبول سنة ١٢٨٠هـ.

وترجمه إلى الإنجليزية البارون دي «سلان» وطبعت الترجمة سنة ١٨٧١م.

معجم مقيدات ابن خلكان: عبد السلام هارون، جمع فيه ما ضبطه ابن خلكان أو فسّره. طبعة الخانجي، سنة ١٩٨٧م.

تاريخ الأمم والملوك «تاريخ الطبري»

وكتابه هذا ـ مع أنه تاريخيّ في أصله ـ فالقارئ له يقف على ثروة كبيرة في الأدب، لأنه في حكايته للروايات المختلفة، يقصها في لغة رصينة بليغة غاية في القوة[١].

«أحمد أمين»

● **الموضوع:**

في علم التاريخ، وهو في الاصطلاح: معرفة أحوال الطوائف، وبلدانهم، ورسومهم، وعاداتهم، وصنائع أشخاصهم، وأنسابهم، ووفياتهم، إلى غير ذلك. وموضوعه: أحوال الأشخاص الماضين من الأنبياء، والأولياء، والعلماء، والحكماء، والملوك والشعراء، وغيرهم.

وفائدته: العبرة بتلك الأحوال، والتنصُّح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن؛ ليتحرز عن أمثال ما نقل من المضار، ويستجلب نظائرها من المنافع[٢].

---

(١) أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تقدمت ترجمة في «جامع البيان».

(٢) أبجد العلوم: القنوجي (٢/١٣٧).

يقسم علم التاريخ إلى قديم، ووسيط، وحديث، واصطلح المؤرخون على تسمية العصر الذي لا يوجد له سجلات بشكل منظم بعصر ما قبل التاريخ؛ حيث ظهرت السجلات التاريخية عقب ظهور الكتابة. انظر: «نشأة علم التاريخ عند العرب»: د. عبد العزيز الدوري. ط. مركز دراسات الوحدة العربية.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب من أوسع الكتب التاريخية الإسلامية وأوفاها، ومعظم كتب التاريخ الإسلامي - إن لم يكن كلها - لا مناص لها من الاعتماد عليه، وقد لقي هذا الكتاب اهتمامًا كبيرًا من القدماء، إذ إنه يعد حلقة هامة في سلسلة التأليف التاريخي.

وتكمن قيمته العلمية في كونه استطاع أن يجمع المواد المودعة في كتب الحديث، والتفسير، واللغة والأدب، والسير والمغازي، وتاريخ الأحداث، ونصوص الشعر والخطب والعهود، ونسّق بينها تنسيقًا مناسبًا، وعرضها عرضًا رائعًا ناسبًا كل رواية إلى صاحبها.

وقد تميَّزَ بذكر الأسباب والتفصيلات المصاحبة للأحداث، وبوضع العناوين للأحداث.

- **مآخذ:**

أخذ على تاريخ الطبري بعض المآخذ، منها أنه إذا ما نقل عن كتاب فإنه قلما يذكر عنوانه، وإنما يذكر اسم مؤلفه، فيقول -مثلاً- قال الواقدي.

كما أخذ عليه عدم نقد وتمحيص الروايات، حيث إنه قد يذكر بعض الروايات الضعيفة، دون أن يبيِّن رأيه فيها.

كما أخذ عليه عدم التزامه في سرد الأحداث نسقًا واحدًا، من حيث الطول والقصر، والتفصيل والإجمال.

وأنه اهتم بالأحداث السياسية أكثر من غيرها.

وأن بعض الروايات والأخبار وردت مقطّعة، وربما سبب ذلك أنه بنى الكتاب على أساس السنين لا على أساس الوقائع.

وأنه لَم يُغَطِّ أحداث عصره تغطية موسعة.

كما أخذ عليه إكثاره الرواية عن أبي مخنف، وروايته عن الواقدي[١].

- **المنهج والأسلوب:**

بدأ الكتاب بالحديث عن بدء الخليقة، من خلق اللوح والقلم والعرش والكرسي.

ثم تحدث عن خلق آدم عليه السلام، وعن الأنبياء في بني إسرائيل، وماحدث في عهودهم، مراعيًا ترتيب ذكرهم في التوراة، وتناول أخبار الملوك الذين عاصروا الأنبياء، ثم تناول ملوك الفرس.

تحدث عن التاريخ الإسلامي، منذ السنة الأولى للهجرة إلى نهاية عام ٣٠٢ هـ، أي قبل وفاته بثمان سنوات.

ذكر تاريخ العرب، ونسب النبي ﷺ ومبعثه.

يختم غالبًا أحداث كل سنة بذكر من توفي فيها من المشهورين.

أكثر من إيراد النصوص التاريخية والأدبية، من رسائل وخطب ومحاورات، ولاسيما الشعر.

وتقوم طريقته على ذكر الروايات سندًا ومتنًا، على طريقة أهل الحديث، من مصادرها، ويسند كل خبر إلى قائله، مع ضبط النصوص.

راعى في ترتيب التاريخ تسلسل الحوادث على حسب وقوعها عاماً بعد

---

(١) أبو مخنف: اسمه لوط بن يحيى الغامدي الأزدي (ت: ١٥٧هـ)، روى الطبري عنه خمسمائة وسبعًا وثمانين رواية، تبدأ من وفاة النبي ﷺ وتنتهي بخلافة يزيد؛ قال عنه ابن معين: «ليس بثقة». وقال أبو حاتم: «متروك الحديث».
والواقدي: محمد بن عمر (ت: ٢٠٧ هـ) ضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال (٦/٢٧٣).

عام[١].

- **كتب ذات صلة:**

يعتبر هذا الكتاب اختصارًا لكتاب كان قد وضعه الطبري؛ حيث قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى زماننا هذا؟ قالوا: كم قدره، فذكر أنه ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل إتمامه، فقال: إنا لله، ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير.

صلة تاريخ الطبري: للقرطبي، عريب بن سعد، ويبدأ من سنة ٢٩١ إلى ٣٢٠ هـ. طبع في ليدن سنة ١٨٩٧م.

تكملة تاريخ الطبري: للهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت: ٥٢١هـ)، ويبدأ من خلافة المقتدر إلى سنة ٣٧٧هـ. طبع في المطبعة الكاثوليكية بيروت.

علاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبري: لكارل بروكلمان.

تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين: د. محمد أمحزون.

---

(١) المراجع:
البداية والنهاية: لابن كثير.
ظهر الإسلام: أحمد أمين.
الوجيز في مصادرنا التاريخية والجغرافية: د. صالح الأشتر.
حقبة من التاريخ: عثمان الخميس.

- **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب لأول مرة في ليدن بهولندا ما بين سنتي (١٨٧٩ـ ١٩٠١م) بعناية «دي خويّه» وجماعة من المستشرقين، منهم بارت، ونولدكه، وديونج، وتوربيكه، وجويدي[(١)].

ونشر المستشرق الألماني «كوزجارتن» مجلدين منه[(٢)].

ثم طبع بإشراف: يوسف بك حنفي ومحمد أفندي عبد اللطيف خطيب، المطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٣٦هـ.

ثم نشرته دار المعارف، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سنة ١٩٦٠م.

---

(١) ميخيل يوهنّا دي خويّه: مستشرق هولندي، نشر نفائس من الكتب العربية.

ياكب بارت (١٨٥١-١٩١٤م): مستشرق ألماني، كان يدرس العربية.

نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣٠م): من أكابر المستشرقين الألمان تخصص باللغات السامية «الشرقية» والتاريخ الإسلامي، له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم منها: «تاريخ القرآن»، و«حياة النبي محمد»، و«دراسات لشعر العرب القدماء»، و «خمس معلقات» ترجمها إلى الألمانية وشرحها، واشترك في الإشراف على طبع «تاريخ الطبري» وترجمته إلى الألمانية؛ قال أنستاس الكرملي: لم نجد بين حملة العلم المعاصرين من بلغ تحقيقه، كان يحسن اللغات الشرقية كلها العربية والآرامية، والعبرية والصابئية والحبشية وغيرها.

ديونج (١٨٣٢ - ١٨٩٠م): مستشرق هولندي.

توربيكه (١٨٣٧ ـ١٨٩٠م): مستشرق ألماني، علم العربية.

جويدي (١٨٤٤ - ١٩٣٥م): مستشرق إيطالي كان د. طه حسين من أبرز تلامذته .

(٢) يوهن جوتفريد لودفيك كوزجارتن (١٧٩٢ - ١٨٦٢م): مستشرق ألماني، كان شاعرًا بالألمانية ابن شاعر، ونشر مجلدًا من الأغاني مع ترجمته، والموسيقى للفارابي .

الكامل في التاريخ لابن الأثير

وقد امتاز ابن الأثير[١] بأمانة علمية كبرى، ومهارة في النقد نادرة بالنسبة لعصره، انعكست في جمعه لمادته الضخمة من شتى المصادر، وكان ابن الأثير في كل حالة يجد نفسه فيها مترددًا في الترجيح بين مصدرين متعارضين ينتهي إلى إثبات كلتا الروايتين، ولا يمكن بأية حال اعتبار مصنفه سردًا بسيطًا للأحداث التاريخية، فقد جهد ابن الأثير في إطار ذلك المصنف أن يقدم لنا عرضًا جيدًا للأفكار والتيارات التي غلبت على كل عصر، وتحليلاً صادقًا للشخصيات التاريخية، دون أن يهمل إلى جانب ذلك الكلام على المبرزين في مجال العلم والأدب.

«فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد، مؤرخ روسي (١٨٦٩-١٩٣٠م)»

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف في سبب تأليفه أنه رأى كتب التاريخ متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرَض... وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور... والشرقي أخل بذكر أخبار الغرب، والغربي أهمل أحوال الشرق، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخًا مفصلًا إلى وقته يحتاج إلى مجلدات كثيرة، ثم قال: فألقيتُ عني جلباب المهل، وأبطلت

---

(١) ابن الأثير الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) تقدمت ترجمته في أسد الغابة.

وهو علي بن محمد، ثالث أخوة عرف كل واحد منهم بناحية من العلوم، فأخوه الأكبر مجد الدين صاحب «جامع الأصول» في الحديث، وأخوه الأصغر ضياء الدين «صاحب المثل السائر» في الأدب.

رداء الكسل... فشرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرة لأراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا... وقلت: هذا أوان الشدّ فاشتدي زِيَم... وسميته اسمًا يناسب معناه، وهو «الكامل في التاريخ»(١).

- **القيمة العليمة للكتاب:**

يعتبر الكتاب الكامل من أشهر كتب التاريخ الإسلامي، وأحسنها ترتيبًا وتنسيقًا، وهو أشهر كتب ابن الأثير، وعليه تقوم شهرته ومنزلته العلمية، وهو تاريخ جامع، جزيل الفائدة، لا سيما فيما يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن المؤلف وعايشها، وهذا ما جعله مرجعًا للمؤرخين الذين جاؤوا بعده.

والكتاب يكتسب قيمته العلمية من منهج مؤلفه، فهو مؤرخ يمتاز بشدة التثبت فيما ينقل، وقد ينقد بعض المؤرخين الذين سبقوه عندما ينقل عنهم.

ويعد هذا الكتاب مصدرًا هامًا للحديث عن الحروب الصليبية.

ويؤخذ عليه تعريضه بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، وإن كان في الظاهر يثني عليه(٢).

---

(١) لم ينشر المؤلف هذا الكتاب بعد الانتهاء من وضعه مباشرة، حيث إنه أعرض عنه مدة من الزمن، وكان خلال هذه المدة يطالع مسودته، وكان إخوانه ومعارفه يلحون عليه بطلب سماعه ليرووه عنه، لكنه كان يعتذر عن ذلك، حتى طلب منه الملك بدر الدين نشر هذا الكتاب، فهذبه واستدرك عليه ونقحه ونشره.

(٢) انظر «نظرة في كتاب الكامل لابن الأثير» د. سليمان الدخيل. مجلة البيان العدد (١٢).

● **المنهج والأسلوب:**

بدأ بمقدمة تعرض فيها للذين يذمون التاريخ، ثم ذكر فوائده وأهميته، ثم أعقب ذلك بكلمات في فوائد علم التاريخ.

ثم افتتح كتابه بذكر بدء الخلق، وقصص الأنبياء.

جمع الحوادث والأخبار في مكان وسياق واحد بحسب تواريخها.

ضبط الأسماء المشتبهة في الخط، المختلفة في اللفظ.

ذكر في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها.

أفرد للحوادث الصغار ترجمة شاملة في آخر كل سنة بعنوان «ذكر عدة حوادث».

ينهي حوادث كل سنة بذكر من توفي فيها من العلماء والأعيان والفضلاء.

ذكر من ملك من ملوك الروم بعد رفع المسيح عليه السلام، إلى عهد محمد ﷺ، ثم أخبار الهجرات العربية، وأيام العرب قبل الإسلام، ثم السيرة النبوية حتى عام ١١ هـ.

● **كتب ذات صلة:**

علاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبري: لكارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م) رسالة دكتوراه من جامعة ستراسبورغ سنة١٨٩٠م، قارن بين الكتابين، وخرج من هذه المقارنة بالنتائج التالية: إن الكامل يكاد يكون صياغة منقحة لكتاب الطبري، لاسيما فيما يتعلق بتاريخ القرون الثلاثة الأولى للإسلام، مع مراعاة اختلاف الكتابين منهجًا، حيث لم يهتم الكامل بالأسانيد، وحذف كثيرًا من الملاحظات الجانبية التي يذكرها الراوي عن الحديث المروي، ويحذف كذلك أكثر الخطب والرسائل والأشعار التي

يزخر بها كتاب الطبري، وقد ذكر ابن الأثير أنه أفرغ فيه كل تراجم الطبري، وما فيه من الروايات التامة، مضيفًا إليها ما عثر عليه في التواريخ المشهورة، «إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئًا، وإنما اعتمدتُ عليه من بين المؤرخين، إذ هو الإمام المتقن حقًا، الجامع علمًا وصحة اعتقاد وصدقًا».

• **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب وحقق مرات كثيرة، منها طبعة ليدن بهولندا خلال السنوات (١٨٥٠ - ١٨٧٤م)، بعناية المستشرق السويدي كارلوس تورنبرغ.

وحققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٧٠م.

وحققه: عبد الوهاب النجار، ط. المنيرية سنة ١٩٣٨م.

وترجم القسم المتعلق بأسبانيا والمغرب إلى الفرنسية: المستشرق «فيان» سنة ١٩١٠م[١].

۞ ۞ ۞

---

(١) المراجع:
الوجيز في المصادر التاريخية والجغرافية عند العرب: د. صالح الأشتر.
تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: فاسيلي بارتولد، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم. ط. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (ص: ٦٠).
كشف الظنون: حاجي خليفة.
الأعلام: للزركلي.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

يعتبر كتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» أهم ما صنّفه الحافظ، المؤرخ، الثقة، شمس الدين، محمد بن أحمد عثمان بن قايماز الذهبي... كما يعتبر كتابه هذا من أهم الكتب الموسوعية الضخمة التي صنفها المؤرخون المسلمون، وهو كتاب تاريخ وتراجم معًا.

«د.عمر عبد السلام تدمري»

● **الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ):**

لقب بمؤرخ الإسلام، وهو حافظ، مؤرخ، علامة، محقق، تلقى العلم عن أكابر علماء عصره، في دمشق وحلب ومصر والحجاز، وتولى التدريس بعدة مدارس بدمشق[(١)].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب من أوسع كتب التواريخ العامة التي وضعت، منذ ظهور الإسلام حتى عصر المؤلف، حيث اشتملت مادته على أحداث ووقائع سبعة قرون كاملة، ويتميز بميز كثيرة، منها: اشتماله على كثير من النصوص والنقول والتراجم غير الموجودة في غيره، والتي أخذها من مصادر قديمة لم تصلنا، مثل تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري، وتاريخ سمرقند، وتاريخ بخارى، وتاريخ مصر لابن يونس، وتاريخ الصوفية للسلمي، وتاريخ هراة، وتاريخ مرو.

---

(١) انظر: الذهبي ونهجه في تاريخ الإسلام: د. بشار عواد معروف، رسالة دكتوراه.

ومنها اشتماله على تراجم بغداديين لم يذكرهم الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وتراجم شاميين لم يذكرهم ابن عساكر في تاريخ دمشق.

● **المنهج والأسلوب:**

يتألف الكتاب من سبعين طبقة، «الطبقة عشرة سنوات»، وتتكون الطبقة من عنصرين، هما الحوادث التاريخية، وتراجم الأعلام المتوفين خلال السنوات العشر.

اشتملت كل طبقة على خمسمائة ترجمة تقريبًا، وبذلك تكون المحصلة العامة للكتاب نحو ثلاثين ألفًا وخمسمائة ترجمة، بين مطولة ومتوسطة وقصيرة.

اشتملت التراجم على ذكر الخلفاء، والسلاطين، والأمراء، والوزراء، والأدباء، والشعراء، والأطباء، والمحدثين، والزهاد، والماجنين، والخلعاء، وغيرهم.

تضمن الكتاب معلومات في الأدب، والحديث، والفقه، والأصول، والنقد، والسياسة، والحكم، والمواعظ، والخطب، والأشعار، والأمثال.

تعتبر الأجزاء الأوائل من أقل الأجزاء كمية للتراجم[١].

أفرد جزءًا خاصًا للخلفاء الرّاشدين الأربعة -رضي الله عنهم-.

يعرض للأخبار والوقائع والأحداث التي أسهم فيها صاحب الترجمة،

(١) فسر المؤلف ذلك بقوله: والسبب في قلة من توفي هذا العام، السنة الأولى من الهجرة، وما بعده من السنين، أن المسلمين كانوا قليلين بالنسبة إلى من بعدهم، فإن الإسلام لم يكن إلا ببعض الحجاز، أو من هاجر إلى الحبشة، وفي خلافة عمر، بل وقبلها، انتشر الإسلام في الأقاليم، فبهذا يظهر لك سبب قلة من توفي في صدر الإسلام، وسبب كثرة من توفي في زمان التابعين ممن بعدهم.

قبل أن يترجم له ويؤرخ وفاته، أو يتناول سيرته الذاتية.

لا تقتصر التراجم على المشاهير والأعلام، وإنما تضم رجالًا غير مشاهير، بل إن البعض منهم يعتبرون من المجاهيل.

لا يقتصر على ذكر التراجم، بل ينقد ويوثق ويضعف ويعلل.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

اختصر المؤلف هذا الكتاب عدة مختصرات، منها «سير أعلام النبلاء»، و«طبقات الحفاظ»، و«العِبَر في خبر من غَبَر»، و«ميزان الاعتدال».

وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام: للسخاوي (ت: ٩٠٦ هـ).

حققه وخرج أحاديثه وفهرسه: د. عمر عبد السلام تدمري، وشاركه في تحقيق الأجزاء الأخيرة كل من: د. بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، ود. صالح مهدي عباس، في ٥٢ مجلدًا. ط. دار الكتاب العربي، سنة ١٩٩٧م.

۞ ۞ ۞

البداية والنهاية

وهو مِمَّن جمع بين الحوادث والوفيات، وأجود ما فيه السيرة النبوية، وقد أخلَّ بذكر خلائق من العلمـاء.

«ابن شهبة»

- **ابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤هـ)**[١]

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر هذا الكتاب واحدًا من أهم الموسوعات التاريخية الإسلامية، فهو يتناول الفترة الواقعة من بدء الخليقة حتى وفاة المؤلف، حيث رتب كتابه وفق تتابع السنين، وهو مرجع مهم لمن يريد الكتابة عن التاريخ أو الرجوع إلى أصوله.

قال حاجي خليفة: «البداية والنهاية في التاريخ... ميّز بين الصحيح والسقيم، والخبر الإسرائيلي وغيره، ورتب ما بعد الهجرة على السنوات إلى آخر عصره».

- **المنهج والأسلوب:**

رتَّب تاريخ الأمم السابقة على أساس الموضوعات.

ورتب التاريخ الإسلامي على أساس السنوات.

بدأ الكتاب بالحديث عن مبدأ الخليقة، من خلق العرش والكرسي، والسموات والأرضين وما بينهن من الملائكة والجن والشياطين، وكيفية

---

(١) تقدمت ترجمته في التفسير.

كتب عنه د. محمد الزحيلي «الإمام ابن كثير، الحافظ، المفسر، المؤرخ، الفقيه».

خلق آدم عليه السلام.

ثم تحدث عن قصص النبيين، وما جرى مجرى ذلك، حيث فصَّل الحديث عن كل نبي، وقومه، ودعوته، وما جرى في عهده.

تكلم بعد ذلك عن أيام الجاهلية، وما جرى فيها.

أفاض الحديث عن السيرة النبوية المطهرة، حتى وفاته ﷺ.

تكلم عن أيام الخلافة الراشدة، وما حدث فيها من وقائع وغزوات وفتوحات، وقضايا ومشكلات.

أرَّخ للدولة الأموية، ذاكراً جميع خلفائها، وما جرى في عهودهم من وقائع وأيام.

كذلك الأمر بالنسبة للدولة العباسية، ثم المماليك، والدويلات التي تفرعت واستقلت عنها أيام الانحطاط.

تحدث عن هجمة المغول، وتدمير البلاد، وماحدث من أحداث بعد ذلك حتى وفاته.

التزم بعدم ذكر الإسرائيليات، إلا ما أذن الشرع في نقله.

يختم أحداث كل سنة بذكر من مات فيها من المشاهير والأعيان.

● **كتب ذات صلة:**

- اختصره: الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢ هـ).
- لخصه: بدر الدين محمد بن أحمد العيني الحنفي (ت: ٨٥٥ هـ).
- ترجمه إلى التركية: محمد بن محمد دلشاد.
- وطبع عدة طبعات.

۞ ۞ ۞

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

إنَّ الشريف الإدريسي مفخرة للعرب والمسلمين وللعالم أجمع، لما قدمه من خير للبشرية بكل نجاح، مثل قياسه خطوط العرض التي ينسبها الغربيون إلى شخص أوربي اسمه «مركاتور» أتى بعده بقرون.

«عمر رضا كحالة»

- **الإدريسي (٤٩٣ ـ ٥٦٠ هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، مؤرخ جغرافي، له أبحاث كثيرة في الجيولوجيا، وعلم الجاذبية الأرضية، والأدوية ومنافعها، ولد بسبتة، وانتقل إلى الأندلس، وتلقى علومه في قرطبة، له مؤلفات منها: «المسالك والممالك»، و«الجامع لصفات أشتات النبات»، و«سعادة الرجال وغبطة النفوس»، و«أنس المهج وحدائق الفرج»، و«الأدوية المفردة»، و«الصيدلة»، و«مصور لأشكال الكرة الأرضية» مع الشروح الوافية.

قال عنه الصَّفديّ: «كان أديبًا ظريفًا شاعرًا، مُغرىً بعلم الجغرافيا». وقال عمر رضا كحالة: «وجملة القول: فإنّ الإدريسي كان على ثقافة أدبية، يدلنا عليها إنشاؤه وشعره، كما كان على ثقافة رياضية من حساب وهندسة، وجغرافية، وفلكية، وسياسية، بالإضافة إلى معرفته بالطب»[(١)].

(١) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (١: ١٦٣)، ودائرة المعارف الإسلامية (١: ٥٤٧)، والأعلام: للزركلي (٧/ ٢٤)، والشريف الإدريسي ونزهة المشتاق: د. إبراهيم الخوري، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ. والشريف الإدريسي أشهر جغرافي العرب والإسلام: محمد عبد الغني حسن، الهيئة العامة للتأليف ١٩٧١م.

● **الموضوع:**

في الجغرافيا والخرائط، وأوصاف البلاد والممالك، وخواص الأقاليم. والجغرافيا: كلمة يونانية بمعنى «صورة الأرض»، وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السَّبعة، الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض، وعروض البلدان الواقعة فيها وأطوالها، وعدد مدنها وجبالها، وبراريها، وبحارها، وأنهارها، إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمور[1].

● **القيمة العلمية للكتاب:**

اتفق العلماء على أن هذا الكتاب من أهم كتب الجغرافيا، وهو أشهر أعمال الإدريسي.

وهو أصحّ كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوربا وإيطالية، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه.

قال راجي عنايت: «لم تكن مهمة الإدريسي سهلة في تأليف كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، فهو لَم ينوِ أن ينقل المعلومات من المراجع التي كتبها من سبقه من الجغرافيين، بل كان يريد أن يقدم مرجعًا جغرافيًا

(١) أول من صنف في «الجغرافيا» «بطليموس القلوزي الحكيم».
ومن أشهر كتب الجغرافيا: الأعلاق النفيسة: ابن رستة (ت: ٢٩٠ هـ)، ويشتمل على وصف للطرق التجارية المعروفة في عصره.
وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: للمقدسي، الحسن بن أحمد (ت: ٣٨٠هـ).
ووصف جزيرة العرب: للهمذاني. والمسالك والممالك: للإصطخري (ت: ٣٤٦ هـ).
ومعجم البلدان: ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦ هـ).
ومعجم تقويم البلدان: لأبي الفداء (ت: ٧٣٢ هـ).
والفوائد في أصول علم البحر والقواعد: لأحمد بن ماجد النجدي (ت: بعد سنة ٩٠٤هـ)، الذي وضع أول دليل للملاحة في المحيط الهندي.

علميًا، لَم يسبقه إليه أحد، حيث وصل من خلال ذلك الجهد إلى أدق وأوثق الحقائق»[١].

وقال روم لاندو: «ولأسباب واضحة حظي علم الخرائط عند المسلمين بأهمية الوصف الجغرافي، وأبرز المشتغلين في هذا الحقل هو الإدريسي، حيث يتضمن كتابه «روجر» بالإضافة إلى المادة الجغرافية المنتقاة من كتب أسلافه قدرًا كبيرًا من المعرفة الجديدة كل الجدة، وإنما بنيت هذه المعرفة في المقام الأول على تقارير الرحالين الذين أوفدهم الملك «روجر» لهذا الغرض إلى مختلف الديار والبلدان، وقيمة كتاب الإدريسي تقوم على الخرائط السبعية التي تعطينا صورة عن العالم أكثر دقة من أي مجموعة أخرى من الخرائط المعاصرة، ومن بين سماتها الرائعة قول مؤلفها بكروية الأرض، في زمان ساد خلاله الاعتقاد بأنها مسطحة، وتعيينه ينابيع النيل، وهو صنع لا يزال كثير يعتبرونه حتى اليوم اكتشافًا غربيًا»[٢].

● **مآخذ:**

أخذ عليه أنه وقع في بعض المرات تحت تأثير بعض الأساطير، والمفاهيم الخاطئة.

---

(١) الشريف الإدريسي: راجي عنايت. ط. المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٩م.

(٢) تاريخ المغرب في القرن العشرين: روم لاندو. ترجمه د. نقولا زيادة، دار الكتاب الدار البيضاء، ١٩٦٣م.

● **سبب تأليف الكتاب:**

كان الإدريسي قد انتهى إلى جزيرة صقلية، تلبية لدعوة صاحبها «رُجَّار الثاني»[(١)] ليضع له صورة العالم، فصنعها له من الفضة على هيئة دوائر كهيئة الأفلاك، ركّب بعضها على بعض، وأقامها على الوضع المخصوص، وأطمعه روجار بالبقاء في بلاطه، فوافق الإدريسي على ذلك، ورتب روجار له كفاية لا تكون إلا للملوك، فكان إذا دخل مجلسه أجلسه إلى جواره تعظيمًا له، وقال له يومًا: «أريد تحقيق أخبار البلاد بالمعاينة لها لا بما ينقل من الكتب» ووقع اختيارهما على أناس ألباء فطناء أذكياء وجهزهم إلى أقاليم الشرق والغرب جنوبًا وشمالًا، وسفّر معهم قومًا مصورين (رسامين) ليصوروا ما يشاهدونه عيانًا، وأمرهم بالتقصي والاستيعاب لما لابد من معرفته، فكان إذا حضر أحد منهم بشكل أثبته الإدريسي حتى تكامل له ما أراد[(٢)].

● **المنهج والأسلوب:**

رتب الكتاب على الأقاليم السبعة، حيث قسم العالم إلى سبعة أقاليم مناخية، ثم قسم كلا منها إلى عشرة أقسام، من المغرب إلى المشرق، ووضع لكل قسم خريطة، فأورد المؤلف أوصاف البلاد والممالك مستوفاة.

قراءة من الكتاب: قال الإدريسي في وصف الإقليم الأول: إنّ هذا الإقليم الأول مبدؤه من جهة المغرب من البحر الغربي المسمى ببحر

---

(١) روجّار الثاني (ت: ٥٤٨هـ)، أول ملك على صقلية.

(٢) الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية: د. أحمد سوسة. نشر نقابة المهندسين العراقيين ١٩٧٤م (ص: ٣١٤).

الظلمات، وهو البحر الذي لا يعلم ما خلفه، وفيه جزيرتان تسميان بالخالدات، ومن هذه الجزائر بدأ بطليموس يأخذ الطُّول والعرض، وهاتان الجزيرتان - فيما يذكر - في كل واحدة منهما صنمٌ مبنيٌّ من الحجارة، طولُ كل صنم منها مائة ذراع، وفوق كل صنم منهما صورة من نحاس، تشير بيدها إلى خلف، وهذه الأصنام - فيما يذكر - ستة، أحدها صنم قادس التي بغربي الأندلس ولا يعلم أحد شيئًا من المعمور خلفها(١).

اهتم في داخل كل إقليم بالمدن والحصون، وكتب عنها بمقدار ما جمع من مادة علمية، وما شاهده، وما نقل إليه ممن أرسلهم إلى مختلف النواحي والممالك.

اشتمل الكتاب على وصف البلدان، والأحوال الاجتماعية، والاقتصادية، والعادات والتقاليد، والملبس والأزياء، والحيوانات.

بين المسافات بالميل والفرسخ، لكنه لم يذكر الأطوال والعروض.

قارن المؤلف بين المعلومات الواردة في كتب أسلافه من علماء المسلمين، وعلق عليها، وشرح الكثير من النقاط الغامضة فيها، وانتقد بعضها.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

اعتمد الإدريسي على الكتب الجغرافية الميسرة في زمانه، فضمنه خلاصة كتب الجغرافية قبله، مثل المسالك والممالك: لابن خرداذبة (ت: ٢٨٠ هـ).
ومروج الذهب ومعادن الجوهر: لعلي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٦٤هـ).
وصورة الأرض: لابن حوقل البغدادي (ت: ٣٦٧هـ)، وغيرهم.

طبع الكتاب لأول مرة ما بين السنوات (١٩٧٠-١٩٧٨م) برعاية المعهد

---

(١) نزهة المشتاق (١٨/١) ط. عالم الكتب.

الجامعي الشرقي في نابولي بإيطاليا.

وترجم الكتاب إلى الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والألمانية.

ونشر القسم الخاص بإيطاليا من «نزهة المشتاق» مع ترجمة إيطالية وتعليقات «تشيلستينو سكيابارلي».

ونشر بالعربية المستشرق الهولندي «رينهارت بيتر آن دوزي» قسمًا منه[١].

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:

نزهة المشتاق: الإدريسي، طبعة عالم الكتب، لبنان.

للاستزادة انظر: التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية: عمر رضا كحالة، المطبعة العربية، دمشق، ١٩٧٢م.

الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف محمد شفيق غربال.

تاريخ العلوم عند العرب: د. عمر فروخ.

الوجيز في المصادر التاريخية والجغرافية عند العرب: د.صالح الأشتر.

جغرافية المدن عند العرب: د. عبد العال عبد المنعم الشامي. سلسلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول، لسنة ١٩٧٨مـ.

منهج الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» د. أحمد بن محمد الشبعان. دراسة جغرافية، مجلة التاريخ العربي.

معجم البلدان

يعد هذا الكتاب من أشهر المعاجم الجغرافية، وأكثرها نفعًا وتداولًا حتى اليوم، وهو ثمرة جهد جبار بذله المؤلف في الارتحال والمطالعة والتسجيل، والحق أن جميع البحّاثة في مجالات التاريخ والبلدان والجغرافيا في العالم الإسلامي مدينون للمؤلف بهذا الجهد الضخم.

«د. محمد ماهر حمادة»

- **ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦ هـ):**

ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، أبو عبد الله، شهاب الدين، مؤرخ، ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، أصله من الروم، أخذ أسيرًا وهو حدث صغير، وحمل إلى بغداد فبيع فيها، واشتراه تاجر اسمه «عسكر الحموي» فنسب إليه، ووضعه في الكتاب ليتعلم فيه ما يضبط له أعماله، فقرأ النحو واللغة، ثم احتاج إليه فأخذ يشغله بالأسفار، ولم يمض زمن حتى أعتقه وأقصاه عنه، فعاش من نسخ الكتب بالأجرة. سافر إلى حلب، وجعل ينتقل من بلد إلى آخر حتى استقر في «خوارزم»، فمكث فيها إلى أن أغار عليها «جنكيزخان» فانهزم ياقوت إلى الموصل لا يحمل شيئًا من ماله، ثم سار إلى حلب، وأقام في خان في ظاهرها، إلى أن مات فيها[(١)].

(١) انظر ترجمته: في البداية والنهاية: لابن كثير (١١٦/١٣)، ووفيات الأعيان: ابن خلكان (١٧٣/١٥). وانظر: ياقوت الحموي مؤرخًا من خلال كتابه معجم البلدان: يوسف عبد العزيز الحميدي. منشورات ضفاف ٢٠١٤م.

- **موضوعه:**

في الجغرافيا، وأسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام، والأوثان.

- **القيمة العلمية للكتاب:**

لا يعتبر هذا الكتاب معجمًا جغرافيًا فحسب، وإنما هو كتاب تاريخ، وأدب، ومرجع من أعظم المراجع التي يمكن الاعتماد عليها، وهو من أفضل النماذج للمعاجم الجغرافية. قال ياقوت الحموي: «لم أقصد بتأليفه، وأصمد نفسي لتصنيفه، لهوًا ولا لعبًا، ولا رغبة حثتني إليه ولا رهبًا، ولا حنينًا استفزني إلى وطن ولا طربًا حفزني إلى ذي ودّ وسكن، ولكن رأيت التصدي له واجبًا، والانتداب له مع القدرة عليه فرضًا لازبًا».

ثم نوه بأهمية هذا العلم فقال: «ومن ذا الذي يستغني من أولى البصائر عن معرفة أسماء الأماكن وتصحيحها، وضبط أصقاعها وتنقيحها، والناس في الافتقار إلى علمها سواسية، وسر دورانها على الألسن في المحافل علانية، ولأن من هذه الأماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائرين، ومعالم للصحابة والتابعين، ومشاهد للأولياء والصالحين، ومواطن غزوات سيد المرسلين، وفتوح الأئمة الخلفاء الراشدين». ثم عرّض المؤلف ببعض نقله الأخبار، وأعيان رواة الأشعار والآثار، وممن لم يُعنَ بضبط أسماء الأماكن، كيف ينخفض صوته إذا مر بذكر بقعة من الأرض، وبيّن ما يترتب على الجهل بهذا العلم من نسبة العلماء والأعيان والأمراء إلى غير مواطنهم، وبين مدى حاجة أهل السير والأخبار والتواريخ والآثار وأهل الحكمة، والتفهم، والتطبب، والتنجيم، وأهل الأدب إلى هذا العلم.

- **مآخذ:**

اعتذر المؤلف عن عدم قدرته على الإيفاء بذكر كل ما تقدم لأنه غير ممكن، وإنما جاء التفصيل والبيان في البلدان المشهورة فقط.

وقد انتقد صفي الدين البغدادي (ت: ٧٣٩هـ) ياقوت الحموي في أشياء ذكرها في مقدمة كتابه «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» الذي هو اختصار لكتاب ياقوت.

- **سبب تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أن أول البواعث له لجمع هذا الكتاب، هو ما جرى له في مجلس شيخه «عبد الرحيم السمعاني» بمرو؛ حيث سئل عن «حباشة» اسم موضع ورد في الحديث النبوي الشريف، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية، فقال: أرى أنه «حُباشة» بضم الحاء، فانبرى له رجل من المحدثين، وقال: إنما هو حَباشة، بالفتح، وأصر على ذلك وكابر، فأراد ياقوت أن يقطع احتجاجه بالنقل، فرجع إلى كتب غرائب الحديث ودواوين اللغة، فوجد فيها ما يوافق قوله، وأدرك حينها الحاجة إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطًا متقنًا.

- **المنهج والأسلوب:**

ذكر المؤلف أنه عند جمعه لهذا الكتاب رجع إلى ما قد صنفه المتقدمون في أسماء الأماكن. وذكر أن الذين كتبوا في ذلك على صنفين: منهم من قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة، والبلدان المسكونة المشهورة، ومنهم من قصد ذكر البوادي والقفار، واقتصر على ذكر منازل العرب الواردة في أخبارهم وأشعارهم.

أشار إلى أسماء الكتب التي نقل منها، وقال: إنه نقل من دواوين العرب، وتواريخ أهل الأدب، والمحدثين، ومن أفواه الرواة، وتفاريق الكتب، وما شاهده في أسفاره وحصله في تطوافه.

انتقد المؤلفين في هذا المجال بأن أسماء الأماكن في كتبهم مصحفة، وإن ضبطت فهي غير مسببة.

قدم المؤلف أمام الغرض من هذا الكتاب بمقدمة فيها خمسة أبواب:

- **الباب الأول**: في ذكر صورة الأرض، وما قاله المتقدمون والمتأخرون في صورتها.

- **الباب الثاني**: في اختلاف العلماء على معنى الإقليم، ودلائل القبلة.

- **الباب الثالث**: في تعريف ألفاظ يكثر ذكرها، كالبريد، والفرسخ، والميل، والكورة .

- **الباب الرابع**: في بيان حكم الأرضين والبلاد المفتتحة في الإسلام.

- **الباب الخامس**: في جمل من أخبار البلدان التي لا يختص ذكرها بموضع دون موضع.

رتب الكتاب على نسق حروف المعجم، فقسّمه إلى ثمانية وعشرين كتابًا، والتزم ترتيب كل كلمة منه على أول حرف وثانيه وثالثه ورابعه، وضبط كل حرف من حروف الكلمة بالحركة واللفظ.

يذكر اشتقاق الاسم إن كان عربياً، ومعناه إن كان أعجميًا.

ويورد جميع ما يتصل به من روايات باللغة، ويسجل ما ورد ذكره في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف .

طريقته في التعريف: يذكر اسم المكان، وفي أي إقليم هو، ومن بناه، وأي بلد من المشهورات يجاوره، وكم مسافة بينه وبين ما يقاربه، وبماذا

اختص من الخصائص، وما ذكر فيه من العجائب، وبعض من دفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابة والتابعين، ونبذًا مما قيل من الأشعار الشاهدة على صحة ضبطه، وفي أي زمن فتحه المسلمون، وكيفية ذلك، ومن كان أميره، وهل فتح صلحًا أم عنوة.

● **كتب ذات صلة:**

رغب المؤلف من كل قارئ أو مستفيد من هذا الكتاب أن لا يشوهه باختصار، وذكر أنه قد التمس تلاميذه منه مرارًا وتكرارًا أن يختصر لهم هذا الكتاب، لكنه أبى، لأنه يرى أن الاختصار تبديد لما جمع، وتشتيت لما لفق، وتفريق للمحاسن، وقال: إن الذي يقدم على اختصار الكتاب كمن يقدم على خلق سوي فيقطع أطرافه، أو كمن يسلب امرأة من حليها، أو كمن يسلب الفارس سلاحه، وقد توعد المؤلف من يختصر كتابه بحساب الله له يوم القيامة.

إلا أن هذا كله لم يمنع بعض العلماء من اختصاره، حيث ذكر صاحب كشف الظنون أسماء بعض العلماء الذين اختصروا هذا الكتاب[(١)].

حققه: المستشرق «فردنند وستنفلد» طبعة «ليبزيغ» الألمانية، سنة ١٨٦٨م، وطبع بعد ذلك عدة طبعات محققة، منها:

طبعة محمد أمين الخانجي، سنة ١٩٠٦م .

وطبعة دار صادر في بيروت سنة ١٩٥٧م .

❁ ❁ ❁

(١) كشف الظنون: حاجي خليفة (٧٣٣/٢).

رحلة ابن بطوطة
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

إنَّ «رحلة ابن بطوطة» قد أبرزت الجانب المشرق من الحضارة الإسلامية، فقد جاءت لتؤكد لنا وجود عالم إسلامي تسكنه أمة واحدة، يربط أفرادها رباط الإسلام والمودة والإنسانية.

«د. حسين مؤنس»

- **ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩ هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن عبد الله اللواتي، نسبة إلى قبيلة «لواتة»، الطنجي، نسبة إلى «طنجة» التي ولد ونشأ فيها، ولقبه شمس الدين، نشأ في أسرة اشتهرت بالعناية بالعلوم الشرعية، وولاية القضاء، تلقى تعليمه على يد مشايخ وفقهاء مدينة طنجة وعلمائها، وتقلد القضاء بركب حجاج تونس أثناء رحلته الأولى، ثم تولى القضاء بالهند، وجزر المالديف، ولما عاد إلى المغرب، بعد رحلته الثالثة إلى إفريقيا تولى القضاء. كان له اطلاع على مسائل النحو وقواعد اللغة العربية، حيث سجَّل ملاحظة على خطيب جامع البصرة، الذي كان يلحن في خطبة الجمعة، وكان يقرض الشعر كما هو ثابت في رحلته، وكان له أيضًا اعتناء بسماع الحديث على مشايخ المحدثين الذين لقيهم بالشرق الإسلامي، وقد أجازه مجموعة من كبار العلماء مثل «ابن الشحنة» وغيره. أكسبه اتصاله بالعلماء والفضلاء، استفادة من علمهم، ومكنه من تعلم اللغة الفارسية والتركية، وشواهد ذلك ظاهرة من رحلته، وكان على ما يبدو من رحلته رقيق الشعور سريع التأثر محبًّا لوالديه، يذكر جميع من يشاهدهم

من الشيوخ والزاهدين والفقراء المتعبّدين بالخير، ويثني عليهم ويطلب بركتهم[(١)].

● **الموضوع:**

في تاريخ أدب الرحلات الجغرافية، وهو لون من ألوان النشاط الإنساني، امتازت به أطراف العالم الإسلامي، وقد أينع ثمره في الأندلس منذ أواخر القرن الخامس الهجري، فقد كان الأندلسيون يفدون على المشرق لأداء الحج أو لطلب العلم، ثم يدوِّنون هذه المشاهدات والانطباعات في مصنفات علمية. ومن أشهر هذه الرحلات:

رحلة ابن فضلان: أحمد بن عباس، حيث أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣٠٩ هـ في سفارة إلى أمراء بلغار الفولجا[(٢)].

رحلة المسعودي «مروج الذهب ومعادن الجوهر»: للمؤرخ الجغرافي علي ابن الحسين المسعودي (ت: ٣٦٤ هـ)[(٣)].

ترتيب الرحلة للترغيب في الملة: للقاضي ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت: ٥٤٣ هـ)[(٤)].

---

(١) ترجم له الشيخ عبد الله كنون في كتابه «ابن بطوطة» منشورات إيسيكو ١٩٩٦م.

(٢) كتب وصفًا حيًا لما شاهده من معالم وعادات وتقاليد، ولعله أول رحالة مسلم زار تلك البلاد، ويعتبرها الروس الآن من الوثائق المهمة التي تسجل مرحلة مهمة من تاريخ بلادهم.

(٣) المسعودي: خرج من بغداد، وجاب بلاد الشام وزنجبار وفارس وأواسط آسيا والهند وسرنديب «سيلان» ووصل إلى بحر الصين، وجمع وسجل جميع مشاهداته ودراساته.

(٤) وصف فيها المشرق وصفًا دقيقًا، ودونها وتعد من مؤلفاته المفقودة، لكنه لخصها في مقدمة كتابه «قانون التأويل».

رحلة ابن جبير «تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار»: لمحمد بن أحمد بن جُبير الأندلسي (ت: ٦١٤هـ)[(١)].

رحلة العبدري «الرحلة المغربية»: لمحمد بن محمد العبدري[(٢)].

رحلة العياشي «ماء الموائد»: لعبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (ت: ١٠٩٠ هـ)[(٣)].

رحلة ابن رشيد «ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة»: لابن رشيد الفهري، محمد بن عمر (ت: ٧٢١هـ)[(٤)].

---

(١) ابن جبير: هو رحالة أديب، وولد في بلنسية، دون مشاهداته في شبه مذكرات يومية، فرسم الحياة بكل تجلياتها في القرن السابع الهجري في المشرق والمغرب، والانطباع الذي خلفته هذه المدن في نفسه، حيث قام بثلاث رحلات إلى المشرق، وقد حج في كل واحدة منها. الرحلة الأولى: بدأها عام ٥٧٨ هـ وقد استغرقت سنتين، وفيها ذكر ما شاهده وكابده في أسفاره، وانتقد كثيرًا من الأحوال، ومن أهم مشاهداته ما تحدث به عن صقلية وآثارها، من مساجد ومدارس وقصور، وعن الحضارة التي خلفها العرب في الجزيرة، وفي أثناء مروره بالشام كانت الحروب الصليبية مشتعلة فتحدث عنها في رحلته. الرحلة الثانية: فقد دفعه إليها أنباء استرداد بيت المقدس من الصليبيين من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣ هـ. الرحلة الثالثة: كانت إثر وفاة زوجته أم المجد.

(٢) العبدري: هو عالم من أهل بلنسية، سافر سنة ٦٨٨هـ لتأدية فريضة الحج، ومر بالإسكندرية وأقام بعد الحج فترة في فلسطين، ثم دوّن أخبار رحلته، التي عني فيها ببيان المواقع الجغرافية، وذكر المعالم الأثرية، ودراسة العادات في البلاد التي مر بها، فضلا عن أعلام الفقهاء المسلمين في عصره.

(٣) العياشي: هو فقيه فاضل من أهل فاس، تحدث عن رحلته إلى الحرمين الشريفين، وتمتاز بما تحتويه من الأخبار والأشعار والتراجم وأحوال الكتب ومؤلفيها.

(٤) ابن رشيد: هو رحالة عالم بالأدب والتفسير والتاريخ من أهل سبتة، جماعة للكتب، وتضمنت رحلته فوائد علمية كثيرة، وطبعت بتحقيق الشيخ محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

تعتبر هذه الرحلة أشهر كتب الرحلات على الإطلاق، وهي مرجع لدراسة الشعوب التي زارها المؤلف، كما تعد أشهر الرحلات الإسلامية، وهي تساهم في كشف النقاب عن جوانب من تاريخ بلاد الحجاز، وبقية البلدان المزارة والمتحدث عنها بصفة عامة.

قال د. حسين محمد فهيم: «ولعل ما دونه ابن بطوطة في رحلاته عن الناس والتقاليد والعادات والحكايات الشعبية في أرجاء العالم الإسلامي يعطينا صورة واضحة عن مدى التنوع والاختلاف في الثقافات المحلية رغم الانتماء للإسلام، وتقدم الرحلة بصفة عامة ما يمكن وصفه بـ(إطلالة بانورامية) إن صح التعبير، على العالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري».

ومما يدل على القيمة العلمية لهذه الرحلة: اهتمام العلماء والجغرافيين بها، وترجمتها إلى عدة لغات عالمية، منها البرتغالية، والإنكليزية، والفرنسية، والصينية، والتركية، كما ترجمت فصول منها إلى الألمانية، وقد اهتم المستشرقون بها اهتمامًا كبيرًا.

● **المنهج والأسلوب:**

بدأت الرحلة سنة ٧٢٥هـ، واستغرقت نحوًا من ٢٧ سنة، انتهى منها في مدينة فاس، ونزل عند صاحبها أبي عنان المريني، الذي أعجب بما كان يقصه عليه ابن بطوطة من أخبار رحلته، فأمر كاتبه «محمد بن جزي الكلبي» أن يدون ما يمليه عليه ابن بطوطة، فتولى ابن جزي ترتيبها وتهذيبها، وإضافة ما يناسب أبوابها من الأخبار والأشعار، معولًا في كثير من تحقيقاته على رحلة ابن جبير.

فرغ ابن جزي من عمله في الرحلة سنة ٧٥٦ هـ، وسماها «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

قال ابن جزي: «ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها وموضحة للمعاني التي اعتمدها».

وضع ابن جزي عناوين لبعض الموضوعات، ولكنه لم يعمم ذلك، وقال في خاتمتها: «انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله، محمد ابن بطوطة أكرمه الله، ولا يخفى أن هذا الشيخ هو رحال العصر، ومن قال رحال هذه الملة لم يبعد».

ويلاحظ عليه كثرة التنميق والسجع الظاهر والمتكلف أحيانًا.

اشتمل الكتاب على تدوين رحلات ابن بطوطة الثلاث:

الرحلة الأولى: خرج من طنجة، فطاف بلاد المغرب، ومصر، والشام، والحجاز، والعراق، وفارس، واليمن، والبحرين، وتركستان، وما وراء النهر، وبعض بلاد الهند والصين والجاوة، وبلاد التتر، وأواسط أفريقية، واستمرت خمسة وعشرين سنة، أدى خلالها فريضة الحج، ثم رجع إلى بلاده.

الرحلة الثانية: زار فيها أوربا، وبلاد الأندلس، واستقر بعض الوقت في مدينة غرناطة، ثم عاد إلى المغرب بعد سنة من خروجه منها.

الرحلة الثالثة: قام بها - بعد سنتين من إقامته في بلاده- إلى بعض مدن أفريقية.

اتصل برحلته بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم واستعان بهباتهم على أسفاره.

كان معجبًا بالصوفية وطرائقهم، ويفهم هذا المعنى من حديثه عن أهل

الحرف ومن غيره، حيث قال عن أهل الحرف: «إنهم أكثر ترابطًا من غيرهم، لأنهم في العادة كانوا ينتمون إلى الطرائق الصوفية الكثيرة، من شاذلية، وتيجانية، ورفاعية، وقادرية، وجزولية، وكانت العادة أن ينتسب أبناء الحرفة الواحدة إلى طريقة بعينها، وكانوا يسمون أنفسهم العشيرة، وكان شيخ العشيرة في كل بلد أشبه بأب لأهل الحرفة، ورئيس مطاع يلجئون إليه في حل مشكلاتهم، حتى الخاصة منها، فيصلح بين الأزواج، ويعنى بتزويج اليتيمات، ويراقب الأوصياء على اليتامى، وكان سلطانه على أهل أفراد عشيرته أقوى من سلطان الدولة».

لَم يرتب ابن جزي الرحلة على الأبواب أو الفصول، أو الأقسام، أو حوادث كل سنة - كما هي عادة أغلب كتب التاريخ - بل كان يسرد الأحداث تحت عناوين غالبًا ما تكون مبدوءة بقوله: ذكر كذا، كقوله ذكر الأهرام، وذكر سلطان مصر، وحكاية...

تميزت الرحلة بما فيها من أخبار طريفة، وقصص نادرة، مثل وصفه مواكب الناصر ابن قلاوون في مصر، ومواكب السلطان أبي سعيد ببغداد، وما استوقفه في مكة، من جمال نسائها، وعنايتهنّ بالطيب، وجمال نساء زبيد في اليمن، ووصفه بلاط صاحب صنعاء، ودار الطلبة في مقديشو، وصيد اللؤلؤ في البحرين، والعملة الورقية في الصين وصناعة التصوير فيها(١)، ووصفه نظام الفتوة في آسيا الصغرى والأناضول، وتراجم العلماء على قبورهم في بخارى، والعربات التي تجرها الكلاب على الجليد في البلغار.

---

(١) ابن بطوطة ورحلته إلى الصين: لي قواتغبين الصيني، مجلة «ارتياد الآفاق» الإلكترونية.

● **قراءة من رحلة ابن بطوطة (الخروج من طنجة)** .

قال الشيخ أبو عبد الله : كان خروجي من طنجة، مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد، عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدًا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسّلام، منفردًا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته؛ لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم (أي: الصدور)، فجزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة، فتحملت لبعدهما وصبًا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبًا، وسني يومئذٍ ثنتان وعشرون سنة. . .

● **المآخذ**:

أخذ الدارسون لرحلة على ابن بطوطة عليه بعض الأمور، منها:

المبالغة في بعض ما يرويه، وبخاصة في وصفه للمناسبات والاحتفالات والحكايات.

ومنها: نقله لما لا يصح عقلًا ولا نقلًا، كقوله قرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري: «إنّ الصّلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة».

ومنها: الغلط والخلط فيما يرويه من بعض الأحداث والوقائع، كقوله: «وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية، كبير الشام، يتكلم في الفنون، إلا أن في عقله شيئًا، وكان أهل الشام يعظمونه أشد التعظيم، وحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل

درجة من درج المنبر»[١].

ومنها: عدم ضبط التواريخ التي يوردها مقارنة بأسماء الأيام التي يذكرها.

ومنها: الغموض أحيانًا في أمر التسلسل الزمني؛ كأن يتخطى تاريخ اليوم أو الشهر أو السنة لبعض الحوادث.

وذكره بعض الأحداث في غير محلها، وقد يحكي في الرحلة السابقة ما حصل له في الرحلة اللاحقة.

ومنها: إهماله لذكر أسماء الحكام في بعض الجهات التي زارها، مع أن عادته جرت على أن يعطي الأولوية لزيارة المتنفذين والمسئولين عن البلاد.

ويلحظ على ابن بطوطة توسعه بذكر كرامات الأولياء، حيث إنه من العناوين المتكررة في الرحلة قوله: «كرامة لهذا الشيخ»، ورغم ذلك يهمل لذكر بعض المزارات والمشاهد التي يفترض أن تكون مقصودة له؛ مثل إغفاله ذكر مزار الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد.

ومنها: مزج بعض مشاهداته عند الذهاب بمشاهداته عند الإياب.

وقد علل المدافعون عن ابن بطوطة وجود بعض الخلل فيها: بأن ابن جزي لخص رحلته بثلاثة أشهر؛ وأن سبب استعجال ابن جزي الطارىء الصحي الذي عرض له، وبالسطو الذي تعرض له في إحدى الجزر؛ حيث سلبه القراصنة ما عنده من جواهر ويواقيت، والتقييدات.

---

(١) ردّ الشيخ محمد بهجت البيطار في كتابه عن ابن تيمية هذا الرواية من عدة وجوه، منها أن ابن تيمية كان في الوقت الذي زار فيه ابن بطوطة دمشق مسجونًا في سجن القلعة.

- **كتب وأعمال ذات صلة:**

- طبعت لأول مرة في باريس سنة ١٨٥٣م مع ترجمة فرنسية، بعناية المستشرقين «ديفر يمري وسانجنتي».

- وقام المستشرق الفرنسي «جبرييل فيران» بإعادة طباعتها[١].

- ونشرها وعلق عليها السير «هاملتوكيب» الأستاذ بأكسفورد، والعلامة التشيكي «إيفان هربك» الذي يعتبر أهم باحث دقَّق رحلة ابن بطوطة .

- وعلق عليها «فانسان مونطي» و«صطيفان بيراز يموس» و«وروس دان» الأستاذ بجامعة سان دييكو .

- وقام المستشرق السويدي «هرمان المكويست» (ت: ١٩٠٤م) بنشر قسم من رحلة ابن بطوطة.

- وحققها ووضع خرائطها وفهارسها د. عبد الهادي التازي عضو أكاديمية المملكة المغربية، وقدم حولها دراسة دقيقة، أفدت منها في هذه المادة. نشر أكاديمية المملكة المغربية، الرباط سنة ١٩٩٧م.

- وحققها د. علي المنتصر الكتاني، ط. مؤسسة الرسالة.

– ابن بطوطة، كتابات حول الرجل وحول رحلته: د. سليمان القرشي، من المغرب، مقال في موقع ارتياد الآفاق، المركز العربي للأدب الجغرافي ذكر فيه ٢١٤ كتابًا وبحثًا يتعلق بابن بطوطة.

---

(١) جبرييل فيران (ت: ١٩٣٥م) مستشرق فرنسي، أقام مدة في الجزائر، وأعاد طبع (مروج الذهب) للمسعودي، و (رحلة ابن بطوطة).

• **المراجع:**

- الرحلات: د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف.

- أدب الرحلات: د. حسين محمد فهيم. ط. عالم المعرفة.

- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: د. حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة مدبولي.

- الوجيز في المصادر التاريخية: د. صالح الأشتر. جامعة حلب.

- تاريخ التأليف في الجغرافية عند العرب: أغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين هاشم، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر[1].

۞ ۞ ۞

(١) أغناطيوس جوليانوفتش كراتشكوفسكي (ت: ١٩٥١م) مستشرق روسي، معروف بصلاته الوثيقة بعدد من الكتاب العرب، من أهم آثاره ترجمته للقرآن الكريم إلى الروسية، و«دراسة المخطوطات العربية» و«تاريخ الأدب الجغرافي العربي».

المجموعة الخامسة

في الفلـسفـة.

وعلم الاجتماع.

تهافت الفلاسفة

وفيه ينتقد مذاهب الفلاسفة، ويكفرهم في مسائل: قدم العالم، وعلم الله، وحشر الأجساد، ويبدعهم في مسائل أخرى.

● **أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)**(١).

● **الموضـوع:**

في علم الفلسفة القديمة، وإبطالها.

قال في «المعجم الوسيط» الفلسفة: دراسة المبادئ الأولى، وتفسير المعرفة تفسيرًا عقليًا، وكانت تشمل العلوم جميعًا، واقتصرت في هذا العصر على المنطق، والأخلاق، وعلم الجمال، وما وراء الطبيعة.

وقد قسَّم الفلاسفة «الحكماء» الفلسفةَ إلى قسمين؛ الأول: حكمة نظرية، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ الأوّل: العلم السُّفلي «الطبيعي» وتشمل الطب، والكيمياء، والسحر الطبيعي، وما وراء الطبيعة، وعلم الأجسام. والثَّاني: العلم الأوسطُ «الرِّياضي» وأصوله أربعة، هي العدد والهندسة والهيئة والموسيقي، وفروعه ستة، هي الجمع والتفريق والجبر والمقابلة والمساحة وجرّ الأثقال والزيجات والتقاويم. والثالث: العلم الأعلى «الإلهي». القسم الثاني: حكمة عملية، وتشمل الأخلاق، والسياسة، والاقتصاد(٢).

(١) تقدمت ترجمته في الإحياء.

(٢) انظر «علم الحكمة» في أبجد العلوم للقنوجي (ص: ٣٧٦) وما بعدها.

وكلمة «فلسفة» مركبة من كلمتين يونانيتين هما «فيلو» أو«فيلا» ومعناهما المحبة أوالإيثار، و«سوفيس» أو«سوفيا» ومعناهما الحكمة. ومعروف عن العرب أنهم لم يكونوا يعرفون الفلسفة، فقد اشتهروا بأنهم أهل لَسَنٍ، وإنما عرفوها بعد عصر الترجمة، وأشهر الفلاسفة =

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر المؤلف أنّ هدفه من تأليف هذا الكتاب هو تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة، وظنَّ أنَّ مسالكهم نقيّة عن التناقض؛ حيث قال: «ابتدأت بتحرير هذا الكتاب ردًّا على الفلاسفة القدماء، مبيِّنا تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالإلهيات، وكاشفًا عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء، وعبرة عند الأذكياء، أعني ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء من فنون العقائد والآراء... رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التَّميُّز عن الأتراب والنُّظراء بمزيد الفطنة والذكاء قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات، واستحقروا شعائر الدين من وظائف الصّلوات، والتوقّي عن المحظورات، واستهانوا بتعبُّدات الشَّرعِ وحدوده، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده، بل خلعوا بالكلية ربقة الدين بفنون من الظنون، يتبعون فيه رهطًا «يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ».

ولم يكن قصد المؤلف هدم جميع الآراء التي أتوا بها، إذ إنّ بعضها صحيح وموافق للدين.

= المنتسبين إلى الإسلام: الكندي: يوسف بن يعقوب (ت: ٢٦٠ هـ)، والفارابي (ت: ٣٣٩هـ) ويطلق عليه المعلم الثاني بعد المعلم الأول وهو أرسطو. وابن سينا (ت: ٤٢٨هـ) ويطلق عليه الشيخ الرئيس.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعدُّ هذا الكتاب من أشهر كتب الغزالي، كما يعد من أهم كتب الفلسفة في العصور الوسطى.

اهتم به المفكرون والفلاسفة المسلمون وغير المسلمين، منذ عهد الغزالي إلى يومنا هذا.

وقد تميز أسلوبه فيه بالقوّة والوضوح، وارتقى عن أساليب الفلاسفة، فتميز بالسُّهولة بعيدًا عن التعقيد والإبهام.

● **مـآخـذ:**

ذهب د. عبد الرحمن بدوي في كتابه «مؤلفات الغزالي» إلى أن الغزاليَّ استمدَّ حججه في الرد على الفلاسفة من الفيلسوف «يحيى النحوي».

وأنه تأثر بكتاب «معاذلة النفس» المنسوب إلى هرمس.

وأنه هجر فلسفة «أرسطو» وأتباعه اليونانيين والمسلمين ليتحول إلى فلسفة «أفلاطين».

وأنه ناقض نفسه وخضع لما حاول التخلص منه، حيث بدا تابعًا للفلسفة اليونانية الهيلينية(١)، والتصوف الهندي الشرقي.

ولعلّ هذا ما قصده القاضي أبو بكر ابن العربي حين قال: «شيخنا أبو حامد بَلَع الفلاسفة، وأراد أن يتقيَّأهم فما استطاع»(٢).

---

(١) الهيلينية: حضارة الإغريق، ومثلهم، وطرق معيشتهم، ويعتبر موت الإسكندر في ٣٢٣ ق.م خاتمة عصر الحضارات الهيلينية. (الموسوعة العربية الميسرة).
ويحيى النحوي: فيلسوف إسكندراني شهير، عاش في القرن السادس الميلادي.

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٩/ ٣٢٧).

- **المنهج والأسلوب:**

يتكون هذا الكتاب من أربع مقدمات، وعشرين مسألة.

المقدمة الأولى: في إظهار التناقض في آراء الفلاسفة، وفي مقدمهم المعلم الأول «أرسطو» فإنه رتب علومهم وهذبها، ثم المترجمون لكلامه من المتفلسفة الإسلاميين، مثل الفارابي، وابن سينا.

المقدمة الثانية: في ذكر أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم.

المقدمة الثالثة: في ذكر مقصوده من الكتاب، وهو تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة، وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض، بتبيان وجوه تهافتهم.

المقدمة الرابعة: في بيان أن من أعظم حيلهم الاستدراج، إذ أورد عليهم إشكال قولهم: إن العلوم الإلهية غامضة خفية، لا يتوصل إلى معرفة الجواب إلا بتقديم الرياضيات والمنطقيات.

ثم ذكر المسائل التي ظهر فيها تناقض مذهب الفلاسفة، وهي عشرون مسألة. المسألة الأولى: في أزلية العالم. والمسألة الثانية: في أبدية العالم. والمسألة الثالثة: في بيان تلبيس الفلاسفة في قولهم: إن الله سبحانه وتعالى صانع العالم، وأن العالم صانعه. والمسألة الرابعة: في تعجيزهم عن إثبات الصانع. والمسألة الخامسة: في تعجيزهم عن إقامة الدليل على استحالة إلهين. والمسألة السادسة: في نفي الصفات. والمسألة السابعة: في قولهم: إن ذات الأول لا ينقسم بالجنس والفصل. والمسألة الثامنة: في قولهم: إن الأول موجود بسيط بلا ماهية. والمسألة التاسعة: في تعجيزهم عن بيان إثبات أن الأول ليس بجسم. والمسألة العاشرة: في تعجيزهم عن إقامة الدليل على أن للعالم صانعاً وعلة. والمسألة الحادية عشرة: في تعجيزهم عن القول بأن الأول يعلم غيره. والمسألة الثانية عشرة: في تعجيزهم عن

القول بأن الأول يعلم ذاته. والمسألة الثالثة عشرة: في إبطال قولهم: إن الأول لا يعلم الجزئيات. والمسألة الرابعة عشرة: في إبطال قولهم: إن السماء حيوان متحرك بالإرادة. والمسألة الخامسة عشرة: فيما ذكروه من العرض المحرك للسماء. والمسألة السادسة عشرة: في قولهم: إن نفوس السموات تعلم جميع الجزئيات. والمسألة السابعة عشرة: في قولهم باستحالة خرق العادات. والمسألة الثامنة عشرة: في تعجيزهم عن إقامة البرهان العقلي على أن النفس الإنساني جوهر روحاني. والمسألة التاسعة عشرة: في قولهم باستحالة الفناء على النفوس البشرية. والمسألة العشرون: في إبطال إنكارهم البعث وحشر الأجساد مع التلذذ والتألم بالجنة والنار بالآلام واللذات الجسمانية.

وختم الكتاب بقوله: فإن قال قائل: قد فصَّلتم مذاهب هؤلاء، أفتطمعون القول بكفرهم! قلنا: لا بد من كفرهم في ثلاث مسائل:

الأولى: مسألة قدم العالم، وقولهم إن الجواهر كلها قديمة .

الثانية: قولهم إن الله سبحانه وتعالى لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص .

الثالثة: إنكارهم بعث الأجساد وحشرها، فهذه لا تلائم الإسلام بوجه.

فأما ما عدا هذه الثلاث من تصرفهم في الصفات والتوحيد، فمذهبهم قريب من مذهب المعتزلة، فهم فيه كأهل البدع.

● **كتب ذات صلة:**

مقاصد الفلاسفة: للغزالي؛ ألفه ليكون مقدمة لكتابه التَّهافت، وفيه تلخيص شامل للنظريات الفلسفية، ومجمل آراء الفلاسفة، طبع بتحقيق: د. سليمان دنيا.

وطبع كتاب «تهافت الفلاسفة» بالعربية لأول مرة في القاهرة، سنة (١٣٠٢هـ).

وحققه: موريس بويج اليسوعي، طبعة بيروت سنة ١٩٢٧م.

وحققه: د. ماجد فخري، طبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٩٦٢م.

تهافت التّهافت: لابن رشد الأندلسي، محمد بن أحمد (ت: ٥٩٥هـ) وهو ردٌّ على الغزاليِّ، وطريقته في الرد، يقول في مطلع كل فقرة: قال أبو حامد... ثم يرد بقوله: قلت، وانتهى فيه إلى أنه لا تناقض بين الحكمة -أي الفلسفة الإسلامية- وبين الشريعة، وقال: إن هذا الرجل «الغزالي» أخطأ على الشريعة كما أخطأ على الحكمة.

التهافت: لمصطفى بن يوسف، الشهير بخواجه زادة الربسوي (ت: ٨٩٣ هـ) كتبه بأمر السلطان محمد خان العثماني الفاتح للمحاكمة بين الغزالي وابن رشد.

تهافت الفلاسفة: للمولى علاء الدين الطوسي (ت: ٨٨٧ هـ) ويعرف باسم «الذخيرة في المحاكمة بين الغزالي والحكماء» نشره د. رضا سعادة بعنوان «تهافت الفلاسفة».

الغزالي ونقده للفلسفة اليونانية: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، رسالة دكتوراه، ١٩٤٥م، من جامعة بازل بسويسرا.

مقدمة ابن خلدون

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

إن ابن خلدون في مقدمة تاريخه العام استوحى وصاغ فلسفةً للتاريخ، وهي دون ريب أعظم عمل استوحاه وأبدعه عقل من العقول، في أي عصر وفي أي مكان.

«توينبي، مؤرخ إنكليزي، ١٨٥٢-١٨٨٣م»

● **ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ):**

هو أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، ولي الدين، فيلسوف، مؤرخ، بحاثة، ولد ونشأ بتونس في بيت علم ورياسة، فقرأ القرآن الكريم وحفظه، وتفقه في القراءات السبع، ودرس التفسير والحديث والفقه، ودرس النحو واللغة، على أشهر أساتذة تونس، كان فصيحًا، جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، طموحًا، رحل إلى فاس وغرناطة، ولما وصل إلى مقربة من مدينة «تلمسان» نزل في أحياء «بني عريف» فأكرموه وأنزلوه مع أسرته في «قصر». قال ابن خلدون: «ولحقت بأحياء أولاد عريف، فلقوني بالتحف والكرامة، وأقمت بينهم أيامًا حتى بعثوا عن أهلي وولدي من تلمسان، وأنزلوني بأهلي في قلعة أولاد سلامة... فأقمت بها أربعة أعوام متخليًا عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة».

تولى أعمالًا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر «برقوق» وعينه لتدريس الفقه المالكي،

وولاه قضاء المالكية، وعزل، وأعيد[١].

● **الموضوع:**

في علم الاجتماع، ويقال له علم الجماعات أو المجتمعات الإنسانية، وهو دراسة للإنسان في مظهره الاجتماعي، وللجماعات من الناس الذين يسعون بشكل تعاوني إلى تحقيق مصالح رئيسية معينة[٢].

● **سبب تأليف الكتاب:**

أراد ابن خلدون من تأليف هذه المقدمة أن يدعو لمنهج المعالجة والتحليل التاريخي، منتقدًا كتب التاريخ ومناهج المؤرخين؛ لخلوها من ذكر أسباب قيام الممالك والدول وسقوطها، وجعلها مقدمةً لكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، ويتكون كتاب التاريخ من سبعة أجزاء، الأول: في المقدمة. والثاني والثالث والرابع والخامس: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم. والسادس والسابع: في تاريخ البربر ومن إليهم.

(١) كتب ابن خلدون سيرة حياته الذاتية، ملحقة بتاريخه، وهي السيرة التي طبعت بعد ذلك في كتاب «ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن، ولي الدين، التعريف بابن خلدون، ورحلته غرباً وشرقاً» تحقيق وتعليق الأستاذ محمد تاويت الطنجي، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٥١م، علمًا أن الدراسات عنه بدأت منذ كان حيًا، فقد ترجم له وروى شيئًا من شعره ونثره صديقه ومعاصره لسان الدين ابن الخطيب.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة.

ومصطلح «علم الاجتماع» مصطلح حديث، ويعتبر ابن خلدون من مؤسسيه، ويعتبر «أفلاطون» من أوائل من كتب في هذا العلم في كتابيه «الجمهورية» و«القوانين» إذ هي في معظمها تبحث في علم الاجتماع.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

تعد مقدمة ابن خلدون من أشهر كتب التاريخ والفلسفة، وتقوم شهرة ابن خلدون عليها؛ إذ رفعته إلى مصافّ كبار فلاسفة الدنيا.

قال المقريزي: «لم يعمل أحد مثالها، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها».

وقال «توينبي» في تقريظه للمقدمة: «عمل لم يقم بمثله إنسان في أي زمان ومكان».

وقال المؤرخ والفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي» في كتابه «حوار الحضارات»: ويبقى ابن خلدون شخصية عالمية في مجال العلوم الإنسانية، إلى جانب اتصافه بأنه دبلوماسي، ومحارب، ومؤرخ، وعالم اجتماعي، وفيلسوف، وفنان.

● **المآخذ:**

كتب د. خالد كبير علال دراسة نقدية تقصّى فيها الأخطاء المنهجية والموضوعية التي وقع فيها ابن خلدون[١].

---

(١) أخطاء المؤرّخ ابن خلدون: تأليف د.خالد كبير علال، أستاذ بجامعة الجزائر، انتقد فيه ما أسماه مبالغات وأخطاء بعض المعاصرين الذين اهتموا بابن خلدون وآثاره، كالدكتور محمد فاروق النبهان الذي وصف الفكر الخلدوني بأنه فكر سابق لعصره، وأنه فكر متكامل، مترابط، قوي البنية، وعلق عليه بأنه فكر وثمرة متأخرة للعلوم الشرعية وليس إبداعًا سابقًا لعصره، وذكر نماذج من أخطاء ابن خلدون مثل مسألة تحكم المعاش في أحوال الناس، والموقف من العرب، حيث ذكر أنهم لا يتغلبون إلا على البسائط بسبب طبيعة التوحش التي فيهم، كما أنهم لا يطلبون إلا الأمور السهلة، ولا يذهبون إلى المزاحفة والمحاربة إلا دفاعًا عن النفس؛ ويرى المؤلف أن هذا الحكم لا يصح إصداره.

• **المنهج والأسلوب:**

تتكون مقدمة ابن خلدون من ستة فصول أو «كتب».

بدأ الكتاب بمقدمة تمهيدية، بعنوان «فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها».

قال فيه: اعلم أن فنَّ التاريخ فنٌّ عزيزُ المذهب، جَمُّ الفوائد، شريفُ الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكِّم أصولَ العادة، وقواعدَ السياسة، وطبيعةَ العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيسَ الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلّة القدم، والحيد عن جادة الصدق، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غَثًّا أو سمينًا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بدّ من ردّها إلى الأصول، وعرضها على القواعد.

كما انتقد ابن خلدون بعض المؤرخين المسلمين انتقادًا لاذعًا، وقال: إن الفحول منهم لم يرفضوا تُرهات الأحاديث ولا دفعوها، والتحقيق عندهم

قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل. ثم قال: إن الكبار من هؤلاء الذين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة المعتبرة عددهم قليل، منهم: محمد بن إسحاق (ت: ١٥٠هـ)، وسيف بن عمر التميمي (ت: ٢٠٠هـ)، ومحمد بن الكلبي (ت: ٢٠٤ هـ)، ومحمد بن عمر الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، وابن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، والمسعودي (ت: ٣٤٦ هـ). ثم قال: «وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات، ومشهور بين الحفظة الثقات، إلا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم، واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم».

الباب الأول: في طبيعة العمران في الخليقة، وما يعرض فيها من البدو والحضر، والتغلب، والكسب، والمعاش، والصنائع، والعلوم ونحوها، وهو مكون من (٦) مقدمات، قال فيها: إن الاجتماع الإنساني ضروري، وأشار إلى بعض ما في العمران من الأشجار والأنهار والأقاليم، والمعتدل من الأقاليم والمنحرف، وتأثير الهواء في ألوان البشر وأخلاقهم، وفي اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع، وفي أصناف المدركين من البشر بالفطرة أو الرياضة، وتكلم فيه عن الوحي، والرؤيا، وحقيقة النبوة، وحقيقة الكهنة والعرافين.

الباب الثاني: في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل، ويتكون من (٢٩) فصلاً تناول فيها موضوع البدو والحضر، وذكر أن البدو أقدم من الحضر، وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها، وأن أهل البدو أقرب إلى الخير وإلى الشجاعة من أهل الحضر، وأن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس فيهم، ذاهبة بالمنعة منهم، وأن سكنى البدو لا تكون إلا للقبائل أهل العصبية، ثم تكلم عن اختلاط الأنساب كيف يقع، وأن الأمم

الوحشية أقدر على التغلب ممن سواها، وأن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك، وأن من عوائق الملك حصول الترف، وأن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس، وأن المغلوبَ مولَعٌ أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، وأن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء، وأن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط، وأنهم إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، وأنهم لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، وأنهم أبعد الأمم عن سياسة الملك، وأن البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لأهل الأمصار.

الباب الثالث: في الدول العامة، والملك، والخلافة، والمراتب السلطانية، ويتكون من (٥٤) فصلاً، ذكر فيها أن الملك والدولة العامة إنما يحصلان بالقبيل والعصبية، وأنه إذا استقرت الدولة فقد تستغني عن العصبية، وأن الدولة العامة الاستيلاء، العظيمة الملك، أصلها الدين، إما من نبوة أو دعوة حق، وأن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، وأن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والتَّرَف، والدّعَة، والسُّكون، وأنه إذا تحكمت طبيعة الملك -من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة- أقبلت الدولة على الهرم، لأن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص، ثم تكلم عن انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة، وعن حقيقة الملك وأصنافه، وعن معنى الخلافة والإمامة والبيعة وولاية العهد والحسبة والسكة - أي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش - وعن مراتب الملك، وعن ديوان الأعمال، والجبايات، وديوان الرسائل، والكتابة، وذكر أنّ التجارة من السلطان مُضِرّة بالرّعايا، ومفسدة للجباية، وأن الظلمَ مُؤْذِنٌ بخراب العمران، وأن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره.

الباب الرابع: في البلدان، والأمصار، وسائر العمران، ويتكون من (٢٢) فصلاً، تكلم فيها عن: المدن العظيمة، والهياكل المرتفعة، وأن الهياكل العظيمة جدًا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة، وما تجب مراعاته في أوضاع المدن، وما يحدث إذا غفل عن المراعاة، وفي المساجد والبيوت العظيمة في العالم، وفي تَأَثُّلِ العقار والضياع في الأمصار، وحال فوائدها ومستغلاتها، وفي حاجات المتمولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة، وفي اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض.

الباب الخامس: في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع، ويتكون من (٢٢) فصلاً، تكلم فيها عن حقيقة الرزق والكسب، وعن وجوه المعاش، وأصنافه ومذاهبه، وقال: إن ابتغاء الأموال من الخدمة، ومن الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي، وإن الجاه مفيد للمال، وإن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتَّمَلُّق، وإن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب، وذكر أن خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك وبعيدة من المروءة، وأن الصنائع لا بد لها من العلم، وأن العرب أبعد الناس عن الصنائع، وأن من حصلت له ملكة في صناعة فقلَّ أن يجيد بعد في ملكة أخرى، وأشار إلى أمهات الصنائع، فتحدث عن صناعة الفلاحة، وصناعة البناء، وصناعة النجارة، وصناعة الحياكة والخياطة، وصناعة الوراقة، وصناعة الغناء، وصناعة التوليد، وصناعة الطب، وأنها محتاج إليها في الحواضر والأمصار دون البادية، وذكر أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وقال: إن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً.

الباب السادس: في العلوم وأصنافها، والتعليم وطرقه، ويعتبر هذا الباب

من أكثر أبواب المقدمة فائدة ونفعًا، ويتكون من (٦٠) فصلاً تكلم فيها عن العلم والتعليم، وأن التعليم من جملة الصنائع، وأن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، وعرّف علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه، وما يتبعه من الفرائض، وأصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات، وعلم الكلام، وعرّف العقل التجريبي، والمتشابه من الكتاب والسنة، والاعتقادات، وعلم التصوف، وقال: إن هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وعلم تعبير الرؤيا، وتكلم عن العلوم العقلية وأصنافها، والعلوم العددية، والهندسية، وعلم الهيئة، وعلم المنطق. وتكلم في علم الطبيعيات، الطب، والفلاحة. وفي علم الإلهيات، وفي علوم السحر والطلسمات، وعلم أسرار الحروف، وفي علم الكيمياء، وفي إبطال الفلسفة وفساد منتحلها، وفي إبطال صناعة النجوم، وفي إنكار ثمرة الكيميا واستحالة وجودها، وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها، وفي أن كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل، وفي المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف، وفي أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مُخِلّة بالتعليم، وأن العلوم الإلهية لا توسّع فيها الأنظار، ولا تفرع المسائل، وفصل الكلام في تعليم الولدان، واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه، وفي أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، وفي أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم، وفي أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها، وفي أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم، وفي صناعة الشعر وترفع أهل المراتب عن انتحاله.

واشتمل هذا الفصل على آراء مهمة في التربية، حيث ذكر أن التربية ظاهرة اجتماعية، وأن التعليم يتطور مع تطور العمران، وتعرض لاختلاف الأمصار الإسلامية في طرق التعليم.

وانتقد كثرة الموارد، وتنوع الكتب، واختلاف المصطلحات، والتوسع في الشروح والحواشي، أو اختصار المتون.

ودعا إلى الرّحمة بالأطفال، وعارض استعمال الشّدة تجاههم، وبين المفاسد الخلقية والاجتماعية التي تنجم عن القسوة؛ وقال: إن القهر والعسف مما يقضي على انبساط النفس ونشاطها، ويدعو إلى الكسل، ويحمل على الكذب والخبث والمكر والخديعة، ويفسد معاني الإنسانية.

توصّل ابن خلدون إلى النتائج التالية:

١- ضرورة الاجتماع الإنساني.

٢- ضرورة الدولة.

٣- دور الاقتصاد في تطوير الدول أو انهيارها.

٤- وذهب إلى وجود اضطراد في السلوك الإنساني شبيه باضطراد الطبيعة، فقال: «الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء».

● **كتب ودراسات ذات صلة:**

نسج حول المقدمة الكثير من الكتب والدراسات والأبحاث والمقالات، ما بين مؤيّدٍ مادحٍ، وناقدٍ معترض، ومن أبرز هذه الكتب والدراسات[(١)]:

بدائع السلك في طبائع الملك: للقاضي ابن الأزرق، محمد بن علي (ت: ٨٩٦ هـ)، قال المقري: «لخَّص فيه كلام ابن خلدون في مقدمته التاريخية»[(٢)].

---

(١) انظر: «مؤلفات ابن خلدون» د. عبد الرحمن بدوي، صدر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٢م. «ببليوغرافيا الدِّراسات الخلدونيّة: مؤلفات ابن خلدون ومصادر دراسته» للأستاذ فريد جحا، نشر في مجلة التراث العربي بدمشق، سنة ١٩٨٤م «العدد: ١٣».

(٢) انظر كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، في كتب السياسة الشرعية من هذا الكتاب.

● **ومن الكتب التي تناولت مقدمة ابن خلدون بالدراسة:**

حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته: لمحمد الخضر، صدر سنة ١٩٢٤م.

فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تحليل ونقد: د. طه حسين، ومحمد عبد الله عنان، صدر سنة ١٩٢٥م.

مع ابن خلدون: أحمد محمد الحوفي، صدر سنة ١٩٥٢م.

مهرجان ابن خلدون: انعقد في القاهرة سنة (١٩٦٢م) وشارك فيه مجموعة من العلماء، منهم: الشيخ محمد أبو زهرة. والشيخ محمد الفاضل بن عاشور. ود. أحمد فؤاد الأهواني. ود. علي عبد الواحد وافي. ود. علي الوردي. ود. زكي نجيب محمود. ود. عبدالعزيز الأهواني. ود. محمد البهي. ود. حسن الساعاتي. ود. حسن شحاته سعفان. ود. أبو العلا عفيفي. وغيرهم.

دراسات عن مقدمة ابن خلدون: لساطع الحصري، صدر سنة ١٩٦٧م.

منهجية ابن خلدون التاريخية: د. محمد الطالبي، صدر سنة ١٩٨١م.

ابن خلدون إسلاميًا: د. عماد الدين خليل، صدر سنة ١٩٨١م.

نهاية أسطورة، نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا: د. محمود إسماعيل، صدر سنة ١٩٩٦م، وفيه تشكيك بجهود ابن خلدون.

الفكر الخلدوني من خلال المقدمة: د. محمد فاروق النبهان، صدر سنة ١٩٩٨م.

الفكر الاجتماعي الخلدوني: لمجموعة مؤلفين هم: محمد أحمد الزعبي. محمد عزيز الحبابي. عبد القادر عرابي. المنصف وناس. محمود الذوادي. عبد العزيز الدوري. المختار الهراس. آزاد أحمد علي. بن سالم حميش، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية سنة ٢٠٠٤م.

ابن خلدون ومنابع الحداثة : ندوة أقيمت في تونس ، سنة ٢٠٠٦م للاحتفال بالمئوية السادسة لوفاته، نظمها المجمع التونسي للآداب والفنون «بيت الحكمة»، وذلك بحضور أكثر من ٩٠ باحثاً من الدول العربية والغربية.

البعد الديني ومنزلته في تجربة ابن خلدون الفكرية : ندوة دولية نظمتها وزارة الشؤون الدينية التونسية، وجامعة الزيتونة، سنة ٢٠٠٦م.

● **طبعات المقدمة:**

طبعت المقدمة الكثير من الطبعات:

أولها في باريس، بعناية المستشرق الفرنسي «كاترمير» (ت: ١٨٥٧م) مع تعليقات عليها.

وطبعت في القاهرة بعناية نصر الهوريني سنة ١٨٦٧م.

وطبعت بإشراف الشيخ : عبد الله البستاني سنة ١٩٠٠ببيروت.

وحققها وشرحها وعلق عليها، مع كتاب ابن خلدون منشئ علم الاجتماع حياته وآثاره ومظاهر عبقريته د. علي عبد الواحد وافي، ويعد هذا التحقيق من أفضل التحقيقات، صدر من (١٩٥٧ - ١٩٦٢م).

وترجمت «المقدمة» إلى اللغات الإنكليزية، والفرنسية، والتركية، والبرتغالية.

۞ ۞ ۞

المجموعة السادسة

في العلوم التجريبية

وتشمل:

- الجبر والمقابلة.
- الكيمياء.
- الفيزياء البصرية.
- الزيج، والفلك، والنجوم.
- الطب والأدوية.

الجبر والمقابلة

يعتبر «محمد بن موسى الخوارزمي» الذي عاش في بغداد أيام الخليفة المأمون أول عالم مسلم يكتب عن الحساب، وكتابه في الحساب بالعربية مفقود، لكن لدينا بدلًا منه أربعة كتب مترجمة باللغة اللاتينية، يُزعم أنها ترجمات جزئية لكتاب الخوارزمي.

«دونالد. ر. هيل - جامعة لندن(١)»

● **الخوارزمي (ت بعد: ٢٣٢ هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن موسى، رياضي، فلكي، مؤرخ، جغرافي، أقامه المأمون قيماً على خزانة كتبه، وكان والده من ندمائه وخلصائه، ويعتبر مؤسس علم الجبر، وارتبط اسمه بمصطلح «الخوارزميات»، ويعني أحكام خطوات حل المسائل الرياضية، وعرف هذا المصطلح في اللغات الأوروبية بـ«اللوغاريثمات». له عدة مؤلفات، منها «الجبر والمقابلة»، و«صورة الأرض»، و«عمل الأسطرلاب»، و«الزيج الأول»(٢).

● **الموضوع:**

في علم صناعة الحساب، وهو من فروع علم العدد. قال ابن خلدون:

---

(١) العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية.

(٢) الأعلام: للزركلي (١٢٦/٧)، وانظر ترجمته في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: للقفطي. ووفيات الأعيان: لابن خلكان (٢: ٧٩). ومرآة الجنان: لليافعي (٢: ١٧٠). والفهرست: لابن النديم (ص: ٢٧٥).
وانظر: من أعلام الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية: د. أمين سليمان سيدو، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

«هي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق[١]».

ومنفعته: ضبط المعاملات، وحفظ الأموال، وقضاء الديون، وقسمة المواريث، وغير ذلك. ويحتاج إليه في العلوم الفلكية، وفي المساحة، وفي الطب، وقيل يحتاج إليه في جميع العلوم بالجملة، ولا يستغني عنه ملك ولا عالم ولا سوقة، وزاد شرفًا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ سورة الأنبياء: الآية ٤٧، وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ سورة المؤمنون: الآية ١١٣، ولذلك ألّف فيه الناس كثيرًا، وتداولوه في الأمصار بالتعليم للولدان، ومن أحسن التعليم عند الحكماء الابتداء به، لأنّ معارفه متّضحة، وبراهينه منتظمة، فينشأ عنه في الغالب عقل مضيء، يدل على الصواب، وقد يقال: إن من أخذ نفسه بتعلم الحساب أول أمره يغلب عليه الصدق، لما في الحساب من صحة المباني ومنافسة النفس، فيصير له ذلك خلقًا، ويتعود الصدق ويلازمه مذهبًا.

قال في «مدينة العلوم»: ولعلم الحساب فروع، منها علم حساب التخت والميل، وهو علم يتعرف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية برقوم تدل على الآحاد، وتغني عما عداها بحفظ المراتب، وتنسب هذه الأرقام إلى الهند، ومنها علم الجبر والمقابلة، ومنها علم حساب النجوم، ومنها علم حساب الدور والوصايا، ومنها علم حساب الدرهم والدينار، وهو علم يتعرف منه

---

(١) الضم: يكون في الأعداد بالإفراد، وهو الجمع، وبالتضعيف: وهو تضاعف عدد بآحاد عدد آخر، وهذا هو الضرب. والتفريق أيضًا يكون في الأعداد، إما بالإفراد مثل إزالة عدد من عدد، ومعرفة الباقي وهو الطرح، أوتفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة، وسواء كان هذا الضم التفريق في الصحيح من العدد أو الكسر. «مقدمة ابن خلدون».

كيفية استخراج المجهولات العددية التي تزيد عدتها على المعادلات الجبرية، ومنها علم حساب الفرائض، ومنها علم حساب الهواء، وهو علم يتعرف منه كيفية حساب الأموال العظيمة في الخيال بلا كتابة، ولها طرق وقوانين مذكورة في بعض الكتب الحسابية، وهذا العلم عظيم النفع للتجار في الأسفار، وأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون الكتابة، وللخواصّ إذا عجزوا عن إحضار آلات الكتابة، ومنها علم حساب العقود، أي عقود الأصابع، وقد وضعوا كلاً منها بإزاء عدد مخصوص، ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع آحادا وعشرات ومئات وألوفًا، ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الألوف فما فوقها بيد واحدة، وهذا عظيم النفع للتجار، لا سيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الآخر عند فقد آلات الكتابة، والعصمة عن الخطأ في هذا العلم أكثر من حساب الهواء، وكان هذا العلم يستعمله الصحابة -رضي الله عنهم- كما وقع في الحديث في كيفية وضع اليد على الفخذ، ومنه في التشهد أنه عقد خمسًا وخمسين، وأراد بذلك هيئة وضع الأصابع، لأن هيئة عقد خمس وخمسين في علم العقود هي عقد أصابع اليد غير السّبابة والإبهام، وتحليق الإبهام معها، وهذا الشكل في العلم المذكور دال على العدد المرقوم، فالرّاوي ذكر المدلول وأراد الدال(١).

---

(١) أبجد العلوم: القنوجي (ص: ٢٧٢ - ٢٧٥).
وانظر: علم الحساب عند العرب: د. أحمد سعيد سليمان. مجلة عالم الفكر، العدد الأول ١٩٧١م.

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر الخوارزمي في مقدمة كتاب «الجبر والمقابلة» أن الخليفة المأمون طلب منه أن يؤلف هذا الكتاب كي يسهل الانتفاع به في كل ما يحتاج إليه الناس، فقال: على أني ألفت من كتاب «الجبر والمقابلة» كتابًا مختصرًا، حاصرًا للطيف الحساب وجليله، لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم، وفي مقسماتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأراضي وكري الأنهار والهندسة، وغير ذلك من وجوهه وفنونه، مقدمًا لحسن النية فيه، راجيًا لأن ينـزله أهل الأدب - بفضل ما استودعوا منه نعم الله تبارك وتعالى وجليل آلائه وجميل بلائه عندهم - منـزلته، وبالله توفيقي في هذا وفي غيره، وعليه توكلت، وهو ربُّ العرش العظيم.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعد هذا الكتاب الأول من نوعه، وهذا الكتاب لم يؤدّ فقط إلى وضع لفظ الجبر وإعطائه مدلوله الحالي، بل افتتح عصرًا جديدًا في الرياضيات. ولأهميته فقد ترجم إلى اللغة اللاتينة في القرن السادس الهجري، وهو أول كتاب دخل أوربا، وبقي زمنًا طويلًا مرجع العلماء والتجار والحاسبين، ثم ترجم إلى الإنكليزية.

• **المنهج والأسلوب:**

شرح في هذا الكتاب نظام استخدام الأعداد والأرقام الهندية(١).

وعرّف الوحدة المستعملة في المساحات.

وتطرّق إلى إيجاد مساحات بعض السطوح المستقيمة الأضلاع والأجسام، والدائرة، والقطعة، والهرم الثلاثي والرباعي، والمخروط، والكرة، واستعمل النسبة التقريبية.

• **كتب وأعمال ذات صلة:**

«المجسطي» بكسر الميم، والجيم، وتخفيف الياء: وهي كلمة يونانية معناها الترتيب، وهو كتاب لبطليموس، الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، ذكر فيه القواعد التي يتوسل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية، وكان المأمون مغرمًا بتعريبه وتحريره وإصلاحه، فكان هذا الكتاب -كما يقول «ملت بورن»- أساسًا لعلم الفلك بعد الإسلام، فقد اهتم الخوارزمي بهذا الكتاب، وذلك عندما عينه الخليفة المأمون في «بيت الحكمة» وأقامه قيِّمًا على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وأمره باختصار المجسطي(٢).

---

(١) أخذ العرب عن الهند علم العدد والرياضيات، وعلم الفلك، وبعض كتب الأخلاق والحكم والسلوك، وكان بدء اتصال العرب بالهند من خلال الوفد الذي جاء من الهند إلى أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦ هـ وكان فيهم رجل بارع في الفلك ورصد الكواكب وحسابها اسمه «ابراهما جويتا» ومعه كتاب في الفلك مكتوب باللغة السنسكريتية اسمه «سدها نتا» فأمر المنصور بترجمته إلى العربية، وقام بذلك محمد بن إبراهيم الفزاري.

(٢) وعرّب كتاب «المجسطي» حنين بن إسحاق، وثابت بن قرة، واختصره البتاني وغيرهم.

حقق كتاب الجبر والمقابلة: كل من د. علي مصطفى مُشَرَّفة، ود. محمد مرسي أحمد، ونشر في القاهرة سنة ١٩٣٧م[1]. طبعته الجامعة المصرية، كلية العلوم.

● **المراجع:**

- أبجد العلوم: القنوجي، مبحث (الجبر والمقابلة).
- محمد بن موسى الخوارزمي مبتكر علم الجبر: عبد الله محمد الدفاع، مقال بمجلة البحوث الإسلامية، الأزهر العدد (٥) سنة ١٤٠٠هـ

۞ ۞ ۞

(١) علي مصطفى مشرفة باشا (١٨٩٨-١٩٥٠م) عالم رياضيات مصري، حصل على دكتوراه فلسفة العلوم من جامعة لندن، وعُين أستاذًا للرياضيات في مدرسة المعلمين العليا، ثم للرياضة التطبيقية في كلية العلوم، انتخب عميداً لكلية العلوم، وتتلمذ على يده مجموعة من أشهر علماء مصر. من أهم كتبه: الميكانيكا العلمية والنظرية. الهندسة الوصفية. مطالعات عامية. الهندسة المستوية والفراغية. حساب المثلثات المستوية. الذرة والقنابل الذرية. العلم والحياة. الهندسة وحساب المثلثات. نحن والعلم. النظرية النسبية الخاصة. د. محمد مرسي أحمد (١٩٠٨-١٩٨٩م) عالم رياضيات وفيزيائي مصري، وعضو مجمع اللغة العربية، وكان من المتحمسين لتدريس العلوم بالجامعة باللغة العربية.

رسائل جابر بن حيان

تتألف من كتب جابر موسوعة علمية، تحتوي على خلاصة ما وصل إليه علم الكيمياء عند العرب في عصره، وقد اشتملت كتبه على بيان مركبات كيميائية كانت مجهولة قبله.

«غوستاف لوبون»(١)

- **جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي (ت: ٢٠٠ هـ):**

فيلسوف كيميائي، أصله من خراسان، واختلف الناس في أمره.

قال القفطي: «كان متقدماً في العلوم الطبيعية، بارعًا في صناعة الكيمياء».

وشكك بوجوده بعض العلماء، حيث قال ابن تيمية في الفتاوى: «وأمَّا جابر بن حَيّان، صاحب المصنفات المشهورة عند الكيماويَّة فمجهول لا يعرف، وليس له ذكر بين أهل العلم ولا بين أهل الدين».

واعتبره ابن خلدون ساحرًا من كبار السَّحَرة، فقال: «ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان، كبير السَّحَرة في هذه الملة، فتصفّح كتب القوم، واستخرج الصناعة، وغاص على زبدتها، واستخرجها، ووضع فيها غيرها من التآليف،

---

(١) حضارة العرب: غوستاف لوبون، ط. الهنداوي (ص: ٤٩٠).

غوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١م) طبيب ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارة الشرقية، وهو أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، ألف كتاب حضارة العرب، فجاء جامعًا لعناصر حضارتنا وتأثيرها في العالم، وبحث في قيام دولتنا وأسباب عظمتها وانحطاطها، وقد نقل الكتاب إلى اللغة العربية عادل بن عمر زعيتر (١٨٩٥ـ ١٩٥٧م) وهو حقوقي من أكابر المترجمين عن الفرنسية، ومن أعضاء المجمعين العلميين بدمشق وببغداد، مولده ووفاته في نابلس.

وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء؛ لأنها من توابعها، لأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العلمية، فهو من قبيل السحر».

وشكك بوجوده بعض المستشرقين، وقالوا: «إنه لا يعرف أن أحدًا من معاصريه قد ذكر رجلًا بهذا الاسم، وأن كتبه قد ألفت بعد عصره»(١).

وتعود شهرة جابر بن حيان إلى رسائله العديدة، ومنها: «الرسائل السبعين»(٢) بالإضافة إلى رسائل أخرى تتناول شروحًا لكتب أرسطو وأفلاطون؛ ورسائل في الفلسفة والتنجيم والرياضيات والطب والموسيقى.

وقد ذكر الزركلي في «الأعلام»: أن له تصانيف كثيرة، تتراوح ما بين (٢٣٢) إلى (٥٠٠) كتاب، لكن ضاع أكثرها.

---

(١) انظر ترجمة جابر بن حيان وأخباره وأسماء كتبه في: أخبار الحكماء: القفطي. ومقدمة ابن خلدون (٦٥٥/١). والفهرست: لابن النديم، قال فيه: «جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، المعروف بالصوفي، اختلف الناس في أمره؛ . . . وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم، وله في المنطق والفلسفة مصنفات. وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرئاسة انتهت إليه في عصره، وأن أمره كان مكتومًا، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفًا من السلطان على نفسه». أهـ (١/ ٤٢٠).

وكتب عنه في: دائرة المعارف الإسلامية. وتاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين. وهداية العارفين: للبغدادي. والكافي من تاريخ العلوم عند العرب: لبهزاد جابر. وتاريخ العلوم عند العرب: لعمر فروخ. ودراسات في تاريخ العلوم عند العرب: لحكمت نجيب عبد الرحمن. وروائع الحضارة الإسلامية: د. علي عبد الله الدفاع. وتاريخ علوم الطبيعة: د. محمد عبد اللطيف مطلب. والأعلام: للزركلي (١٠٣/٢).

(٢) ترجمها إلى اللاتينية «جيرارد الكريموني»: (١١١٤- ١١٨٧م)، وهو عالم إيطالي، نسبه لـ «كريمونة» مدينة في شمال إيطاليا، اشتهر بالترجمة عن العربية.

وجمع بول كراوس أسماء جميع مؤلفاته، فأوصلها إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف عنوان، بقي منها ٢٥٠عنوانًا[١].

● **الموضوع:**

تدور موضوعات الرسائل حول العديد من العلوم، ففيها المنطق، والفلسفة، والسياسة، واللغة، والبلاغة، والنحو، والصرف، ومعاني الحروف، والعروض، والهيئة، والطب، والطبيعة، وبنية الكون، والأحياء، والهندسة، وصناعة بعض الأدوات، وعلم الصنعة «الكيمياء».

تعريف علم الكيمياء: وهو علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية، وجلب خاصية جديدة إليها، وإفادتها خواصًّا لم تكن لها، والاعتماد فيه على أن الفلزّات كلها مشتركة في النوعية، والاختلاف الظاهر بينها إنما هو باعتبار أمور عرضية يجوز انتقالها[٢].

نشأة الكيمياء: قال ابن النديم: «زعم أهل صناعة الكيمياء - وهي صناعة الذهب والفضة من غير معادنها - أن أول من تكلم عن علم «الصنعة» هو هرمس الحكيم البابلي، المنتقل إلى مصر عند افتراق الناس عن بابل، وإن الصنعة صحّت له، وله في ذلك عدة كتب». وقال آخرون: إن علم الكيمياء قديمًا كان بوحي من الله عز وجل إلى موسى بن عمران[٣].

ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية «حكيم آل مروان» أول من اشتغل في

---

(١) بول كراوس (١٩٠٤ - ١٩٤٤م): مستشرق ألماني، عرف باهتمامه برسائل جابر بن حيان، درَّس في الجامعة المصرية، ومن أهم أعماله كتابه «جابر بن حيان» بالفرنسية، ونشر في القاهرة سنة ١٩٣٥م كتاب «مختارات من رسائل جابر بن حيان». طبعة الخانجي.

(٢) أبجد العلوم: القنوجي (٤٨٩/١).

(٣) الفهرست: ابن النديم (٤٩٣).

علم الصنعة عند العرب، حيث استقدم من مدرسة الإسكندرية بعض الرهبان، وطلب إليهم نقل علوم الصنعة إلى اللغة العربية[١].

وكان بعض الخيميائيين القدماء يأملون من هذا العلم تحقيق هدفين، الأول: تحويل المعادن الخسيسة -كالحديد والنحاس والرصاص- إلى معادن شريفة، كالذهب والفضة. والثاني: ابتكار «إكسير الحياة» الذي يزعمون أنه يزيل علل الحياة، ويطيل العمر، وذلك عن طريق التوصل إلى حجر الفلاسفة «حجر الحكمة»[٢].

- **القيمة العلمية لرسائل جابر بن حيان:**

قال مارسيلان بيرتلو[٣]: «إن لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق».

وقال جورج سارتون: «إنه كان شخصية فذة ومن أعظم الذين برزوا في ميدان العلم في القرون الوسطى، وكان جابر شديد الشغف بالكيمياء، فقد درسها دراسة وافية ووقف على ما أنتجه السابقون».

- **المآخذ:**

أخذ على جابر بن حيان أنه يقتبس أو يرجع بصراحة إلى الصابئة عندما يعرض لبعض المسائل.

- **المنهج والأسلوب:**

تكلم المؤلف في كل رسالة عن موضوع من الموضوعات.

---

(١) الفهرست: ابن النديم (٢٤٢-٢٤٤).

(٢) الموسوعة العالمية: السحر، الكيمياء، الخيمياء.

(٣) مارسيلان بيرتلو (ت: ١٩٠٧هـ) كيميائي فرنسي له كتاب «كيمياء القرون الوسطى».

ففي علوم الطبيعة: تكلم عن الجوهر والعرض، وعن الزمان والمكان، وعن الحركة والسكون، وعن الكم والكيف، وعن الظهور والكمون، وعن الجنس والنوع، وعن الحرارة والبرودة، وعن اليبوسة والرطوبة.

كما تكلم عن الهواء، والمياه، والغيوم، والبحار، والأمطار، والصواعق، والبروق، والرعود، والزلازل، والخسف.

وتكلم عن النجوم، والبروج، والأفلاك، والكواكب، وعن طبائع البلدان.

وتكلم عن الحيوان، والنبات، وعن خواص وفوائد النباتات والبخورات.

أما علم الطب «علم الجسم»: فقد قسّمه إلى قسمين؛ نظري وعملي، وبين أنواع العلل، وتكلم عن الأدوية وعن السموم، وعن التشريح وأجزاء الإنسان.

وفي علم المنطق: تكلم عن الحدود «تعريف المعاني»، وعن تقسيم العلوم، وعن آداب البحث، وعن العلاقة بين التلميذ والأستاذ، ودعا إلى التمثل بأخلاقيات البحث العلمي، ومنها: الإنصاف والمثابرة. كما دعا إلى الاستدلال عن طريق المجانسة، وهي حكمك على شيء إذا رأيت نموذجاً له.

وفي علم الصِّنعة «الكيمياء»: تكلم عن خواص المعادن والأحجار، من الذهب، والفضة، والنحاس، والزيبق، والزرنيخ، والكبريت، والنوشادر، والكافور، والدهن، وبيّن الكيفية، وهي «تدبير الصنعة».

بيَّن ابن حيان منهجه بقوله: «إننا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه، أو قيل لنا وقرأناه، بعد أن امتحنّاه وجرَّبناه، فما صحَّ أوردناه وما بطل رفضناه وما استخرجناه نحن أيضًا قايسناه على أحوال هؤلاء القوم».

يعد جابر بن حيان أول من أدخل التجربة العلمية المخبرية في منهج البحث العلمي، وكان ينصح بذلك بالقول المأثور عنه: «وأول واجب أن تعمل وتجري تجارب، لأن من لا يعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى

مراتب الإتقان، فعليك بالتجربة لتصل إلى المعرفة».

استطاع أن يضع تقسيمًا جديدًا للمواد المعروفة في عصره، فقسمها للفلزات كالحديد والنحاس، واللافلزات، هي المواد القابلة للطرق، والمواد الروحية كالنشادر والكافور.

توصل إلى نتائج هامة في مجال الكيمياء، من أهمها زيادة ثقل الأجسام بعد إحمائها.

كان يؤمن بأن الكيميائي يستطيع بعلم الصنعة أن يبدل طبيعة الأشياء.

اخترع جابر بن حيان كثيرًا من الآلات.

وهو أول من اكتشف الصُّودا الكاوية.

وهو أول من حضَّر ماء الذهب.

وأول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الأحماض.

وتمكّن من صنع ورق غير قابل للاحتراق(١).

۞ ۞ ۞

(١) المراجع:

جابر بن حيان: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو، ١٩٦١م.

جابر بن حيان: الموسوعة العربية السورية (٧/ ٣٩٤).

مفتاح دار السعادة: طاش كبرى، الكيمياء (١/ ٢٧٩ - ٢٨٣).

رسائل جابر بن حيان: ط. دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م.

جابر بن حيان وعلم الخيمياء (الصنعة): د. عبد الناصر كعدان، د. شذى قاوجي، بحث منشور على موقع ishim.net.

المناظر

ولا شك أن كتاب «المناظر» هو أنفس ما أنتج العلماء العرب في مجال الفيزياء، وهو بالإضافة إلى ذلك أهم كتاب في البصريات ظهر في الحقبة الممتدة بين القرن الثاني الميلادي -وفيه صنّف «بطلميوس» كتابه في المناظر، الذي يعتبر أتم ما كتب في هذا الموضوع في العالم القديم- وأوائل القرن السابع عشر، حين ظهرت مؤلفات كبلر، وديكارت، التي خطت بالبحوث البصرية خطوة جديدة.

«د. عبد الحميد صبرة - جامعة هارفارد»

- **ابن الهيثم البصري (٣٥٤ ـ ٤٣٠ هـ):**

أبو علي، محمد بن الحسن، عالم موسوعي، من أكبر علماء العرب، في البصريات، والرياضيات، والطبيعيات، والطب، والفلسفة، والهندسة، والعدد، والفلك، والمنطق، والموسيقى، ولد وتعلم بمدينة البصرة، واشتغل فترة بديوان إمارتها، ثم بديوان مدينة حمص بالشام، وزار مدائن العراق وفارس والشام، وعاش على نسخ المصنفات الرياضية.

قال ابن أبي أُصيبعة: «كان فاضل النفس، قوي الذكاء، متفننًا في العلوم، لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه، وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف، وافر التزهّد، محبًا للخير، وقد لخص كثيرًا من كتب أرسطوطاليس وشرحها، كما لخص كثيرًا من كتب جالينوس في الطب، وكان خبيرًا بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية إلا أنه لَم يباشر أعمالها ولَم تكن له دربة بالمداواة وتصانيفه كثيرة الإفادة، وكان حسن

الخط، جيد المعرفة بالعربية».

وقال القفطي: «صاحب التصانيف والتآليف المذكورة في علم الهندسة، كان عالِمًا بهذا الشأن، متقنًا له، متفننًا فيه، قيمًا بغوامضه ومعانيه، مشاركًا في علوم الأوائل، أخذ عنه الناس واستفادوا منه».

سمع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أنه قال: «لو كنت بمصر لعملت لنيلها سدًا يجعله يروي أرض مصر أيام نقص الفيضان مثل أيام فيضانه، سواء بسواء، ويجعله لا يغير مجراه» فدعاه إليه في مصر لينفذ فكرته، فلما حضر إلى مصر قادمًا من الشام استقبله بنفسه، ولما عاين المكان اكتشف استحالة تنفيذ فكرته في زمانه بوسائل عصره.

قال الزركلي: تزيد كتبه على السبعين.

وقال ابن أبي أصيبعة: إن مصنفاته تبلغ مائتي كتاب. وقد ألف ابن الهيثم في البصريات ما يقرب من أربعة وعشرين موضوعًا، بين كتاب ورسالة ومقالة، ويبقى «كتاب المناظر» من أهم وأشهر كتبه على الإطلاق(١).

● **الموضوع:**

في علم البصريات، وفيزياء الأشعة الضوئية، وقد عرف علم البصريات عند العرب باسم علم المناظر(٢).

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الأطباء: لابن أبي أصيبعة (٢/٩٠)، وتاريخ الحكماء: للقفطي (ص:١٦٥)، وللمزيد عن مصادر ترجمته: انظر مقدمة التحقيق التي كتبها د. عبد الحميد صبرة. كتاب المناظر، ط. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

(٢) قام علماء مسلمون قبل ابن الهيثم بالتأليف في هذا العلم مثل الكندي، والرازي، وإبراهيم بن سنان.

وفي موضوع الإبصار كان لدى المسلمين ثلاثة مذاهب، هي: المذهب الرياضي، =

● **الغاية من تأليف الكتاب:**

ذكر ابن الهيثم في «مقدمة الكتاب» أن الغاية التي جعلته يقدم على تأليفه أنه بعد أن اطلع على نظريات العلماء الذين سبقوه فيما يتعلق بالإبصار وحقيقته لم يجد سوى آراء متناثرة، يحكمها اختلاف ظاهر، وتباعد واضح، مما جعله يعزم على تأليف هذا الكتاب.

وقد ردَّ ابن الهيثم أسباب كثرة تآليفه إلى ثلاثة أمور؛ الأول: أن يجد الناس في كتبه - بعد موته - الفائدة والعلم اللذين يقدمهما لهم في حياته.

الثاني: أن يجعل من التأليف وتدبيج الرسائل، ارتياضًا لنفسه بهذه الأمور، في تثبيت ما تصوره فكره وأتقنه من هذه الدراسات.

الثالث: أن يدّخر من تلك التآليف عدة لزمن الشيخوخة وأوان الهرم.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر «كتاب المناظر» أهم كتاب ظهر في القرون الوسطى يتناول علم البصريات وفيزياء الأشعة الضوئية، حيث ذاعت شهرة ابن الهيثم في العالمين العربي والغربي، وبقيت كتاباته المتعلقة بعلم البصريات وفيزياء الأشعة الضوئية المرجع الأساسي حتى القرن السابع عشر.

= والمذهب الطبيعي، ومذهب الحكماء الفلسفي. فالرياضيون يقولون: إن الإبصار يحدث بشعاع يخرج من العينين على هيئة مخروط، رأسه عند مركز البصر وقاعدته سطح المبصر. أما الطبيعيون: من أمثال ابن سينا، فيخطّئون الرياضيين، ويقولون: إن الإبصار إنما يكون بالانطباع والانتقاش؛ وذلك بصورة ترد من المُبْصَر (الجسم) إلى البصر، ومنها يدرك البصر صورة الجسم. أما المذهب الفلسفي: فيقول: إن الإبصار ليس بالانطباع، ولا بخروج الشعاع من العينين على هيئة مخروط، بل إن الهواء المشف الذي بين الرائي والمرئي يتكيف بكيفية الشعاع الذي في البصر، ويصير بذلك آلة للإبصار. دستور العلماء: النكري (٢٠/١) بتصرف.

ولأهمية هذا الكتاب فقد نشرت ترجمته إلى اللاتينية سنة ١٥٧٢م، وكان لهذه الترجمة أثر بالغ في تعريف الغربيين بهذا العلم.

قال «جورج سارتون»: إن ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة، بل أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى، ومن علماء البصريات القلائل في العالم كله[(١)].

وقال مصطفى نظيف بك: إنَّ ابن الهيثم رائد علم الضوء في القرن الحادي عشر للميلاد، كما أن نيوتن رائد علم الميكانيكا.

● **المنهج والأسلوب:**

قال المؤلف في مقدمته مبينًا منهجه: نبتدئ في البحث في استقراء الموجودات، وتصفّح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار.. ثم نترقَّى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من النتائج.

ويتألف الكتاب من سبعة مقالات.

المقالة الأولى: في كيفية الإبصار بالجملة، واشتملت على البحث في خواص البصر، وعن البحث عن خواص الأضواء، وعن كيفية إشراق الأضواء، وفيما يعرض بين البصر والضوء، وفي هيئة البصر، وفي كيفية الإبصار، وفي منافع آلات البصر، وفي علل المعاني التي لا يتم الإبصار إلا بها.

المقالة الثانية: في تفصيل المعاني التي يدركها البصر، وعللها، وكيفية

---

(١) جورج سارتون (١٨٨٤ - ١٩٥٦م) بلجيكي الأصل، متخصص في العلوم الطبيعية والرياضية، ألقى محاضرات حول فضل العرب على الفكر الإنساني، وأبرز إنتاجه «المدخل إلى تاريخ العلوم» (بالإنجليزية).

الإدراك، واشتملت على البحث في تمييز خطوط الشعاع، وفي كيفية إدراك كل واحد من المعاني الجزئية التي تدرك بحاسة البصر، وفي إدراك الضوء واللون، وفي إدراك البعد، وفي إدراك الوضع، وفي إدراك التجسم، وفي إدراك الشكل، وفي إدراك العِظَم، وفي إدراك التفرق، وفي إدراك الاتصال، وفي إدراك العدد، وفي إدراك الحركة، وفي إدراك السكون، وفي إدراك الخشونة، وفي إدراك الملامسة، وفي إدراك الشفيف، وفي إدراك الكثافة، وفي إدراك الظل، وفي إدراك الظلمة، وفي إدراك الحسن، وفي إدراك القبح، وفي إدراك التشابه، وفي إدراك الاختلاف، وفي تمييز إدراك البصر للمبصرات .

المقالة الثالثة: في أغلاط البصر فيما يدركه على استقامة وعللها .

المقالة الرابعة: في انعكاس الأضواء، وإدراك المبصرات بالانعكاس عن الأجسام الصقيلة. واشتملت على أن صور المبصرات تنعكس عن أجسام صقيلة. وفي كيفية انعكاس الصور عن الأجسام الصقيلة.

المقالة الخامسة: في مواضع الخيالات والصور التي تُرى في الأجسام الصقيلة.

المقالة السادسة: في أغلاط البصر في ما يدركه بالانعكاس وعللها.

المقالة السابعة: إدراك البصر بالانعطاف من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الهواء.

احتوى الكتاب على العديد من الآراء والأبحاث، ومن أهمها رأيه في:

طبيعة الضوء: حيث يرى أن الضوء جسم مادي متصل، يتألف من أشعة لها طول وعرض، لكنه يختلف عن بقية الأجسام المادية، بحيث لا يهبط

إلى الأرض إذا قذف في الفضاء، وهو نوعان: ذاتي، يصدر عن الأجسام المضيئة بذاتها كالشمس والنار، وعرضي، يصدر عن الأجسام العاكسة لضوء غيرها، كالقمر والمرآة.

الانعكاس: ويرى أن الضوء يرتد وينعكس عن الأجسام الصقيلة إذا وقع عليها كما ترتد الكرة عند اصطدامها بجسم صلب، مع فارق أن الكرة تتحرك إلى جهة محددة، بينما يتحرك الضوء بشكل مستقيم، ولكن في جميع الاتجاهات.

الانعطاف أو الانكسار: قال: إن انعطاف الضوء -أي انكساره- يحدث عند مرور الأشعة في أجسام مشفة، مختلفة الشفيف، أي عند مرور الأشعة من وسط مشف معين إلى وسط مشف غير متجانس معه، إذا مرت الأشعة من المشف الألطف إلى المشف الأغلظ انعطفت إلى جهة العمود.

تشريح العين: شرح ابن الهيثم العين بشكل كامل، وتحدث عن أقسامها، وأشار إلى وظيفة كل قسم منها.

الأخطاء والأوهام البصرية: أوضح ابن الهيثم أن أسباب الأوهام والأخطاء البصرية يعود إلى أخطاء آلية في العين ذاتها، كمرضها أو تلف أحد أجزائها. أو أخطاء في الشيء المبصر، كصغر حجمه. أو أخطاء في شروط الإبصار، كتعب العين، أو قلَّة الضوء، أو ابتعاد الجسم عن خط النظر. أو أخطاء في المعرفة المتعلقة بالتذكر، كأن تلمح شخصًا لمحة سريعة فتظن أنه زيد بينما هو عمرو. أو أخطاء في التخيّل، كأن ترى نورًا في الليل فوق مكان عال فتظنه نجمًا، أو أن ترى نملة صغيرة على حبة قمح فتظنها سوسة، لتذكرك بأن ما يتعلق بالحبوب من الحشرات هو السوس. أو أخطاء في القياس، كأن

تنظر إلى القمر فتظن أنه أكبر الأجرام السماوية وأشدها نورًا، أو كأن ترى الشمس والقمر والكواكب أكبر جرمًا عند الأفق منها وهي في كبد السماء. أو أخطاء في الحدس، كأن نقارن بين بعد جسمين عنا، أحدهما متصل ببصرنا بواسطة جسم مرئي كالمعدن أو الأرض، والآخر بينه وبين بصرنا جسم غير مرئي كالهواء.

الغرفة المظلمة: تكلم ابن الهيثم عن الغرفة المظلمة ذات الثقب، وقال: إنَّ الثقب عندما يكون ضيِّقًا فإنّ أشعة الضوء الآتية من الخارج إلى داخل الغرفة عبر الثقب تشكل مخروطين متقابلين رأسهما في الثقب، ويكون مصدر الضوء قاعدة الأول، وجدار الغرفة قاعدة الثاني، كذلك أشار للعلاقة بين سعة الثقب وضيقه، وبين ظهور الصورة ووضوحها(١).

● **كتب ذات صلة:**

- تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر: كمال الدين، أبو الحسن الفارسي، حسن بن علي (ت: ٧٢٠ هـ) طبع بتحقيق وتقديم مصطفى حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ويعد شرحاً ومراجعة لكتاب ابن الهيثم.

---

(١) المراجع:

- العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية: تأليف دونالد. ر. هيل، الأستاذ بجامعة لندن، ترجمة أحمد فؤاد باشا، إصدار عالم المعرفة الكويت، رصد فيه إنجازات العرب والمسلمين في مجالات الرياضيات، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، والآلات، والتقنيات.

- الموسوعة العربية العالمية «ابن الهيثم، والعلوم عند العرب والمسلمين».

- الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه البصرية: مصطفى نظيف، وهي دراسة تعتبر من أحسن ما كتب في تاريخ العلم العربي، بل هي أحسن من ما كتب في تاريخ العلوم عامة، نشرجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٣م .

ثم طبعه مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، سنة ٢٠٠٨م .

- نظريات الضوء في القرن السابع عشر: د. عبد الحميد صبرة «رسالة دكتوراه» من جامعة لندن.

- حققه وراجعه على اللاتينية: د. عبد الحميد صبرة، جامعة هارفارد، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

۞ ۞ ۞

الزِّيـج

ولم يُعلم أحد في الإسلام بلغ مبلغ ابن جابر في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركتها.

«الزركلي»

● **البتّانيّ (٢٤٤ - ٣١٧ هـ):**

أبو عبد الله، محمد بن جابر بن سنان الحرَّاني، المعروف باسم البتَّاني الـرَّقي، الصابي، وسمَّاه بعض الباحثين «بطليموس العرب»، وهو من أكبر علماء الفلك، والجبر، وحساب المثلثات، اشتهر برصده للكواكب والأجرام، درس في البداية على يد والده، ثم انتقل إلى «الرقة» ودرس مؤلفات من سبقوه، وترك عدة مؤلفات في علوم الفلك والجغرافيا، منها «معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك» تناول فيه الحل الرياضي للمسألة التنجيمية لاتجاه الراصد، و«رسالة في مقدار الاتصالات»، و«شرح المقالات الأربع لبطليموس» التي جاءت في كتابه «المجسطي»[(١)].

قال الصَّفديّ: ولم أعلم أنه أسلم، ولكن اسمه يدل على إسلامه.

وقال ابن النَّديم: «كان أصله من حَرَّان، صابيًا، وابتدأ الرصد على ـ ما

(١) البتّاني: بفتح الواحدة، وقد تكسر، نسبة لـ (بَتّان) من نواحي حرَّان الواقعة على نهر الفرات، والحرَّاني: نسبة إلى (حرَّان) وتقع بين دجلة والفرات، والرقي نسبة إلى (الرقة) والصابي نسبة إلى (الصابئة) الذين اشتهروا بالمهارة في علوم الفلك، وموطنهم قبل الإسلام حرَّان، فتحها المسلمون صلحًا سنة ١٨هـ.
وانظر ترجمة البتاني في «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطي، و«الوافي بالوفيات» للصلاح الصفدي. و«الفهرست» لابن النديم. والأعلام: للزركلي (٦/٦٨).

ذكر جعفر ابن المكتفي ـ أنه سأله، فأخبره أنه ابتدأ في سنة أربع وستين ومائتين إلى سنة ست وثلثمائة، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين، وورد إلى بغداد مع بني الزيات من أهل الرقة في ظلامات كانت لهم، فلما رجع مات في طريقه بقصر الجص سنة سبع عشرة وثلثمائة.

● **علم الزيج:**

الزِّيج: كلمة معرَّبة، أصلها «زه» وهو الخيط الذي يمدّه البناء.

وهو في اصطلاح الفلكيين: كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف فيه سير النجوم، ويستخرج منها التقويم سنة سنة. «المعجم الوسيط».

وعرَّف ابنُ خلدون علم الأزياج بقوله: هي صناعة حسابية على قوانين عددية، فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة(١).

ومن أشهر المؤلفين في علم «الزيج»: إبراهيم بن حبيب الفزاري، قام بترجمة كتاب «السدهانتا» الزيج الهندي إلى اللغة العربية، بطلب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور.

وزيج أبي معشر: جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم (ت: ٢٧٢هـ) ألفه على مذهب الفرس.

وزيج ابن يونس: علي بن أبي سعيد عبد الرحمن المنجم (ت: ٣٩٩هـ).

وزيج ابن السمح: إصبع بن محمد الغرناطي (ت: ٤٢٦هـ) كتبه على طريقة الهند.

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٦٤٣/١) ط. دار الفكر، بيروت.

والزيج الإليخاني: لمحمد الحسن نصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٢ هـ).

وزيج ابن الشاطر «نهاية الغايات في الأعمال الفلكيات»: علي بن إبراهيم الدمشقي (ت: ٧٧٧ هـ)[١].

● **علم الفلك:**

قال في «كشف الظنون»: علم الفلك: علم يعرف به الاستدلال على حوادث علم الكون، والفساد بالتشكلات الفلكية، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك من فروع الحكمة الرياضية، وهو عند الإطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: حسابية، وطبيعيات، ووهميات؛ أما الحسابيات: فهي يقينية في علمها، قد يعمل بها شرعًا. وأما الطبيعيات: كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية على تغيير الفصول، كالحر والبرد والاعتدال، فليست بمردودة شرعا أيضاً، وأما الوهميات: كالاستدلال على الحوادث السفلية، خيرها وشرها من اتصالات الكواكب بطريق العموم والخصوص، فلا استناد لها إلى أصل شرعي، ولذلك هي مردودة شرعًا[٢].

---

(١) كشف الظنون. وكشاف اصطلاحات الفنون.

(٢) قال علي بن أحمد النسوي: علم النجوم أربع طبقات؛ الأولى: معرفة رقم التقويم، ومعرفة الأسطرلاب حسبما هو يتركب «الأسطرلاب: جهاز استعمله المتقدمون في تعيين ارتفاعات الأجرام السماوية، ومعرفة الوقت، والجهات الأصلية». الثانية: معرفة المدخل إلى علم النجوم ومعرفة طبائع الكواكب والبروج ومزاجاتها. الثالثة: معرفة حسنات أعمال النجوم وعمل الزيج والتقويم. الرابعة: معرفة الهيئة والبراهين الهندسية على صحة أعمال النجوم، ومن تصور ذلك فهو المنجم التام على التحقيق، وأكثر أهل زماننا قد اقتصروا من علم التنجيم على الطبقتين الأولين وقليل منهم يبلغ الطبقة الثالثة. كشف الظنون (٢/٩٣٠).

قال ابن خلدون: هذه الصناعة صناعة النجوم يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات =

- **القيمة العلمية للكتاب:**

يعتبر كتاب الزيج، ويقال له «كتاب الزيج الصابي» أهم كتب البتاني على الإطلاق، وهو عمدة كتب الأزياج عند العرب، وهو أول زيج يحتوي على معلومات صحيحة دقيقة، وكان له أثر بالغ في تقدم علم الفلك والرياضيات، سواء خلال النهضة العربية الإسلامية، أو عند بداية النهضة الأوربية.

= في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب، وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية.. ثم إن تأثير الكواكب فيما تحتها باطل، إذ قد تبيَّن في باب التوحيد أن لا فاعل إلا الله، واحتج له أهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من أن إسناد الأسباب إلى المسببات مجهول الكيفية، والعقل متهم على ما يقضي به فيما يظهر بادي الرأي من التأثير، فلعل استنادها على غير صورة التأثير المتعارف، والقدرة الإلهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوًا وسفلًا، سيما والشرع يردُّ الحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى، ويبرأ مما سوى ذلك ... والنبوات أيضًا منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته» رواه البخاري ومسلم، وقوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» رواه البخاري، فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع، وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل، مع ما لها من المضار في العمران الإنساني، بما تبعث في عقائد العوام من الفساد، إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحايين اتفاقاً لا يرجع إلى تعليل ولا تحقيق، فيلهج بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق في سائر أحكامها وليس كذلك، فيقع في رد الأشياء إلى غير خالقها، ثم ما ينشأ عنها كثيراً في الدول من توقع القواطع، وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الأعداء والمتربصين بالدولة إلى الفتك والثورة... وقد شاهدنا من ذلك كثيرًا، فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران، لما ينشأ عنها من المضاد في الدين والدول. (٧١٧/١).

قال القفطي: «لا يُعلم أحد في الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها».

وقال علي بن أحمد النسوي: «إن أصح الزيجات الرصدية زيج البتاني؛ لأنه إلى الصواب أقرب».

قال «جورج سارتون»: «إنَّ البتاني من أعظم علماء عصره، وأنبغ علماء العرب في الفلك والرياضيات».

وقال الفلكي الفرنسي «لالند»: «البتَّانيُّ أحد الفلكيين العشرين الأئمة الذين ظهروا في العالم كله».

وقال «نللينو»: «في هذا الزيج توجد أرصاد البتاني التي كان لها أثر كبير في علم الفلك، وفي علم المثلثات الكروي، وبقي هذا الكتاب مرجعاً للفلكيين في أوروبا خلال القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة».

ويذكر أنه حين ذهب رائد الفضاء السوري «محمد فارس» في رحلة فضائية مشتركة مع السوفييت في الثمانينيات اصطحب على المركبة كتاب «الزيج الصابي للبتاني» تعبيرًا رمزيًا عن مساهمة الحضارة الإسلامية في علوم الفضاء والفلك(١).

● **المنهج والأسلوب:**

- بنى المؤلف الكتاب على ٥٧ بابًا.
- بدأ البتاني الكتاب بمقدمة بيَّن فيها أهمية علم صناعة النجوم وفوائده.
- وأشار إلى الخلل الواقع في مصنفات السابقين.

---

(١) صحيفة تشرين السورية (٢٠٠٤/١٢/٢٥م) مقال بعنوان «الحضارة العربية الإسلامية واستيعاب الثقافة الكونية». الكاتب: رياض نعسان آغا.

- وقال عن كتابه هذا: أوضحت فيه ما استعجم، وفتحت ما استغلق، وبينت ما أشكل من أصول هذا العلم، وشذ من فروعه، وسهلت به سبيل الهداية لمن يعمل في صناعة النجوم، وصححت فيه حركات الكواكب ومواضعها من منطقة فلك البروج على نحو ما وجدتها بالرصد وحساب الكسوفين، وسائر ما يحتاج إليه من أعمال، وأضفت إلى ذلك غيره مما يحتاج إليه، وجعلت استخراج حركات الكواكب فيه من الجداول لوقت انتصاف النهار من اليوم الذي يحسب فيه بمدينة الرقة، وبها كان الرصد.

- ومن أهم الموضوعات التي تناولها البتاني في هذا الكتاب:
- تقسيم دائرة الفلك، ومقدار ميل فلك البروج(١).
- ومعرفة مشارق الشتاء والصيف ومغاربها.
- ومعرفة زيادة النهار، وارتفاع الظل، ومعرفة خط نصف النهار، ومعرفة ارتفاع الشمس.
- ومعرفة ساعات الليل والنهار في كل بلد.

ومعرفة ساعات التقويم في كل بلد.
- ومعرفة مقدار طول أزمان السنة.
- ومعرفة تاريخ العرب والروم والقبط والفرس، وتحويل بعضها إلى بعض.
- ومعرفة بُعد القمر عن الأرض.
- ورؤية الهلال في أوائل الشهور وأواخرها.
- ومعرفة كسوف الشمس والقمر بالحساب، وأقداره وأوقاته في كل بلد.
- ومعرفة الكواكب وأبعادها وأقطارها وأجرامها.

---

(١) المقصود بدائرة الفلك: مدار النجوم.

- ردّ البتاني في هذا الكتاب على أصحاب الطلسمات.
- وشرح طريقة عمل آلة بسيطة لقياس الوقت.
- وختمه بالحديث عن صناعة بعض الآلات الهندسية.
- كثيراً ما استشهد البتاني بآيات القرآن الكريم.
- من أهم إسهامات البتاني في علم الفلك في هذا الكتاب:
- اكتشافه السّمت والنظير، وتحديد نقطتيهما في السماء[(١)].
- تصحيحه قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي - الاعتداليين: الوقت الذي يتساوى فيه الليل والنهار وتحديده بدقة طول السنة المدارية، والفصول، وتحديده بدقة المدار الحقيقي والمتوسط للشمس، وتحديده قيمة ميلان فلك البروج على فلك معدل النهار (أي ميل محور دوران الأرض حول نفسها على مستوى سباحتها حول الشمس).
- تحديده بدقة أرصاد دقيقة للكسوف والخسوف.
- تسجيله جداول تتعلق بحركة الأجرام التي اكتشفها بنفسه.

● **أعمال ذات صلة:**

حققه «كارلو نَلّينو»[(٢)] ما بين سنتي (١٨٩٩ - ١٩٠٧ م) في ثلاثة مجلدات، مصحوبة بترجمة لاتينية، وتعليقات.

ترجمه إلى اللاتينية: «بلاتوف تيفوك» في القرن الثاني عشر الميلادي،

---

(١) السَّمت: نقطة في السماء فوق رأس المشاهد (المعجم الوجيز). والنظير ما يقابلها.

(٢) كارلو ألفونسو نَلّينو (١٨٧٢ـ ١٩٣٨) مستشرق إيطالي، معروف باهتمامه بعلم الفلك عند العرب، حاضر في الجامعة المصرية لسنوات، وله كتاب «علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى»، وحاضر في تاريخ الأدب العربي، وأخرج كتابًا فيه، وفي تاريخ اليمن، وكان عضوًا في المجمع اللغوي.

باسم (Sciencia de Sttellarum) أو «علم النجوم».

«تاريخ العلوم عند العرب» مجموعة بحوث في التعريف بالبتاني، ومكانة كتابه، ألقيت في المؤتمر السنوي التاسع، المنعقد في مدينة (الرقة- سوريا) سنة ١٩٨٥م، بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة البتاني الرقي.

القانون

يعتبر كتاب «القانون» في نظرنا عملًا متكاملًا ومميزًا عما سواه، من حيث التنظيم والدقة في الطب، بما يحويه من علم الجراحة، بحيث يمكن القول: إنه لا مثيل له في الوقت الذي لَم تكن لدينا إلا بعض البيانات الطبية، والمجموعات المصنفة الإغريقية فقط، ويعتبر القانون إنتاجًا ضخمًا يحتاج لعمل مثله في يومنا هذا إلى مجلس استشاري طبي متكامل.

«د. ج. هرشبورغ»(١)

- **أبو علي ابن سينا (٣٧١ ـ ٤٢٩ هـ):**

الحسين بن عبد الله، الملقب بشرف الملك، والفيلسوف الرئيس.

قال عن نفسه: «كان أبي رجلاً من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى أيام نوح بن منصور، واشتغل بالتصوف، وأحضر لي معلم القرآن، ومعلم الأدب، وكملت العشر من العمر، وقد أتيت على القرآن، وعلى كثيرٍ من الأدب، فكان يقضى مني العجب».

اتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وألف فيها أكثر كتبه، برع في الطب منذ شبابه، وله ابتكارات مهمة، أشاد بها المختصون في أمراض النساء والنواسير البولية، وحمى النفاس والعقم، وأسباب الذكورة والأنوثة في الجنين، من كتبه في الطب: «دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية»،

---

(١) د. ج. هرشبورغ: طبيب عيون ألماني ترجم من كتاب القانون إلى الألمانية الفصل الذي يعالج أمراض العين سنة ١٩٠٢م.

ورسالة في «سياسة البدن وفضائل الشراب»، ورسالة في «تشريح الأعضاء»، ورسالة في «الأغذية والأدوية»، ومقالة في «جوامع علم الموسيقى»، وله أراجيز طبية كثيرة، واتهم في عقيدته[١].

● **الموضـوع:**

في علم الطب، وهو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض، لحفظ الصحة وإزالة المرض.

يروى عن علي رضي الله عنه قوله: العلوم خمسة، الفقه للأديان، والطبّ للأبدان، والهندسة للبنيان، والنَّحو للِّسان، والنّجوم للزّمان.

وأوّل من دوَّن في علم الطبِّ: أبقراط الحكيم[٢]، ثم جالينوس الحكيم[٣]. ويقال: كان الطب معدومًا فأوجده أبقراط، وكان ميتًا فأحياه جالينوس، وكان متفرّقًا فجمعه الرازي، وكان ناقصًا فأكمله ابن سينا.

● **القيمة العلمية للكتاب:**

قال د. سعد زغلول عبد الحميد: وفي الطب كان لابن سينا أثره الكبير في أوروبا، بفضل موسوعته الطبية المعروفة بالقانون، التي تعتبر نموذجًا للتصنيف باللغة العربية، بما تحويه من طب عام وأدوية مفردة، وأمراض كل أعضاء الجسم من الرأس إلى القدم، وخصائص الأمراض والصيدلة، ويسجل

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤٣/١٢)، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٧٤/٣)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١٥٧/٢). وقال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: «فلسفي النحلة» (٥٣٩/٦).

(٢) أبقراط: حكيم مشهور، معتنٍ ببعض علوم الفلسفة، وهو من أكثر أطباء اليونان شهرة في زمانه، حتى إنه لقب بأبي الطب. «طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة».

(٣) جالينوس: كاتب وطبيب إغريقي شهير، تخصص في علم التشريح.

«ميرهوف» أن طريقة التصنيف هذه في القانون معقدة وأنها السبب فيما أصاب التصنيف عند العلماء الغربيين من مرض التعقيد[١].

قال محمد بن إبراهيم الأنصاري الأكفاني السنجاري (ت: ٧٩٤ هـ): وهو - أي كتاب القانون - أجمع الكتب وأبلغها لفظًا، بالجملة، يحتوي على خلاصة كتب الأقدمين، وينفرد بالمباحث العلمية والفوائد الحكمية.

وقال الزّركلي: وأشهر كتبه - ابن سينا - القانون وهو كتاب كبير في الطب، يسميه علماء الفرنج canonmedicicna وله عندهم مكانة رفيعة، بقي معوّلًا عليه في علم الطب وعمله ستة قرون، وترجمه الغرب إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه باللغة العربية في روما سنة ١٤٧٦م في أربع مجلدات، بعد اختراع آلة الطباعة بنحو ثلاثين عامًا .

وتميّز أسلوب المؤلف بدقة العبارة عن الحقائق التي يتحدث عنها، وبأنه لا يعدل عن اللفظ العربي إلى غيره من الألفاظ الأعجمية ما دام التعبير بالعربية ممكنًا؛ وقد قيل: إن في القانون ثروة لفظية ضخمة، لَم تدخل المعجم العربي.

- **مآخذ:**

أخذ عليه أن خبرته في الطب نظرية، لم تدعمها خبرة عملية، فهو لم يدخل بيمارستان للعمل فيه أو للتدرب، وهذا ما يفسّر ضعف الكتاب في الأمور العملية، وبخاصة في الأعمال الجراحية.

---

(١) مجلة عالم الفكر: دراسات في التراث.

● **سبب تأليف الكتاب:**

قال ابن سينا في مقدمة الكتاب مبينًا سبب تأليفه: «التمس مني بعض خلّص إخواني، ومن يلزمني إسعافه بما يسمح به، وسعى أن أصنف في الطب كتابًا مشتملاً على قوانينه الكلية والجزئية... فأسعفته بذلك».

● **المنهج والأسلوب:**

ينقسم الكتاب إلى خمسة كتب:

الأول: في التشريح، وماهية المرض والصحة، وطرق المعالجة.

الثاني: في الصيدلة؛ قدم فيه المناهج الثلاثة التي تشكل أصل التجربة العلمية، وهي المطابقة، والخلاف والتغيرات المتزامنة.

الثالث: في الأمراض العضوية.

الرابع: في الحميات على اختلافها، والعوارض التي تكشف وجود المرض، إضافة إلى مواضيع في الجراحة والثآليل والجروح والكسور والعضّ والسموم والأمراض الجلدية.

الخامس: في الأقرباذين، تعرض فيه لمختلف الأدوية المركبة ومنافعها(١).

اهتم المؤلف في مجالات التربية وعلم النفس، حيث حذر من تعريض الطفل إلى غضب أو خوف أو غم شديد؛ لئلا يضطرب مزاجه، وتفسد أخلاقه، وهو ينصح بعدم اللجوء إلى الضرب، إلا إذا فشلت وسائل التأديب الأخرى، ويشترط ألا يكون العقاب مذلاً للصبي أو ماسًّا بكرامته.

تحدث عن تدابير حفظ الصحة، وكيفية تدبير المولود والشيوخ والبالغين.

واهتم بالرياضة وأنواعها، والاستحمام، والمأكول والمشروب.

---

(١) الأقراباذين: مجموع الأدوية المركبة.

وفيه قول كلي عن العلاجات، كالإسهال، والقيء، والحقنة، والفصد والحجامة، ومعالجات البرد والأورام.

تعرض المؤلف للاستدلالات الكلية المأخوذة من الأفعال النفسانية والحركية.

تناول طبيعة العلاقة بين قوى النفس وقوى البدن، وتأثير الثانية على الأولى، ولا سيما في مجال اللاشعور.

كما تناول العلاقة بين الطب والموسيقى، فجعل الموسيقى جزءًا من ثقافة الطبيب.

وفيه فصل عن اختلاط الذهن، والهذيان، والرعونة، والحمق، وفساد التخيل، والصرع، والسكتة، وأمراض الأعصاب، وشلل الوجه(١).

- لم يكن المؤلف في كل ما كتبه في هذا الكتاب عن الطب وعلومه وفنونه مبتدعًا، بل كان أحيانًا مترجمًا، حيث وردت فيه بعض الكلمات اليونانية، أو الفارسية، أو السريانية، وغالبًا ما يعقب على الكلمة العجمية بشرحها أو ترجمتها، وأحيانا كان ينقل عن سابقيه كحنين والرازي.

● **كتب وأعمال ذات صلة:**

- طبع بالعربية لأول مرة في روما سنة (١٥٩٣م)، ثم في طهران طبعة حجرية سنة ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م، ثم ببولاق سنة ١٢٩٤هـ. وطبع بتحقيق

(١) المراجع:
الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية: د. محمود دياب.
أمراض العين وعلاجاتها: لابن سينا، تحقيق د. محمد الوفائي ود. محمد رواس قلعه جي.
العربية لغة العلوم والتقنية: د. عبد الصبور شاهين.
الموسوعة العربية الميسرة.

إدوار القش، في ثلاثة مجلدات كبيرة، مع مجلد رابع خاص بالفهارس.

- ترجم الكتاب إلى اللغات العبرية واللاتينية والألمانية.

- ولأهمية كتاب القانون فإن كثيرًا من العلماء قد قام بشرحه واختصاره ونظمه، ومن ذلك: الموجز لابن النفيس، علي بن أبي الحزم (ت: ٦٨٧هـ). وشرحه الرازي (ت: ٦٠٦ هـ). ونظمه وشرحه الشيخ داود الأنطاكي (ت: ١٠٠٦ هـ).

- الأدوية المفردة والنباتات في (القانون في الطب لابن سينا) شرح وترتيب: جبران جبور، مؤسسة المعارف لبنان .

- الأدوية المفردة في كتاب (القانون في الطب لابن سينا) تحقيق: مهند عبد الأمير الأعسم، دار الأندلس، لبنان.

- معجم أمراض العين: من كتاب القانون، د. عبد الصبور شاهين.

الشَّامل في الصِّناعة الطِّبيِّة

كتاب «الشامل» في الصناعة الطبية، لعلاء الدين القَرْشي، المعروف باسم «ابن النفيس»، هو أكبر موسوعة علمية في التاريخ الإنساني يكتبها شخص واحد، عكف ابن النفيس على تدوين موسوعته سنوات طويلة، فوضع مسوداتها، بحيث تأتي في ثلاث مئة مجلد، بيَّض ابن النفيس منها ثمانين فقط، ثم وافته المنية، وهو في الثمانين من عمره، ولقد أهدى المجلدات الثمانين مع مكتبته، وداره، وأمواله، إلى البيمارستان المنصوري بالقاهرة «مستشفى قلاوون» الآن، الذي كان ابن النفيس مشرفًا عليه، باعتباره أكبر مستشفيات القاهرة آنذاك.

«د. يوسف زيدان»

● **إسهام المسلمين والعرب في تطوير العلوم الطبية**

كان عند العرب بعض من علوم الطّبّ، وكان فيهم أطبّاء معروفون، كالحارث بن كلدة، الذي اشتهر بلقب «طبيب العرب» وغيره.

إلا أنه يمكن القول: إن عناية العرب والمسلمين بالعلوم الطبية بدأت مع دعوة الإسلام لحفظ الكليات الخمس، ومنها حق الحياة، وقد تمثلت هذه العناية بالعديد من الأحكام والأنشطة والجهود، من ذلك الترجمة والاقتباس عن الأمم السابقة، من اليونان، والفرس والهنود، فاستقدموا الكثير من أطباء تلك الأمم فطببوا الخلفاء، ونقلوا لهم الكتب، فأسهم مجموع ذلك بتطور العلوم الطبية. وربما كان من أبرز تلك الجهود ما قام به

الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية، الملقَّب بحكيم آل مروان (ت: ٨٢ أو ٩٠ هـ)، حيث كان أول من ترجم كتب اليونان إلى العربية.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز تم نشر أول كتاب في الطب من السريانية إلى العربية، يقال له «كناش أهرن» ترجمه طبيب اسمه «ماسرجويه» في عهد مروان بن الحكم، ولم تنشر الترجمة إلا في زمن عمر بن عبد العزيز الذي أمر بإخراجها لينتفع الناس بها، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» أن ماسرجويه تولى أيام الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن بن أعين، وقد وجد عمر بن عبد العزيز هذا الكتاب في خزائن الكتب، فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به.

ثم جاء الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (ت: ١٥٨ هـ) فأمر بترجمة كتب الطب، ولعل السبب المباشر في ذلك حاجته للتداوي؛ حيث يذكر المؤرخون أن أبا جعفر مرض وفسدت معدته، وانقطعت شهوته، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه، فطلب من الربيع أن يجمع الأطباء لمشاورتهم، فجمعهم، فقال لهم المنصور: من تعرفون من الأطباء في سائر المدن طبيبًا ماهرًا؟ فقالوا: ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجس[١] رئيس أطباء جنديسابور، فإنه ماهر في الطب، وله مصنفات جليلة، فأنفذ المنصور في الوقت من يحضره، فحضر ونقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربي[٢].

---

(١) جورجيوس بن جبرائيل: كانت له خبرة بصناعة الطب، ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج، وخدم بصناعة الطب المنصور، وكان حظياً عنده رفيع المنزلة.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة (ص: ١٨٣).

وكان من مظاهر عناية العرب والمسلمين بالعلوم الطبية أن مدارس التعليم الشرعي ـ التي هي بمثابة كليات جامعية اليوم ـ كانت تدرّس مادة الطب إلى جانب العلوم الشرعية والعربية، وقد ذكر «ابن كثير» أنه في سنة (٦٣١هـ) افتتحت المدرسة المستنصرية ببغداد، وعين لها مدرسون، ومُعيدون، وشيخ حديث، وقارئان، وشيخ طبٍّ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب(١).

كما كان من مظاهر عناية العرب والمسلمين بالعلوم الطبية: أن وقفوا كتب الطب على دُور الكتب العامة والمساجد والمدارس، و«البيمارستانات»(٢) التي كانت مستشفيات وكليات للطب، فوقف -مثلاً- نور الدين محمود بن زنكي (ت: ٥٦٩هـ) جملة كثيرة من الكتب الطبية، وكان جماعة الأطباء يأتون إليه، ويجلسون بين يديه، ثم تجري مباحث طبية، ويقرأ التلاميذ، ولا يزال معهم في مباحث واشتغال ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات، ثم يركب بعد ذلك كله إلى داره بدمشق(٣)، وذكر «الخطيب البغدادي» أن الطبيب يحيى ابن عيسى بن جزلة (ت: ٤٩٣ هـ) وقف كتبه على مشهد أبي حنيفة.

- **من مشاهير الأطباء المسلمين:**

في ظل عناية واهتمام العرب والمسلمين بالعلوم الطبية اشتهر الكثير من العلماء بتميزهم وتفوقهم في العلوم الطبية، ولك أن تطلع ـ مثلاً ـ على كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» للخزرجي الدمشقي، أحمد بن القاسم

(١) البداية والنهاية: ابن كثير، ط إحياء التراث (١٣/ ١٦٣).
(٢) بمارِستان، بكسر الباء، معناه: دار المرضى (تاج العروس).
(٣) الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ). العادل نور الدين محمود بن زنكي: كان متواضعًا مهيبًا وقورًا مكرمًا للعلماء.

(ت: ٦٦٨هـ) الذي يعد من أحسن الكتب التي أُلِّفت في تاريخ الطب، ورتبه على الأقاليم التي هم منها، أي ترتيبًا جغرافيًّا، وذكر فيه نكتًا وعيونًا في مراتب المتميزين من الأطباء المتقدمين والمحدثين، وأودعه أيضًا نبذًا من أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم، وذكر شيئًا من أسماء كتبهم، وانظر أيضًا - متفضلاً - ما كتبه الشيخ عبد القادر بن أحمد ابن بدران (ت: ١٣٤٦هـ) في كتاب «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» الذي تحدث فيه عن مدارس الطِّبّ والحكمة في الشام.

ومن مشاهير الأطباء ـ المسلمين ـ ابن رشد الأندلسي، محمد بن أحمد (ت: ٥٩٥ هـ) الذي كان فقيهًا مالكيًا وطبيبًا يُفزع إلى فتاواه في الطب كما يفزع إلى فتاواه في الفقه.

وابن الهيثم البصري: محمد بن الحسن (ت: ٤٣٠ هـ) الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة: «كان فاضل النفس، قوي الذكاء، متفننًا في العلوم، لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه...، وكان خبيرًا بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية، إلا أنه لم يباشر أعمالها، ولَم تكن له دربة بالمداواة».

وابن ربن الطبري: صاحب كتاب «فردوس الحكمة»[1].

---

(١) ابن ربن الطبري (ت: بعد سنة ٢٣٦ هـ) أبو الحسن، علي بن سهل، قال ابن النديم: «علي بن زيل باللام، وقال عنه: إنه كان بموضع من الأدب، وكان مولده ومنشأه بطبرستان، له كتاب إرفاق الحياة، وكتاب تحفة الملوك، وكتاب كناش الحضرة، وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير، وكتاب حفظ الصحة، وكتاب في الرقى، وكتاب في الحجامة، وكتاب في ترتيب الأغذية».

والرازي: صاحب كتاب «الحاوي»[١].

والزهراوي: صاحب كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»[٢].

● **ابن النفيس الدمشقي (ت: ٦٨٧هـ):**

شيخ الأطباء في عصره، حظيت شخصيته باهتمام الباحثين والمؤرخين والأطباء في القديم والحديث، لما له من أثر في العلوم الطبية، حيث كان يتمتع بالذكاء المفرط، والذهن الخارق، ولم يكن على وجه الأرض مثله في الطب، وكان في العلاج أعظم من ابن سينا، وكان أعجوبة دهره ـ كما وصفه ابن العماد.

وقال فضل الله العمري: «وعلى الجملة كان ـ أي ابن النفيس ـ إمامًا عظيمًا، وكبيرًا من الأفاضل جسيمًا، وكان يقال: هو ابن سينا الثاني»[٣].

وهو علاء الدين، علي بن أبي الحَزْم القَرْشي، طبيب، وفقيه، وفيلسوف، ولد في دمشق وتعلم الطب فيها، في البيمارستان النوري الكبير، ونزل مصر في شبابه، وعمل طبيبًا خاصًا لحاكم مصر «الظاهر بيبرس»، وهو الذي عينه «رئيسًا للأطباء» فأصبح شيخ الطب في الديار المصرية، وبالإضافة إلى تفوقه في الطب وعمله فيه، فقد برع في علوم اللغة والمنطق والفلسفة، وقبيل اعتزاله العمل، لتقدمه في السن، أوقف منزله ومكتبته الخاصة على دار الشفاء (أي: بيمارستان قلاوون)، وترك مجموعة كبيرة من المؤلفات في

(١) الرَّازي: محمد بن زكريا (ت: ٣٢٠ هـ) طبيب فيلسوف، صنف في الطب كتبًا كثيرة.

(٢) الزّهراوي: خلف بن عباس (ت: ٤٠٤ هـ)، قال ابن أبي أصيبعة: كان طبيبًا فاضلاً خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة، جيِّد العلاج، له تصانيف مشهورة في صناعة الطبّ، وأفضلها كتابه المعروف بالزهراوي، «التصريف لمن عجز عن التأليف»، أكبر تصانيفه وأشهرها.

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: فضل الله العمري (٩/ ٦١٩).

مجالات الطب والصيدلة والنحو واللغة والمنطق والفلسفة والفقه والحديث.

وذكره السبكيُّ في «طبقات الشافعية الكبرى» إلاّ أن ابن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ) لم يترجمه في مؤلفه المشهور «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وهو من معاصريه. ويقال: إن سبب هذا التجاهل هو خلاف حصل بينهما[(١)].

● **مؤلفات ابن النفيس وآراؤه الطبية:**

لقد ترك ابن النفيس مؤلفات عديدة في الطب، ويبدو أنه كان واثقًا من أهمية مؤلفاته الطبية، حيث قال مشيدًا بتصانيفه: «لو لم أعلم أن تصانيفي تبقى بعدي عشرة آلاف سنة ما وضعتها».

ومن مؤلفاته المهمة كتاب: «شرح تشريح قانون ابن سينا» الذي انتقد فيه آراء جالينوس في التشريح، وأظهر أخطاءه فيما يختص بتركيب الرئتين ووظيفتهما، وكذلك وظائف الأوعية الشعرية، وفيه تحدث عن الدورة

---

(١) كتب عن ابن النفيس: السبكي: في طبقات الشافعية الكبرى (٥: ١٢٩)، وابن العماد الحنبلي: في شذرات الذهب (٥: ٤٠١)، والذهبي: في دول الإسلام (٢: ١٤٣)، وابن الوردي: في تاريخه (٢: ٢٣٤). وحاجي خليفة: في كشف الظنون (١٠٢٤)، والنعيمي: في الدارس في أخبار المدارس (٢: ١٣١)، وابن تغري بردي: في النجوم الزاهرة (٧: ٣٧٧). والسيوطي: في حسن المحاضرة. والبغدادي: في هدية العارفين.

ومن المعاصرين: انظر: معجم الأطباء: للدكتور أحمد عيسى. وعلاء الدين ابن النفيس: د. يوسف زيدان. وابن النفيس: دكتور بول غليونجي. وابن النفيس واتجاهات الطب العربي: د. بركات محمد مراد. وتاريخ الطب وآدابه وأعلامه: د. أحمد شوكت الشطي، (جامعة حلب، ١٩٨٢م)، والطبيب المسلم ابن النفيس: (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م). فضلًا عن كتب المستشرقين أمثال: بروكلمن، ومايرهوف، وجورج سارتون.

الدموية الصغرى، فوصف مرور الدّم من الشريان الرئوي إلى القلب؛ فهو أول من وصفها، وأول من أشار إلى الحويصلات الرئوية والشرايين التاجية، كما توصل إلى معرفة عدد الأغشية القلبية ووظيفتها واتجاه فتحاتها لمرور الدم، وذلك قبل الطبيب البريطاني وليام هاري بخمسة قرون[(١)].

قال الدكتور أمين أسعد خير الله: «إذا درسنا كتاب شرح تشريح القانون لابن النفيس درسًا مدققًا نجد أن المؤلف كان أول من وصف الدورة الدموية الرئوية، وأول من أشار إلى الحويصلات الرئوية والشرايين التاجية»[(٢)].

وقال د. يوسف زيدان: إن ابن النفيس اكتشف هذه الدورة، متحديًا آراء «جالينوس» نفسه، فقد وجدت هذه الدورة في كتابه «شرح تشريح القانون لابن سينا».

وقد قام الباحث المصري د. محي الدين التَّطاوي بتوثيق هذه الحقيقة من خلال رسالته للدكتوراه التي قدمها في ألمانيا، سنة ١٩٢٤م، بعنوان «الدورة الدموية الرئوية وَفقًا للقَرْشي - أي ابن النفيس»[(٣)].

كما أن ابن النفيس هو أول من أشار إلى الاعتدال في تناول الملح،

---

(١) وليم هارفي (١٥٧٨- ١٦٥٧م) طبيب إنجليزي اكتشف الدورة الدموية الكبرى، وكان ابن النفيس قد مهّد لهذا الاكتشاف باكتشافه الدورة الدموية الصغرى وأصبح اكتشافه أساسًا مهمًا في الطب. الموسوعة العربية العالمية (التشريح)، و(وليم هارفي).

(٢) الطب العربي: للدكتور أمين أسعد خير الله (ص: ٦٤).

(٣) محيي الدين التطاوي (ت: ١٩٤٥): طبيب مصري، يُعزى إليه الإشارة لسبق ابن النفيس في اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، في رسالته لنيل الدكتوراه من جامعة «فرايبورج» بألمانيا، حيث عثر أثناء مطالعته للمخطوطات العربية بمكتبة برلين على مخطوط رقم ٦٢٢٣٤ وعنوانه «شرح تشريح القانون، قانون ابن سينا». ابن النفيس: دكتور بول غليونجي، سلسلة أعلام العرب، مطبوعات الدار المصرية للتأليف والترجمة.

وأشار لأخطاره.

كما أشار إلى تشريح الحنجرة وجهاز التنفس والشرايين ووظائفها.

وتعرض للحديث عن التشريح العام، وهو يشمل تشريح العظام والمفاصل والعضلات والأعصاب والأوردة والشرايين.

ثم تعرض إلى الحديث عن التشريح الخاص، وقد عنى تشريح الأعضاء الداخلية في جسم الإنسان، ومنها القلب.

كما كان له كتاب بطب العيون، بعنوان: «المهذّب في الكحل».

وله كتاب في التغذية، بعنوان: «المختار في الأغذية».

وله كتاب «شرح فصول أبقراط» علق فيه وانتقد وصحح بعض آراء أبقراط.

وله كتاب «بغية الفطن من علم البدن».

وله كتاب: «الشامل في الطب» وهو أكبر وأهم كتبه الطبية، عمل في تحقيقه د. يوسف زيدان(١).

- **المنهج والأسلوب:**

يحتوي الكتاب على ثلاثة فنون:

الفن الأول: في قواعد الجزء النظري من الطب، ويقع في أربعة أجزاء.

الجزء الأول: في علم الأمور الطبيعية، ويشتمل على مقدمة وسبعة

---

(١) الدكتور يوسف زيدان: متخصص في التراث العربي المخطوط وعلومه، له عديد من المؤلفات والأبحاث العلمية في الفكر الإسلامي والتصوف وتاريخ الطب العربي، وهو حاصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية (عام ١٩٩٤) عن الفقه الطبي، وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق. كما حصل على جائزة دولة الكويت في مجال التراث العلمي العربي والإسلامي من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي (عام ٢٠٠٥م) عن موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات.

كتب، هي كتاب الأركان، وكتاب الأمزجة، وكتاب الرطوبات، وكتاب الأعضاء، وكتاب الأرواح، وكتاب القوى، وكتاب الأفعال .

الجزء الثاني: في علم الأمراض .

الجزء الثالث: في علم الأسباب .

الجزء الرابع: في علم الدلائل، ويشتمل على ثلاثة كتب، الكتاب الأول في الوجع، والكتاب الثاني في النبض، ماهيته، وأجناسه، وأسبابه. والكتاب الثالث في البول.

الفن الثاني: في الجراحة .

ويشتمل على ثلاثة فنون، الأول (الجراحة) أو عمل اليد، والثاني في الآلات، والثالث في أجناس العمل باليد.

الفن الثالث: في الأدوية المفردة (بعضه مفقود).

وفيه يوضح ابن النفيس طريقته في كتابه، بقوله: وقد رأينا أن نجعل لكل دواء تحققناه مقالة على حدة، وأن نرتب كل مقالة على فصول مشتملة على فنون أحكام ذلك الدواء، فيكون كلامنا في ماهيته وجوهره المختار منه كل ذلك في فصل واحد .

والكلام في أفعاله في أعضاء الصدر في فصل واحد .

والكلام في أفعاله في أعضاء الغذاء في فصل واحد .

والكلام في أفعاله في أعضاء التعفن في فصل واحد .

والكلام في الأحوال التي لا اختصاص لها بعضو في فصل واحد .

والكلام في أحوال ذلك الدَّواء، في الترياق، والسُّمِّيَّة، ونحو ذلك، وفي بدله، وشيء من خواصِّه، في فصل واحد .

وقد جمعنا جميع المقالات التي مبتدأ أسماء أدويتها بحرف معين، كالهمزة مثلاً والباء، في كتاب على حدة، بذلك يكون الكتاب الأول في الأدوية التي أولها حرف الهمزة. والكتاب الثاني في الأدوية التي أول أسمائها حرف الباء، والكتاب الثالث في الأدوية التي أول أسمائها حرف التاء، وعلى هذا الترتيب إلى آخر الحروف.

ثم جعلنا لكل كتاب خاتمة نذكر فيها أحكام الأدوية المشهورة التي لم نتحقق معرفتها على الوجه العلمي.

ويقتبس ابن النفيس بعض المادة من كتاب أبقراط المعروف باسم «حانوت الطبيب» ثم يوضحها بالشرح الوافي.

يعزو ابن النفيس نجاح العمليات الجراحية إلى العناية التامة بثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: ويسميها «وقت الإعطاء» وفيها يتعرف الجراح موضع العلة، وتسمى بهذا الاسم لأن المريض يعطي الجراح، أي يسلمه بدنه، للتصرف فيه كيف يشاء.

وأما المرحلة الثانية: فيسميها «وقت العمل»، وفيها يقوم الجراح بإصلاح ما فسد من أعضاء البدن.

والمرحلة الثالثة: «وقت الحفظ»، تشير إلى الوقت الذي يعقب الجراحة، ويجب أن يحافظ المريض في هذا الوقت على نفسه، كما يجب أن يحافظ من حوله من الممرضين والخدم على حالته الصحية التي تركها عليه الجراح، فيتم له الشفاء، إن شاء الله تعالى.

يسجل ابن النفيس في كل من هذه المراحل الثلاث وصفاً دقيقاً لكل من واجبات الجّراح، والمريض، والممرضين له.

كما يسجل طرق استخدام وحفظ الآلات الجراحية وغيرها مما تستلزمه الجراحة والعلاج[١].

۞ ۞ ۞

(١) طبع الكتاب بتحقيق د. يوسف زيدان، وقد قام بجمع مخطوطاته من المكتبات التالية: المكتبة الظاهرية بدمشق، والمكتبة البودلية بأكسفورد، ودار الكتب المصرية، ومتحف الآثار العامة ببغداد، ومكتبة ليدن بهولندا، ومكتبة لاين الطبية بجامعة ستانفورد بأمريكا، وجامعة كمبردج بإنجلترا.

تمَّ الكتاب

والحمد لله ربِّ العالمين

ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السَّميع العليم

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

والله من وراء القصد

فهرس المحتويات

المجموعة الأولى: في العـلـوم الشرعية

(٢٧ - ٢٨٠)

المجموعة الثانية: في العلوم العربية

(٢٨١ - ٤٧٤)

المجموعة الثالثة: في الفهارس والموسوعات

(٤٧٥ - ٤٨٨)

المجموعة الرابعة: في التراجم، والطبقات، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات

(٤٨٩ - ٥٤٢)

المجموعة الخامسة: في الفلسفة، وعلم الاجتماع

(٥٤٣ - ٥٦٢)

المجموعة السادسة: في العلوم التجريبية

(٥٦٣ - ٦١٠)

تم الصف والإخراج بشركة غراس للطباعة والنشر والتوزيع والدعاية والإعلان
هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ - الكويت

قَائِمَةُ إِصْدَارات
مَجَلّةِ الوَعيِ الإِسْلاميّ

- القدس في القلب والذاكرة
- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية
- المجموعة القصصية للأطفال (الأولى) «براعم الإيمان»
- الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط
- النقد الذاتي رؤية نقدية إسلامية
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح
- الحج ولادة جديدة
- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد
- المجموعة الشعرية للأطفال «براعم الإيمان»
- التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي
- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام
- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين
- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي
- براعم الإيمان نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام
- الحوالة
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس

- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد
- فقه المريض في الصيام
- القسمة
- أصول الفقة عند الصحابة- معالم في المنهج
- السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات
- لطائف الأدب في استهلال الخطب
- نظرات في أصول البيوع الممنوعة في الشريعة الإسلامية
- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري
- ديوان شعراء الوعي الإسلامي
- ديوان خطب ابن نباتة
- الإظهار في مقام الإضمار
- مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم
- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال
- في رحاب البيت النبوي
- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية
- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب
- معجم القواعد والضوابط الفقهية
- كيف تغدو فصيحًا عفّ اللسان
- موائد الحيس في فضائل امرؤ القيس
- إتحاف البرية فيما جد من المسائل الفقهية
- تبصرة القاصد على منظومة القواعد
- حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية
- اللغة العربية الفصحى

- المذهب عند – الحنفية – المالكية – الشافعية – الحنابلة
- منظومات أصول الفقه (دراسة نظرية وصفية)
- أجواء رمضانية
- المنهج التعليلي بالقواعد الفقهية عند الشافعية
- نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده
- دراسات وأبحاث علميّة نشرت في مجلة الوعي الإسلامي
- ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه
- التقصي لما في الموطأ من حديث النبي ﷺ
- المجموعة القصصية للأطفال (الثانية) «براعم الإيمان»
- كراسة لون للأطفال «براعم الإيمان»
- موسوعة رمضان
- جهد المقل (مجموعة من النظم العلمي)
- العذاق الحواني على نظم رسالة القيرواني
- قواعد الإملاء
- العربية والتراث
- النسمات الندية في الشمائل المحمدية
- اهتمامات تربوية
- أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب
- القرائن وأثرها في علم الحديث
- جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها
- سيرة حميدة ومنهج مبارك «الدكتور محمد سليمان الأشقر»
- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول
- نظام الوقف والاستدلال عليه
- قراءة في دفتر قديم على كتاب الأصمعيات
- قراءة أخرى في دفتر قديم على كتاب الكامل للمبرد

- الترجيح بين الأقيسة المتعارضة
- التلفيق وموقف الأصوليين منه
- التربية بين الدين وعلم النفس
- مختصر السيرة النبوية
- معجم الخطاب القرآني في الدعاء
- المسائل الطبية المعاصرة في باب الطهارة
- المسائل الفقهية المستجدة في النكاح
- دليل قواعد الإملاء ومهاراتها
- علم المخطوط العربي
- التراث العربي
- من قضايا أصول النحو عند علماء أصول الفقه
- نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١)[
- الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٢)[
- مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٣)[
- السراج الوهاج في ازدواج المعراج]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٤)[
- الاستدراك على أحاديث الجمع بين الصحيحين]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٥)[
- جواب العلامة السفاريني على مَنْ زعم أن العمل غير جائز بكتب الفقه]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٦)[
- مأخذ العلم]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٧)[
- تحفة الأمين فيمن يقبل قوله بلا يمين]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٨)[
- الشذرات الفاخرة نظم الورقات الناضرة]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٩)[
- شرح أنفاس السحر في أقسام الحديث والأثر]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١٠)[
- آداب الدارس والمدرس]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١١)[
- إعانة الإنسان على إحكام اللسان]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١٢)[
- المنتخب من كتاب الأربعين في شعب الدين]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١٣)[
- فتح السلام بما يتعلق بالتشميت والسلام]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١٤)[

- التحجي في حروف التهجي]ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١٥)[
- تلوين الخطاب (دراسة في أسلوب القرآن الكريم)
- التاريخ في الإسلام
- رسالة في الوقف
- أغاريد البراعم «براعم الإيمان»
- أخلاقنا الجميلة «براعم الإيمان»
- قصص للأطفال «براعم الإيمان»
- قواعد العدد والمعدود
- أسرار العربية
- علماؤنا وتراث الأمم، القوس العذراء وقراءة التراث
- المسائل الأصولية المستدل لها بقوله تعالى:
« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا »
- إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين
- الحسبة على المدن والعمران
- عبقرية التأليف العربي
- الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية
- التقريب والإرشاد في أصول الفقه
- سلسلة أشيائي «قصص للأطفال» «براعم الإيمان»
- حكايات لا تنسى مع ديمة «براعم الإيمان»
- علاج السمنة أحكامه وضوابطه
- المسجد الأقصى أربعون معلومة نجهلها
- تفسير عبدالله بن مسعود الهذلي جمعًا وتحليلًا
- الإرفاد لمن غدى على نظم قطر الندى
- القول المأثور في إحياء الصواب المهجور
- أساليب الخطاب في القرآن الكريم

- الأشربة والأطعمة
- قواعد اللغة العربية
- الصرف العربي
- علم البلاغة
- بحور الشعر العربي
- ذاكرة مجلة الوعي الإسلامي (خمسون عامًا من العطاء)
- المجموعة العربية
- مفاتيح سور القرآن الكريم
- تخريج الحديث
- تطبيقات الحكمة في دعوة أفراد المجتمع (المرأة نموذجًا)
- معالم الحكمة في منهج دعوة سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز « رحمه الله»
- فضل الخط والتوزيع الجغرافي لنساخ القرآن الكريم
- عيون البيان (افتتاحيات مجلة الوعي الإسلامي)
- برطمان السعادة «براعم الإيمان»
- سوالف جدتي «براعم الإيمان»
- البنوك الوقفية
- قواعد الأوقاف
- مقالات الأستاذ الدكتور محمد السيد الدسوقي
- الجامع المفيد لأحكام الرسم والضبط والقراءة والتجويد
- قوة الحافظة وكثرة المحفوظات
- من مصادر التراث العربي والإسلامي
- تنوير العيون، وبغية النساك
- دور فهم مقاصد الشريعة في الحفاظ على حقوق الطفل